

# الزبارة المحررة

في السنين الإنسانية

أو  
افضل ما خطه قلم في الاخلاق والحكم

تأليف من تألفت القلوب على حبه وولائه ، وترنمت الالسن بحمد آلائه ، وشكر  
فضله ونعمائه ، رشيد هذا الزمان باقباله وعلائه ، ومعن الاحسن بفيض عطائه ،  
وقسن بن ساعدة بفصاحة بيانه وادائه ، عميد العرب العرباء ، وقررة أعين الشعراء  
والادباء والعلماء ، ومظهر جلال المجد بين الملوك والشيوخ والامراء

معز السلطنة سردار اقدس صاحب العظمة

الشيخ <sup>العلامة</sup> خير عبد خان

امير نويان وسردار عربستان

المجلد الاول

دفع على طبعة وعتس موايه

عبد المكي الكلب

صاحب جريدة العمران بمصر

الطبعة الثالثة

مطبعة العمران  
عزدي





﴿ معز السلطنة سردار أقدس سمو الشيخ خزعل خان ﴾

﴿ سردار عربستان وأمير نويان ﴾

هذا هو الملك الذي في عدله نالت رعيته البشائر والنعم  
 هذا الذي فيه لقد بلغ الايمان رب سؤلهم اذ كان أفضل من حكم  
 هذا الذي ساس الرعية حازماً ومثى بها للرفي تحدوه الهمم  
 يمينه السيف الصؤول على العدى حتى اذا أقام مسك التلم  
 ويساره للهمم قد خلقت وللسردار اقدس خزعل خلقت الكرم

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توطئة الكتاب

بقلم العبد المملوك الواقف على طبعه

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على من اختار واصطفى ، وبعد فيهما كنت  
 أتجول بين العرب لخدمة العرب ، وأقصد رحاب ملوكهم وأمرأهم باسم العلم والأدب ،  
 فطويت اليهم المراحل ، وأتمت المنازل ، برحلات متوالية ، وزيارات متتالية ، وجدت  
 فيها ماشاء الله من الاحياء العاصرة ، والوجوه الزاهرة ، والمائر الباهرة ، والاخلاق  
 العالية الفاخرة ، فعرفت أن القوم لا يزالون على مكارم اخلاق ، في نفائس اعلاق ،  
 قد حافظوا وهم الاحفاد ، على تراث مجد الابه والاحداد ، رغم معاكسة الزمان القهار ،  
 وعوادي الليل والنهار ، وأن في هذه الامة الكريمة من الملوك والامراء ، من جدّوا  
 بهذا العصر عهد الرشيد والمأمون وبخيرهما من اعظم الخلفاء ، وأن العراق كان ولا  
 يزال مظهر مجد العرب العرباء ، علفت هذا فخدمت الله المتعال ، وقلت في مثل هؤلاء  
 الاقيال ، لا بد وأن تتبدل الاحوال ، وتنال أمة الرسول العربي بعيد الامال

سعت الى العرب ، وأنا في باكورة الشباب ، وعانيت في سبيل خدمتهم من  
 الصيد ، ما يتحدث به الآن ذوو الابواب ، وأقول والثناء لله مع الافتخار ، اني  
 كنت في مقدمة من ناشد العرب ان يهبوا الى ارجاع ما كان لهم من قديم المجد  
 والفخار ، وأوقفت على خدمة هاته الامة الكريمة هذا القلم ، واستسملت في سبيل  
 نهضتها كل صعب بلا سأم ، وتحملت لاجلها كثيراً من التعب والالم ، وانى لاحمد الله  
 الذي ما اصاع لي تعباً ، ولا خيب لي مأرباً ، اذ رأيت وأنا في السكولة تغور الامال  
 باية ، وبواد النجاح بادية ، فالحمد لله الذي حقق أملي ، وأبجح عملي ، حمداً اردده  
 في كل بكرة وعشية ، ويدوي صداه في ربوع أممي الكريمة العربية

وكان من حظ هذا العبد المملوك ، ظفري برضاء أفضل الامراء وأكرم الملوك ،  
 الجناب العالي ، صاحب المجد المتلافي ، مولاي وولي نعمتي ، معزز السلطنة ، سرمدار





﴿ معز السلطنة سردار أقدس عظمة الشيخ خزعل خان ﴾

﴿ أمير نويان وسردار عربستان ﴾

أمير سلطنة الاكاسرة الذي  
 بهنيك انك في السلام أبو الندى  
 حتى اذا خضت الوغى نادى القضا  
 أفديك من ملك يياهر مجده  
 فاهنا بانك شمس أمة يهررب  
 ما زلت في روض المفاخر تترنح  
 والجود فضلك لا يمد ويجمع  
 بالنصر «ياسردار اقدس» ترجع  
 فخر الأعراب والأعاجم أجمع  
 وبأرضها زاهي ضياؤك بسدتم



أقدس، عظمة الشيخ خزعل خان ، أمير نويان وسردار عربستان ، وحاكم المحمرة  
الرفيع الشأن ، فوفقت ببابه ، ونزلت برحابه

فوجدت مجداً جاوز الجوزاء في علم وآداب واحسان عميم  
وكراماً ومآثراً ومفاخرأ في جيهذا العصر كالدرة النظيم  
ومحمدأ يعيا الفصيح بحمدها تجلى على الاعراب من ملك رحيم  
فأنحنت في ذاك المقام مطيبي وثويت في ظل المعز على نعيم

وجدت صدراً رجباً ما كثر القاصدون ، وثغراً باشأ بمجموع الوافدين ، وجودأ  
كالغيت الهتون ، وحلأ وسع الاعداء والمخلصين ، وذكاء أ يعرف به مما كان ماقد يكون ،  
ودهاء أ أدعش الدياتيين ، ومجدأ تجاوز الهمالكين ، وفضلاً أفضل به الاتيأ الصالحين ،  
وعلمأ حتى يفرق بين الشك واليقين ، وأدبأ يضؤل بجانبه أدب المناؤدين ، وشاعرية  
تسخر للجلائل المعاني والقوافي والموازن ، واستسلامأ الى ارادة الله عز وجل استسلام  
المتقين ، وتمسكأ بحب محمد الهادي الامين ، وآل بيته الخيرين ، صلوات الله عليهم أجمعين

فبايعت أن أحيأ لخدمة خزعل مهباية فيها الرشاد مع الهدى  
وأقسمت أن لا أبرح الدهر صادقأ بخدمة أروي المسدأخ ونشدا  
فقد شمت فيه خير من ساد واعتلى حزوماً حليماً أروأ أو سودا  
وأفضل من يرجى لآلة أحمد اذا طلبت عزأ ورامت عيدا  
وما العرب العرباء الا بنخعل وقد كان فيها بالفضائل فردا  
فلا ثرو ان قيدت نفسي بحبه «ومن وجد الا حسان قيدأ قيدا»

وبد ان اتصت بخدمة مولاي المعز ، وفزت برضوانه ، وفيه انتهى السؤدد  
والعز ، عرفت أن في العرب رجالاً تحط بحضرتهم الرحال ، ويحج الى روعهم بالمال ،  
وأن في الخلف للسلف الصالح أفضل مثال ، فمن يأسف على عهد دمشق وبغداد ،  
ومن نشأ فيها من الملوك الصيد ، والسادة الاجداد ، فليبشر بأن في المحمرة ملكأ أحيأ  
مجد أولئك الاقطاب الاجواد ، وجدد عهدهم الازهر للناطقين بالضاد

اذا ماريت المجد في دار خزعل وفيها تجلى بالمواهب للناس  
حسبت به هارون في أوج مجده ونحن به في عصر دولة عباس

لا جرم ان هذا الملك العظيم ، والاب الرؤوف الرحيم ، قد أنعش آمال العرب  
بأعماله البواهر ، وأحيأ موات الامال باناره الزاهر ، وتقرؤد بحميد الشائل ، وكريم

المائر ، وعظيم البودار ، مما  
لا يحصيه شعر شاعر ، أو نثر  
نثر ، فبارك الله في الملك الذي  
نفاخر العالمين بمعالیه ، وأدامه  
الله للعرب والاسلام بحميد  
ماتيه ، فان المعول بعد الله لربي  
العرب عليه ، والمرجع لاهل  
للعلم والادب اذا ما جار الزمان  
اليه ، أهلنا الله لتتضي فروض  
الحمد لعظيم ماتيه .

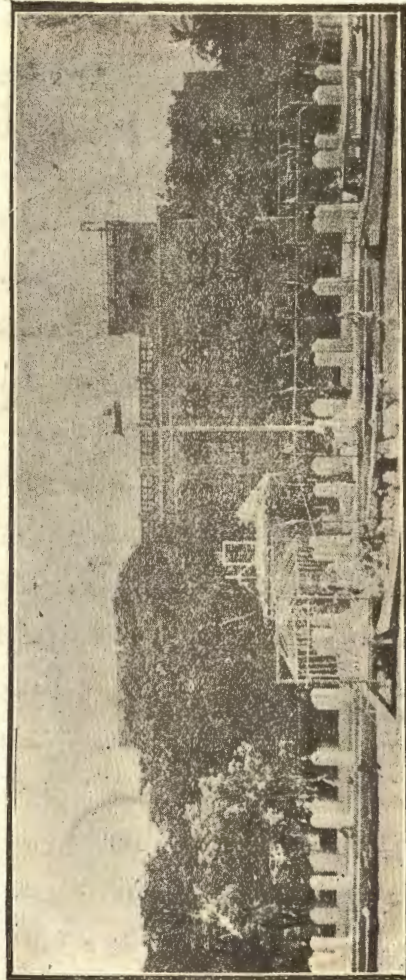
وبعد ، فها أنا ذا كرت عن  
عظمة المرقد اقدس ، ما فيه  
البيان الشافي لقاريه . هذا  
الكتاب الانفس ، ليعرف ان  
عظمة المرائف هو حامل السيف  
والقلم ، وأنه في ملوك وأمراء  
العرب الملك الاعظم ، والاير  
الانخم ، والسيد المحترم ، والعالم  
العلم ، واني لهلي ما شهدته بنفسي  
وعرفته بعد طول اختباري

ودرسي ، غير دبالغ بالرواية ، ولا متجاوز حد الرشد والهداية ، ليعلم منه العرب أن  
عظمة الملك المعز قد جمع بين الحزم والعلم ، وأصاب من كل منهما بنجر سهم ، وكذلك  
فلتكن الملوك والامراء ، اذا اراد العرب ان يسترجعوا نفاخ الاجداد والاباء .

﴿ عربستان ﴾

يقسم العراق الى قسمين احدهما العراق العربي وهو يمتد من الفاو الى الموصل  
وكان في حكم الدولة العثمانية ثم فتحه الانكليز في سنة ١٩١٥ في اثناء الحرب الاوربية  
العلمة وروهبوه استيلائه حسب القرار العام المعلن في مؤتمر فرسايل فصار مملكتة

« النصر الحزبي الناصر كما هو اليوم »





وتظلُّ الباخرة ماخرةً كالمروس بين اشجار النخيل المحيطة بالعمارة العرائس في ذلك الشطِّ العظيم نحو بضع ساعات فتدبر بجزيرة عبادان ومنها على نحو ساعة تمرُّ بالمحمة ومنها على نحو نصف ساعة تنتهي الى موضع يسمى «الكالية» وهناك قصر عامر شاح البناء عالي الاركان امامه اليخوت والبلاد هو القصر العالي لعظمة مولانا السردار اقدس حيّاه الله

وهذا النصر العظيم بناه عظمة ولي النعم على شطِّ العراق بالقرب من حدود امارته والمملكة العراقية على أنف طراز وأجمل نظام وكان ذا طابقين عظيمين في الطابق الاول صاعة الاستقبال وهي مفروشة بأمن وأجمل الرياش وفيها من التحف والنقائس الشيء الكثير ومزدانة بالثريات الفاخرة التي تضاء بالكهرباء وفيها رسوم أعظم الملوك المهداة لعظمتهم وفيها صوراً كاسرة الفرس العظام بأجمل تصوير وأبدعه وهي مفروشة بسجادة عجمية من أمن وأفضل مانسجه الناسجون وبجوار هاته الصاعة العظمى «غرفة المائدة» وهي واسعة على الطراز الاوربي بمائدة وكراسي وخزانات للاواني الذهبية والفضية والحزفية وفيها كان يقيم عظمة مولانا مادبه الشهيرة للولاة والقناصل والاعيان من الاجانب والوطنيين . وهناك غرف عميدة هي مكاتب رجال الامية وموظفي القصر ومستخدمي الخاصة

وكان القسم العالي من هذا القصر المعمور يقسم الى قسمين كبيرين أحدهما للحرم وفيه من نقائس الرياش ما لا يوجد مثله الا في دور الملوك وفي القسم الثاني صاعة كبرى لجلوس عظمته الى ندمائه من العلماء والادباء والشعراء الذين لا يفارقونه في سمره الليلي وفي هذه الصاعة «المكتبة الحزلية» وهي أمن واغنى مكتبة في العراق بغير جدال وكان بجوار هذه الصاعة غرف خاصة بهؤلاء الكرام يأوون اليها ويقومون فيها طالما هم في ضيافة ولي النعم حفظه الله وكان في جوار تلك الصاعة الكبرى التي حولها غرف الندماء المشار اليها ساحة عظيمة كنا نسير فيها في الصيف حيث يستحيل السمر في غير الخلاء كما هو الحال في العراق المعروفة بشدة حرّها

وتحت هذين الدورين العظميين من ذلك النصر المعمور سراديب واسعة جميلة البناء مزدانة بالنقوش والرسوم التاريخية يقيم فيها عظمة ولي النعم وضيوفه في أيام الحرّ ويتصل الهواء اليها بمناقب عالية متصلة بأعلى سطح القصر تتلقى الهواء من الجوانب الاربعة بشكل هندسي معروف في العراق ويسمونه «بانتيج» على ان عظمته حفظه الله بعد أن استحضر الكهرباء





« الحمرة حاضرة الامارة »

لقصره المعمور استعاض عنها بالمرواح الكهربائية الكثيرة فرطت الحرارة في أشد أوقات القيظ وجعلت تلك السراييب مقرّ رطوبة تنعش النفوس وهذه السراييب مفروشة بشمين الرياض وغالي الاثاث وكنا كلما ندخلها نذكر مارواه المؤرخون عن السراييب المشهورة التي بناها هارون الرشيد في قصر الخلد في السكرخ بل كنا نقول هيئات لسراييب الرشيد ان تكون كسراييب المعزّ بما فيها من جاه وعزّ ومجد وطيّد

هذا ما كان عليه القصر الخزعي العالي الى سنة ١٩١١ وفي أواخر هذا العام أضاءه بالكهرباء بالاث مخصوصة استحضرها عظمة وليّ النعم خصيصاً لخدمة قصوره واستحضر معها من زاهر الثريات والمصاييح ما يستهوي الابصار حتى اذا ما انبعثت منها الانوار كان الابل فيها أضواً من النهار ولا سيما الانوار الشمسية المقامة على الساحة السطحية وفي ساعات القصر الكبرى وأهم هذه المصاييح مصباح كبير أقيم على أعالي القصر ونوره كالنجم الثاقب ويصل الى مسافات بعيدة أقامه عظمة مولانا خصيصاً ليستضيء به فاصدوه اذا وصلوا الى رحابه ليلاً ولي الشرف أنا عبده المملوك ان اكون واسطة مشترى هذه الالات والثريات في سياحتي الاولى في أوروبا ابتعتها لعظمته من عروس الدنيا باريس

كما صار لي الحظ ان أكون في خدمة عظمته في الكهالة المحروسة عند ما أضاء القصر المعمور  
بالانوار الكهربية المرة الاولى فقلت وقتئذٍ أؤرخها :

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| يا من يرى بديار مولانا المنة | ز سنأ يشابه بالفاخر نوره    |
| ان رمت تعرف ما يضي بقصره الا | مالي لينظر كل مرء بره       |
| فاعلم بأن سناه متمشع         | من مجده السامي فيرفع قدره   |
| ويذيع ما بين الاعارب والاعا  | جم في المشارق والمنارب شكره |
| ذا جابه بنهاره باد كنو       | ر الشمس يعلو بالتاليه ذكره  |
| ولليله عند المؤرخ منور       | بالكهرباء انار خزعل قصره    |

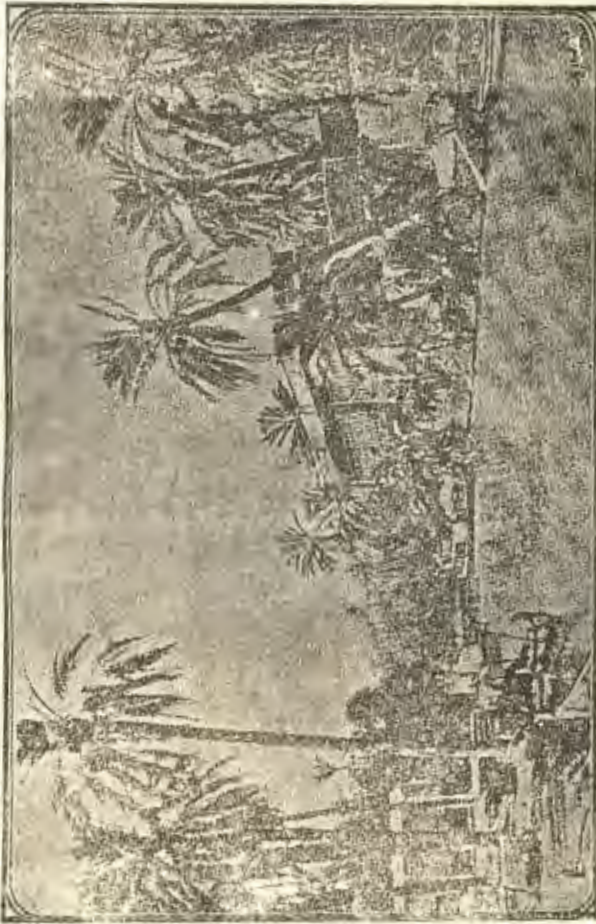
سنة ١٩١١

أقول وقد كان هذا أول عهد الناس في البراق بالكهرباء وما كانوا يعرفون  
« النور الكهربائي » الا في البواجر التي كانت تراد البصرة وما انتشرت الكهرباء  
في العراق الا بعد سنة ١٩١٥ عند ما فتحتها الجيوش البريطانية المنصورة في الحرب  
العامة الاوربية .

على أن عظمة مولانا السردار اقدس روعي قداه لم يرض ان يبقى قصره السامر  
على حاله بعد ان تناول العمران عموم مملكته العلية فأخذ بتوسيعه فأشاد بجوار  
القسم العالي المخصص بضيوفه وندائه داراً نفمة الامير الجليل الخالد الذكر المرحوم  
الشيخ مبارك آل صباح أمير الكويت وحاكمها ورئيس قبائلها ذلك ان هذا الامير  
الجليل رحمه الله كان كثير الولاة والاخلاص لعظمة مولانا السردار اقدس وكذلك  
كان عظمته لسموه حتى كان الاميران روحاً في جسدين وكانا يتزاوران مراراً في  
كل عام ويعملان بالتضامن في سبيل خير رعاياها في عربستان والكويت فربما بعد طول  
الصحبة ان يبني كل منهما قصرأ لصاحبه في بلده ليستكمل اسباب راحته فبنى عظمة السردار  
اقدس بجوار قصره قصرأ المرحوم الشيخ مبارك آل صباح كما تقدم وبني الشيخ المرحوم  
قصرأ لعظمة مولانا في الكويت بجوار قصره (١) وهكذا كانت الصداقة بين الاميرين

(١) ورأى عظمة مولانا السردار اقدس حفظه الله أن هواء الكويت يلامم صحته  
التيمة فما اكتفى بالقصر الذي بني لعظمته بجوار قصر اخيه المرحوم الشيخ المبارك داخل البلد  
بل بادر فبنى قصرين تخمين خارج الكويت على ضفاف البحر من الجهة الشرقية أحدهما  
للحرم والاخر للتدماء والاعوان والضيوف وحسب عادته الشريفة اتسمها بفاخر





« الشارع الخزعي في الحمرة »

وطيدة الاركان وظلت كذلك الى ان فرق بينهما الدهر الخزون بداعي اليبين فلا حول ولا قوة الا بالله ولقد نال رعايا الاميرين من وراء هذه الصداقة الوثيقة العرى من جلب المنافع ودفع المضار الشيء الكثير فتعسأ للزمان الندبار الذي فرق بينهما ووقع الكريهين بعد الشيخ المبارك بمصائب عرفوا معها فضل ذلك للشيخ الجليل بارتباطه

الأثاث فكانا أنعم وأجمل أبنية الكويت بالاجماع وبقى ما حلّ بهما عظمته إنا كعبة الزائرين من الشيوخ ووجهاء القوم وسراتهم وعلامتهم وفضلاهم وهم يحسبون زيارة عظمتهم لكويتهم نعمة من نعم الدهر أو عيداً من اعيادهم يتبادلون به كؤوس القهظة والبشر



بعظمة اميرنا النبيل نعم عرفوا ذلك على عهد ولده المرحوم الشيخ سالم المتوفي سنة ١٩٢١ على  
 اهم عادوا الى مثل ذلك الحير على عهد اميرهم الحالي حفيد المبارك سمو الشيخ احمد بن جابر  
 الذي رجع الى مودّة عظمة السردار اقدس متبعماً حسن سياسة جدّه رحمه الله فرجع  
 الكويتيون بذلك الى ماضي عهد الحير الذي فقدوه حيناً من الدهر وذكروا به شيخهم  
 المبارك اطيب الذكر ذا كرين قول الشاعر :

سيد كرتني قومي اذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلاء يفترق البدر  
 ثم رأى عظمة ولانا السردار اقدس أيّده الله أن استقبل ضيوفه الكرام وهم  
 كما علمت من الامراء والوزراء وكبار الحكام في الدور الاول من قصره الممور  
 لا يتفق مع مكاته العليا ومقامه السامي فصدرت ارادته السنية في سنة ١٩١٣ ببناء  
 قصر خاص ملاصق لقصره وقصر اخيه المرحوم الشيخ مبارك الصباح وسرعان ما تقدّم  
 أمره السامي وأقيم ذلك القصر على طراز عجيب جمع بين الاسلوب الاوربي والذوق  
 الشرقي الفارسي وهاك وضعه :

اقم هذا القصر العجيب على علو ستة أمتار فيصعد اليه بسالمة مريّة وهناك تدخل  
 الى فسحة واسعة الجوانب مستطيلة تسع نحواً من ألف نفس وقوفاً على الاقدام ونقش  
 بناء الفرس على أعلى جدران هاته الفسحة صوراً تاريخية تمثل المشهورين من قياصرة الفرس  
 القدماء وبعضهم وقوف والبعض على خيولهم. والبعض يصارعون الاسود والبعض بحاربون  
 اعداءهم وتشيد على جانبي هاته الفسحة غرف عديدة بعضها كبيرة وبعضها صغيرة وجنات  
 لتكون للضيوف الكرام الذين يقصدون عظمة وليّ النعم والبعض الاخر للخاصة من رجال  
 عظمتهم وافتخر ان اقول ان احدى هاته الغرف قد خصصها عظمة هولاي بهذا العبد  
 المملوك اقيم فيها عند ما اشرف بخدمة عظمتهم

وفي وسط هاته الفسحة الى يمين الداخل ممرّ ينتهي الى قصر عظمة وليّ النعم  
 وقصر المرحوم اخيه الشيخ مبارك الصباح ومن هذا المدخل الى قصر الشيخ المرحوم  
 صاعه كبرى يعجز القلم عن بيان ما فيها من بديع النقوش التي اشغل بتصويرها  
 ابرع مصوري الفرس وتمثل هذه النقوش مواقع تاريخية مشهورة لا كاسرة فارس  
 القدماء وقد زاد هذه الصاعه جمالاً نثر مصاييح الكهرباء الصغيرة الملوّنة في أعلى  
 جدرانها عند الصقف بين نقوش الزهور وكروم الغنّب حتى اذا ما أضئت ارسلت  
 الى أعين الرائيين منظراً يحير العقول وهذه الصاعه المباركة كانت مئوى جلاله الشاه



« حضرة الأمير الجليل صاحب السمو سردار رفيع الشيخ جاسب خان »

احمد خان سلطان دولة ايران العاوية عند ما زار عظمة مرلانا في ربيع سنة ١٩٢٠ وقد اظهر جلالتها له ابيه بيديع صنعها وترصيع مصابيح الكهروءاء في جدرانها وأنعم على كهربائي النصر الاسدلى داود ينوط الصناعة الذهبى لاجها وفي صدرهاته الساعة غرفة واسعة ايضاً مفروشة بشمين الرياض في صيبرها صورة زبقة على طول وليّ النعم تشرّفت باستصناعها في مصر وحماها الى ذلك القصر المعمور في خريف سنة ١٩٢٠ وترى صورتها في هذا الكتاب وفي هذه الساعة من فاخر السجاد الابرايى ما يسي باتقان صنعه الالباب وهذه الساعة جعلها عظمة وليّ النعم



لاقامة الولاثم لكرام ضيوفه وأعظم قاصديه على الطريقة الاوربية كما يشاهد في قصور ملوك اوروبا وامراتها وسراتها

وفي جوار هذه الصاعة الى يمين الداخل دائرة واسعة ذات غرف عديدة تخصصت بكبار موظفي الخاصة منها غرفة حضرة الشيخ الوقور صاحب السعادة الحاج محمد علي خان رئيس تجار عربستان كبير الوزراء وغرفة حضرة النبيل الذكي صاحب السعادة جلاء الملك ميرزا عبد الصمد خان كاتم أسرار الامارة وغرفة حضرة النبيل الفاضل صاحب السعادة الحاج ابي الحسن خان مشير تجار عربستان كاتم أسرار الامارة في الشؤون الخارجية وغرفة حضرة الماجد صاحب السعادة مفيت الدولة كبير مستشاري الامارة وغرفة حضرة الهمام وقار الملك مهمندار الامارة فغرفة حضرة الكاتب المتضلع صاحب السعادة معاون الممالك رئيس التحريرات الفارسية فغرف بقية الموظفين والامناء والمقرين

ومن جوار هذه الصاعة الى شمال الداخل ممر يخرج منه الى شرفة مستطيلة تشرف على حديقة القصر الغناء وعلى شمال الداخل في هذا الممر غرفة العبد المملوك تعينت لي عند ما اكون حائزاً على شرف مواصلة وليّ النعم روعي فدها اما الشرفة فمستطيلة وقد ارتكز صقفها على أعمدة عظيمة مستديرة لها تيجان منقوشة على نحو ما يشاهد بالهياكل الاثرية في بلاد فارس ومصر وهذه النقوش الفارسية تدهش الناظرين وتزيدها جمالا المصايح الكهر بائية المنورة على هاتيك التيجان بين نقوشها البديعة وقد فرش هذا القصر الجديد بفاجر السجاد وجيء اليه بالاثاث الثمين على الطراز الاوربي فكان أعظم بناء في الخم رياض تقع عليه العين في اطراف العراقيين وتحيط بالقصر الخزعلي العالي روضة غناء فيها من كل فاكهة زوجان وهي مستطيلة على نفس شط العراق فيزيدها مرأى الشط والبواخر الماخرة فيه زهواً وبهاءً وفي هذه الروضة من أنواع الزهور والرياحين ما يعبق شذاه وتستهوئ النفوس رؤياه ولعظمة مولانا السردار اقدس عناية خصيصة بهذه الحديقة وقد جاء لها بيستاني من بني الروم يسهر على تنظيم ماشيها وترتيب مغارش أزهارها على نحو ما نعرف من حدائق مصر واوروبا الجميلة . والحديقة ذات ماشي وادغال وفيها المقاعد لراحة روادها . وفي كل مساء تأتي اليها الموسيقى الخزعلية فتشغف الاسماع بنغماتها الشجية . وفي صدر هذه الحديقة ضربت خيمة جميلة يأوي اليها عظمة المعزّ وليّ النعم روعي فدها عند الضحى واحياناً





« حضرة الأمير الجبل صاحب السمر سردار اجل الشيخ عبد الحميد خان »

كان حفظه الله يتناول في هذا المضرب طعام الغداء مع ندمائه والمقرين اليه من أصحابه .

وامام القصر وحديقته ترسو بنحوت عظمة مولانا السردار اقدس التي سنأتي على ذكرها فيما بعد وترسو أيضاً « بلانم » عظمته وأهمها البلم الخاص بخدمة ولي النعم في حال انتقاله الى ينجتبه الكيرين ونحو ذلك والبلانم جمع بلم وهو الزورق

### ﴿ الفيلة ﴾

وهذا القصر الفخم العظيم يبعد عن الفيلة نحو ٣٠ دقيقة للماشي والطريق بين القصر والفيلة عبارة عن مجموع أبنية متجاورة ولها قصر فخم بجانب القصر العالي وهو واسع

الاطراف ذو طابقين كبيرين يقيم فيه اليوم سموّ مولاي الميرداد ارفع الشيخ جاسب خان كبير الانجال وحاكم المحمرة مع حاشيته الكريمة فبناية اخرى اللات الكهربائية التي ترسل نورها الى القصر الخزعلي العامر وقصور الفيلية وبجواره بناية اخرى يقيم فيها عمال الكهرباء فقصور اخرى كثيرة اعدّها عظمة مولانا الميرداد اقدس لاقامة كبار ضيوف عظمته الذين يطيلون الاقامة في خدمته العملية من امراء العرب والفرس وفي آخر هذه الابنية الديوانية الشهيرة التي سيأتي ذكرها وكل هذه الابنية على شط العرب ومنازة بالكهرباء وقاعة حوالها اشجار الخيل الباسقة

لا جرم ان هذه الابنية الفخمة القائمة على شط العرب من حدود الفيلية حيث «الديوانية» الى القصر الخزعلي العامر في «الكهالية» هي سور لما ورأها من بلد «الفيلية» الخاص بالخاصة الملوكية الخزعليه فهناك يسكن كل من له نصيب في المائدة الخزعليه من علمان وعمال ومعاملين وهناك سوق لهؤلاء الجماعات يتعاملون فيها وهناك «الحسينية» الكبرى المشادة لاقامة التمازي في الايام السوداء التي يذكر فيها المسلمون ما لقيه من الخطوب آل البيت النبوي عليهم وعلى المصطفى الصلاة والسلام وكانت الفيلية مقرّاً لشيوخنا العظام من القدم وباني قصورها هو ساكن الجنان المرحوم نصرت الملك الحاج جابر خان وظلت هذه القصور على حالها الى أن تشرف عرش الامارة بعظمة مولانا ولي النعم فزاد في عمران هاتيك القصور وجدّد كثيراً من ابنتها وأدخل في الاخير اليها الانوار الكهربائية

وبجوار هاته القصور قصر المرحوم ميرزا حمزه خان وزير الامارة بُني على عهد المرحوم الشيخ مزعل خان ويسكنه اليوم كبير تجالاه صاحب السعادة جلاء الملك ميرزا عبد الصمد خان وقد زاد حضرته في بناء هذا القصر وترميمه وجمّله بالنقوش والرسوم وقامتر الرياض

وكما سبقت الاشارة الى وراء قصور ساداتنا الشيوخ بيوت مواليم وهم «الخرس الخاص» وفي هذه الكورة ايضاً «الديوانية» وهي عبارة عن دار واسعة الاركان شاحخة البنيان مشرفة على شط العراق بناها عظمة مولانا ولي النعم المعزّ المعظم لاضافة ضيوفه الكثيرين الذين يقصدونه من كل صوب وحذب فينزلون على الرحب والسعة ويقومون ما شاء الله ان يقيموا برغد وهناء حتى اذا أرادوا الانصراف غمّهم بالمتع والانما فيصدرون عنه حامدين شاكرين بمدان قصدوه آمليين .



« منقولة عن الصورة الزيتية الكائنة في القصر العالي »



« عظمة مولانا السردار أقدس الشيخ خزرعل خان »

وكانت عادة ولي النعم المعزز المعظم زيارة القبيلة هذه في أكثر الأيام التي يكون فيها في قصره العامر في الكمالية ولكن أبطل حفظه الله بعد الحرب العامة عادته تلك وصار يجلس إلى الناس في قصره العامر ويرسل حضرة كبير أنجاله سمو السردار أرفع الشيخ جاسب خان للاهتمام براحة الضيوف وتقديم من يجب تقديمه منهم إلى حضرته السنوية ولقد لقي الضيوف من كرم سمو الأمير نجده ما حقق لهم المثل المشهور « الولد سر أبيه »

وكانت « ديوانية القبيلة » مقر الأحكام التي ينظر فيها عظمة مولانا السردار القدس روي فداه فكان يجلس للناس في صاعته لينصف المظلوم من الظالم ويرفع



عن اعناق الناس المغارم ولكن بعد الحرب العامة حول ادم الله علاه مجلسه ذلك الى  
القصر المعور ايضا

### المحمرة

اما المحمرة فواقعة على ملتقى شط العراق ونهر قارون ويمر بها نهر بهمشير ومينبة  
دورها بين اشجار النخيل القائمة فيها كالعرائس وفيها نيف وثلاثون ألف ساكن  
وتحيط بها وتنتثر امامها أي ما وراء شط العرب «كور» جمع «كورة» يبلغ سكانها  
نحو من مئة ألفاً فيكون مجموع سكان الحاضرة بكورها مئة وثلاثين ألفاً (١)  
اما نفس المحمرة فهي مدينة قديمة كانت كغيرها من مدن الخليج الفارسي فلما  
علا عرش الامارة عظيمة مولانا السردار اقدس اعزه الله صدرت ارادته السنية بتعميرها  
على الاسلوب الحديث واذ كان هذا يثقل كواهل الاهلين أمر حفظه الله بان تكون  
التفقات من حبيبه الخاص وهكذا جاء بالمهندسين من البصرة والهند وجدد بناء  
الاسواق على طراز حديث بحيث أصبحت الدكاكين والمحازن فيه متناسقة متشابهة  
وشوارعها واسعة وكذلك أمر بتنظيم وتوسيع شوارع عموم البلد وفرشها بالحجر  
الصلد والسهر على تنظيمها وغسلها فاصبحت ولاجدال أجمل نفور الخليج الفارسي وأمرها  
وأمر شوارع هذا البلد الشارع الخبز على العالي وفيه الكرك ودور المعتمد الابراي  
والقنصل الانكليزي والسراي الجاسبية الكبرى التي شيدها صاحب السوء والسردار  
أرفع الشيخ جاسب خان كبير أنجال الحضرة السنية الخز عليّة وحاكم المحمرة الان وهذه  
السراي ذات دورين خمسين واسعين أحدهما لاستقبال الضيوف «سلامك» الذي يسميه  
العراقيون «ديرانية» وفي هذا القسم غرف كثيرة لضيوف سمو الامير ينزلون فيها  
على الرحب والسعة كلما أتوا ساحتها وهناك غرفة خاصة جمها سموه «داراً للعلم»  
وفيه مكتبة كبرى جميعها من مقتني سموه واما القسم العالي من السراي فهو للحرم  
وهناك الغرف الواسعة والصاعات الكبرى المفروشة بالخم الرياش على آخر طراز  
(١) ومعظم هذه الكور منورة في الجهة المقابلة للقليبة والمحمرة وما وراءها  
وأمامها أي من الفاو الى ما وراء البصرة من املاك المملكة العراقية وتسكن هذه  
الكور قبائل المحسن وهي عمومة عظيمة مولانا السردار اقدس أما النخيل التي في  
منازلها تلك فقسم كبير منها ملك خاص لعظمة مولانا وبعضه ملك رؤساء هاتيك القبائل  
وبعضه ملك أهل البصرة



« سمو المزدارة أرنع »  
« الشيخ جاسب خان »  
« خاكم الحمرة »

« سمو السردار أجل »  
« الشيخ عبد الحميد خان »  
« حاكم الاهواز »



عصري أوربي اعترف سمو الامير بتشبيدها وتأنيثها على ما هو معروف عن ذوقه السليم  
ويرسو امامها يخنث سموه المرصدين لخدمته والسراي منارة بالكهرباء بالالات خصيصة  
استحضرها سموه على ما يليق بجاه عظمة مولانا ابيه السردار اقدس وجاهه

وفي هذا الشارع دار كبرى لشركة الغاز واخرى واسعة لحضرة الشيخ الجليل  
صاحب السعادة الحاج محمد علي خان رئيس تجار عربستان وهو وزير الامارة الاكبر  
المشهور باخلاصه وتفانيه في خدمة مولانا ولي النعم وفي هذه الدار مكتب تجارة سعادته  
في دائرة مخصوصة وسعاده ا أكبر تاجر في عربستان وله علائق مالية كبرى مع الهند  
وأوروبا ويدير متجره الواسع حضرة نجله الماجد الهام صاحب السعادة الحاج أبو الحسن  
خان مشير تجار عربستان

وفي هذا الشارع أيضاً دار البنك الايراني الشاهاني وكثير غيرها من الدور العامرة  
وأشجار النخيل تتخللها جميعها وتختال بينها كالعرائس على ما ترى في أحد الرسوم المنشورة  
في هاته التوطئة .

ولقد أصبحت الحمرة في العهد الخزعلي الانور ثغراً تجارياً عظيماً تستورد اليه  
البضائع من أوروبا والهند فيحملها التجار الى داخلية عربستان ويصدر منه لاوروبا  
وأمريكا والهند الباج على أنواعه مع أنواع الجبوب والسمن والصوف فكثرت في ذلك  
الارباح وعمت المكاسب وقد كان هذا بفضل ولي النعم عظمة الشيخ خزعل خان المعظم  
الساھر بنوع خاص على تروبيج المتاجر وحماية التجار علماً منه حفظه الله بأن مهول  
العالم كله في هذا العهد على التجارة التي هي أساس الاقتصاد المرتبطة به سياسة  
الممالك والدول .

وفي الحمرة خليط من الناس أكثرهم مسلمون من عرب وعجم وفيهم النصراني  
واليهود والبنيان وهم عبدة الاوثان الهنديون وقد ساوى بينهم عدل عظمة الشيخ  
وشملتهم جميعاً رحمته ولذلك لا يوجد في سكان الحمرة أحقاد وضغان كما يوجد في  
غيرها من المدن التي انحرف حكامها عما انزل الله في كتابه العزيز

وفي الحمرة عدة « حسينيات » مشادة للتعازي التي اعتادها الشيعة بعضها  
شيدتها عظمة مولانا السردار اقدس وبعضها شيدتها الاهلون وفيها مساجد كثيرة  
وكنيسة لللاتين وكنيس لليهود ومدرسة عامرة تعرف باسم « المدرسة الخزعلية »  
تيمناً باسم عظمة مولانا السردار اقدس وروحي فداه ويتمهدا عظمته دائماً بعطفه





« سمو المردار أشرف » « سمو المردار أرفع » « سمو المردار كشور »  
« الشيخ عبد الله خان » « الشيخ جاسب خان » « الشيخ عبد المجيد خان »

وماله فلا غرو اذا ازهرت وربت الناشئة أحسن وأفضل تربة عصرية  
وقد لقيت المحمرة في حكم حضرة الامير الجليل سمو السردار أرفع الشيخ جاسب  
خان رقياً عظيماً وعدلاً شاملاً وأمنياً طيباً وتلك نيات عظمة مولانا السردار أقدس  
نحو رعاياه فقد نها سمو الامير كبيراً بحالة على ما أطلق الالسنه بالحمد والثناء وصادق الدعاء  
وينتظر المحمرة . مستقبل عظيم باهر من وجهتي التجارة والزراعة في المهمل الجديد  
الذي دخلت فيه بلاد العراق في قسميها العربي والعجمي لان الاسباب التي كانت  
تحول دون رقي هذه البلاد قد اضمحلت والحمد لله ولم يبق الا أن ينصرف عظمة  
ولي النعم السردار أقدس المعظم بهمة الوضية الى تعمير مملكته العلية بما أوتي من  
رغبات طيبة وذكاه مدهش وراي سديد وانه لفاعل ان شاء الله تعالى

### ﴿ ناصرية الاهواز ﴾

اما الاهواز فهي تلك المدينة الأثرية العظيمة على نهر قارون وكانت قبل الاسلام  
مقرّاً للناصرانية ورئيسها الديني كان عنده نيف واربعماية كنيسة وصارت بعد الاسلام  
بلداً عظيماً عامراً بالعلم والعلماء ثم أخفى على هاته المدينة الزمن فناها الدمار واصبحت  
قرية صغيرة قليلة السكان عديمة العمران والاطلال البالية التي حولها كانت باقية لتندب  
زمناً فات هو زمن اليسر والعمار

وقد انصرف الى تعمير خرائب هاته المدينة ساكن الجنان المرحوم الحاج جابر خان  
بعد ان استتب له الامر في عربستان فبنى قصرآ له على نحو غلوة من الاهواز جعله  
نقطة عسكرية ولم يمض الا الزمن اليسير حتى أخذ الناس من العرب والفرس يبنون  
حول ذلك القصر بيوتاً يسكنونها فصارت بلداً صغيراً أطلق عليه ساكن الجنان  
الحاج جابر خان اسم « الناصرية » تيمناً بالمرحوم المبرور ساكن الجنان ناصر الدين  
شاه شهنشاه الدولة العلية الايرانية وكان بين الناصرية هذه ومدينة الاهواز مسافة  
يقطعها الماشي بنحو ٢٠ دقيقة

وعند ما تولى الامارة عظمة مولانا السردار أقدس توجه بتظرفه العالي الى هاته  
المدينة شأنه مع جميع ممالك السعيدة فأخذت بالعمران والتقدم ووجد عمال « شركة  
الغاز الانكليزية » ان يجعلوا هذا البلد مقرآ لهم لتوسطها بين منبع الغاز في  
« بركة سليمان » وعبادان التي جعلوها مركزاً عاماً للشركة ومستودعاً للغاز ينقلونه  
منها الى البلاد البريطانية وهكذا أخذت « ناصرية الاهواز » نصيبها من التقدم والعمار





« نصرت الملك سمو الشيخ عبد العزيز خان »

حتى اتصلت في هاته الايام الناصرية بالاهواز واصبحت المدينتان مدينة كبرى واحدة وقد اتيح لي الحظ أن ازور الاهواز مراراً فزرتها في سنة ١٩١١ وكان يحكمها وقتئذ سمو مولاي السردار أرفع الشيخ جاسب خان كبير انجال الحضرة الفخمة الخزعلية وسرتني ما رأيته وقتئذ من سهر سموه على راحة الاهلين وغبطتهم ورفاههم وفي ذلك العهد تأسست « المدرسة الجاسبية » بمعونة سموه تحقيقاً لنوايا عظمة مولانا والده العظيم وفي عهده السعيد ايضاً تأسست في الاهواز كنيسة للطائفة الكلدانية الكاثوليكية ومدرسة بجانبها (١) وكنت اسمع الثناء على سموه من جميع السكان من عرب وعجم

(١) عند ما اشتعلت الثورة الاهلية في البلاد الارمنية العثمانية وهُدرت دماء الارمن وأبيحت اموالهم واعراضهم فيما يسمونه « المذابح الارمنية » على عهد السلطان عبد الحميد من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٨٩٧ أصيبت بلاد الارمن وما جاورها

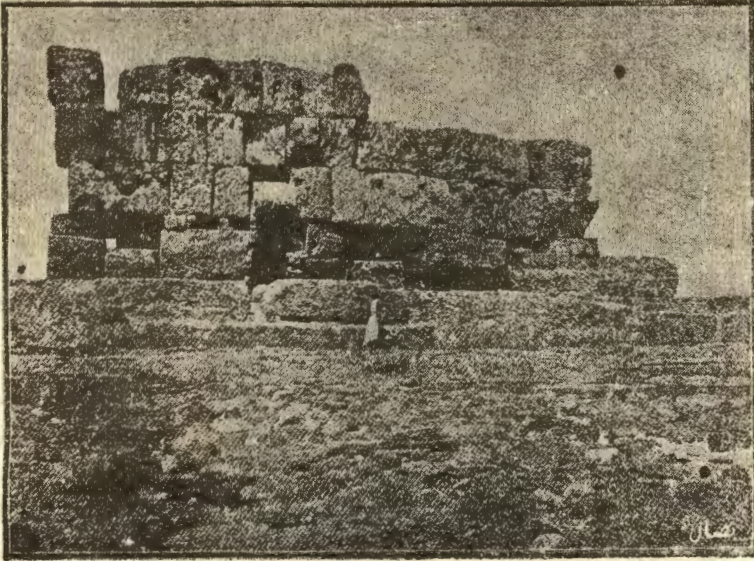
لتحقيقها بهمة هذا الامير المصلح الجليل بظل ظليل الحضرة السنية الخزعية .  
وما يذكر عن ناصرية الاهواز ان عظمة مولانا السردار اقدس قد سمح مؤخرأ  
للاجانب النازلين فيها بمشترى ما يحتاجون اليه من اراضيها لاقامة الابنية عليها وللزراعة  
ايضاً وبهذا الامر العالي الذي اقتضته حكمة عظمة ولي النعم لا بد وأن تدخل الاهواز  
بدور جديد من العمران محمد عليه .

وناصرية الاهواز بلد تجاري زراعي يروج فيه مصنوعات ايران وحوله أرض  
خصبة تصلح لزراعة القطن والتوت الذي يربي على ورقه دود الحرير وناهيك بارض  
نهر قارون وانا لمنتظرون في العهد الخزعلي الأنور وبهمة حضرة مولاي صاحب  
السمو السردار اجل أن تصبح الاهواز بعد زمن يسير مظهرأ من مظاهر العمران  
الزاهي في المراقين ان شاء الله تعالى .

وترتبط الاهواز بالحمره بطريقتين احدهما طريق نهر قارون وهي طريقة لا بد  
للبواخر النهرية من خمسة عشر ساعة لاجتيازها اذا كانت سائرة من الحمره للاهواز  
واما الرجوع فيحتاج الى نحو العشر ساعات على الاقل ونهر قارون هذا لا بد له  
من النزع والتطهير للملاحة لكثرة ما فيه من الزمال وهذا قيد نظر عظمة مولانا ولي  
النعم السردار اقدس المعظم . اما الطريق الثانية فهي طريق السيارات وتسمى محازية  
لأنها تبني الغاز الممتدة من « بركة سليمان » موضع النبع الى جزيرة عبادان وفي هذه  
الطريق محطات لشركة الغاز وتستفيد منها السيارات وزكاتها اذ يأخذون منها ما قد  
يحتاجون اليه من البنزين او الماء كما يأخذون منها ما يحتاجونه من الاطعمة عند الحاجة  
والمسافة بالسيارات بين الاهواز والحمره من ٣ الى ٤ ساعات اذا كان التصل صيفاً والطريق  
خالية من الوجود اما في الشتاء ولا سيما على أثر وقوع المطر فان اجتياز هذه الطريق  
بالسيارات ضرب من ضرور المستحيل . وبما ان هذه الطريق مهم كثيراً شركة الغاز  
مثلاً هم الامارة السنية كان لا بد من اتفاق الامارة والشركة على تصايجها . وهذا  
ما ينويه عظمة مولانا السردار اقدس حفظه الله

وما زال القصر الذي ابتناه ساكن الجنان المسرحوم الحاج جبار خان في ناصرية  
الاهواز في موضعه وامامه الميدان الواسع الذي يطلق عليه اليوم اسم «ميدان الحكومة»  
غير أن هذا القصر قد تبدلت حاله وتجدد عمرانه ويقوم فيه لهذا العهد حضرة الامير  
الجليل الكريم صاحب سمو السردار اجل الشيخ عبد الحميد خان ثاني الانجال





« بقايا قلعة الاهواز القديمة »

وحاكم الاهواز وهو ذو طبقتين في الطابق الارضي « دائرة الحرم » والطابق العالي معد للحكم وفيه ساعة كبرى تسع نحو الاربعمئة شخصاً وفي هذا الدور غرف عديدة إجمال سمو الامير وغرفة خاصة للعلم فيها مكتبة نفيسة اقتناها صاحب السمو السردار اجل الشيخ عبد الحميد خان وقد خصها سموه بهذا المخلص في رحلاتي الى الاهواز في خلال سنة ١٩٢١ فكنت ائذس بهاتيك المكتب في اوقات الفراغ التي كنت أخلو فيها الى نفسي وقت في هذه المكتبة العامرة وصاحبها الجليل :

|                      |                        |
|----------------------|------------------------|
| يا صاحب الاهـ واز يا | رب العلى عبد الحميد    |
| يهنيك انك للـدى      | والحمد والعليا العميد  |
| تخذت من دون الكرا    | م الى الورى بيت التصيد |
| جددت في الاهواز بحـ  | دا كان من عهد الحدود   |
| وغدا بظلك كل من      | فيها بوارفة السعد      |
| وازنت قصرك بالـلو    | م من القديم الى الجديد |
| بخزائن ضمت من الـ    | كتب العزيز مع السمود   |
| من كل مسطور ومط      | بوع ومعـدوم فريد       |

فلكم أنستُ بها وكم      طالعتُ من فصل مفيد  
ولقد أزينتُ باسمك ال      سامي ومعناك الحميد  
فذكرتُ فيها فضلك ال      زاهي ومعناك الرشيد  
فأله أسألُ ان تدو      م بظلِّ والدك الحميد  
ويدوم بحز عذبا لئسا      لنظلل في العيش الرغيد

وصاحب السمو السردار أجل همم بتشييد قصر فخيم بجوار هذا النصر القديم على بعد بضع عشرة متراً وقد وضع أساسه ليكون أعظم تصور الاهواز وقد ظهرت جدرانه ولاحت غرفه الواسعة على أحسن عمران هندسي بلام ما اشتهر عن سوره من الذكاء وحسن الذوق وسيكون بعد قليل قصراً فخماً بديعاً إن شاء الله تعالى

### القصور الخزعلية في الاهواز

ومن عادة عظمة مولانا السردار أقدس الشيخ خزعل خان حفظه الله انه يزور الاهواز غير مرّة في كل عام للاشراف على قبائله النازلة على ضفاف نهر قارون والاهتمام بمصالحهم ولاحكام عرى الولاء مع حيرانه امراء البختيارية وكان من عادته في زيارته تلك ان يقيم في أحد البيخوت التي كانت تسمى بمظلمته مع الحاشية الى الاهواز ثم رأى بفضله العيم أن يشيد في هذه المدينة التي عمرت في ظله الغليل تصوراً يتم فيها مع حواشيه وحرمة المصون عند ما يشرف الاهواز بزيارته فبنى لهذا الغرض ثلاثة قصور شايخة أحدها على ضفاف نهر قارون مباشرة وهو ذو طابقين وفيه غرف واسعة عديدة وقد خصصه بكرام ضيوفه من البختيارية واليرانيين وجعل امام هذا النصر روضة غناء فيها الاشجار الباسقة ذات الثمار الشبيهة والزهور البهية ذات الروائح الزكية وأقام في هذه الروضة امام مدخل القصر جنديين من الحجر الصلب يمثلان حرسه الخاص وفي يد كل منهما بندقيته وقد رفعها لأخذ السلام

وراء هذا القصر الفخيم أقام عظمة ولي النعم قصرين فخمين متصل أحدهما بالآخر وكل منهما ذو طابقين جعل أحدهما لمقام عظمته وكبار رجال حاشيته وفي هذا القصر صاعة كبرى تسع نيفاً وخمسة مائة زائر والغريب في أمر هذه الصاعة انها فرشت بسجادة جميلة الصنع ما رأيت في كل رحلاتي أجمل منها لا في العراق ولا في بلاد ايران فضلاً عن سمعتها حتى ملأت أرض تلك الصاعة على اتساعها فكانت هذه السجادة كمنال لبديع صنع « السجادة العجمي » المشهور في الدنيا بأمرها



« رئيس تجار عربستان ووزير الامارة »



« صاحب السعادة الحاج محمد علي خان »

وبجوار هذه الصاعة الكبرى على الجانبين غرف واسعة كثيرة يقيم في القسم الداخلي منها الحرم المصون وفي القسم الخارجي كبار حاشية وليّ النعم وأكابر موظفي الامارة الذين في معيته

وفي هذا القصر شرفة واسعة اعتاد عظمة وليّ النعم حفظه الله ان يقيم فيها في كل صباح من أيام الحرّ فيستقبل ضيوفه فيها وينظر في شؤون رعاياه وفي أسفل هذا القصر سرايب عجيبية الصنع بديمة الهندسة كثيرة العمق انتست الناس مارواه المؤرخون عن ابهة سرايب الخلفاء العباسيين ووالله ما كنا نشعر بأثر الحرّ في هاتيك السرايب الجميلة في الهاجرة المحرقة التي كانت تلفح وجوه الناس في الصيف ولا سيما في صيف سنة ١٩٢١ اذ كنت في الخدمة وكان الحرّ شديداً جداً شكنا منه الناس في كل الارض

اما القصر الثاني فهو ملاصق لهذا القصر الفخم وهو ايضاً ذو طابقين كان الارضي منهما للامان والحرس والعالي للضيوف ايضاً من روساء العرب وشيوخهم وفي هذا القصر المطبخ الخزعلي المشهور الذي لا تطفأ ناره والذي يقدم الاطعمة الشهية للذين يأكلون على المائدة الفخمة الخزعلية وللألوف من فقراء الاهواز الذين يتألون نصيبهم من الكرم الخزعلي في كل ظهر ومساء من الايام السعيدة التي يشرف بها عظمة ولانا وليّ النعم مدينه الاهواز

وهذه القصور الثلاثة مضاءة بالكهرباء بالة خصيصة استحضرها عظمة وليّ النعم لهذا الغرض وفي جميع غرفها وسراديبها أقيمت المراوح الكهربية لترطيب الهواء في اثناء الحرّ الذي يشتد كثيراً في الاهواز . واما اثاث ورياش هذه القصور العظيمة فهو على أبداع طراز اوربي كما هو الحال في جميع القصور الخزعلية في الكهالية والفيلية والكويت

### ﴿ الخزعلية ﴾

وفي سنة ١٣٢٦ اختطّ وليّ النعم عظمة الامير المعزّ حفظه الله « كورة » في نقطة متوسطة ما وراء المحمرة والفيلية أطلق عليها اسم الجنب العالي « الخزعاية » وكان تحيطها على الاسلوب الهندسي الحديث فجيء لها بالهندسين فخططوا وشوارعها ثم بوشروا ببنائها فبنى سموه فيها قصرًا فخماً وتقدم روساء العشائر والاعيان فبنوا فيها قصوراً شامخة بديعة الصنع فكانت مدينة جميلة تروق للناظرين وقد مُدّ الى هذه « الكورة » ترعة بطول ثمانية آلاف متراً وعرض عشرين متراً وعمق ثمانية أمتار ووصل أحد طرفيها بشطّ العراق الكبير والطرف الثاني بنهر قارون وبهذا توفر لها الماء للاستسقاء وللمسير اليها بالبلابم ايضاً

ولهذه الكورة موقع صحي بديع يشرح الصدور وينعش النفوس بطلاقة هوائه وحسن مناظره ولذلك بات المأمول في وقت قصيران تتسع بناياتها اتساعاً عظيماً أو تصبح مصيفاً جميلاً لاهالي المحمرة يرتادونها للانس والسرور

ولقد اتيح لي في سنة ١٣٢٧ وقد كنت في خدمة عظمة مولاي وليّ النعم السردار أقدس المعظم في المحمرة زيارة هذه المدينة الجميلة وقد كانت على بدء عمرائها فساقني موقعها الجميل ونسيمها العليل وهوؤها البلب وما حو اليها من الاشجار والباسقة والزهور المتناسقة فقلت أورخها :



« رئيس سكرتارية اماره عربستان »



« جلاء الملك سعادة ميرزا عبد الصمد خان »

قد بنى خزعل بشرى بلدة حسنا بهيه  
فعدت جنة عدن بمفانيها السنيه  
بين اغراس بانما رر وازهار شهيه  
فوقها الاطيار تشدو باناشيد شجيه  
بشروا من قد اواها بئاوهرها الهنيه  
فيل ابن الصفو ارخ قلت ما « بالخزعليه »

سنة ١٣٢٦ هجرية

عبادان

ومن مدن اماره عربستان المشرفة بحكم عظمة مولانا المرذار اقدس الشيخ  
خزعل خان مدينة « عبادان » الشهيرة في قدميتها والتي تمثل بها العراقيون فيقولون

« ما بعد عبّادان قرية » اشارة الى الشيء الذي ما بعده بعد تناهياً في الوصف المدحي وكانت عبّادان جزيرة قديمة في أسفل شط العرب عند دنوّه من مصبه في « خليج فارس » وكان الشط اذا قارب خليج فارس انفرج فرجتين احداها تسيل الى ناحية « ابو شهر » وما والاها من ثغور ايران والفرجة الثانية تسيل في جهة الكويت والبحرين وكان بين هاتين الفرجتين قطعة من الارض سبخة التربة ذات ماء اجاج لكثرة اختلاط ماء الخليج الملح بماء الشط العذب بفعل المدّ والجزر وكان في هذه الارض مشاهد ورباطات وكان فيها قوم منقطعون الى العبادة ويمشون من اوقاف فيها أو من نذور الناذرين من المتدينين وكان يؤول هؤلاء في معايشهم على الاسماك التي يصطادونها وكان يقصدهم الناس في المراسم لزيارة . تلك كانت حال هذه الارض وأكواخ العبّاد الذين يأوونها وكان الفرس يدعونها « ميان رودان » اي « ما بين الانهر » وعند ما فتح العرب العراقيين في صدر الاسلام دعوها « عبّادان ». نسبة الى اولئك المنقطعين للعبادة الذين يسكنونها نقول هذه رواية البعض عن هذه الجزيرة ووجه تسميتها أما آخرون فقالوا ان هذه الجزيرة كانت لحران بن أبان مولى عثمان ابن عفان أقطعها له عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي أو زياد عامل الامويين في العراق . وكان حران هذا من سبي غين التمر الأ انه كان يدعي انه من التمر بن قاسط قالوا فاغلظت هذه الدعوى الحجاج بن يوسف عامل الادويين على العراق فقال يوماً في مجلس كان فيه عبّاد بن حصين الجبلي ان اتمى حران الى العرب ولم يعترف انه مولى عثمان لا ضربت عنقه . فخرج عبّاد من عند الحجاج بادراً الى حران فأخبره بقول الحجاج فوجهه القسم الغربي من تلك الجزيرة وحبس الشرقي لنفسه نصارى يعرف القسم الغربي باسم « عبّادان » نسبة اليه ثم عمت التسمية الجزيرة بجملةا : وقيل في



« عبّادان المدينة »



الاخير ان عبّاد بن الحصين المشار اليه  
كان اول من رابط بهذه الجزيرة فنسبت اليه  
اما وجه نسبة البلد الى « عبّاد »  
أو « عبّاد » بزيادة الالف والنون  
فذلك على قاعدة البصريين وقد اصطاحوا  
على هذا الشكل من النسبة مع مخالفتها  
لقواعد اللغة العربية بمجازة لخير آتهم الفرس  
ولهم في ذلك كثيرٌ مثلها

وكانت « عبّادان » على عهد  
العباسيين عامرة بالعلم والعلماء وينسب اليها  
جماعة من الرواة والحديثين وظلت كذلك  
الى ان نكبت العراق وهاتيك الاطراف  
بالتتر بعد غزوة هولاء كوا فاضمحت مع  
غيرها من مدن العراق على ما هو مدوّن في  
التاريخ وفي الاخير اجتاحت ماء شط العرب  
الجزيرة بمجملتها فاندست تماماً ولم يبق



« مشير التجار الحاج ابو الحسن خان رئيس شكري قريّة عظمة السردار اقدس »

لها عين ولا أثر وما عاد لها بين أهل العراق من ذكر الا عند الذين يردّون مثلها  
المشهور « ما بعد عبّادان قرية » وظلت كذلك الى ما قبل ٢٠ سنة من هذا التاريخ  
حيث اتخذت شركة الغاز الانكليزية في الموضع القريب من جزيرة « عبّادان »  
مستودعاً عمومياً للغاز تجرّه بانابيب حديدية من منبعه في « بركة سليمان » بجوار  
شستر وراه الاهواز على نهر قارون الى ذلك الموضع حيث تعمل على تصفيته في الاحواض  
ونقله الى بواخرها التي اعدتها لنقل الغاز الى لندن واطلقت على ذلك الموضع اسم  
« عبّادان » وذلك لان شط العرب هنالك غزير الماء تدخله بكل سهولة البواخر  
الكبرى التي تمخر في البحار .

وقد اعتنت شركة الغاز الانكليزية بهذا الموضع فشيّدت الابنية الجميلة لسكنى  
كبار موظفيها والبيوت الصحية لسكنى عمالها من الهنود والابريانيين والعرب وبطبيعة

الحال أقبل الناس من إيرانيين وعرب على سكنى هذا البلد للارتزاق من عمال الشركة  
الكثيرين ومن أعمال الشركة فكثرت عدد السكان حتى أصبح اليوم قريبا من عشرين  
ألفاً وبُنيت هذه المدينة على طراز المدن الانكليزية ذات المائل بشوارع عريضة  
فيها الاشجار الباسقة وتتخلل شوارعها الميادين والجنان

وقد وجدت الشركة من عناية عظمة مولانا السردار اقدس الشيخ خزعل خان  
أيده الله ما جعلها ان تردد أي الحمد واثناء مراراً وتكراراً على أياديه البيضاء ذلك  
انه وهب للشركة بغير مقابل جميع الاراضي التي احتاجت اليها في عبادان وقد فعل  
معها مثل هذا في جميع النقط التي اتخذتها لتأمين طريق أنابيه من عبادان الى  
بركة سليمان مع ان امتياز الغاز اخذته الشركة من الحكومة الايرانية في طهران  
وجميع المنافع المادية هي للدولة العلية الايرانية

ورأى عظمة مولانا السردار اقدس بحكمته ان يسهر على نوع خاص على راحة  
الشركة وعمالها وتأبين خطوطها ففعل ومرت الاعوام العشرون وحدث فيها من  
الاضطرابات الناتجة عن الثورات والحروب ما هو معلوم ومع ذلك ما شكت الشركة  
ولا مرة واحدة من حصول اي اعتداء على انابيب الغاز او على خطوط التليفون التي  
اقامها بين عبادان وبركة سليمان او على احد مأموري الشركة ونما لها كل هذا اعترف  
به دائماً عمال الشركة الانكليزية تقابلته حكومة جلاله ملك بريطانيا العظمى بالاعجاب  
والامتنان والشكر وأهدت لاجله اكبر اوسمتها لعظمة الشيخ المعز صانه الله  
وهكذا اليوم يمجّد السائح في العراق في مدينة « عبادان » بلداً أفرنجياً على نحو  
ما يهد الناس في اوربا ويدهش اذ يرى فيها عامل عظمة السردار اقدس العربي  
يحكم باسم عظمة البلد على ما يرضي العدل والأمن والتمدن العصري وقد ساوى بين  
الناس جميعهم من هنود وعرب واعجم .

### ﴿ ختام القول ﴾

وختم القول ان الافاضة اكثر مما تقدم عن امارة عربستان وأهلها مما يحتاج معه  
الى اسهاب ليس هنا محلّه فهناك مدن عامرة وقري كثيرة منتشرة في الامارة وعشائر  
وفيرة هامة العيش مطمئنة ثوابها في الظل الظليل الخزعلي وقد خيّم عليها الامان  
ورفعت عليها اعلام العمران وهي تذكر دائماً ابداً مليكها المحبوب المعز بآي  
الحمد والشكر ان



## ﴿ العائلة الفخمة الجاسية ﴾

ان العائلة الفخمة الجاسية هي من أشهر بيوتات النبل والشرف في شيوخ كعب الذين كانوا يحكون مقاطعة « دورقستان » في ولاية « خوزستان » وهم من بني عاصر من أشهر قبائل العرب العرباء وقد هبطوا العراق منذ الفتح الاسلامي وتوارثوا المجد كبراً عن كابر ورويت عنهم محامد المآثر وغرر المفازر وهم على عهد العباسيين وقانع مشهورة في سبيل الاسلام وطلما عضدوا الدولة العلية الفارسية بمد ان دخلوا في حكمها وحراروا تحت لوائها



« ناصر الدين شاه »

رأخلصوا لها في السر والجهر كما كانت تخصهم بعالي الالقب وسامي الرب

وفي أواسط القرن الثالث عشر الهجري أي حوالي سنة ١٢٥٠ فما بعد حدثت قلاقل وفتن بين شيوخ عربستان من كعب وغيرهم فغضمت الخنة واتسع الخطب حتى أسي الدولة الفارسية أمرهم وجز عليها اخضاعهم ولم يثقل على ولأها منهم سوى العائلة النبيلة الجاسية وعلى رأسها ساكن الجنان المرحوم الحاج جابر خان وهذا الشهم الجليل أني ان يشترك في الفنة وجعل يعمل على تأييد سطوة الدولة الفارسية بكل ما في طوقه من ذكاء ودهاء وحول وطول الى أن توفق الى تسكين القلاقل والاضطرابات بياسته الحكيمة وسيفه البتار فعرفت له رحمه الله الدولة الفارسية هذه المنة وأنعم عايه ساكن الجنان السلطان ناصر الدين خان برتبة « امير تومان » ولقبه بلقب « نصره الملك » مكافأة على ذلك واذ رأى هذا السلطان الحكيم انه يتعذر على الحكومة المركزية في طهران بمحاظنة على الحدود والامان في عربستان لبعده الشقة وصعوبة المواصلات وضعف العسكر النظامي الايراني واستفحال نفوذ العشائر كما هو الحال حتى الآن سمي السلطان الناصر المشار اليه المرحوم الحاج جابر خان حاكماً على القبائل العربية في اماره عربستان وجعل مركزه المحمرة

ثم صدر الفرمان الشاهاني سنة ١٢٨٣ هجريه الى هذا الملك العظيم باستقلاله في داخلية امارته لتكون له ولاياته من بعده على شكل الاقطاعات فكان هذا الفرمان بدء عهد هذه الامارة بالاصلاح والعمار كما هو معلوم



« عظمة مولانا السردان اقدس معز السلطنة في يوم ولايته السعيد »  
 ملكه لقد خذلت له العلياء واذ صاعت الحكمة بغير مرآه  
 ولذلك أصبح عرشه مجلي الجلا ل ومرجع الامراء والعلماء



وقد قام الحاج جابر خان رحمه الله باعظام الاعمال في اماره عربستان فنشر رايات العدل والامان وسكن القلائل والفتن ورد غارات المغيرين على الحدود وبلاجمال كان قوة عظيمة على الحدود الايرانية لحماية هذه السلطنة ولا تزال هذه الامارة الجلييلة حصنها الحصين .

وكان ساكن الجنان الحاج جابر خان مشهوراً بالشجاعة والكرم والسياسة والدهاء مهيب الطلعة وقور المجلس عظيم الجاه واسع الساطة نافذ الكلمة بعيدرامي النظر ولذلك استطاع أن يؤسس هذا الملك اراثاً خالداً لابنائيه وأحفاده وأن يخدم الدولة العلية الايرانية بسيفه ودهائه رحمه الله رحمت واسعة

وللمرحوم نصرت الملك الشيخ جابر خان من الزوادر والاخبار عن حزمه وعزمه وقوة ارادته وعدله وفضله ما يروي مثله عن داود باشا في بغداد ومحمد علي باشا في مصر والامير بشير الشهابي في لبنان فهو من الاربعة نجوم التي اضاءت في سماء الامة العربية في القرن التاسع عشر فتجان تلالاً نورها محمد علي باشا في مصر ونصرت الملك الحاج جابر خان في عربستان او العراق العجمي وضوى النجمان الاخران وخبا نورها وهما داود باشا في بغداد والامير بشير الشهابي في لبنان

وفي سنة ١٢٩٩ استأثرت رحمة الله بهذا الزعيم العظيم الملك الحكيم شعباً من الايام محموداً بكل شفة ولسان فتولى الاريكة من بعده ثاني أبحاله ساكن الجنان المرحوم الشيخ مزعل خان فصدر له فرمان الشاهاني بالامارة مع لقب ابيه «نصرت الملك» وظل رحمه الله حاكماً على هذه الامارة الى سنة ١٣١٥ حيث استأثرت به رحمة الله تعالى فبويع بالامارة عظيمة اخيه خامس أبحال الحاج جابر خان سيدنا ومولانا الشيخ خزعل خان أطال الله بقاءه وخلد ملكه مدى الدوران

﴿ الحضرة السنية الخزعية ﴾

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| ذاتٌ مقدّسة مجالّة بأس       | حي المحمّدت الزهر والالاء    |
| لو صوّرت كانت كنور الشمس في  | رأد الضحى في القبة الزرقاء   |
| سبحان من سوى المعزّ أعزّ من  | فوق الثرى من سائر الامراء    |
| هذا هو المرردار أقدس خزعلّ   | نخر الملوك الصيبد في العرباء |
| هو شمس امتنا المنير به اهتدت | لنور بمد التيه في الظلماء    |



« مظفر الدين شاه »

هو معز السلطنة سردار أقدس عظمة الشيخ خزعل خان أمير نويان وسردار  
 عربستان خامس أنجال المرحوم الميرور ساكن الجنان نصره الملك الحاج جابر خان  
 مؤسس اماره عربستان خلد الله ملكه، دى الدوران ووقفه الى رفعة شأن الاسلام والقرآن  
 أضاء هذا الوجود بأنوار عظمة وليّ النعم أطال الله عمره في سنة ١٢٧٩ للهجرة  
 النبوية على صاحبها أزكى سلام وأشرف تحية فكان يوم مولده السعيد بدء عهد اماره  
 عربستان بهذا الاقبال والسودد والسعود  
 وقد استبشر أهالي اماره عربستان بمولد عظمة وليّ النعم واثمنوا به اذ أن عظمة



فضلا عن نسبه العظيم لأبائه وأجداده وهم أشرف شرفاء قبائل كعب العامرية فان أمه من قبيلة الباوية المعروفة بشديد بطشها وعظيم جاهها ومحافظتها على بدوتها في خيامها وهي القبيلة التي تخرج خمسة آلاف محارباً كلاً منهم يبل بأسل يهزأ بالوت وهكذا كان عظمته شريف الجدين كريم النبعين وقد ترعرع أيده الله في مهد المجد والجلال كريم الاعمام والاخوال والنسب شأن عظيم بنير جلال في سياسة العرب وتأثير كبير على ادارة شؤونها واعتبار ناسها

وقد ظهرت مخائل الذبابة على عظمته منذ نعومة أظفاره فتوسم المتوسمون فيه المستقبل الذي وصلت اليه اماره عربستان من السؤدد وال عمران على عهده وكان في مقدمة المتوسمين بهذا الخير العظيم ساكن الجنان المرحوم المبرور الوالد الكثير المحامد نصره الملك الحاج جابر خان الذي كان لا يظيب عينه الا اذا رأى نجله المحبوب « خزعل » وهو طفل بين يديه وكان رحمه الله يذهب عنه الغم والحزن كلما أقبل عليه عظمته وهو في طبعه الصبوحه وثمره الباش ويناديه « وليّ النعم »

وقد سمعت من أفواه بعض شيوخ المحسن الشيوخ ممن عاصروا المرحوم الحاج جابر خان عند ما كنت في خدمة وليّ النعم في عربستان أن ذلك الملك الكريم رحمه الله كان في بحران الارتبكات الآخذة بعضها برقاب البعض سيان بين خصومات العشار أو بين الدسائس التي كانت تعشى عربستان في الدوائر السياسية في طهران وكان رحمه الله قد أرسل الى حاضرة السلطنة الايرانية كبير أمجاله المرحوم الشيخ محمد وأرسل هذا اليه من سيه الانباء ما لا يعمث على ارتياح خاطره الشريف وبينما هو يفكر بالمصاعب التي ينبغي له ان يجتازها فلا يرتاح له بال نام ذات ليلة فرأى في الحلم شيخاً وقوراً مهيب الدلعة كث اللحية فقال له أنت في التفكير والله في التدبير فاعلم أن نجمك عاك يتلأأ وأن كل ما يعترض من المصاعب سينتلاشى ولا يمضي عليك الحول الا وأنت الحاكم المطلق على عشار العزب في عربستان الا أن ملكك لا يكمل الا بمن يخرج من صلبك في عامنا هذا فانك ستترزق ولداً ذكراً طالعه في برج السعد وعلى وجهه امارات المجد فمن يوم مولده السعيد سيصبح قرير العين مرتاح الخاطر على أحسن ما تجب ولكن عند ما سيخلفك سيصبح له الملك الذي لا يحلم به الا ان وسيكون بين يديه من المال ما لا يحظر لك علي بال قال الشيخ هذا واختفى وانتهى المرحوم نصره الملك من نومه ومثال نحيبه نصب عينيه ولم يشك أنها رؤية سالحة



« الحاج مصطفي فهمي معتمد عظمة السردار أقدس في البصرة »

وكان قد انبثق الفجر نخباً الى الصلاة ثم جلس الى الناس فاجتمع عليه كبار شيوخ  
 المحيسن وكعب فخدمهم بتمامه فنفاءوا جميعاً خيراً وانصرفوا اليه يهنئونه ولم يمض الحول  
 على هاته الرؤيا المباركة الا وكان في حجره طفل رضيع هو عظمة مولانا الشيخ  
 خزل خان فاستبشر بولادته السعيدة ودعاها باسم « خزل » وهو من الاسماء المحبوبة  
 في كعب وجعل يتعهد به بنفسه . قال الذين رووا لي هذا الخبر : ومنذ ولادة عظمة  
 السردار أقدس انصرف المصاعب من امام والده العظيم الحاج جابر خان واخذت  
 السعود تلتفت حوالية وذلك توفيق الله يؤتبه من يشاء

وعند ما بلغ عظمة وليّ النعم السنة الخامسة من ربيع عمره سلمه ساكن الجنان  
 والده الي المرابين من علماء النجف الاشرف وكر بلاء فمكفوا على تأديبه باداب القرآن



الشريفة بقراءة وحفظاً حفظ الذكر الحكيم على لوح صدره منذ صغره وتأدب بادابه  
العالية وطبها في سياسة دنياه والعمل لأخراه

ثم أخذ يتقن آداب اللغتين العربية والفارسية فبرع في الصرف والنحو والمعاني  
والبيان والبديع ونظم الشعر وتوسع في الاحكام الشرعية وأصبح عالماً يشار اليه بالبنان  
ويرجع اليه لحل المشاكل وهو بعد في مقتبل الشباب

وتعود عظمته الفروسية وركوب الخيل منذ نعومة أظفاره واعتاد خوض المعامع  
ومنازلة الاعداء حتى نال النصيب الاوفر في فنون النضال وأصبح يعول على سيفه  
الفتاك في حومة القتال وتهاب منازلته الابطال وما زال كذلك حتى اعتد على شجاعته  
ساكن الجنان نصره الملك المرحوم الحاج جابر خان والده الكثير المحامد في قيادة  
جنوده في اواخر أيامه فقادها في سبيل النصر مراراً وكذلك بقي عظمته بوظيفة  
القائد الاكبر لجيوش عربستان على عهد أخيه ساكن الجنان المرحوم نصره الملك  
الشيخ مزعل خان وكان في الحروب التي خاض معامعها ظافراً منصوراً كتبت الاقدار  
على سيفه البتار « نصر من الله وفتح قريب »

وامتاز عظمة شيخنا المحبوب أعزاه الله ببعده النظر وسداد الرأي حتى أصبح المرحومان  
أبوه وبنده أخوه يعولان عليه في سياسة الملك ولا سيما اذا دعت الامارة الخطوب  
واتابت البلاد الشدائد وكان ولا يزال عظمته ممتازاً بتأقب الرأي وحسن السياسة  
ووفرة الدهاء وبمد مواقع النظر الى ما يدهش العقول ويميّز الالباب

وكان مجلس عظمته مجلس العلم والادب والشعر من قبل جلوسه على اريكة الامارة  
فكان يجتمع حوله زواجغ الشعراء والعلماء والادباء فيخصم بهباته الكثيرة اذ كانوا  
يقصدونه من بعيد الامصار وينالون من رفده وأفر الاموال

ولنشأة عظمة ولي نعم حفظه الله تعالى تذكارات في نفوس أهالي الامارة وما  
جاورها من بلاد فارس والعراق يذكرونها بالاعجاب حتى الآن أيد الله سلطانه فقد  
كان وافر العطف على الموالي والعميد كثير الاهتمام بنصفه المظلومين واغاثة المستغيثين  
منهم بعرض المرحوم أخيه جم البر والاحسان شقيقاً رحيماً على الضعفاء والمساكين  
ولذلك أجلسته شيوخ القبائل واحترمه العلماء وامتدحه الشعراء وخطب وده الادنون  
والبعدهاء وانصرفت اليه القلوب بشعائر الحب والولاء وخصته الالسة بالحمد والثناء  
وصادق الدعاء

« شاعر عظمة المردار أقدس وندبه »



« عبد المسيح اظاكي بك »

هذا شباب عظمة ولانا المعز وهذا عهد الناس به قبل أن يتولى الامارة ويسير  
 بها الى ما بلغت اليه اليوم من الرقي والعمران والسودد والسمة بارك الله فيه وحقق  
 آمال العرب الكرام على يديه

### ﴿ اشارة عظمة المردار أقدس ﴾

خلقت لسؤده الامارة فهو  
 ومعزز أملاكها ومهيته  
 واليه ساءت البلاد قيادها  
 هذا المعز الاريجي المرتجى ال  
 لي قدرها وموطئ أركانها  
 اسماعدا ومؤن سكانها  
 برضى فأعلى بالذكا سلطانها  
 سردار أقدس ملاك ايوانها

اتقل لرحمته تعالى المرحوم المبرورسا كن الجنان الشيخ مزعل خان سنة ١٣١٥ هـ  
 فأجمع آل البيت الجاسي الكرام وروساء القبائل والعشائر في عربستان على مبايعة

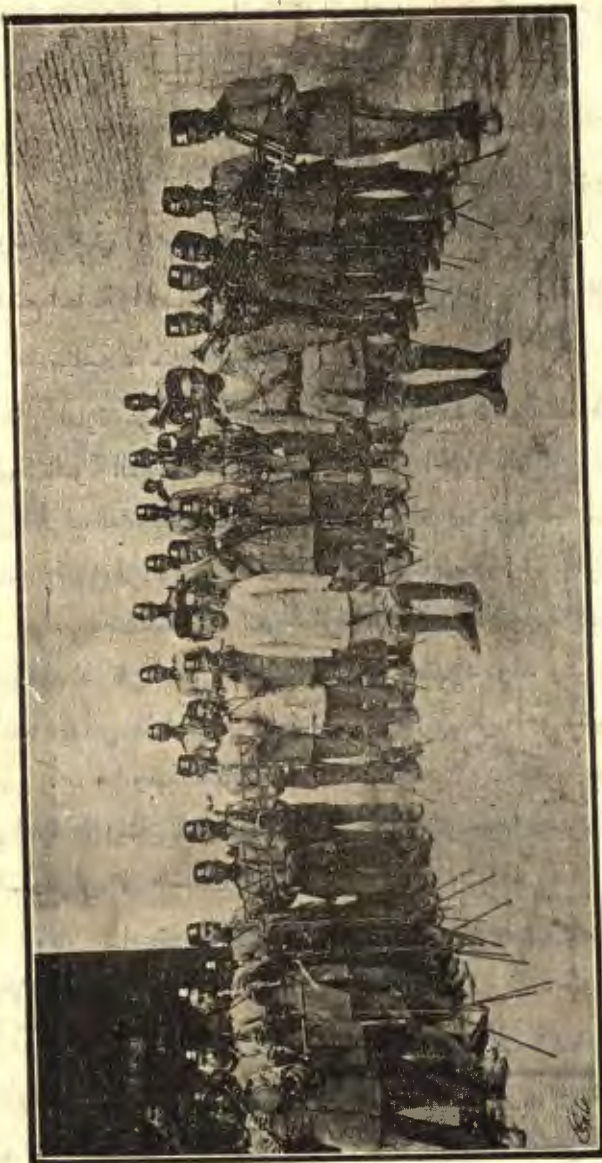


عظمة مولانا معز السلطنة سردار أقدس الشيخ خزعل خان خذ الله ملكه مدى الدوران  
فتربع على سرير أخيه وأبيه وانصرف الى تعمير البلاد واسعاد العباد بحسن مآتيه  
وكان يوم جلوسه المسعود يوم فرح شامل وبشر عام أقيمت فيه المظاهرات من  
أقصى الامارة الى أقصاها برهانا على ما لعظمته أعزّه الله من المكانة العالية في نفوس رعيته  
المحبوبة في حضارتها وبادوتها وأقيمت الزينات في عموم المدن والقرى فرحاً وابتهاجاً  
وتسابق الناس للبيعة والتهنئة أفواجاً أفواجاً وجعلوا يهتفون بعضهم بعضاً بامارته ويدعون  
لعظمته بطول البقاء ويتبادلون باسمه كؤوس الماء

وما اتصل نبأ جلوس عظمته المأموس بالبصرة وبفداد وكربلاء والتنجف الا شرف  
والسكاظم حتى تبادل الناس الافراح والمسررات ولا سيما أهل العلم والادب والشعر منهم الذين  
كانوا يرجون بعظمته أن يكون النصير الاعظم لهم وأسرعوا زرافات للمحبرة لقضاء  
واجب التهنئة والتبريك بقصائدهم وخطبهم وهم مستبشرون فرحون بولايته

وما اتصل بالدولة العلية الايرانية نبأ ولاية عظمته حتى أسرعت باصدار فرمان  
الشاهاني بالتصديق على اختياره وأنعمت على عظمته بسيف مرصع بأمن الجواهر  
واللالى ولقب « معز السلطنة » وهو من أعلى الالقاب مع رتبة « سردار أرفع »  
وهي اسمى الرتب العسكرية وبوسام شير وخورشيد من الدرجة الاولى فسكان لهذه  
الانعامات الشاهانية أجمل وقع في نفوس أهالي عربستان تلقوها بالحمد والشكران

وكانت أمانة عربستان عند تولي عظمته ولي النعم ضيقة النطاق كما كانت أكثر قبائلها  
متنقضة على البيت الحاسبي مظهرة البغضاه والعدوان فانصرف عظمته حفظه الله بما أوتي  
من ذكاء ودهاء وحسن دراية لاصلاح الفاسد ومداواة المعتل والتدبير في اخضاع القبائل  
لسلطانه باللين تارة وبالشدّة أخرى شأن الحكيم الحازم وفتح عهد الشريفة بالسهر  
على تعمير العدالة في البلاد وبين العباد والضرب على أيدي الاشقياء العائين بالفساد  
ثم لجعل يستدني القلوب المتنافرة ويؤلف بين الميول المتباينة حتى اجتمعت القبائل  
حول عرشه وتمت رأيته والقبائل التي أبت الخضوع أعلن عليها الحرب العوان  
فأخذها عنوة أخذ عزيز مقتدر وهكذافي مدة قصيرة دانت لحكمه العادل القبائل جميعها  
وساد في الامارة كلها الامان فاطمأنت القلوب الواجفة وصفت من الاحقاد القديمة الى  
ان أصبح رونباً عشائر عربستان يعترفون بجهرة وعلى رؤوس الاشهاد بأنهم لولا  
أبو جاسب لافني بعضهم بعضاً فهم مدينون لعظمته بما يرتعون فيه من بحاج الرغد



والرفاه والسلام وأهم  
يقولون هذا جبهة  
وهم مفتخرون بأمرته  
مستعزّون بحكّمه  
مستبشرون بولايته  
مؤتمرون بأمره وهي  
نتيجة محمودة عزيزة  
التمال لا يدركها الا  
النوابغ من الأمراء  
والاقيال

ثم عكف عظمة  
على ترقية مملكته  
ففتح فيها المدارس  
وروّج بمعاوناته  
الجديّة المتأجر  
والصانع حتى أصبحت  
التجارة في المحمرة  
خصوصاً والامارة  
عموماً وافرة المنكاسب  
كثيرة الازباج زاخمة  
ماجاورها من الثغور  
والبلدان كما تفاخرها  
بالعدل والامان

« الموسيقى الخزعلية »

هذا ما أجمله عن امارة ولي النعم عظمة الشيخ خزعل خان المعظم الذي يحقّ لسائر  
أمراء العرب أن يتخذوه قدوة حسنة لسياسة اماراتهم وادارة شؤون قبائهم وبعدهم



سأفصل للقراء الكرام حياة عظمته السياسية والاقتصادية والادبية بما اختبرته بنفسه  
لاما تلقته عن طريق السماع ولا يبتك مثل خبير

﴿ سياسة عظمة المرदार أقدم ﴾

بنى عظمة مولانا الشيخ خزعل خان سياسته على قاعدة الشورى عملاً بقوله تعالى  
« وشاورهم في الامر » مع انه حفظه الله الحاكم المطلق في امارته العلية وليس فيها الا  
الخاضع المطيع والمحب الخالص وسار بسياسته في امارته العلية على الشكل الآتي  
« سياسة عظامته الخارجية »

ان اماره عربستان ترتبط من حيث السيادة بالدولة الالية الايرانية ومن حيث  
النفوذ بالدولة الفخمة الانكليزية ومن حيث الجوار بالعراق العربي العثماني هذا كان  
قبل الحرب العامة أما بعدها فأصبح العراق العربي بمحمد الله مملكة عربية وطنية مستقلة  
دستورية ديموقراطية بإشراف صديقة العرب الصدوق بريطانيا النظامي  
ولقد قام عظمة ولي النعم بمعاونة الدولة الالية الايرانية بما تقتضيه حقوق السيادة  
خير قيام اذ كان الحصن الحصين لها على الحدود وقد وفر عليها كثيراً من المتاعب  
والمصاعب التي عانت أشباهها في حدودها الاخرى على ما هو مشهور في التاريخ فلاحاجة  
الى ذكاء هنا وبهذا ظهرت الحكمة العلية من تأييد حكومة ايران الاستقلال العربي  
في اماره عربستان على عهد ساكن الجان المرحوم ناصر الدين خان شهنشاه دولة  
عليت ايران على ما سبقت الاشارة

وكان ساكن الجان مظفر الدين خان الشهنشاه الاسبق كثير العطف  
والاكرام لعظمة الشيخ المعز اعترافاً بحسن خدماته للدولة العلية الايرانية  
فأكرمه في حال جلوسه المانوس بلقب « أمير نويان » وهو أنخم القاب الامراء  
الايرانيين ليس فوقه الا « الجالس على العرش » بمعنى انه لو اجتمع اراء الفرس  
في حضرة الشاه المعظم كان عظمة مولانا المرदार أقدم الشيخ خزعل خان صاحب المرتبة  
الاولى لدى جلالة الشاه فيجلس عن يمين جلالة وما اكتب في الشاه مظفر الدين بهذا بل أنعم أيضاً  
على كبير أمجال ولي النعم سمو الشيخ جاسب خان بلقب جده العظيم « نصره الملك » مع سيف  
مرصع بالجواهر وكان ذلك السلطان العادل في كل فرصة ساحة يهديه تحياته الشاهانية  
بفرمانات مخصوصة وفي الاخير أهدي الى عظامته الملوكية نوط « تمثال هابون » وهو

مدالية مرصعة بالماس « البرلانت » وفي وسطها صورة جلالة الشاه بالفوتوغرافيا ويعلق بالعنق ولا يديه شاهات الفرس الا للملوك واَعْظَم الامراء

وعند ما تولى الاريكة الايرانية محمد علي خان الشاه السابق جدد عهداً بيه وجدّه لعظمة مولانا المرदार اقدس وأهداه مجدداً « تماشايون » بصورته الشاهانية ونوط آل قاجار وهو أيضاً يعلق بالعنق وفي وسطه الاسد والشمس وحوله قديح الماس الثمينة وهذا النوط يندر ان ينعم به الشاهات على غير افراد امراء العائلة المالكة « العاجرية » فكان لهذه النعمة الملكية وقع عظيم في الدوائر العليا الايرانية

وحدث أن الشاه محمد علي خان الذي أوصاه أبوه مظفر الدين شاه وهو على سرير الموت بالدستور خيراً أبي أن يماشي الدستوريين ورجع عن الدستور الذي كان قد اعلنه أبوه قبيل وفاته فثارت عليه نائرة الدستوريين ونصرهم البختيارية النازلون في جوار امارة عربستان اما عظمة مولانا المرदार اقدس الدستوري بطبيعة نفسه الذي يحكم شبه بالقسط الذي يتطلبه الدستور فانه نظر الى الثورة الايرانية بين الحضيف الحكيم فما اشترك مع القبائل الثائرة احتفاظاً باستقلاله الداخلي وتحاشياً من ادخال رعاياه العرب في ثورة الفاعين بهام جماعة الايرانيين على انه في الوقت نفسه أيّد الدستوريين بما له بما دفعه لرجال البختيارية وبنفوذ اذ طاب من جلالة الشاه أن يرجع الى « الدستور » لماشي به الامة الايرانية غيرها من الامم الحية المتمدنية ويؤكدون ان يلقوا عظمة المرदार اقدس هذا هو الذي قلّ عزيمته محمد علي شاه وسهّل على الجيش البختياري دخول طهران وانجبت الثورة عن خلع الشاه وجلس ولده احمد خان ميرزا على العرش تحت وصاية الوزير الكبير القدير البرنس فرمان. فرما أخي ساكن الجنان مظفر الدين شاه

ونخامة البرنس فرمان فرما اعترف الادراء والوزراء الايرانيين بقدر عظمة مولانا المرदार اقدس وجليل ما ثره وبواهر أعماله وسبق له ان عرفه شخصياً « وما را، كمن سمع » ولذلك كانت اول اعماله في تسلمه زمام الحكم في ايران العمل على اكرام واجلال عظمة مولانا المرदार اقدس ففعل من هذا الشيء الكثير وكانت في عهد وصايته جميع مصالح عربستان تنفذ في الحال من طهران

وفي سنة ١٩٢٠ ذهب الشاه احمد خان الى اوروبا وهو يقصد على الخصوص زيارة بريطانيا العظمى لان جلالته على رأس السياسيين الايرانيين الفائلين بان سلامة





« جلالة الشاه احمد خان في موكبهِ عند وصولهِ الى القصر الخزعي البامر »

ريطانيا العظمى وسيرها في سبيل النجاح متوقفان على مصادقة هذه الدولة العظيمة في حولها وطولها العظيمة في ثروتها ويسارها العظيمة في رجالها النوابغ المصاحين وبعد عودته أحب جلالته ان يقصد العتبات المقدسة في النجف الاشرف وكر بلاء زيارة سيدنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب وزيارة سيدنا الحسين ثم يمر ببغداد فيزور سيدنا الكاظم عليهم وعلى المصطفى واخيار أهل البيت الصلاة والسلام وبالعمل جعل عودته بطريق خابج فارس ورأى بعطفه السامي ان يمر بعظمة مولانا السرمدار اقدس فيستضيفه في قصره البامر في الكالمية وما بلغت هذه الارادة الشاهانية وسهام عظمته حتى أخذها عديتها على ما يابق بقدر الضيف العظيم والمضيف الكرم فجعل القصر آية من آيات الزينة والبهرجة وأعد جلاله الشاه عرشاً من الذهب الوهاج مرصعاً بالجواهر وبذل في استقبال الجالس على أريكة الاكاسرة كل مرتخص وغالك ويضيق المجال دون استيعاب ما كان من الحفاوة في استقبال جلالته الملوكية حتى كان ممثلاً سروراً وغبطة وانعراً بانه خاتم فولد جلالته من الامتنان والانشراح نزع عن صدره

صاحب العظمة  
 سردار اقدس  
 مولانا الشيخ خضرعل خان داماد

نصرت الملك  
 سمو الشيخ عبدالعزیز خان

سردار اشرف  
 سمو الشيخ عبدالعزیز خان

عبد الحميد خان  
 سمو الشيخ عبدالعزیز خان

الوسام الاقدس وهو الوسام الذي يحمله الشاهات وعلقه يمينه على صدر عظمته الملوكية ودعاه باسم « السردار الاقدس » وهو لقب لم يعرف ان شاهات الفرس اعطوه لاحد من امراء وعظماء السلطنة الايرانية وفي الوقت نفسه صدرت ارادته السنية بالانعامات التالية على ساداتنا اصحاب سمو الامراء انجال عظمته والاختصاص اللائذين بعظمته الملوكانية فكانت هكذا :

السردار ارنج سمو الشيخ جاسب خان والسردار اجل « ابقاء » لسمو الشيخ عبد الحميد خان (١) ونصرة الملك لسمو الشيخ عبد العزيز خان (٢) والسردار كشور

(١) ان سمو السردار اجل الشيخ عبد الحميد خان ثاني الانجال وحاكم الاهواز قد ابدي من الحكمة وسداد الرأي وسعة الصدر في حكومته ما اطلق السنة اهالي الاهواز بالحمد والثناء ونال رضا الاجانب ولا سيما موظفي شركة الغاز الانكليزية ووصل صدى ثناء الناس على سموه الى طهران في سنة ١٩٢٠ فأحب صاحب الجلالة السلطان أحمد شاه ملاحظته مكافأة على عدله وفضله فأنعم عليه بلقب « سردار اجل » وبسيف مرصع بالاحجار الكريمة ومما يذكر هنا ان جلالة الشاه عند ما وقع نظره العالي على سموه في القصر العامر تطف به قائلاً : « لقد سمعت عنك ما يسر خاطرنا فانا راض عنك كرضاء ايك عليك »

(٢) ان لقب « نصرة الملك » عزيز على هذه الاسرة النبيلة لانه كان لقب



لسمو الشيخ عبد المجيد خان والسردار لشكر «عسكر» لسمو الشيخ عبدالكريم خان والسردار أميرف لسمو الشيخ عبد الله خان ووسام شير وخورشيد من الدرجة الاولى لحضرة الشيخ الجليل الحاج محمد علي خان ورئيس تجار عربستان ووزير عظمة السردار أقدس ولقب بجلاء الملك لحضرة الماجد ميرزا عبد الصمد خان رئيس سكرتيرية عظمة السردار أقدس ووسام شير وخورشيد من الطبقة الثانية لحضرة النبيل الحاج ابي الحسن خان مشير تجار عربستان وكانم اسرار عظمة السردار أقدس وهذا الوسام من الدرجة الثالثة لحضرة صاحب السعادة الحاج مصطفى افندي فهمي معتمد عظمة السردار أقدس في البصرة وبلدالية الذهبية لحضرة الخواجه داود ماهور الكهربائية والاعمال الميكانيكية في الفصور البالية الخزعية لاعجاب جلالاته بذكاة صناعته في اشاهده من بدائع الكهرباه في صاعة الاستقبال وسار غرف القصر الخزعي العالي في السكالية

وبعد رجوع جلالة الشاه الى حاضرة مملكته طهران رأى عظمة مولانا السردار أقدس ان يوجه اليها حضرة كبير وزرائه الشيخ الجليل صاحب السعادة الحاج محمد علي خان رئيس تجار عربستان لشكر جلالاته على تفضله بزيارة قصره المعمور وصعبه بالهدايا التي أحسن ما يقال فيها أنها « هدايا خزعية » فوَقعت لدى جلالة الشاه واكابر وزرائه موقع القبول والرضى وتفضل جلالاته فأهدى الى عظمة السردار أقدس مدالية « تمثال هابون » برسمه العالي الملوكاني في اطار من الماس الوهاج على أبداع ما أوجدته الصناعة من هذا الحجر الكريم وانعم جلالاته ايضاً على كبير انجبال عظمته صاحب السمو السردار أرفع الشيخ جاسب خان بسيف مرصع بالجواهر الكريمة كالسيف الذي سبق جلالاته ان اهداه الى ثاني الانجبال سمو السردار

وؤسسها العظيم الوالد الكثير المحامد ساكن الجنان الحاج جابر خان ولهذا أنعم به جلالة مظفر الدين شاه على كبير الانجبال سمو الشيخ جاسب خان ولما رأى جلالة الشاه اهداء عظمة وليّ الزم الشيخ خزعل خان « الوسام الأقدس » وتلقية باسم « السردار أقدس » وكان لقب « السردار أرغم » عزيزاً على هذا الاسرة النبيلة لانه بقي مدة طويلة اسماً علماً لعظمته احواله جلالاته الى سمو الشيخ جاسب خان واحال لقب « نصره الملك » الى سمو الشيخ عبد العزيز خان وهكذا ظل هذان اللقبان الكريمان باقيين في البيت الخزعي المعمور



« ثلة من الجيش الخزعلي المنصور »

أجل الشيخ عبد الحميد خان و« ل سعادة الحاج رئيس من تيمياته الشاهانية الى عظمة مولانا سردار أقدس ما يشير الى ما اعظمته من فؤاد الشاه العظيم من عالي المسكنة ورفيع القدر

وعند ما حدثت الحركة الرجعية ضد الدستور على عهد الشاه السابق محمد علي خان المشار اليه أسعف ولي النعم قبيلة البختيارية أديباً ومادياً على إعادة اعلان الدستور الى ايران فكان اعظمته في ذلك اليد البيضاء التي يحفظها التاريخ بالشكر جيلاً بعد جيل كلما ذكر تاريخ ايران

وأفضل خدمات اعظمته الدولة العلية الايرانية انه حفظ امارته العلية من اثورات التي انتشرت في جهات ايران عموماً شمالاً وجنوباً فبينما كانت المخاوف والتعديت منتشرة في عموم ايران كانت اماره عربستان في ظل الحضرة الفخمة الخزعية رانعة في مجامع الامان والاطمئنان الأمر الذي أدهش العالم بأسره ووجه أنظار أهل السياسة في أوروبا الى عظمة سردار أقدس الذي يحكم هذه الامارة ونشرت صحف أوروبا والهند من الامادج اعظمته الشيء الكثير ووصفته بالامير « العاقل الحازم » واذا عرفت أيها القاري الكريم أن هذه القلائل التي عمت ايران بجمعتها الا اماره عربستان قد أفضت الى احتلال روسيا الجهات الشمالية وانكسرت له لتغور الجنوبية علي خليج فارس ظهر



لك مبلغ فضل واقدار هذا الامير العظيم بمحافظته على استقلال امارته حيله الله  
 املعلائق عظمة وولي النعم مع الدولة الفخمة الانكليزية فهي علائق صداقة واخلع  
 وطبتها الحكمة وايدتها « المصلحة » ورجال هذه الدولة أعلنوا مزاراً وتكراراً من  
 قبل الحرب بزم من طويل امتنانهم من عظمتهم وسرورهم من حسن سياسته اعلاناً حمل  
 الدولة الانكليزية على اهداء عظمتهم وسام نجمة الهند من الطبقة الاولى وأرسلته  
 لعظمتهم مع وند خاص على مدرعة حربية في سنة ١٩١٢ وهو اكرام عظيم يبق  
 بأميرنا الجليل ثم توالى الاوسمة الانكليزية على عظمتهم بعد هذا التاريخ حتى بات صدره  
 العالي المزدان بالاخلع يحمل ارفعها مكانة واعظمتها تيمية وذلك بعد ان اتسعت العلائق  
 بين اماره عربستان والدولة الفخمة الانكليزية ولا سيما بعد تغلب السياسة واستعار  
 الحرب العامة وليبان ذلك نقول :

ان الدولتين الانكليزية والروسية كانتا قد اقتسمتا النفوذ في ايران فكان الشمال في  
 منطقة نفوذ روسيا والجنوب في منطقة نفوذ انكلتره وفيه اماره عربستان وكان الفرق  
 بين بريطانيا العظمى وروسيا كالفرق بين النور والظلمة او الديموقراطية والاتوقراطية  
 وما كانت الدولة الانكليزية ترمي من اقتسام النفوذ في ايران الى أكثر من المنافع  
 التجارية لقومها وحماية شركة الغاز التابعة لها ولضمان سلامة حدودها الهندية فهي  
 كانت تطلب حفظ النظام وتعميم الامان في المناطق الإيرانية الداخلة ضمن دائرة نفوذها  
 ولذلك لم تعجل في احتلال الجهات الجنوبية من ايران كما فعلت روسيا في الشمال بل اكتفت  
 بأن أرصدت في مياه الخليج الفارسي اثنتي عشرة مدرعة حربية وفيها الكثير من  
 الذخائر والجنود اتقاء للفوائل وظلت هنالك الى أن اعلنت الحرب العامة وتبعها من  
 الانقلاب العام ما تناول هذه الاطراف أيضاً

واذ كان الامان في عربستان على أحسن حال في ظل عظمة وولي النعم بحيث كان  
 يسافر في اطرافها التجار ومعهم الاموال والنصار آمنين مطمئنين وكانت شركة الغاز  
 الانكليزية آمنة على مخازنها وانابيبها واعمالها ولم يكن لانكتره ما تقوله الاعلان شكرها  
 وامتنانها من هذا الامير العظيم الذي لا يوجد في كل امارته من يشكو ظلاً من جميع  
 التجار الهنود والانكليز وغيرهم وفوق هذا فان شركة الغاز الانكليزية التي مدت  
 الانابيب في أراضي عربستان لتصل بين البينابيع في جبال البختيارية وتبادان على شط  
 العرب الكبير كانت ولا تزال بحجة جراه عملها من غير أن تحتاج مهرة واحدة الى مهاجمة



« ثلة من الجيش الخزعلي المنصور »

الفصل الانكليزي في المحمرة ولا شاكية من تعدي أو افعال فهذا كله جعل الدولة الفخمة الانكليزية كثيرة الامتان من حكم عظمتها والاعجاب بحزمه وعدله والاقرار بفضلها وشكره من غير ان تتعرض للإمارة كما اضطرت ان تتعرض لتفويض فارس الإيرانية على أن انتشار الثورة في هاتيك الاطراف

ولما اعلنت الحرب العامة في اغسطس سنة ١٩١٤ واطر الاتحاديون الذين كانوا مسيطرين على تركيا ميلهم نحو الالمانيين وعداءهم للحلفاء وفيهم بريطانيا العظمى وجدت هذه الدولة العظيمة أن ارضها بعض مدرّاتها في الخليج الفارسي كان بحكمة لانه يهملها جداً سلامة هذا الخليج لضمان سلامة شطيه العربي والفارسي الداخلين ضمن منطقة نفوذها . اما عظمة مولانا المراد أقدم فكان ككل قافل من المسلمين كان كأكبر الوزراء العثمانيين وكجلالة شريف مكة وغيرهم يتوقع الفشل للاتحاديين من مناصرتهم للالمان في تلك الحرب المشؤومة وما فيه من الضرر الكبير للترك لان عظمتهم كان على علم تام بقوي بريطانيا العظمى التي لا تقهر على انه في ذلك الوقت حذا حذو الدولة الإيرانية ذات السيادة على امارته بالتزام الحياد التام بكل معنى الحياد اما عمال الاتحاديين في البصرة فقد كانوا والدولة العثمانية لم تخض الحرب رسمياً يميلون الى اجتذاب عظمة المراد أقدم اليهم فاقبحوا بل اسلمهم عظمتهم بانهم



يريد منهم هم ايضاً ان ينصحوا لدولتهم بالتزام الحياد التام فما أصغوا اليه وطلبت منه ولاية البصرة وقتئذ ان يحتج على وجود المدرعات الانكليزية في مياه الحمرة فاجابهم كسياسي صريح بان ذلك من شأن الحكومة المركزية في طهران وليس من شأنه لانه تابع في سياسته للدولة الايرانية ومع قانونية هذا الجواب وصراحته ابي الاتحاديون الاصغاء الى قوله واضمروا البغضاء له وطالما أضمرها وكادوا لعظمته وما أفلحوا

وعند ما دخلت تركيا الحرب بجانب الالمان رسمياً في اكتوبر سنة ١٩١٤ من غير ان تكون لها فيها ناقة أو جمل رأيت بريطانيا العظمى ان تتقدم لانقاذ للعراق من الاتراك الذين باتوا وقتئذ في عرف السياسة عدواً للالمان فارسلوا بعض قواتهم الى (الناو) عند مصب شط العرب في خليج فارس وابتدأ القتال بينهم وبين الجيش التركي اما عظمة مولانا المردار أقدم فابث على الحياد رغم كل الوسائل التي توسل بها الاتحاديون لزجه معهم في هاتيك النار الملتببة لاسباب جوهرية اولها واهمها ان الدولة الايرانية محتفظة بحيادها في هاتيك الحرب فلم يكن لا مير مخلص كعظمته مرتبط بربط معها وعلمه علمها ومصالحته في مصالحتها ان يدخل في جرب هو جاء مخيفة دونها وثانيها لانه كان يرى ان الحرب الحقيقية هي بين المانيا وانكلترا والنمسا وفرنسا وروسيا وكل هاته الدول مسيحيات فقول بعضهم ان الانتصار للاتراك للاتحاديين المأجورين من الالمان هو انتصار للاسلام قول باطل ومردود ويمكن القول مثله في الانتصار لبريطانيا العظمى بصفقتها تحمك بيننا ومائة مايون من المسلمين ومعظم الجيش الذي ارسلته الى العراق هو اسلامي هندي وثالثها هو رغبة العرب في تركيا في التحرر من الحكم الاتحادي التركي وهم قومه فاذا لم يكن في طوقه مناصرهم فلا أقل من التزاه الحياد لكي لا يعرقل مساعيهم وعظمتهم معهم على حد قول الشاعر :

وما أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

الى غير ذلك من الاسباب الجوهرية التي دفعت هذا الامير الحازم الرشيد الى التزام الحياد في كل الحرب التي استمر لهبها بين الانكليز والترك في العراق ونجم عن حياده الخير الكثير لولاية البصرة وامارة عربستان معاً فلم ينلها الاذى الذي نال البلاد التي كانت ميادين للقتال وقد عرف عقلاء البصريين ولو في الزمن الاخير لعظمة المردار أقدم بمد مواقع نظره عندما وجدوا انفسهم واملاكهم ونجيلهم وسائر مقتنياتهم في أمن وغيرهم عرضة المصائب والاحن كما ان الذين اساءوا الظن بعظمتهم



« ثلثة من الجيش الحزغلي المنصور »

من غير روية لا التزامه الحياض وفيهم من حاربه بلسانه ومن حاربه بسيفه لقد وجدوا أنفسهم أخيراً على خطأ مبين فمادوا الى عظمة مستغفرين واعترفوا له بالحكمة وسداد الرأي ولو بعد حين على ان عظمته كما حفظ حياضه بشرف وشمم واعاد الى امارته الامن بعد ان جاسها الذين استخدمهم الاتحاديون لا يفار صدور المتعصبين على عظمة باسم الدين على سبيل المغالطة كذلك كسب اولئك الذين عاد ودظلموا وعدواناً بعفوه وصفحه فعرف له الناس هذا الفضل العظيم والمنة الخالدة واصبحوا يعطرون الاندية بشكر عظمته والثناء على سداد رأيه والدعاء له بطول البقاء وقالوا فيه ما يقوله عارفوه بانه (رجل المرب في هذا العصر بغير جدال)

أما علائق ولي النعم بالعراق العربي العثماني فكانت علائق جوار وأهمها في البصرة وحواليها حيث اعظمه السردار اقدس أملاك ونخيل ورعايا كثيرون وكانت هذه العلائق تتوطد تارة وتفتت أخرى تبعاً للسياسة التي كان يتبناها الولاة العثمانيون مع عظمته والسكلى يعلم أن ولي النعم حفظه الله بمواظفه العربية والاسلامية كان وافر اللطف على مجاوريه العراقيين وفي مقدمة العاملين على تأييد الحكومة العثمانية بمجواره ومعاونتها على حفظ النظام بماله وجهه فمما اعانة فتحت في البصرة الا وكان عظمته في مقدمة المتبرعين فيها وما من موقف نحرر بالحكومة الا وأجلاه بما له من الكلمة النافذة



بين الاهلين ومع ذلك كله فقد أساء بعض ولاة البصرة الاتحاديين باغضاب ولي النعم في احوال شتى مع أنهم في كل مقام سدم كانوا يجنون على أنفسهم على حد المثل المأثور ( جنت على نفسها براقش )

على أن الدولة العثمانية في أخريات يهدا بالعراق قد حورت سياستها بعد ان اتضح لها فساد حركات عمالها السابقين واحتظت مبدأ التقرب من عظمة ولي النعم فأهدت اليه الوسام العثماني وطبقته الاولى وأرسلته اليه مع مأمور خصيص من كبار وزرائها وكان الاختقال بتعايته على ذلك الصدر المزدان بمكارم الاخلاق عظيماً مهيباً

ومما يذكر هنا أن عظمة ولي النعم حفظه الله مع كل ما كان يشاهده من بعض الولاة والحكام العثمانيين من المغايرات ظل على ولائه للدولة العثمانية باعتبار انها دولة اسلامية يجب تعظيمها وكان ينسب تلك المقاسم الى شخصية الولاة الاتحاديين الذين أساؤا استعمال مناصبهم لا في البصرة وحدها بل في عموم البلاد العثمانية على ما هو معروف ومشهور وكان يقول ان الدولة العثمانية تعرض لخطر الدمار بعالمها الفجار وكان كما أشار وأسفاه . اما بعد ان استقلت العراق واصبحت مملكة عربية عراقية صرفاً بضمانه وإشراف بريطانيا العظمى فقد اصبحت علائقه معها علائق ولاء واخلاص ثابتة راسخة لا تززعها الايام ان شاء الله تعالى

ومما نذكره هنا هو ان رجال بريطانيا العظمى العسكريين والاداريين عند ما احتلوا البصرة اخذوا بعض دوزر ولي النعم لسكناتهم وعظمتهم من اكبر اصحاب الاملاك في البصرة وأبي عظمتهم ان يتقاضى اجراً عليها من عهد الاحتلال الى غاية سنة ١٩٢٢ فعرف المصلحون البريطانيون لعظمتهم هذا الجميل فوق ما يحفظون لعظمتهم من صادق المودة والاخلاص فوهبوه يخيئاً نهرياً جميلاً لركوبه وتجواله في شط العرب ونهر قارون واسمونه هم انفسهم باسمه العالي « خزعلي » وقد سبقت الاشارة الى هذا اليخت النفيس الذي زاده جمالا انه هبة من الدولة البريطانية كعربون مودة واخلاص أما أهالي البصرة فكانوا ولا يزالون موضع عطف وعناية ولي النعم أعزّه الله يكرم أكبرهم ويسعف أصغرهم واذا وجد في البصرة من يضر غير الولاة لعظمتهم فأولئك نفرهم ساءت نواياهم وساؤا اخلاقاً وقليل ما هم ولا غرو ان يكون لعظمة السردار اقدس هذا الاهتمام بالبصرة والبصريين وهو يُعد من اكبر اصحاب العقارات والنخيل في منة رفة البصرة وذلك همه مصاحبتها ويذل كل عناية في سبيل رفاها



« فصيلة من الجيش الخزعلي العربي »

« سياسة عظمته الاقتصادية »

وقد انصرف ولي النعم للعمل على ترقية أمارته اقتصادياً بالتجارة والصناعة والزراعة أما التجارة فقد عرف عظمته أن رواجها يتوقف على الامان وكما سبق القول ان الامان من يوم تولية ولي النعم حفظه الله ساد الامارة كلها بدوها وحضرها وفوق ذلك ان عظمته بهم اهتماماً كبيراً بسماع شكاوي التجار فيحققها بنفسه ويزيلها مهما كانت وبأقرب وقت وبهذا باتت تجارة عربستان اليوم كثيرة الرواج أما الصناعة فمع قلة رغبة القوم وأكثرهم من العزب الرحل بها فهي بتقدم ونمو بفضل عناية ولي النعم والمأمول اتساع نطاقها بفضل مجهودات عظمته الذي بكرمه الحائمي ولجهد معاونه الاهالي أسس على نفقته الخاصة معملاً للحدادة وما زال يرقبه حتى قام بتعمير السفن البخارية ونحوها وهذا العمل يقوم بحاجة الاهلين فيما يحتاجون اليه من الحدادة لسفنهم البخارية وادوات مزارعهم وهي خدمة جليلة



يقدرها قدرها على من عرف حاجة الاملوة الى المصانع الميكانيكية في نهضتها الجديدة في ظله الظليل .

وأما الزراعة فمن المعلوم ان امارة عربستان كسكل العراق ذات اراض زراعية وافرة الخصب غير ان قوم هذا القطر في العمران اضر بزراعته أيضاً فلم يبق مورد للكسب غير اشجار النخيل وعدا ذلك فان الاهلين يزرعون من انواع الحبوب ما يقوم بأودم فتوجهت عناية ولي النعم لتنحسين الزراعة حيث استجلب من مصر طائفة من المزارعين لزراعة القطن واستخدمهم بمهارة النطن المصري وأجرى التجربة الاولى فنجح نجاحاً اولياً عظيماً غير ان هنالك عقبات لنجاح زراعة القطن لابد من تذليلها بظلمة عظيمة حفظه الله اولها ان المزارعين المصريين يجهلون طقس البلاد وحالتها الجوية فلا بد لهم من درسها عاماً بعد عام وثانيها ان الاراضي تحتاج الى تصليح وثالثها انها تحتاج الى أدوات زراعية حديثة وآلات لرفع المياه وهذا مايعني به عظمة مولانا السردار أقدس اليوم ومضى زالت هذه العقبات وهي سهلة بجانب صدق عزيمة ولي النعم تصبح الامارة وافرة الثروة بحيث تكون وارداتها من زراعة القطن وحدها نيفاً ومليون ليرة في العام بعد بضع سنوات ان شاء الله

ويهم عظمتهم أيضاً بتجربة تربية دود الحرير والمتدرانها تفاح فلاحاً عظيماً لان شجر التوت ينمو بكثرة في هاتيك الديار ولا سيما لان المياه متوافرة لنموه وأنت ترى من قليل ما تقدم مبالغ الجهد الذي يبذله هذا الامير الجليل في سبيل امارته العلية فلا عجب اذا أصبحت رعيته في حالة من الرغد ورفاه العيش تحسد عليها ولذلك تراءم جمعين على محبة عظمتهم يترغمون بالدعوات الصالحات بطول بقائه

« سياسة عظمتهم الادبية »

لم تنس مشاغل الملك عظمة ولي النعم عن الادب والعلم فظل عظمتهم بعد ان علا باليمن والاقبال عرش الامارة العضد الاكبر للعلماء والادباء والشعراء فخصهم بهباته ومنحه حتى أصبح القصر الخزعلي العالي كعنتهم يحجون اليها وهم يسمونها « سوق عكاظ » وعدا ذلك فقد أسس في الامارة كثيراً من المكتبات للتعليم ويقوم حيناً بعد حين بتعمدها باحساناته المالية وبتشجيعه الادبي وبهذا وذاك يخدم عظمتهم دولة العلم ليس في امارته الانية وهداه بل وفي العراق العجمي بمجمته أشرف وأفضل خدمة



### « ثلة من الحرس الخزعلي »

ولعمري لو توفق العرب في بلادهم واماواتهم الى مثل هذا الامير العظيم المحب للعلم والعمل على نشره وتعميمه لتقدم العرب تقدماً عظيماً في زمن يسير لانه من المعلوم لا تتقدم أمة بغير العلم وقد قال الله سبحانه في كتابه العزيز « وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وعلى هذا فيكون العرب مدينين لعظمتهم بهذه النهضة الادبية القائمة في عربستان بظله الطايل

ومن فضل عظمة وليّ النعم على أهل العلم والادب والشعر وفقني الله الى نظم « العلوية المباركة » وهي قصيدة من نوع « الشعر القصصي » الذي قلما نسج الشعراء العرب على منواله فجاءت في ٥٥٩٥ بيتاً على قافية واحدة وبمجر واحد وتضمنت تاريخ صدر الاسلام بمجملته وقد طبعتها في ظلّ عظمتها الظليل بحواشيا فكانت آية الايات بحيث كل من تلاها يتجلى امام نظره فضل هذا الامير العظيم وتمثله « العوارف الخزعية » على أمها فينطق لسانه بالدعاء لذاته السنية

ومن فضل عظمة وليّ النعم على العلم والادب والشعر ايضاً هذا الكتاب النفيس الذي افضل ما يقال في تقييده انه جامع لاشات الادب وفيه من طليّ المباحث ما يعي بيانه الفصحاء وهو وحده يكفي لتخليد فضل عظمتهم بغير مرأ



ومن فضل عظمته على العلم والادب والشعر انه اغنى المتصلين به من العلماء والشعراء والادباء عن بذل ماء الوجه الى الاشياء من اهل الامارة وارباب الثراء ومجالس عظمة ولي النعم مشهورة بانها مجالس علم وادب وشعر على نحو ما كانت عليه ايام زهوة الحمد العربي الاسلامي وطالما ذكرها الداكرون بالاعجاب كما يذكرون ايام الخلفاء العباسيين العظام في ظفر الاحقاب ولا عجب في ذلك قابو حاسب رب المواهب وابو حميد أهل اشكل عمل حميد

احكام عظمته

يحكم عظمة ولي النعم الامارة حسب الاربعة المظهر الفراء على أيدي قضاة عادلين زهاء يثق بدينهم وعلمهم وينظر عظمته حفظه الله في القضايا الكبرى بنفسه قبل تنفيذها مخافة أن يؤخذ أحد رعاياه بظلم. واذ كان عظمته معروفاً بالعدل والرحمة معاً كان اطمئنان الناس الى احكامه العادلة عظيماً

ومما نذكره بالاعجاب لاحكام عظمته انه حفظه الله مع عدله في الدعاوى الجنائية وشدته على الذين يعيشون في الارض فساداً عملاً بقوله تعالى « ولسكن في القصاص حياة » حتى انه توفيق الى ثمر رايات الامان حول امارته العلية الآمنة ينظر في القضايا الحقوقية بشفقة وحنوً أبوي بحيث تحسبه أباً له المتقاضين لاحكام عادلا فقط فاذا رأى مديوناً يعجز عن سداد دينه فعلاً لا احتيالا وكان المدين مما يضرب به تأخير دينه بادر عظمته بدفع ذلك الدين من جيبه الخاص واذا رأى أن الدائن في سعة يستطيع معها الصبر على مديونه وان المديون يستطيع دفع الدين اذا تقسط عليه حكم بالتقسيط وهذا من أحسن انواع القضاء في نظر القضاة المقيدون بالقوانين فيحكمون حسب بنودها بغير شفقة على المتخاصمين والنظر الى حالة الدائن منهم والمدين وبالاجمال نقول ان القضاء في امارة عربستان بظلم ولي النعم لا حيف فيه ولا تسوية ولا ضرر ولا ضرار وهكذا فليكن القضاء العادل والا فلا

المسكينة في عربستان

ليس في امارة عربستان عسكرية منظمة ولسكن كل رجل مكلف عند أول اشارة أن يلبي طلب عظمة المليك المهيب في حمل السلاح والسير للقاء الاعداء وهم يتسابقون برغبة وسرور الى خدمة ولي النعم والسير تحت لوائه ومن متع الطرف برؤية هذه الجنود وهي محتشدة ورأي اخلاصها وتقائها في سبيل المحافظة على الامارة ومرضاة

« فرقة الحرس الخزعلي »



سيدنا وسيدها والطاعة لاوامره عرف حينئذ قوة العرب المعنوية وتضامنهم الصحيح بالمحافظة على استقلالهم وسر محافظتهم على قوميتهم كل هذه السنوات الطوال بالرغم عن معاكسات الاقدار وطلما استبشرنا بهذه الجيوش وسررنا المرور الجهم ببساتنها ودعونا بالسؤدد والنصر لهذا القائد الباسل والسرمدار الحازم والملك العظيم

أما الحرس الخاص فهم الموالى الرياضون حول ولي النعم كالاسود في غاباتها وهم عرب وعجم وليس فيهم الا الخالص الامين الذي يذبل حياته فداءً عن مولاه وفيهم رجال الموسيقى الخزعية وأفرادها من العرب والعجم ايضاً وهؤلاء يلبسون الزي العسكري ويشفون الاسماع بالانعام الشجية في القصر الخزعلي العالي في كل صباح ومساء وفي الاحتفالات الرسمية

### ﴿ معيشة عظامته ﴾

أما معيشة عظامته حفظه الله ففي هكذا ينهض عظامته باكراً قبيل الفجر فيتوضأ ويصلي ثم ينكف بكتبه بالحرم لمطالعة الاوراق التي تعرض عليه فيقيم فيه نحو الساعتين



ثم يتفضل فيخرج الى الناس في قصره العامر فينظر في حوائجهم وبعد ذلك يتوجه باليمن والاقبال على « بلنه » الملوكي الى الفيلية يحيط به الخرس الخاص وهناك يتصدر ساعة الاستقبال في الديوانية للنظر في جوائج الناس وشكاويهم وقبل الظهور يدخل الحرم حيث يصلي ثم يتناول طعام الغذاء ويقضي للقبولة وبعد ان يصلي صلاة العصر يخرج فيجلس للناس حتى قبيل الغروب فيعود باليمن والاقبال الى قصره العامر فيصلي صلاة الغروب ثم يتناول طعام العشاء على مائدته السنية مع ضيوفه ثم ينهض فيصلي صلاة العشاء ويخرج للمره فيستدعي من في الباب من الغلاء والشعراء والادباء ويسمر معهم بمحاورات أدبية وشعرية ومذاكرات علمية وفقهية وهذا هو سوق عكاظ الذي تعرض فيه نتائج العقول وفيه تتوزع هبات ولي النعم وجوائز الوفرة

نقول هذا هو اسلوب مهيشة عظيمة بولانا السردار أقدم منذ ربع على اريكة الامارة ولم يبدل منه غير اعراض عظمته عن الذهاب اليومي الى الديوانية بعد الحرب اذ حسن في نظره العالي ان ينظر في شؤون رعاياه في قصره المهومور في السكالية بعد ان زاد اتساعه على ما سبق لنا وصفه

وعظمة رلي النعم يخرج عند الاقتضاء واحياناً مرتين في العام لتفقد رعاياه ومواصلة زعماء عشيرته وروضاء قبائله حيث يرى من ضروب الحفاوة والاخلاص مافية الدلالة الساطمة على تعلق أمته المحبوبة بشخصه العظيم وفي هذه الرحلات الملوكية يتجلى كرمه الخائمي على رعاياه كما تجلى عواطف رعيته الثمينة نحو أميرها المفدى بالنفوس والنفائس أدام الله علاه

### ﴿ الامراء الانجبال العظام ﴾

ولولي النعم حفظه الله ثمانية انجبال انجبال تمثلت فيهم مكارم أخلاق هذا الملك العالي الجنب وقد تربوا أفضل تربية بالعلوم والآداب وهم السردار ارنع الشيخ جاسب خان والسردار اجل الشيخ عبد الحميد خان ونصرة الملك الشيخ عبد العزيز خان والسردار كشور الشيخ عبد الحميد خان والسردار عسكر الشيخ عبد الكريم خان والسردار أشرف الشيخ عبد الله خان والشيخ منصور خان والشيخ مسعود خان واسكل من هؤلاء الشيوخ النجباء قصر عامر وحاشية خاصة وهم مع ذلك منعكون على طاب العلوم والاهاب وركوب الخيل ومعروفون بالاخلاق السكريمة والشهائل الطيبة جعلهم الله قرة عيني ولي النعم ومظاهر مجدده في امارته العامر وأدامهم في ظله الظليل مظهر الحمد وحيد الشيم



« الحرس الخزانة الاماني »

## ﴿ اخلاق عظيمة ومناقبه ﴾

أما أخلاق عظيمة فيصدق فيها قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » فان عظمته حفظه الله يظهر دائماً أبدأ للناس وهو باذي الاسرار باش النفر لأحة على بحياه الازهر لوائح السرور والرضا ولا يذكر أحد من حاشيته انه رآه مرة غاضباً وهو يتعالى علواً كبيراً عن الحقد كثير الصفح والحلم عن محض قدرة ومن مزاياه الكرم بحيث يزرع اذا مرّ به يوم ولم يسدر فيه بدأ بمروءة وهذا نادر الحدوث واذا جاد أفاض العطاء بسخاه من غير أن ينتظر كلمة شكر ممن يحقق أمانيتهم من وفود قاصديه الذين يقابهم برحابة صدره ويبادروهم بالاحسان قبل السؤال عن حجب بالنوال وتمنّي لسانه باسعاد الاحوال ومن مميزات عظمته عطفه على اللاتئذين به حتى لتعجبهم أبناءه وهم عبيده الامناه فلا يسمع عليهم وشاية ولا يسمح لمن يعرض بهم بعلام وهو الملك الوحيد الذي سلم عبيده من السنة الواشين وفوق كل ذلك فان عظمته لا يفضل عن واحد منهم ويشاركهم بعطفه وعواطفه في سرّهم وضرّهم فلا عجب اذا افتدوه بأنفسهم وأخلصوا في خدمة عظمته اخلاصاً نسمعه من أفواههم واتشاهده في حركاتهم وسكناتهم

ومن مميزات عظمته حفظه الله انه يتغاضي عن اساءة المسيئين منهم تغاضياً يحمليهم على التوبة من أنفسهم واذا رأى موجباً لتوبيخ أحد منهم عرض بذلك تدريجاً ومن مميزات وداعته وحنوّه بحيث يتفقد بنفسه العالية من اصيب من عبيده بمكروه وهذا قاساً زوي عن ملك عظيم مع عبيده

وعظمته فو ذكاه متوقد في نظره الى بعيد الامور وفراسة نادرة لا تخفي في معرفة



الرجال وآداب عالية أدهشت الناس حتى الاوربيين الذين يقصدونه ويفوزون بالثول لديه  
وأما في بره وتقواه فعظمته مثلك المسلم الصالح المتأدب بأداب القرآن النائم بالفروض  
والنوافل وهو كثير الاخلاص لحمد وآله عليهم الصلاة والسلام، تشيع لهم بالسر والجر  
مهتد بهم في الخير والبر

ومن مناقبه حفظه الله انه يحفظ حقوق أعوانه ويكفهم أحياءاً وأوتاً فين هو  
يفدق عليهم عطاياه ويتولاهم بكرمه اذا هو ينظر اعيان الذين يتونون منهم ويرعاهم بعين  
عنايته ويتولاهم برحمته جعلنا الله جميعاً فداه وأدابه ذخراً ونظراً الى ابد الابد  
وبين ترى عظمته حفظه الله كثير الشفقة والحنو على المخلصين لعرشه والمتقين  
حواله تراه وقد خرج للقتال وشهر سيفه في مواقف النضال ببطش الاسد الرئبال  
وكم له من مواقف في مغازبه تشيب لها الاطنال وقد فئت فيها الرجال  
وبالاجمال فقد جمع من مكارم الاخلاق ما لو اجتمع لأمة لسكانت مظهر السؤدد  
والفخار وذكرت بمحامد الآثار ولعمري :

ليس على الله بمستكر أن يجمع العالم في واحد

هذا قليل من كثير من المزايق الحسنة المعروفة بها هذا الملك الباهر الآلاء نشير  
اليها مع الفخر وزددها بالشكر والتناء في السر والجر

### ﴿ الرياض الخزعية ﴾

أما وقد ذكرنا خلاصة تاريخية عن امارة عربستان وترجمة عظمة المليك المحبوب  
مؤلف الرياض فانتا ترى من المنيد أن نذكر كيفية تأليف هذا الكتاب النفيس  
وكيف انتهى اليها الامر بطبعه فسنذكره بالتفصيل الوافي في توطئة المجلد الثاني ان  
شاء الله تعالى وهناك سنذكر تفصيلاً من مناقب عظمة وليّ النعم وكلها مفيد وسار  
ان شاء الله تعالى

هذا ما انشره مع الافتخار عن عظمة مولانا السردار أقدم المغوار الذي تفضل  
على العالم العربي بكتابه النفيس على ما فيه من البدائع وهو ينم عن فضل عظمته  
باعطر من المسك الفيّاح في المجالس والجامع والله المستول ان يديم عظمته نحرّاً للعرب  
وذخراً للاسلام وان ينم علينا بمعرفة قدر فضله على عالم العلم والشعر والادب وفي  
ذلك مسك الحتام

مملوك المعزّ

عبد المسيح انطاكي

مصر في شرة ربيع الاول سنة ١٣٤٤ هـ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

ان أحسن ما يوشع به صدر كلام ، وأجل ما ينظم به عقد نظام ، وأفضل ما يفتح به مقال في مقام ، حمد الله عز وجل الذي ميز الانسان عن الحيوان ، بالفصاحة والبيان ، ووفقه الى اظهار ما في الجنان ، بنطق اللسان ، وملكه عقال العقل ليهم بصروف الحدثنان ، ويحلى بحلى العلم والعرفان ، أحمد حمد الرياض للسحاب الهتان ، وأرد في هديه موارد الاخلاص للاخوان ، وأسأله العصمة من الدليل في البيان ، والصلاة والسلام على النبي العربي الامي محمد المصطفى ، مظهر العلم والهدى لمن اصطفى ، المنادي بمعاشر المؤمنين ، اطابوا العلم ولو في الصين ، الذي نزلت عليه آية « وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » بلسان عربي مبين ، وعلى آله الاجداد الصالحين ، الذين شادوا معالم الدين ، ووطدوا أركان اليقين ، وباتوا غياث المتقين ، وعلى رأسهم سيدنا المرتضى أمير المؤمنين ، وفاطمة الزهراء سيدة الطاهرات وولديها الحسن والحسين ، والأئمة الهداة المعصومين ، اللهم فصل وسلم عليه وعلهم أجمعين ، واجعلنا لهديه وهدىهم متبعين ، وبجبه وحبهم صادقين ، ووفقنا بشفاعتهم الى خدمة العرب والمسلمين ، وأهلنا للنفع والانتفاع في الدنيا وفي الدين ، اللهم آمين

وبعد فيقول راجي النصر والتأييد ، من الملك العزيز المجيد ، خزععل ابن نصره الملك الحاج جابر خان السكعبي العامري ، اني بعد أن انصرفت الى العلم أطلبه على حد قولهم من المهدي الى الابد ، وأرجو من ورائه الوقوف على ما يمكن الوقوف عليه من الهداية والرشد ، فسكرت في قضاء خدنة عامة أنفع بها قومي العرب ، جامعة بين الحكمة والفكاهة و صنوف الفنون والادب ، دائرة حول الطباع النفسية ، والاحكام العقلية ، والسياسة الانسانية ، مما لا يستغني عنه الملك على عرشه ، والعالم وراء مكتبه ، والاديب في واسع مطلبه ، والتاجر في متجره ، والصانع في صناعته ، والزارع في



حقه ، والطفل في مدرسته ، واذ كنت أعلم أن الإنسان يرغب عن الجد في الهزل ، ولا ينصرف الى صرف العقليات الابعض من عقل ، وأن الاكثرين يميلون الى الفكاهات ، وينصرفون الى تلاوة القصص والحكايات ، حتى انصرف كتاب هذا العصر في أوروبا الى نشر العلوم والآداب في سلك الروايات ، تلافياً لاعراض العامة عن المنقيد ، ورغبة في نشر العلم بين السواد العديد ، وقد كان هذا شأن السلف الصالح من كتاب العرب ، فيما خلفوه لنا من شتات الكتب ، نعم ما فكرت بهذا أردت أن أحوهذا المنحى السديد ، وأسلك هذا المسلك الرشيد ، بكتابي هذا الذي وصف فيه البيانات العلمية ، مؤيدة بالشواهد والامثال الشعرية والنثرية ، والمنقولات الفكاهية ، المأثورة عن أسلافنا الصالحين الذين اشتهروا بالحضارة والمدنية ، وقد تساحت باضافة شيء من الاحماض فيه ، تسلياً لقارئه ، مع الاشارة الى أن النثر نجح في هذا العصر قد ساروا على طريق أسلافنا بالتصريح بمنزل هذا الاحماض ، بعد أن كانوا ينكرونه على أدباء العرب من قبل ويجهلون ما فيه من بعيد الاغراض ، وابدأ انتهت في فراغ الوقت من المهام ، وفي الساعات التي انتهزتها من مشاغل الاحكام ، وأنت تعلم ما الذي الرئاسة من المشاغل ، وما يعرض له من جلائل الحوائل ، مما يجعل البال في بلبال ، والفكر في اشتغال ، بين النظر في كشف المظالم عن العباد ، والاهتمام باسعاد البلاد ، وارضاء الله عز وجل فيما ناط به من أمر الناس ، وتوطيد أركان الملك بالعدل وهو لا خير أساس ، وسميته « الرياض الخزعية في السياسة الانسانية » فجمعت بتسميته بيني وبين الكتاب ، ليتذكرني بالخير طلاب العلوم والآداب ، واني لاسأل الله العزيز العليم أن يجعل في كتابي النفع لقارئه ، كما أتوقع منهم الرضاء بحسناته والاعضاء عن مساويه ، سبحانه على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير

فهذي رياضي اني قد غرستها يميني فليها بهن الااجسد  
هي عسر شتى وفيها مواظمة وفيها فكاهات وفيها فوائد

أقول وقد تم لهذا الكتاب طبع مجلديه الاولين في مصر في مطبعة هندية الشهيرة سنة ١٣٢١ هـ على يد أحد أعواننا المرحوم ميرزا عبد المجيد البهبهاني ، فنال المجلدان المشار اليهما حظ القبول من أرباب الذوق السليم ، من اخواننا الناطقين بالضاد ، وجعلوا يلحفون علينا بانجاز المجلدين التاليين ، وطبعهما ، فليدنا الطلب وأنجزنا العمل ، واذ كان المجلدان الاولان المطبوعان قد نداء ، أقررنا على طبع المجلدات الاربعة مرة واحدة بعد أن أعدنا النظر على المجلدين المطبوعين ، وسلمنا الكتاب بمجلداته الاربعة الى شاعرنا اليبيب ،

وتابعنا الحبيب النجيب ، عبد المسيح انطاكي بك صاحب جريدة الامران المصرية  
وأمرناه أن يقف على طبعه بنفسه ففعل وطبع الكتاب ووزعه هدية على الاخوان  
والاجباب ، وقد أرخ ولدنا المشار اليه تلك الطبعة بأبيات من الشعر تثبتها قال :

أنثر الحمد عطوراً بالازاهير الشذيه

وأنظم الشكر عقوداً بالاناشيد السنيه

لمليك قد تعالى في مآته الوضيه

وأمر قد تسمى في سجايه الرضيه

خزعل الشهم المفدى خير من ساس الرعيه

من به الاعراب باتت في مغازيها هنيه

غرست يمانه روضاً ذات أشجار زهيه

أزهرت أزهار نصح لم تزل حسناً زكيه

وأنجحت باليمن أرخ في معانيها غنيه

١٣٣٢ هجرية

وزعت أرخت حسناً الرياض الخزعليه

١٩١٤ مسيحيه

ثم عاد الناس الينا ما حين يطلب الكتاب المذكور ملحين عامينا باعادة طبعه فعدنا  
اليه منقحين مصححين وسامناه الى نابنا الامين الوفي عبد المسيح بك انطاكي المشار  
اليه اذ كان بين يدينا في العام الماضي « ١٣٣٩ » وأمرناه باعادة طبعه ونشره تلبية  
لطالبيه والله المسئول أن ينفع به قارئيه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الاخيار  
ماتلآت في الرياض الازهار

خزعل

عن قصرنا في الكمالية في غرة محرم الحرام سنة ١٣٤٠ هجرية



# الخزعية

## ﴿ المورد الاول ﴾

### ﴿ في الطبائع الانسانية ﴾

« وهذا المورد يشتمل على مقدمة وثلاث رياض وخاتمة »

المقدمة - في حقيقة النفس من حيث هي وبيان الطبائع بشكل اجمالي  
 الروضة الاولى - فيما يختص بالقوة الشهوية  
 الروضة الثانية - فيما يختص بالقوة الغضبية  
 الروضة الثالثة - فيما يختص بالقوة الروحية  
 الخاتمة - في بيان امرين : اولهما فيما يعم النفس البشرية ولا اختصاص له بقوة من القوى الثلاثية . والثاني في بيان ما يؤثر في نفس الانسان وهي امور سبعة ستأتي مفصلة ان شاء الله

### ﴿ المقدمة ﴾

في الحديث المشهور « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وقد ذكر المحققون في معناه وجوهاً وكلها وجهة الا أن الذي يترلق به غرضنا منها وجهان اولهما ان النفس محرّكة للبدن ومدبرة له فاذا كان هذا البناء الحمير يحتاج الى مدبر ومحرك فكيف لا يحتاج اليه عالم الكون فتكون معرفة النفس من الدلائل الموصلة الى معرفة الله عزّ وجلّ ولعله قسم دليل الافاق في قوله تعالى « في الافاق وفي أنفسهم » وأما الوجه الثاني فهو ان من عرف ان له نفساً واحدة وانه لو كان معها غيرها لازمه الفساد في تدبير بدنه علم ان مدبر هذا الوجود واحد هو الله الاحد « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » : وقد قلنا في هذا المعنى :

ويدبر الاجسام أنفسها ولو لا النفس ضلّ الجسم عن طرق الهدى  
 ان كان للجسم الضليل مدبرٌ هادٍ فكيف الحال في هذا المدى  
 ووجود هذي النفس اصدق مخبرٍ لوجود ربّ حقّ أن يتمجدا  
 آمن ربّك ثمّ بالنفس التي وُجدت لتبقي للمعاد وتخلدها

## « وحدة النفس »

ولقد اختلف الفلاسفة في النفس فقال بعضهم : انها وحدة بالذات ولها أفعال ثلاثة الفكر والغضب والشهوة . وقال آخرون : بل ان هذه هي ثلاثة أنفس وكل واحدة منها مستقلة بنفسها تعمل عملها ولهم في ذلك أقوال مأثورة

زعم ارسطاليس : ان النفس واحدة ولها ثلاث صفات هي الفكر والغضب والشهوة وان القلب هو الصلة بين النفس وسائر الاعضاء ينقل القوى النفسانية منها واليها وقال بقراط وتبعه أنطاطون وجالينوس : ان للجسم ثلاث أنفس وكل واحدة مستقلة بنفسها تعمل عملها وزعموا : ان لكل واحدة من هذه الانفس الثلاثة عضواً تحل فيه فالنفس المفكرة تستقر في الدماغ والنفس الغضبية متمررها الغلب والنفس الشهوانية محلها الكبد . ووجهتهم في قولهم هذا هر انهم وجدوا النفس الشهوانية في النباتات دون الغضبية والغضبية في الحيوان دون النطقية والانسان فقد وجدوا الانفس الثلاثة مجتمعة وعلى هذا الاستدلال قالوا : ان لكل واحدة من هذه الانفس الثلاثة جهر مستقل بفره منفرد بذاته .

هذا ما ذهب اليه هؤلاء الفلاسفة على أن نقضه من الهنات الهينات فقد ثبت في أصول المعقولات ان الماهيات المختصة بمجرزاشتراكها في آثار متساوية وعلى هذه القاعدة يجزر أن تكون النفس الانسانية مساوية للنفس البهيمية في فعل الغضب وللنفس انبائية في فعل التغذي والنمى وهي فوق ذلك متميزة دون سائر الانفس بالطق نهي واحدة بالذات الا أنها مبدأ الافعال الثلاثة الشهوة والغضب والنطق على ما قال ارسطاليس وهر ما قره القرآن العزيز والحديث الصادق والخمار عند أصحابنا

« ماهي النفس ؟ ؟ »

ان النفس هي الجهر الملائكي الروحاني الذي يستخدم هذا البدن الجهماني في حاجاته مسخراً له تسخير المولى لخدمه . بل هي ذات الانسان وحقيقته العاملة بالمعلومات ولها في هذا البدن جنود جسمانية وجنود روحانية هي القوى . قال الله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ ؟ »

وقد يسمى هذا الجوهر الملائكي الروحاني « روحاً » لتوقف حياة البدن عليه « وقلباً » لتقلبه في الخواطر

وتوصف النفس باوصاف مختلفة حسب اختلاف أحوالها . فإذا سكنت تحت

الاورام والنواهي سميت مطمئنة . قال الله تعالى « يا أيها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية »

واذا لم يتمّ سكون النفس وصارت مدافعة للشهوة والغضب سميت لوامة قال سبحانه « ان النفس لامارة بالسوء »  
« شوائب النفس الانسانية »

ولقد اصطحب النفس الانسانية بمعامل تركيب جسم الانسان وخلقته أربع شوائب أولاً - السبعية فان الانسان من حيث تسلط الغضب عليه يتأطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بضرور الابداء  
والثانية - البهيمية فان الانسان من حيث تسلط الشهوة عليه يتعاطى أعمال البهائم من الشره والحرص والشبق ونحو ذلك

والثالثة - الربانية فان الانسان من حيث في نفسه أمر رباني كما قال تعالى « قل الروح من أمر ربي » فقد يتماهى بالغرور حتى يدعي الربوبية أو ماهر بمعناها من حب الاستيلاء والتعالي والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالحرية والتخلص من رتبة الجبرودية والتواضع وتمني الاطلاع على العلوم كلها بل ويدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بمحتائق الامور والاستيلاء قهراً على جميع الخلق وكل هذا من أوصاف ومميزات الربوبية .

والرابعة - الشيطانية فان الانسان من حيث أنه يمتاز عن البهائم والفكر مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه الصفات الشيطانية فصار شريراً يستعمل ذكاه في استنباط وجبه الحيل . ويتوصل لاغراضه بالكر والحداق واطهار الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشيطان . وكل انسان فيه أثر من هذه الشوائب الاربعة التي سنفسها ونوضح معانيها باخبار وأمثال وقصص كما سترى  
« في الاحوال النفسية »

ثبت لدى أهل الدراية والذكاه ان الانسان وان كان نوعاً من الحيوان فهو العالم الاصغر فان الله سبحانه خلق خلقه على أرقى مثال وجعل فيه من القوى المختلفة والاخلاق المتناسبة والشهوات الغالبة ما يقتضي خروجه في أكثر الاوقات عن الاستمرار على حالة واحدة .

ألا ترى الانسان اذا ما رأى نفسه متمكناً في الارض مستغنياً عن العبد تظهر عليه



دلائل الطغيان ومخائل الخيلاء والتجبر والكبرياء كما جاء في القرآن الكريم « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وقلنا في ذلك :

عجبت لمن يطغى اذا شعر الغنى عن الناس أو ان نال من دهره المنى  
واسفه هذا الخلق من ساء خلقه اذا فاز بالعلياء أو سمع الثنا  
على أن هذا الانسان الذي يطغى اذا ما استغنى سرعان ما تظهر عليه دلائل الضعف  
والاستكانة اذا رأى في نفسه ضعفاً وفي حاله عجزاً كما قال الله تعالى « وخلق الانسان  
ضعيفاً » وقد قلنا في ذلك :

أنظر لرب العنقوان وقد عرتنه نكبة في الجسم أو في المال  
فاذا هو الرجل الضعيف وقد أطاع قواهر الاقدار بالاذلال  
أما اذا رأى الانسان في عقله رزانه وفي رأيه سداداً وفي فكره يقظة خدعته  
مواقع تدبيره وقد توقعه افكاره في الوسوس والتقديرات وتلقيه أوهامه في أودية  
الخيالات والتصورات لاستعمال المخادعات وفي مثل هذا قاله الله جل جلاله « ولقد خلقنا  
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه » وقلنا في ذلك :

وكم خادع للنفس في قوة الذكا وحسن سداد الرأي قدخاب حدسه  
وخالقه أدري بباطن أمره وظاهره أو ما توسوس نفسه  
أما اذا رأى الانسان في نفسه المعجز عن تكميل اراداته وتخوفه من خيبة آماله  
تظهر عليه مخائل التفتيش فتسرع به الى التلبس بالامور قبل تحين تمامها وتحمله على  
مباشرة الاشياء قبل ابرامها . وبهذا الاعتبار قال الله سبحانه : « خلق الانسان من عجل »  
وقلنا في ذلك :

وما خاب من يسعى لادراك سؤله بحزم اذا ما كان يسعى على مهل  
ولكن يخيب المرء في كل مبتغى اذا ما ارتجى نيل الاماني على عجل  
وباعتبار هذه الاسباب والقوى يكون الانسان في حالات متضادة من سرور وحزن  
وانبساط وانتباض ويأس وأمل وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه  
الى بيان ما عاياه الانسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذي قدمناه  
فقال : « أعجب ما في الانسان قلبه ، له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها ، ان  
سمح له لرجاء أذاه الطمع ، وان هاج به الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعف به الرضاء  
نسي التحفظ ، وان ناله الخوف نهضه الجزع ، وان استفاد مالا أطفاه الغنى ، وان

عضته الفاقة شغله الفقر ، وان جهده الجوع أقعده الضعف ، وان أفرط بالشبع كظته البطنة ، وكل تقصير به مضر ، وكل انراط له مفسد « وحسبنا في قول أمير المؤمنين هذا برهاناً على صحة ما ذكرناه من استعداد النفس البشرية لانواع الاخلاق والشيم خيرها وشرها. وقد جعل الله سبحانه لسكل صفة منها سبباً يحدثها وموجباً يقتضيها . مما ستقف على تفصيله قريباً ان شاء الله

« الملكات النفسية »

الخلق ملكة مصاحبة للنفس تستصدر أفعالها بلا تفكر وروية . وفي الحكمة النظرية ان الكيفيات النفسانية منها ما هو سريع الزوال ويسمونه حالاً ومنها ما هو بطيء الزوال ويسمونه ملكة

والملكة كيفية من الكيفيات النفسية وهي ماهية الخلق ويتسبب وجودها عن شيئين : أحدها طبيعي والأخر اعتيادي . أما الملكة الطبيعية فهي تتجم عن أصل المزاج الشخصي وتكون كامنة في صاحبها الى ان يظهرها ما يعرض لها من الاحوال فاذا حصل سبب يحرك غضب الغضوب مثلاً ظهرت ملكة الغضب فيه أو اذا سمع الضعيف خبراً مكروهاً ظهر عليه الخوف ، وأما الملكة الاعتيادية فهي ما يكتسبها الانسان بالعادة والمزاولة فتكون باديء بدء اختيارية ثم تصبح قهرية كاعتياد التدخين والسكر والميسر في الشرّ واعتياد الصلاة والعفاف والنزاهة في الخير وقس عليه . فولى الانسان أن يعتاد الخير ويكثر منه وينفر من الشرّ ويتعد عنه والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينظم

### ﴿ الروضة الاولى ﴾

﴿ في الاخلاق المتعلقة بالقوة الشهوية ﴾

« بين العاجل والاجل »

من طبائع هذا الانسان حب العاجل وترجيحه على الاجل بصرف النظر عن الاصلح الانفع اذا ان النظر الى الاصلح الانفع راجع للعقل وهيئات أن يتغلب العقل على العواطف الا عند أرباب العقول النيرة والارادة الحازمة قال الله تعالى « كلاً بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة » وقال سبحانه ايضاً

« ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلاً » وقال أيضاً تبارك اسمه  
« فأعرض عن تولى غن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم » وفي  
شطرة لاحد الشعراء مقتبسة من الاية الاولى ( والنفس مولعة بحب العاجل ) ولقد  
ضمن شاعرنا الانطاكى هذه الشطرة بمعرض طلب أسداه الينا ذات يوم فقال :

عجبت لي كرمأً ببعض مطالي      وتركت بعضاً للزمان الاجل  
فلك الثناء على المعجل عاجلاً      نقداً بحمدٍ مستطابٍ شامل  
واذكر بما أجبت قول الله ا      ن النفس مولعة بحب العاجل

وقتنا في معرض غزل :

سألته الوصل قالت      ان كنت تهوى تمزج  
فقلت ينفذ صبري      من كل وعد يؤجج  
والخير أبقى اذا ما      قد كان نقداً معجج

وقال أحد الشعراء :

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا      ولا أراهم رضوا بالعيش بالدون

وما رضي هؤلاء الرجال بأدنى الدين ونفروا من العيش بالدون الا لحبهم العاجلة  
ونفرتهم من النعمة الاجلة . وأنت تعلم أن نعمة الدين وان كانت أهناً وأبقى الا انها  
مؤجلة وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على الاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة  
العواقب ولذلك قال الله تعالى « بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة تخيراً وأبقى الاية  
وهذا هو السبب في التمجيل بطلب ملاذ الدنيا والتسوين بالعمل الصالح ابتغاء الآخرة  
ومن أمثال ذلك والامثال تقرب الى الافهام ان من كان له ولدان غائبان ينتظر  
قدوم أحدهما في غده واثاني بعد شهر أو سنة فيستعدّ طبعاً للقاء القادم القريب ويسوّف  
الاستعداد للقاء القادم البعيد حيث ان الاستعداد يكون المنتظر القريب وليس المنتظر  
البعيد وكذلك من ينتظر زيارة حبيب أو كسب مال أو نيل جاه بعد قليل من الزمن  
يستعد له بكل قواه واما انتظار المرء للموت فهو انتظار بعيد يرجو أن لا يقرب أجله  
فلا يستعد له لانه يرى دائماً أبدأ لنفسه متسعاً عن دنو أجله فيؤخر العمل لما بعد  
الموت بطول أملة تأخيراً تدفعه اليه رغبته بالعاجلة ونفرتة من الاجلة

ومن ثمرات حب العاجلة الاصرار على الذنب وذلك لان اللذات الباعثة على الذنوب ناجزة  
معجّلة وهي أخذة بالخلق بحكم الاعتماد والعادة طبيعة خاسرة كما يقولون وقد قلنا في هذا المعنى :



أيها الراغب الملائذ تفكّر أيها عاجلاً تزول وترحل  
أما أئمةا يظل ويبقى بعدها مرصداً عليك مؤجلاً

ومما يقال في هذا الموضوع أيضاً أن العقاب الموعود به المذنبون غائب والنفس  
تتأثر بالخيف العاجل أكثر مما تتأثر بالخيف الأجل لما طبعتم عليه من سعة الأمل  
وتناسي الأجل

« ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل »

ومما جُبلت عليه النفوس طول الأمل وهو نتيجة حب العاجلة . والأمل خلق  
جُبلت عليه النفوس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يشيب المرء وتشيب  
معه خصلتان احرس وطول الأمل » فكان هاتين الخصلتين زدادان بنقص الانسان  
وتقويان بضعفه وقال أبو عثمان النهدي : ( قد أتت عليّ ثلاثون ومئة سنة وما من شيء  
الا وأجد فيه نقصاً الا الأمل فاني وجدته كما هو أو يزيد ) وقيل في الامثال : ( لولا  
الامل خاب العمل ) . والحكمة في ذلك أن الانسان يعمل وهو يجهل حسن النتيجة  
من وراء عمله ولكنه يؤمل بالنتيجة الحسنة ولولأمله لما أقدم على عمله وقتلنا في الامل :

ما أضيق العيش والايام متعبة الا انسان لو لم يرج فسحة الأمل

لو لم أوئل بفوزي في قضا وطري ما كنت أنشط في جهدي الى عمل

والامل في الانسان لا يتقيد بسبب ولو تقيد لضايق ذرعاً بحياته فهو من هذه الوجهة  
يمتاز عن الامنية التي لاتكون بدون سبب فالانسان مثلاً يؤمل بالآراء وان كان لا يرى  
سبباً موصلاً له وبطول الحياة حتى ولو كان عليلاً سقيماً ولكن لا يتمنى الآراء أو طول  
الحياة الا اذا وجد سبباً اليهما

والناس في الامال على مراتب فمنهم من يؤمل البقاء الى الهرم وهو أقصى العمر  
الذي يمهده لحرصه على البقاء ولو رأى من قبله من عاش الخلود لامل فيه وقد قال  
رسول الله صلى الله عليه وآله : ( الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وان التفت ررقواته  
من الكبر ) وهكذا حال أكثر الناس الا الذين اتقوا وقيل لهم

ومنهم من يؤمل العيش الى أجل معين فلا يهم بما ورائه على ان مثل هؤلاء  
يوسعون في آملهم يوماً بعد يوم وقليل مثل هؤلاء . والاقول من هؤلاء من يقصر آمله  
على يومه فلا يهم لعدده . وبالجملة فالامل لا ينتزع من البشر وان تفاوتت مراتبه في النفوس  
على حسب قوة الايمان وضمفه وزيادة عقله ونصه وأما اليأس نيدعوا الى أسوأ النتائج

وأخرها الاتجار ولذلك حرمت الأديان بأجمعها اليأس وعدته من نتائج الكفر والعياذ بالله والامل ثمرات ونتائج منها انه سبب العمران قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ( الأمل رحمة لامتي لولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجيراً ) وقال حكيم : « لو عقل الناس وتصوروا الميرت بصورته خربت الدنيا ولولا ان الآخر يرتفق بما أنشأه الاول حتى يصير به مستفنياً لافتقر أهل كل عصر الى انشاء ما يحتاجون اليه من منازل السكنى وأراضي الحرث واغراس الزرع وفي ذلك من الاعواز وتعذر الامكان مالا خفاء فيه » فلذلك أرفق الله تعالى خلقه باتساع الامال حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها وصارت تنتقل بعمرانها قرناً بعد قرن فيتم الثاني ما أبقاه الاول من عمارتها ويتم الثالث ما أحدثه الثاني من شعها لتكبرن أحراها بيدي الاعصار ملتئمة وأمورها على عمر الدهور منتظمة ولو قصرت الال ما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدى ضرورة وقته ولكانت تنتقل الى سن بعده بأسوأ من ذلك حالاً حتى لا ينمو بهانبت ولا يمكن فيها لبث

ومنها خراب الآخرة قال أمير المؤمنين عليه السلام : ( من أطال الأمل أساء العمل ) وسببه التسويف الذي هو نتيجة الامل فيبدأ بالسيئة حباً بملأه قبل الحسنة اغتراراً بالأمل في اماله ورجاء تلافى ماسلف من تقصيره واخلاقه فلا ينتهي به الامل الى غابة ولا يفضي به الى نهاية فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : ( من يؤمل أن يعيش غداً فانه يؤمل أن يعيش أبداً ) وامرئ هذا هو الحق الصراح لان لكل يوم غداً فالأمل يفضي به الأمل الى الفوت من غير درك ويؤدي به الرجاء الى الاهمال مزه غير تلاف فيصبح الامل خيبة والرجاء يأساً وذكر الحلبي في البحار عن ثعلبة عن معمر قال قلت لابي جعفر : ما بال الناس يمقلون ولا يعلمون . قال : ان الله تبارك وتعالى حين خلق آدم جعل أجله بين عينيه وأمله خلف ظهره فلما أصاب الخطيئة جعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره فمن ثم يمقلون ولا يعلمون . أقول : ومراد السائل بالعقل عقل المعاش وتدبير أمور الدنيا فكأنه يتمول ما بال الناس في أمر دنياهم عقلاء لا يفوتون شيئاً وفي أمر آخرتهم سفهاء لا يعلمون شيئاً والجواب على ذلك هو ان السبب نسيان الميرت أو تناسيه بدافع طول الأمل بحيث يترك الانسان ما ينفعه بماده ويقصر همته على تحصيل معاشه ومهمة أمور دنياه لكانها نصب عينيه دائماً ومن ثم ينجم الحرص على الدنيا وحب المال والاحتفاظ به والعمل على تدميته علم ما سيجي

ومما جُلبت عليه النفوس بطبيعتها حب المال قال الله تعالى : « وانه لحب الخير لشديد ويحبون المال حباً جماً » ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات العاجلة التي لا وصرل اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بمد يوم أو أسبوع أو سنة قصر أمله في وجود بماله بعد أن يدخر لنفسه ما يكفيه ليرمه أو أسبوعه أو سنته ولكن من من الناس يعتبر ويقنع بدنو أجله حتى ولو كان مدنفاً على فراش الموت ؟ وفوق هذا فان الانسان لطعمه بالخاود وعجزه عن نيته ينزل ولده من نفسه منزلة الخلود ويحسب انه يخلد بهم ولذلك ايضن بماله. هما كان كثيراً وان وجد عمره قصيراً ليورثه الى عقبه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ( الولد مبخلة بمخلة مجهله ) واذا أضفنا ان هذا وذاك ما هو متأصل بالاكثرين من صنوف الفقر وقلة الثقة بالارتزاق قوي البخل في الانسان لا عالة خلافاً لمن أح من الظن بالله وأيقن بالخلف العتيد. قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من أيقن بالخلف جاد بالطية » اذ ان من يوقن بالخلف يعلم ان الجود شرف لصاحبه وان الجواد محمود عند الناس وعند الله حيث يجد من تنسه الداعي الى السماح ولا صارف له عنه لعله ان مادته داعة وعلى ذلك يجود بالطية وهو مسرور منشريح الصدر وفي ذلك قلنا من تبيل « وتحدوا بنتم ربكم » :

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| من بات يوقن ان الله رازقه      | يوماً ييوم لا يعطى المال عن كرم  |
| والبخل من شيم المأبوس بمسك ا   | في كفه. خوف أن يمسي أفا عدم      |
| لا كنت ان كنت لأولي العطاء لمن | يمسي الي وليس البخل من شيخي      |
| والله برزقي مادته أرزق من      | يرجو نوالي ورزق الناس بالقسم (١) |

(١) والسبب الذي نظم فيه عظمة مولانا المراد اقدس حفظه الله هذه الايات هو ان عظامه كان مرعاً في الاهراراز يتفقد بكرهه رعاية الخاضعين واذا باعراي وفند عظامه في صدره يخمخ بحب به روساء تبايله وكرام حاشيته وعند ماوتت تبتناه على ولي الزم أنشد :

|                              |                                 |
|------------------------------|---------------------------------|
| مولاي رزقي عليك اليوم أطبه   | حقاً صريحاً فخذ لي وارتب الله   |
| وانت أكرم من تسعى العناية له | فلم تدع صامحاً من دهره آها      |
| واهاً لدهري ولكن بعد زورة مر | لانا المعز فلا آها ولا واها     |
| اني لأطع أن أجنبي بفضلك ما   | يحيي العيال فأجني المال والجاها |

فسر مولانا هذا الاعرابي وتلفظه بمسئلته وأولاه ما فوق أماله وأنشد بعد ذلك تلك الأبيات الأبيات التي يحق أن يقال فيها كلام الملوك ملوك السلام



ولله در الشاعر الذي يقول :

من ظن بالله خيراً جاد مبتدئاً والبخل من سوء ظن المرء بالله

والسبب الثاني حب المال لنفسه فمن الناس من يقني ما فوق حاجته بل ما يكفيه لو عاش الخلود وليس له ولد يرثه ومع ذلك يتمتر على نفسه في مفاشه ولا يوجد بقليل من ماله وهو يعرف يقيناً أنه مائت لا محالة وان ما بين يديه سيصير الى الوارثين نيبيدونه تبديداً فان مثل هذا البخيل الشحيح الذي لا تسبح نفسه بصرف قليل من ماله في مصالح دنياه وآخرته حتى ولا في سبيل مداواته اذا اعتل لا يفسر حرصه بأكثر من انه لنفس ماله . ولذته أن في صناديقه القناطير المقنطرة من النضار أو انه يملك الكثير من النخيل والعقار وما مثل هذا الا مثل عاشق اشتغل عن الحبيب برسول الحبيب اذ أن المال للانسان رسول يبلغ به حاجاته من دنياه وأخرى ولذلك هام به وجد في سبيل كسبه ولولا انه كذلك لما فرق الناس بين الذهب والفضة وغيرها من المادن التي لا قيمة لها .

وحب المال مما لا يخلو منه أحد وهذا الحب قد يسكن ويكمن في النفس وقد يهيج ويظهر تبعاً امروض به عن الاسباب فن حيلة الاسباب المسببة لهيج هنا الحب مشاعرة أهل النعمة في ترفهم بشاهدها المحروم المدموم قتيح في صدره عاطفة الحب لا ال فينداع نارها في نفسه فيتنبه لأم الحرمان الذي كان غافلاً عنه ومنه تأتي الفرضى التي نسمع بأنبأ السرداء في بلاد الغرب حيث يتمل الفقراء الاغنياء وتكثر حوادث الانتحار لدى المعسرين وهذا نادر في الشرق حيث الناس على خشونة من العيش والاعنياء يكثر فيهم الكرم فيشاركون بأموالهم المترين

ولا يذو من حب المال الا أهل القناعة ممن عصمهم الله من أوليائه الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً حيث انه من مقتضيات الطبيعة البشرية والهواجس النفسية حب الذات والرغبة في اللذات وقد قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في وصف الدنيا وحب الانسان لها : « فهو عبد لها (للدنيا) ولمن في يديه شيء منها فحيثما زالت زال عنها وحيثما أقبلت أقبل عليها » وأخذ هذا المعنى ابن دريد فقال :

عبيد ذي المال وان لم يطعموا من ماله في نعته تشفي الصدى  
وهم لمن أملق أعداءه وان شاركهم فيما أفاد وحوى  
وقال أحد الشعراء في هذا المعنى :

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها فكيفها انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أبا الدنيا فان وثبت يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا  
وقلنا في هذا الموضوع :

ترى الناس قد هموا بذي المال واثنوا لاكرامه من غير قائدة تجني  
كأنني بهم مثل الزمان بأهله يسرون بالدنيا لمن معه الدنيا  
وقال شاعرنا الانطاكي :

عبد الناس ذوي المال فان مرّ فيهم موسرٌ شقوا الطريق  
ليت شعري هل دروا أن الذي عبده في الاهانات حقيق  
أما يُكْرَم من أهل الغنى كلُّ شهمٍ محسنٍ ندبٍ شفيق  
يبدل المال بجدٍ وسخا فينال الحمد كالمسك الفتيق

وقالت العرب في امثالهم : « من ذهب ماله هان على اهله » وانما الامثال حكمة الشعوب  
فكم نرى غنياً والناس حوله اذا مئني بالنقر ارفضوا من حوله ونسوه ان لم يطرده ويهينوه  
وذكروا أن موسراً يوماً على عالم زاهد فنهض هذا اجلالاً له فقيل أكان لك به  
حاجة ؟ فقال لا والله واكفي رأيت المال فتهيبت

هذا وان من ثمرات حب المال ونتائج الشح عليه والبخل به والحرص عليه اذا  
وجد والشوق اليه ان كان مفقوداً كل ذلك لحاجة الانسان اليه ولاستكمال راحته به

« في الشح »

ومما جُبلت عليه النفوس البهيمية الشح لقوله تعالى « وأحضرت الانفس الشح »  
أي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه والشح هو أن يرى الانسان القليل من الاتفاق اسرافاً  
وما ينفقه على حاجياته التي لا بد له منها لقوام حياته اتلافاً والشح يزيد وينقص وقد ينتهي  
في بعض الناس الى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال فلا يسخر  
بالقليل منه لكرمه أو لغذائه أو لمداواته وهر عليل الى أن ينتهي به بخله هذا الى الموت  
فيجود بحياته حرصاً على ماله ؟؟ وكم من الناس من يشتهي أنواع الشهوات فلا يمتعه  
عنها الا الحرص على ماله حتى اذا ظفر به مجاناً ما عاف عنها

ومن ثمرات البخل التقاطع والتدابر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اياكم والشح  
فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سنكروا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم  
فقطعوا أرحامهم » وقال أيضاً عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « تهادوا تحابوا » وفي  
هذين الحديثين الشريفين العبرة البالغة للاشحاء لو كانوا يعتبرون وقال بعض الحكماء :

« جود الرجل يحببه الى أزداده وبخله يبغضه الى أولاده » وهذا ما نشاهده عياناً في كل يوم فكم من كريم تكاد الناس تعبدته بتبجيلاً وحباً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وتكاد النفس تعبد من أحسن إليها » وكم من أولاد يبنضون آباءهم لشحهم ويتمنون لهم الموت والهلاك بل إن بعضاً من أولاد الأشحاء يعملون على اهلاك آباءهم للتخاض من شحهم والله درّ ابن عبد القدوس حيث يقول :

ويظهر عيب المرء في الناس ببخله      ويستره عنهم جميعاً سخاؤه  
تغطي بثوب من سخاء فاني      أرى كل عيب فالسقاء غطاؤه  
وقال شاعرنا الانطاكي :

الجود يدفع بالكريم لان يكون      ن محبباً تالله من أزداده  
والبخل يجعل للبخل كراهة      ممزوجة بالبعض من أولاده  
وقلنا في هذا المعنى :

ان السخي بماله لقد اشترى الا      حرار اذا أمسوا عبيد نواله  
لكننا القدم البخل يبخله      قد باع في الاسواق حب عياله  
والشح يكسب صاحبه مذموم الاخلاق اذ يكون الشحيح كذوباً ومملقاً ووضعاً  
بين أمثاله وعشرائه كما قيل في الامثال ( عز مالك عز مالك وذل مالك ذل مالك ) وحسبنا  
بهذا الان وسنعود اليه

« التشوق الى المال »

ومما حُببت عليه النفوس التصبي الى المال والشره له أما التصبي فهو شدة الكدح والاسراف في طلب المال وكسبه قال رسول الله صلى الله عليه وآله ( لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ) وأما الشره فهو استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة وهذا هو الفرق بين التصبي والشره وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : ( من لا يجزيه من العيش ما يكفيه لم يجد من العيش ما يفييه ) وأخذ هذا المعنى شاعرنا الانطاكي فقال :

من ليس يجزيه من العيش القليل تعففاً ورضى بما يكفيه  
فلعمر ربك ملك كمرى كله لو كان في كفيه لا يفييه

وقال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام : ( من هو مان لا يشبعان طالب علم وطالب مال )  
ونقول ولكن شتان بين النهم بالعلم من حيث صاحبه يستفيد ويفيد والنهم بالمال وصاحبه



يضر نفسه وسواه وفي خبر عنه عليه السلام انه قال : ( طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً ) وكان يقال : ( الناس رجال ن طالب لا يجدون واحداً لا يكتفي ) أخذهُ الشاعر فقال :

وما الناس الا واحدٌ غير قانعٍ بارزاقه أو طالبٌ غير واحد

وقننا في تضمين هذا البيت :

علام تنسني العمر سعيًا بلا وني  
فهل أنت الامانة وابن مانت  
( وما الناس الا واحدٌ غير قانع )  
فكن قانعاً فيما اكتسبت من الغني  
وللنفس حقٌ لاتضعه بطمعٍ  
ورا المسال لاتعني بملقى الشدائد  
سختي متى تعني عناية خالد  
بارزاقه أو طالبٌ غير واحد )  
ويكفيك كي تحيا بعيشة راغد  
قييح فتعني عرضة للشدائد

وقال بعض العلماء : ( لا تخرج نفس من الدنيا الا وصاحبها بحسرات ثلاث : انه لم

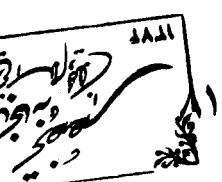
يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد ما هو قادم عليه ) ونعم القول قوله وبالجملة فالشره بالمال والتصبي الى جمعه من الغرائز الطبيعية اللازمة لبقاء الانسان وهاتان الخلتان تقويان في كل من غابت عليهم القوة البهيمية قال أمير المؤمنين عليه السلام : ( احسانك الى الحرير كعلى الكاظمة ، واحسانك الى النذل يجر كعلى معاودة المسئلة ، وبه يعلم الكريم من اللثيم ) وقال في ذلك أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته  
وإن أنت أكرمت اللثيم تمردا  
ووضع الندى في موضع السيف في العلى  
مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقد جاء في القرآن الشريف عن الشره قوله تعالى : ( وقالوا يا موسى لن نصبر على

طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقتانها ) الاية والشره لا حد له ألا ترى الفقير المعدم يتمنى أن يرى في يده ديناراً ؟ فاذا بلغ أمنيته طمع بعشرة دنانير ، فاذا انتهت اليه صبت نفسه الى المئة والالف وهم جراً ، وهو بينما كان يتمنى أن يستر عورته ، ويشبع كرشه الخاوي ، بما تيسر ، أصبح ولا يرضى بغير الديباج كساءً ، والفالودج طعاماً ، والقصور الشامخاً واه ، والخيول المطهمة لركوبه ، ما لم يكن يطمع به من قبل ، عند ما كان يتمنى على الله كسب الدينار الواحد ، وهكذا يقع الشره في هاوية آخرها عمق جهنم . وما أحسن ما قيل :

تموت مع المرء حاجاته وحاجات من عاش لاتنهي



﴿ الرياض الخزعلية ﴾

وقال آخر :

والنفس كالطفل ان تطعمه شبَّ على حبِّ الرضاع وان تفضمه ينظم

وقال ثالث :

متى تنقضي حاجات من ليس بالغاً الى حاجةٍ حتى تكون له أخرى

وقال رابع :

زروح وتعدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لاتنقضي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وقلنا في هذا المعنى :

أرى الناس والحاجات لاتنهي لهم كأنهم أهل الخلود بندي الدنيا

فهل علموا أن الفناء مصيرهم وآمالهم يفنون فيها ولا تبقى

وقال شاعرنا الانطاكي :

وآمالنا لاتنقضي ان نعمر الخلود ونسعى باجتهادٍ لاجلها

فكيف بنا والعمر اقصر ما نرى ونقضي ولم نبلغ منال أفلها

هي النفس لم تعقل وكان طموحها وأطماعها الكبرى نتائج جهلها

وقد علم مما ذكرناه أن الحرص والشرة هما الفقر الحاضر لان معنى الفقر هو الاحتياج

ولذلك قيل ( ان الله هو الغني المطلق ) فاذا كان الحرص فقراً فالقناعة غنى وقد قال

في ذلك وأجاد مبتدي الشعراء :

وهـن يقطع الايام في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقيل لبعض الحكماء ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ، ورضاك بما يكفيك . ومن أمثال العرب

( وما غلب الايام الامن رضي ) ومن امثالهم الشعرية :

والعيش لا عيش الا ما قنعت به قد يكثر المال والانسان مقتدر

وقيل ونعم ما قيل : ( استغناؤك عن الشيء اذا عدم ، مثل استغنائك به اذا حضر )

وقال الشاعر :

ما كل ما فوق البسيطة كافياً فأذا قنعت فكلُّ شيء كافي

وقلنا في هذا المعنى :

اذا رمت أن تحيا سعيداً فلا تكن طموحاً وحاذر من معاندة الدهر

وكن راضياً عما به أنت ظافر من العيش رضواناً به رغد لعمر

وقال امير المؤمنين عليه السلام : ( الزهد روة ) وهذا حق لان الثروة هي ما استغنى به الانسان عن الناس ولا غنى عنهم كالزهد في دنياهم فالزهد والقناعة على الحقيقة هما الغنى الاكبر وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل ( فلنجينه حياة طيبة ) فقال عليه السلام : ان الحياة الطيبة هي القناعة ولا ريب ان الحياة هي حياة الغنى وقد بينا ان الغنى هو القناعة لانه اذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلهم حاجة الى الناس والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله : ( ليس الغنى بكثرة العروض انما الغنى غنى النفس ) وقال الشاعر :

غنى النفس ما يكفيك عن سدّ خلةٍ      فان زاد شيءٌ عاد ذاك الغنى فقرا  
وقال شاعرنا الانطاكي :

اذا رضيت بحال أنت واجدها      وما نظرت الى ما فوقها أبدا  
أنت الغني وما أنت الفقير ولو      لم تلق عندك الا عيشك الرخدا

« الحرص على الممتع »

ومما جُبلت ليه النفوس الحرص على الممتع وقيل : النهي عن الشيء داع الى تعاطيه وفي الامثال « المرء حريص على ما منع » ويستدل على هذا الحرص بفعل آدم وحواء لما نهيها عن أكل الشجرة . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لو منع الناس عن فت البعر لقتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء » وقال بعض العلماء « اذا ورد من الشارع نهي عن شيء كان داعياً الى تعاطيه » وفي الامثال « الشيء يرغب فيه حين يتمتع » وقد أخذ شاعرنا الانطاكي هذا المعنى فقال :

لقد صوبت لبنت الحان أشربها      من دنسها لست بالكاسات أقتنع  
وما بها لذّةٌ تحلو ومنفعةٌ      تُرجى سوى اني أضوى فاضجع  
شربتها رغبةً في كل ممتعٍ      والشيء يُرغب فيه حين يتمتع

وقال بعض الشعراء :

منعت شيئاً فأكثر الولوع به      أحب شيءٍ الى الانسان ما مُنعا

وذكر ابن الجوزي في كتابه الاذكياء قال قدمت على عمر بن الخطاب حائل من اليمن فقسّمها بين الناس فرأى فيها حلة رديئة فقال كيف أضنع بهذه اذا أعطيتها أحداً لم يقبلها لئيمها قال فأخذها وطأها وحملها تحت مجاسه وأخرج طرفها ووضع الحبل بين يديه فجعل يقسم بين الناس قال فدخل الزبير بن العوام وهو على تلك الحال فجعل ينظر الى



تلك الحلة فقال له ما هذه الحلة ؟ قال عمر دع هذه عنك قال ماهيه ماهيه ما شأنها؟ قال دعها عنك قال فاعطينها قال انك لا ترضاها قال بلى قد رضيتها فلما توثق منه واشترط عليه أن يقبلها ولا يردّها رمى بها اليه فلما أخذها الزبير ونظر اليها اذا هي رديئة فقال لا أريدها فقال عمر هيات هي نصيبك

والخلاصة أن الحرص على الممنوع من الطباع اللازمة للنفس وهي في النساء أشدّ وكان يقال ما نهيت امرأة عن شيء إلا آتته وفي هذا المعنى يقول طفيل الغنوي :

أن النساء كاشجار نبتن معاً هن المرار وبعض المرّ ما كول  
ان النساء متى ينهين عن خلق فانه واجب لا بد مفصول

ولهذا الحكم علة في العالم العقلي وذلك ان النفس عندهم غنية بذاتها مكتفية بنفسها غير محتاجة الى شيء خارج عنها وإنما عرضت لها الحاجة والفقر لما قارنت الهوى وذلك أن أمر الهوى بالضد من أمر النفس في الفقر والحاجة ولما كان الانسان مركباً من النفس والهوى عرض له الشوق الى تحصيل العلوم والمقتنيات لاقتفائه بهما والتناذة بمحصولهما فاما العلوم فانه يحصلها في شبيه بالخزانه له يرجع اليه متى شاء ويستخرج منه ما أراد أعني أن القوى النفسية هي محل الصور والمعاني التي تدرك على ما هو مذكور في موضعه وأما القينات والمحسوسات فانه يروم منها مثلما يروم من تلك على انه يريد ايضاً ان يودعها خزانه محسوسة خارجة عن ذاته وهذا ما أوجب له الحرص

وأما حرص الانسان على ما منع فهو لانه انما يطلب ما ليس عنده وأما ما هو حاصل عليه فلا ضرورة للسمي اليه وهكذا بطبيعة الحال يتوجه الى المعدوم لايجادها فاذا حصل عليه سكنت شهوته وعلم أنه قد اذّخره ومتى رجع اليه وجدّه ( ان كان مما يبقى بالذات ) وقد لا يرجع اليه لاطمئنانه من حصوله عليه على انه لا بدّ من أن يشغل نفسه بشيء آخر مفقود ليحصل عليه ايضاً ويظنّ هذا رأيه بعامل الطمع الغريزي في نفسه

هذا وأما المبتذل والرخيص والكثير الوجود فمما يرغب الناس عنه لسهولة الحصول عليه حيث يعلم كل انسان أنه يجد ذلك الشيء عند ما يلتمسه وانما يرضن بالضنين . وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من وثق بمساء لم يظمأ » يريد بذلك الظمأ الذي يكون عند شعور الانسان بفقد الماء وعدم الثقة بالحصول عليه وليس يريد النفي المطلق حيث الوثائق بمساء يظمأ ويرتوي ومثل هذا قول أبو الطيب المنبي :

وما صحابة مشتاق علي أمل من اللقاء كمشاق بلا أمل

وقلنا في هذا المعنى :

لا عيش الا لمن آماله كثرت والموت غاية ما يوس من الامل  
لولا التعلل بالامل لاتحجر المحروم من خيبة المسعى على عجل  
والصحيح هو أن الانسان يحبب الامل ويقتله اليأس ولذلك كثرت آمال الناس حتى  
اصبحوا منها في وسواس

ونرجع الى مسألة الرغبة بالمنوع فترى المرء قد يقضي يومه طياً ومن غير سحور  
فلا يهتم اطعام ولا يشكر من أوام على أنه وهو صائم ممنوع عن الاكل والشرب يكون  
شديد الرغبة فيها ينتظر غروب الشمس بسأم وضجر وفروغ صبر وما ذلك الا لانه  
ممنوع عن الشيء فيشتهيه وكذلك يقال عن الانسان في شهراته الاخرى التي يزهدها فيها  
وهي ميسرة له ويشتهيها وهي متعذرة عليه ممنوعة عنه وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام :  
« اذا كثرت القدرة قلت الشهوة » والسبب في ذلك هو ما قدمناه ولان القليل القدرة  
على ما يشتهي لا تزال تحدته الشهوة ببئيل اهو محروم منه لعدم تمته بنواله وتأ كده  
من فواته فيكون ذلك الحرف معاقباً لذاته به فلا تزال في قلبه دغدغة نفسانية تحمله  
على مشتهاه وتبمث شهوته عليه أما اذا تمت قدرته عليه فانه يأن قوته فيضف الباءت  
لشهوته ويزهدها فيه ومن ذلك قيل لاعرابي كان يتعشق قينة وقد برح به هواها ما  
يضرك لو اشتريتها بمحض ما تنفق في سبيل هواها ؟ . فقال فن لي بلذة الجلسة ولقاء  
المسارقة وانتال المرعد وتمثل بقوله في الامثال (تمني أشهى لك ) وهذا المثل  
يضر بالكميرات الابتذال القليلات الدلال وأصله أن اعرابياً قال لامرأته وقد كثرت

من التبذل عليه تمنني لاغازلك فاشتبهك فان كل مبتذل رخيص

ومن هذا القليل ما قرأناه في كتب الأدب فقد رووا أن امرأة حسناء شعرت  
ان زوجها يخونها وينتاب اما كره الفسوق فاستدلت على تلك الا ما كن وقصدت زوجها  
فيها كواحدة من المومسات وكنته من نساءها وهي مغطاة الوجه يدوي خونها من  
الرقباء حتى اذا ما قضى منها وطره كسنت قناها فقال لها « ما احرك في الحرام  
وابردك في الحلال » فذهب قوله مثلاً وتاب عن خجوره

« التهاون بالكثير المبتذل »

ومما جُبلت عليه النفوس التهاون بالكثير المبتذل ولذلك ترى الناس في شرقنا لا  
يفرحون بنور الشمس مع كثرة الحاجة اليها لانها قل أن يجدها الغمام بخلاف الأوربيين

ولا سيما سكان المدن الشمالية المتلبدة سهاؤها غالباً بالغيوم كئيدون ونحوها فان القوم هناك اذا اشرفت عليهم الشمس في يوم تركوا فيه أشغالهم وجعلوه عيداً وخرجوا زرافات الى حدائقهم وأقاموا في نورها الوهاج فرحين مستبشرين

ومن هذا القبيل قلة فرح الناس عندنا بالسماء وهي مرصعة بالنجوم وقل أن ينظروا اليها وهي أجمل من كل ماتع عليه العين من مناظر الطبيعة البهجة وما زهدهم فيها الا لابتذالها وكذلك قل عن سائر الاشياء النادرة بنفسها والناس قليلو النايبة بها لابتذالها وقد قال شاعرنا الانطاكي :

احرص على آدابك النراء أن تمنى بشرّ الابتذال لدي الورى  
فالناس تهمل كل مبتذل ولو كان الخليق بأن يعزّ وينخرأ  
فبهمّة باعوا الحياة وانها لعزيزة ما أن تباع وتشترى  
والماء قد تركوه وهو العذب واخذوا بديلاً بالنضار المسكبرا  
سدوا المنافذ بالاطالس كي تر د الشمس وابتا والضيء المنورا  
وصبوا الى الذهب العقيم فكانه — بوداً لهم ما ان يرد مقدرأ  
وقلنا في هذا الباب :

حاضر هو ان الابتذال اذا أردت مخرجةً وعلّى على الاقران  
فالناس تحقر القريب مناله وتخصه بالزهد والاهوان  
وتجد في طلب البعيد نواله جداً وان يك واضح الخمران  
وعلى هذا فنفسا الاشياء لا تكزن لذاتها بل لما يرض لها من الانفراد أو الندرة أو الضياع فمن الاول قول الشاعر :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد

وقال جامع ديوان الشريف المرتضى سمعت بعض مشائخنا يقول ليس لشعر المرتضى من عيب الا أن الشريف الرضي أخوه فانه لو كان منفرداً بشعره كان أشعر أهل زمانه ومن الثاني قول بعضهم :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى مادام حياً فاذا ما ذهب  
لجّ به الحرص على نكته يكتبها عنه بماء الذهب

ومن هذا القبيل ما هو معروف عن مصوري الصور الزيتية في أوروبا فان أكثرهم ان لم نقل كلهم عاشوا مترين ولم يهتم أحدٌ ببراعتهم الصناعية حتى اذا مات أحدٌ أخذ



الناس يهتمون بصوره ويتنافسون باقتنائها ويتفاخرون بتزيين بيوتهم بها وقد روى لنا شاعرنا الانطاكي قصةً فكهةً من هذا القبيل قال ان أحد مهرة هؤلاء المصورين اهلكه الفقر فاتفق مع امراته على ان يختفي وتذيع هي نبأ موته وتلبس الحداد عليه وما كاد يملن بين الناس نبأ موته حتى أقبل الناس على صورته يتنافسون باقتنائها حتى اغتنت المرأة فظهر المصور بعدئذ وطفق يضحك على اولئك النواة الذين لم يقبلوا على صناعة يده الا بعد ان سمعوا بموته

وقيل دخل واعظ على هرون الرشيد فقال له حظي فقال يا أمير المؤمنين انك لو شئت شربة ماء عند عطشك بم كنت تشتريها؟ قال بنصف ملكي قال ولو حُبست عندك عند خروجهما؟ قال بالنصف الاخر فقال لا يفرّك ملك قيمة نصفه شربة ماء وقيمة النصف الاخر اخراج تلك الشربة من جوفك

ومن هذا القبيل تنافس الناس باثار الاقدمين وبذلهم في سبيلها ما عزّ وما هان مع وجود ما هو اصلح منها وأجمل وما ذلك الا لندرتها

ففي العالم المتدين تشتري هذه الاثار بالقناطير المنقطرة من الاموال وبالون بالمفاخرة فيها وما وقف هذا التنافس عند الافراد بل تعداه الى الحكومات فتراها تبذل الكهين من النفقات للمرر على قدرة فخار قديمة العبد أو قطعة خشب من آثار من غير الخ ومن التاك قول الشاعر :

ستذكرني اذا جرت بغيري      وتعلم اني اتم الصديق  
وقول الآخر :

سيدكرني قومي اذا جدّ جدّم      وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر  
وقالت الامة في أثالها « لا تعرف خيري حتى تجرب غيري » وقال بعض الحكماء « انما تعرف قبح النعمة بقياسها على ضدها » فأخذها ابو تمام وقال :

والحادثات اذا أصابك بؤسها      فهو الذي أنباك كيف نعيمها  
وقال الشريف الرضي :

ولا بدّ من ذلّةٍ للفتى      تعرفه كيف قدر النعم  
وروي عن أحد الاولياء انه كان يدعو نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو :

فليس لي في سواك حظٌّ      فكيف ماشئت فامتحنني

وعلى أثر نظمه هذا البيت رأى نفسه في حاجة الى الخلاء فضجّر وقال ما كذبتني

وروي مثل ذلك عن عمر بن الفارض القائل :

وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضا كما  
قابتني بحاجة الى الخلاء فجعل يعدو الى مكتب الصبيان متضجراً وهو يقول لهم  
ادعوا لعصم الكذاب وقال بعضهم :

ومن لم يذق للهجر طعماً فإنه  
وقلنا في هذا الباب :

قضيت مع المحبوب دهرأً بغبطةٍ فكسدت أمل الحب من كثرة الوصل  
ولما افترقنا جدد البعد حيناً وبت ولا أرجو سوى جمع الشمل  
فلاخير في حب إذا لم يكن نوى ونيرانه في الصدر دأمة الشعل  
وقال شاعرنا الانطاكى :

لم يدر ما الحرامان من ورث النفي ارتأً وشب منعماً بالمال  
وكذاك لم يدر الهوى من لم يذق كأس البعاد ولوعة الاملال  
فمن اغتنى من بعد فقر كان في نعمائه في غبطة وجلال  
ومن اكتوى بلظى الجوى بعد النوى ياتئذ من محبوبه بوصول

وبالاجمال نقول أن النفائس لا تعرف الا بالقياس على اضدادها ولا يدرك كنه النعمة  
الا بعد معاناة النعمة والا فالفوز بالملاذ على هينها مفض لجهل النفوس بقدرها ولذلك  
ترى أكثر الناس لا يشكرون الله سبحانه على كثرة النعم التي انعم بها عليهم وما ذاك الا  
لانها وصلتهم عفواً ومن غير أن يعانوا مرارة الحرمان منها

وكذلك الناس لا يشكرون الله على نعمائه العامة المشتركة للجميع فلا يشكرونه على  
الهواء الذي لولا تنفسه لماتوا خنقاً ولا على الماء الذي لولا شربه لماتوا عطشاً ولكن اذا  
ابتلي أحدهم بفقد الهواء والماء ولو مرّةً بالعمر وكاد يقضى عليه لفقدانها لقدّر قدر  
نعمة الله على خلائقه بهما وترطب لسانه بشكر الله كلما شرب نهلة ماء أو استنشق  
نسيم هواء وهذا والله غاية في كفر نعمة الله بحيث لا يكون الناس شكورين الا اذا سُئلت  
عنهم النعم ثم رُدّت اليهم على أن النعمة في جميع الاحوال أولى بأن تشكر لتدوم وقد  
قيل « بالشكر دوام النعم » ألا ترى البصير لا يشكر الله على صحة بصره الا اذا ابتلي  
بالرمد وخاف ان يظلم ضياء عينيه ثم عاد فصح والصحيح لا يشكر الله على صحته الا  
اذا ابتلي بمرض عضال أقعده عن معاينة الاعمال وخأسفه أسير الاوجاع والاسقام . ألا

فَتَبْلُ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (١) وَدَا مِثْلَ الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ إِلَّا مِثْلَ عَبْدٍ سَوَاءٍ حَقَّهُ أَنْ يُضْرَبَ دَائِماً حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ عَنْهُ الضَّرْبُ سَاعَةً حَسِبَ ذَلِكَ مَنَّةً لِمَوْلَاهُ فَيَشْكُرُهُ أَمَا لَوْ دُنِعَ عَنْهُ الضَّرْبُ لِأَخْذِهِ الْبَطْرَ فَاسْتَكْبَرَ وَدَا شَكَرَ

وَمَا يُؤْمِنُ نَفُوسَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَا رَأَاهُمْ فِيهِ مِنَ التَّمَتُّعِ بِنِعْمِ اللَّهِ الْمُبَاحَةِ لِلْجَمِيعِ وَقَالَ فِيهِمْ مَنْ يَشْكُرُهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَتِهِ إِلَّا إِذَا أَصَابَ مَالاً كَثِيراً وَجَاهاً وَفِيراً كَأَنَّهُ بِحِسَابِ الْخَيْرِ كُلِّهِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَالِ وَيَالَيْتَ شِعْرِي مَا يَنْفَعُ الْمَالَ وَالْجَاهَ مَنْ أُضَاعَ بَصَرُهُ أَوْ بَاتَ عَلِيلاً مَقْعِداً عَلَى فِرَاشِهِ ؟

حَكِي عَنِ رُوْتَشَلْدِ غَنِيِّ الْيَهُودِ فِي أُوْرُوبَا أَنَّهُ دَخَلَ مَرَّةً مَخْبِئَةً خَزَانَةَ أَمْوَالِهِ وَكَانَ ذَا أَقْفَالٍ تَتَسَلَّسَلُ فِي دِهَالِيزٍ مَتَدَاخِلٍ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ فَحَدَّثَ أَنْ أَغْلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَأَقْفَلَتْ الْأَقْفَالَ خَطِئاً فَمَاتَ الرَّجُلُ جُوعاً وَهُوَ بَيْنَ كَوْمِ الذَّهَبِ وَقِرَاطِيسِ الْمَالِ الْمَتْرَاكَةِ فَمَا غَنِمَتْهُ جَمِيعاً عَنِ نَهْلَةِ مَاءٍ أَوْ كَسْرَةِ خَبِزٍ

وَحَكِي أَنَّ فُقَيْراً شَكَا سُوءَ حَالِهِ إِلَى بَصِيرٍ حَكِيمٍ فَقَالَ لَهُ أَيْسَرُكَ أَنْتَ أَعْمَى وَلَكَ عِشْرَةَ آلَافِ دَرْهَمٍ ؟ فَقَالَ لَا فَقَالَ أَيْسَرُكَ أَنْتَ آخِرُ سِوَالِكَ عِشْرَةَ آلَافِ دَرْهَمٍ ؟ قَالَ لَا فَقَالَ أَيْسَرُكَ أَنْتَ أَقْطَعُ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَلَكَ عِشْرُونَ أَلْفاً ؟ فَقَالَ لَا فَقَالَ أَيْسَرُكَ أَنْتَ مَجْنُونٌ وَلَكَ ثَلَاثُونَ أَلْفاً فَقَالَ لَا فَقَالَ أَمَانَسْتَحْيِي أَنْ تَشْكُرَ مَوْلَاكَ وَلَهُ عِنْدَكَ عَرُوضٌ قِيَمَتُهَا سِتُونَ أَلْفَ دَرْهَمٍ ؟ فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى صِحَّةِ الْعَقْلِ وَسَلَامَةِ الْحَوَاسِ وَالنَّظَرِ وَجَاهِدْ لَتَكْسِبَ رِزْقَكَ بِعَرَقِ الْجَبِينِ

وَلِسُوءِ الْحِظِّ أَنَّ الْجَهْلَ بِنِعْمِ اللَّهِ يَكَادُ يَكُونُ عَاماً فِي النَّاسِ لَا يَتَنَبَّهُ إِلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُونَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ » وَقَدْ قَلْنَا فِي ذَلِكَ :

لِلَّهِ عَنِ نِعْمَتِهِ السَّكَرَى الَّتِي أَعْطَا كَمَا كُنْ شَاكِراً دَوْماً ذَكَور

(١) نَقُولُ مِنْ عَرَفِ عِظْمَةِ شَيْخِنَا الْمَرْدَارِ أَقْدَسِ اطَّالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ وَفَازَ بِالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ الْفَاءَ وَشَكَرَ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ مَلءٌ فِيهِ فَهُوَ يَشْكُرُهُ إِذَا أَكَلَ وَيَشْكُرُهُ إِذَا شَرِبَ وَيَشْكُرُهُ كُلَّمَا يَرَى نِعْمَةً مَتَّجِلِيَةً عَلَيْهِ فَلَاغْرَ وَإِذَا أَمَّ اللَّهُ نِعْمَةً عَلَى عِظْمَةِ الْأَمِيرِ وَجَعَلَهُ مَظْهَرَ الْمَجْدِ الْعَرَبِيِّ وَالْجَاهِ الْكَثِيرِ وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ :

رَأَيْتَكَ تَوَلَّى اللَّهُ شُكْرَكَ دَائِماً  
فَلَاغْرَ وَأَنْ تَمْسِي وَعَيْشُكَ وَارْفُ  
عَلَى النِّعْمِ الْكَثْرَى الَّتِي فِيهَا تَرْتَعِ  
وَحَمْدُكَ مَتَلَوْ وَقَدْرُكَ مَوْسَعِ  
فَإِنْ أَشْكُرَ الرَّحْمَنَ دَوْماً فَاتَنَا  
بِشُكْرِ مَعَزِّ الْعَرَبِ نَصْحُو وَنَهْجِ جَمِيعِ



ولقد رأيت الناس قد كفروا بعماءه وقلَّ المؤمن العبد الشكور

« الملال من الموجود »

ومما جُبلت عليه النفوس الملال من الموجود مع الرغبة فيه مفقوداً من ذلك المثل العربي المشهور « ان نكح الحبُّ فسد » وأنشد ابن وكيع :

قالوا عشقت كثيراً كان ممتنعاً فقلت هيات عنكم غابٍ مطلبه  
لو جاد هان وقلت الجود غايته وانما عز لما عز مطلبه

وقال شاعرنا الانطاكي :

عشقتها وتمنيت البعاد لها خوف الملال من اللقيا بغير نوى  
ان الهوى كما من في الصدر حتى اذا ما أنكح الحب قل أضحى الوصال هوا  
وحكى أبو بكر الصولي أن المهدي اشترى جارية فاشدَّ شغفه بها وكانت به أكثر  
شغفاً وكانت تتجافاه كثيراً ففس اليهامن عرف ما في نفسها فقالت ان واصلته يماني  
ويهجرنني تاموت فأنا أمتع نفسي بدمس لذتها لا عيش في البعض الاخر فقال المهدي :

ظفرت بالقلب مني عادةً مثل الهلال

كلما قد صحَّ حبسي قابلته باعتلال

لا تحب الهجر مني والتنائي عن وصالي

بل تسوم البعد عني للهوى خوف المنلال

وقلنا في مثل هذا :

سألتها الوصل وهي بي مدلهمة تخفي الغرام وتبدي صدها تيبها

فقلت حتى متى هذا الحفا وأنا أراك تخفين ما في القلب تمويها

قالت أخاف بأن يدعو الوصال الى املال من في جفاها راغبٌ فيها

ومما جُبلت عليه النفوس أيضا الملال من الشيء لكثرة ومنه قيل « كثرة التعاهد

تدعو الى التباعد وقلة الزيارة أمان من الملالة » وقال الشاعر :

اني كثرت عليه في زيارته فمل والشيء ملولٌ اذا كثرا

ورابني منه اني لا أزال أرى في طرفه قصراً عني اذا نظرا

وقال آخر :

أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجدّه

ان الصديق يمل من أن لا يزال يراك عنده

وكان للبخاري وهو أبو السمادات صاحب انقطع عنه فعاتبه بكتاب رقيق فأجابه صاحبه بهذين البيتين :

لاتزر من تحب في كل شهر  
غير يوم ولا تزده عليه  
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم  
ثم لاتنظر العيون اليه  
وقال ابن الوردي :

غب وزر غباً تزد جباً فمن  
أكثر الترداد أضناه الملل  
وقال شاعرنا الانطاكي :

أقلل زيارتك الحبيب مخافة  
من أن تمل ولا تظلم حبيبا  
يكفيك يوم كل شهر ان أرد  
ت بأن تكون الراغب المرغوبا  
أو لم تجد يوم الهلال تحفه الا  
انظار ثم تعافه ليؤوبا  
وقلنا في هذا المعنى :

لاتزر مكثراً تمل فتشقى  
انما مكثرت الزيارات زرى  
غب وزر غبها فتزداد جباً  
عند أهل النهى وتعتز قدرا

ومما حُببت عليه النفوس أيضاً الملل من شدة القرب والسر في ذلك أن البعد موجب للعزة والمحبة والقرب مفض إلى الهوان والملل من قبيل الاستمرار قول أكرم ابن صيفي : ( تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة ) ومن أمثال العرب : ( الهوى من النوى ) يعني أن البعد يورث الهوى ومنه يتولد فان الانسان اذا كان مبتذل لدى اخوانه وأصدقائه هان عليهم فلو له ولو كان ممن يرغب فيه ولذلك قيل ( اغترب تعجّد ) وفي الامثال ( رب ناو يعمل منه الثواء ) وقيل لعطاء بن مصعب كيف تغلبت على البرامكة وكان عندهم من هو أوفر منك أدباً قال كنت بميد الدار منهم غريب الاسم عظيم الكبر صغير الجرم كثير النوى ففر بنى اليهم تباعدي عنهم ورغبتهم بي رغبتني عنهم وليس للقرباء ظرافة القرباء وفي ذلك قلنا :

اذا رميت ان تمسي حبيباً معزاً  
فأبعد عن الاحباب حيناً واصل  
فان اللذي يلقي أحبته بلا  
نوى وهو ناو بينهم غير راحل  
يهون عليهم قدره ولقاؤه  
وينزل منهم مربحاً غير أهل

ومما حُببت عليه النفوس الملل من طول العهد والمعاشرة يقال زهير :

لعمرك والامور منبصرات  
وفي طول المعاشرة التقالي

لقد باليت مظعن أم أوفى ولكن أم أوفى لاتبالي  
وروى بعضهم أنه خاصم زوجته وعزم على طلاقها فقالت له اذكر طول الصحبة  
فقال والله مالك ذنب سوى ذلك

وقيل لرجل لماذا تكثر من الزواج والطلاق والزوجة الاولى اذا كثرت معاشرتها  
كالصاحب لايفارق؟ فقال نعم ولكن ان النفس بشهوتها شبهت بالكلب والكلب لايطمع  
الا بأخذ الغريب على انه يزهد بالصاحب والصديق ومن هنا قيل السقنقور هو  
المرأة الغريبة

وقيل في الامثال ( لسلّ جديد بلاوة ) ولما حضرت الحطيئة الوفاة اكتبته أهله  
وبنو عمره فقيل له أوص فقال اخبروا أهل ضابي بن الحرث انه كان شاعراً مفلحاً  
حيث يقول :

لسلّ جديد لذّة غير اني وجدت جديد الموت غير لذتي  
وقال بعض العقلاء :

اذا تحدثت في قوم لتؤنسهم من الحديث بما يمضي وما يأتي  
فلا تعاود حديثاً ان طبهم موكل بمعادات المعادات  
وقال شاعرنا الانطaki :

دع من تحب ولو كرهت هنيهة تشنقه وتروم عود لقائه  
فاعلمه يوماً يمل ثواك ان تصبر ولم تزهد بطول ثوائه  
وقلنا في هذا المعنى :

أقلل زيارات الأجرة خوف أن تلقى بمجلس من تحب هوانا  
وأطل ثواك بقعر بيتك تاركاً من قد هويت الى اللقا وهسانا

« الدفع والجذب »

واعلم زادك الله علماً أن لسلّ نفس قوتين احدها جاذبة والاخرى دافعة وكل  
منها تعمل عملها باضطراد ولولا ان الله تعالى أناط بالقوة الدافعة اظهر ما عندها لما  
أتاك بالاخبار من لم تزود وهذا هو السبب في افشاء الاسرار وأما القوة الجاذبة  
فظاهرة من رغبة الانسان بمنافع نفسه وجذب الخير اليه وهو ما يسمى الانانية أو  
حبة الذات وقد نقل صاحب جمع الامثال أن يزيد بن مروان ضاع له جمل فأمر المنادي  
أن ينادي بأن من لقيه فهو حلال له فقيل له فما الفائدة اذن من النداء؟ فقال : لئلا



الوجدان وحلاوة العطية وراحة البال

ونُقل عن حماد الراوية قال كنت محباً للوليد بن عبد الملك فلما تولى أخوه يزيد الخلافة هربت خوفاً منه الى الكوفة ومكثت فيها فينما أنا ذات يوم في المسجد الأعظم واذا برسول محمد بن يوسف الثقفي يدعوني اليه فأسرعت ودخلت عليه فقال لي أجب الخليفة ودفع لي كيساً فيه ألف دينار وقال لي هذه نفقة عيالك وفي الباب جوادان نحيان أرسلهما يزيد لركوبك فركبت في طريق الشام الى أن بلغت دمشق في اليوم الثامن وأسرعت الى دار الخلافة وأنبات الحاجب باسمي فاستأذن لي فأذن ودخلت على الخليفة فاذا هو جالس في دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خزر احمر وسط قبة حمراء من خزر احمر أيضاً وأثاثها ورياشها وكل ما فيها احمر اللون وكان على رأسه جارتان مرتديتان ثياباً حمراء ويبد احدهما ابريق فيه نبيذ احمر ويبد الاخرى ابريق فيه نبيذ ابيض فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فرد علي السلام وقال لي ادن مني يا حماد أندري فيما بعثت اليك؟ قلت لا يا أمير المؤمنين قال في بيت شعر ذهب عني أوله قلت من أي عروض ومن أي قافية؟ قال لأدري الا أنه بيت فيه لفظه ابريق فقلت في نفسي ان لم تكن الرواية يوماً فالآن وقتها وطفقت أعمل فكرتي نحو ساعة ثم قلت نعم يا أمير المؤمنين لعله قول التسع اليماني أو عدي بن زيد العبادي وهو:

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي أما تستفيق  
ويومون فيك يا ابن بنت بيده الله والقلب عندك مرهوق  
لست أدري اذ يكثر العذل فيها أعدي يلموني أو صديق  
ودعوا بالصبوح يوماً لحضات قينة في يمينها ابريق

نصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية اسقيه نسقتني فقلت يا أمير المؤمنين ذهب ثنا عقلي فقال سل حاجتك قبل أن يذهب الثلث الاخر فقلت احدي هاتين الجاريتين فقال هالك بما لهما وما ليهما ودية ألف دينار تحسن بها حالك ثم ناولتني الجارية كأساً فشربتها ونهضت وقد ذهب عقلي فدنا بي الى دار الضيافة فانتبهت في آخر الليل واذا بشمع يوقد والجاريتان ترصان أمتهمما والبالغ يحمل ما لهما من أثاث وغيره ولما أصبحت قبضت المال وانصرفت وأنا أيسر أهل الكوفة (١)

(١) أقول كنا مرة في خدمة مولانا الشيخ خزعل خان روجي فداء في مجلس أدب وعلم من مجالس عظمته المشهورة وبين يديه طائفة من الشعراء والادباء والعلماء

أقول انظر أيها الأديب إلى هذه الأريحية العربية وما هي الأثرة ما ذكرناه من لذة الوجدان وما تترك من عظيم الأثر في النفس ثم أعلم أن رواج سوق الأدب على حسب ملائمة الطبع وطبائع ملوك العرب وامراتهم عالية تهتز للأدب وتتأثر فيه تأثر النفوس الطرقة بالانعام الشجية وتلذذ النفس بوجدان الشيء على قدر احتياجها إليه والانسان كلما كثر جوعه كان التذاذه بالطعام أتم وكلما كثر ظمأه كان التذاذه بالشراب أكمل ألا ترى ان الانسان اذا كان في الهاجرة وقد اشتد عليه الحر ثم هبّ النسيم عاياه غليلاً وجد من هبوبه لذة ما عهد مثلها في أيام الشتاء الباردة وما ذلك الا من شدة حاجته الى البرودة وترى الفقير يستلذّ خبز الشعير ويمتّع منه أشدّ من لذة الغني وهو يتعم بطيبات الطعام

فتفاوت اللذات باختلاف التمتع بها بالنسبة الى الحرمان والتيل أو القدرة والعجز من أهل النجف الأشرف وسائر العراق فروى لنا عظمته هذه القصة ثم قال هكذا كان الملوك والامراء يصلون أهل الأدب والعلم بالمال الكثير والخير الوفير فلا غرو اذا ازهرت دولة الأدب في عهدهم أما الان فأين الذين يمتنون بالأدب والادباء ويعطون على بيت من الشعر مثل هذا العطاء؟ وأنشد:

أولئك آباي خبني بمناهم اذا جمعنا يا جبرير الجماع

فصاح من في المجلس بلسان واحد عفواً أيها الملك المنمدي فتد جدّدت دولتهم بدولتك وأحييت مجددم بمجدك وأنت الذي تصل الشعراء وتنيل الادباء وتسعف العلماء فيحجون اليك من كل صوب وحذب وعندك يحمد القوم المرى اقول: أما أنا وأنا أكثر الناس علماً بفضل عظمة مولانا المعز فقد أنشدت في الحضرة مرتجلاً:

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| أبا جاسب ما دمت مظهر مجدنا    | وسؤددنا انا بك الدهر نفخر     |
| فليس لنا نبكي زماناً قد انقضى | ومعه انقضى ذاك الجلال المدر   |
| فأنت الذي أحييت مجداً ليعرب   | وهيئات ما قد فات للدهر ينشر   |
| وعنك روايات المكارم والندى    | مع الحمد والشكران تُروى فتشكر |
| فأي نغار عند نغرك يؤثر        | وأبي جلال عند جاهك يذكرك      |
| فان كان قد أعطى يزيد لشاعر    | عطاءً كثيراً فضله ليس ينكر    |
| فما كان الا دون فضلك فضله     | وان عطايك العميمة أكثر        |
| وما عرف الاعراب مثلك محسناً   | جواداً لمنظوم المواهب ينثر    |

وقالت العرب في أمثالها ( والجوع يرضي الاسد بالحيف )

وتعجبني قصة اتفقت لبعضهم مع أحد المترفين والمترفين بطريق كربلاء قال الراوي قصدت زيارة سيدنا الحسين عليه السلام مع جملة من الاخوان مشاة فزلنا يوماً ضيوفاً على بعض الاعراب فقدم لنا صاحب البيت خبزاً من دخن على ما هي عادتهم فأكل الجميع الاي اذ لم آكل عمري من ذلك الخبز ولا رأيته قبل ذلك اليوم الا اني بعد قليل اشتدّ بي الجوع فصرت أتمنى أن يعود الضيف الينا بخبزه الاسود وقلت لرجل كان بجواري لو حصل لي من ذاك الخبز كسرة لا كلتها شاكرأ وكان صاحبي هذا قد استدرك ما فاتني فخبأ لي كسرة من الخبز حتى اذا ما أنباته بندي على الاستكبار عن مناوله ذلك الخبز الاسود تبسم وأخرج لي كسرتة الخبأة فأكلتها بسرور وهم لم أشعر بهما منذ سنين وأشبه هذه الاحاديث كثيرة يعرفها كل من ركب متن الاسفار واجتاز الفيا في والقفار ومن مثل هذه الحوادث قال العرب في أمثالهم « خير الادم الجوع »



﴿ الروضة الثانية ﴾

﴿ في القوة الغضبية وما يفرّغ عنها من الطباع النفسية ﴾

« توطئة »

أعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرّضاً للفساد والموت افتقر هذا الحيوان الضعيف الى قوة وحماية تدوران من بطنه فندفعان المهلكات عنه وهكذا كانت طبيعة الغضب النارية غريزية في الانسان معجونة بطينته فتقى ما صدر عن غرض من اغراضه أو قصد من مقاصده اشتعلت نار الغضب في صدره وثار به ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار أو كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب في الوجه فيحمر الوجه وتقد به العينان وانما ينبسط الدم في الانسان الغاضب على من دونه المستشعر بالقدرة عليه فان كان غاضباً على من فوقه وكان ما يوسأ من الانتقام تولد فيه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وتحول الغضب به الى حزن ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير مشاك يشك في التغلب عليه تردّد الدم بين الانقباض والانبساط فيحمر الغاضب مرّةً ويصفر أخرى ويضطرب اضطراباً مقلماً وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب



ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وأما توجه هذه القوة عند ثورتها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام فوق هذه القوة وشهونها وفيه لذتها ولا تسكن الا به

ثم ان الناس بفطرتهم على درجات ثلاث في القوة الغضبية وهي التفريط والافراط والاعتدال أما التفريط فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم ويقال لصاحبه لاهمية عنده ولذلك قال بعض الحكماء : ( من استغضب فلم يغضب فهو حمار ) وبالاجمال نقول من فقد قوة الغضب والحمية بطبعه كان ناقصاً جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بالشدة والحمية فقال ( أشداء على الكفار رحماء بينهم ) وقال لنبيه صلى الله عليه وآله ( جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ) الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الغضب والحمية

وأما الافراط فهو أن تغلب طبيعة الغضب على الانسان حتى تخرج به عن سياسة العقل والدين ولا يبقى له معها بصيرة ونظر وفكرة واختيار بل ويصبح في صورة المضطرب المغلوب على أمره وسبب غلبته هذه أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان كان بطبعه الغريزي مستعداً لسرعة الغضب حتى كأن صورته بالفطرة صورة الغاضب ويزيد في تسرعه بغضبه حرارة مزاج قلبه لان الغضب من النار كما قال النبي صلى الله عليه وآله وأما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته ويزداد هذا الغضوب غضباً بمشرته قوماً يتشجعون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المكر والحال ولا احمل من أحد أمراً ومعنى قوله هذا لا يفسر بأكثر من الجنون ( والجنون فنون ) كما يقول العرب ثم يذكره في معرض الفخر يجهله فمن سمعه رنخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بهؤلاء القوم المجانين والطباع سرافة فيقوى فيه

والناس على اختلاف في الغضب فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الحمود وبعضهم كالغضى بطي الوقود بطي الحمود وبعضهم بطي الوقود بطي الحمود وهو الاحمد مالم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطي الحمود وهذا هو شرهم بالاجماع بل هذا هو المخزون الواجب تجافيه والبعد عن تصافيه وفي الخبر ( المؤمن سريع الغضب سريع الرضى )

وربما يشتد الغضب في بعض الناس فيتعدى الى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بها وتسد نظره الدنيا بأسرها وربما تنوى نار الغضب في صدره فتقضي

الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظاً كما تقوى النار في الكهف فينشق  
وتهدأ أعاليه على أسفله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة  
لاجزائه . ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغيير اللون وشدة الرعدة في الاطراف  
وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والسكلام حتى يظهر الزبد  
على الاشداق وتحمّر الاحداق وتصلب الاظافر وتستحيل الحلاقة ولو رأى الفضبان  
نفسه في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءً من نفسه واستحالة خلقته  
وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن  
أولاً ثم انتشر قبجها الى الظاهر ثانياً فتغير الظاهر هو ثمرة تغيير الباطن  
هذا أثر الغضب في الجسد وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام  
الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قائله عند فتور غضبه وذلك مع تحبظ النظم  
واضطراب اللفظ

وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والجرح ثم القتل عند التمكن  
من غير مبالاة بالعواقب فان هرب منه المقضوب عليه أو فانه يسبب وعجز الغاضب عن  
التشفي رجح غاضباً على نفسه في زق ثوبه ويلطم نفسه وقد يلطم رجله الارض وييده  
الحائط وقد يكسر المائدة اذا غضب على الطاهي أو يشتم البهيمة والجمادات كأنه يخاطب  
عاقلاً حتى ربما اذا رفته دابة يرفسها وربما عض القفل اذا تعسر عليه فتحه وربما  
كسر القلم اذا تملمت به شعرة من الدواة ولم تزل لساعتها وبالاختصار مثل هذا والمجنون  
سواء وفي ذلك قال الشاعر :

لسكل داءٍ دواءٌ يستطبُّ به الا الحماقة أعت من يداوئها

حكى عن أحد ملوك اليونان الاقدمين انه كان يغضب على البحر اذا هاج واضطرب  
وتأخرت سفنه عن النفوذ فيه فيقسم بمعبوده وأهله وكل عزيز ليطرحن الحبال فيه  
حتى يصير أرضاً ويقف بنفسه على البحر ويهدده بذلك ويزجره زجراً عنيفاً حتى  
تدرأ أوداجه ويشتد احمرار وجهه فهل مثل هذا الملك الغضوب يصح أن يحصى بين العقلاء  
ومنهم من لا يسكن غضبه حتى يُصب على راسه ماء بارد يربط ثوران الدم المنصب  
من قلبه الى دماغه فيهدأ ثأثره

واذا اردنا ان نحصى الاضرار التي تنجم عن الغضب لضاق بنا المقام فدكم من حق  
ضاع لغضب صاحبه وكم من عزة ضاعت بغضبه من صاحبها وقد قال الشاعر :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب  
 اما الألى يتأثرون بغضب الغاضب من المغضوب عليهم فهو لاء يضررون لاولئك  
 الناضبين حقداً وحسداً واضهار السوء مع الشماتة بالمسآت والحزن بالسرور والعزم  
 على افشاء الاسرار وهتكها والاستهزاء بالناس ان غابوا وبالاجمال فان الكثير الغضب  
 قليل محبوه كثير أعداؤه

وأما الاسباب المهيجة للغضب فهي الزهو والعجب والمزاح والهزاء والهزل والتعير  
 والمارة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه الخ  
 « الحقد »

اعلم ان الغضب اذا لزم كظلمه بسبب عجز الغاضب عن التشفي في الحال رجع الغضب الى  
 باطنه واحتقن فيه فصار حقداً ومعنى الحقد ان يلزم قلب المبعوض استئقال المبعوض والغضة  
 له والنفار عجمه وأن يدرم ذلك ويمقى فالحقد ثمرة الغضب  
 وأما ثمرات الحقد ثمانية وهي الهجران والمصارمة والاستصغار والاعراض  
 والايذاء باللسان كالغيبة والنيمة والكذب وافشاء السر والايذاء باليد كالضرب وما  
 يؤلم البدن ومنع الحقوق من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظالمه والحسد والشماتة  
 فهذه ثمان ثمرات للحقد والذي يتعلق بغرضنا منها ذكر الحقد والشماتة لان المورد  
 مورد الاخلاق

وأما الفرق بين الحسد والشماتة فان الحسد هو المساءة بمسار الغير والشماتة السرور  
 بمسائته وقد أشار اليهما القرآن الشريف بقوله « ان تمسككم حسنة تسوءهم وان تصبكم  
 سيئة يفرحوا بها » وهذا الفرع شماتة وذاك السوء حسد  
 والحسد والشماتة يتلازمان على الغالب وقد يفترقان فيكون بعضهم قليل الشماتة  
 كثير الحسد وبالعكس

والشماتة خلق غير يزي في النفوس لا يخلو منه أحد الا من نزهه الله تعالى من أوليائه  
 والشماتة كما تتمع بالمسآت السكلية تقع أيضاً بالمسآت الجزئية من ذلك نكتة ظريفة لسكران  
 قيل ان سكراناً مرّ بمؤذن رديء الحنجرة قبيح الصوت فجلد به الارض وجعل  
 يدوسه برجليه فاجتمع عليه الناس وسألوه عن سر غضبه على مؤذنه فقال والله ما  
 كنت لأبالي برداءه صوته لولا خوفي من شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

ومن الامثال « مصائب قوم عند قوم فوائد » ويقال ان أهل الجنة ليتضاعف





لأحد خيراً قط حسداً له فقال الثاني أنت رجل صالح أنا ما اشتبهت أن يُفعل لي خير  
قط حسداً لئنسي فقال الثالث كلا كما صالحان أما أنا فما اشتبهت أن تبقى نعمة على أحد  
حسداً له فاعترف الاثنان انه شرهما

وتذاكر قوم من ظرفاء البصرة في الحسد فقال رجل منهم ان الناس ربما حسدوا  
على الصلب فأنكروا عليه ذلك فسكت ثم جاءهم بعد أيام فقال ان الحليفة قد أمر بصلب  
الاحنف ومالك بن مسمع وحمدان الحجام فقالوا يا لله كيف هذا الحديث حمدان يصلب  
مع هذين الرئيسين فضحك وقال ألم أقل لكم أن الناس يحسدون حتى على الصلب  
قال المأمون ما حسدت أحداً قط كحسدي لابي دلف على قول الشاعر فيه :

انما الدنيا أبو دلف      بين يديه ومحضره  
فاذا ولي أبو دلف      ولدت الدنيا على أثره

وروي أبو الفرج الاصبهاني عن عبدوس بن أبي دلف قال حدثني أبي قال قال لي  
المأمون يا قاسم أنت الذي يقول فيك علي بن جبلة انما الدنيا أبو دلف الى آخر البيتين  
فقلت مسرعاً وما ينفعني قوله يا أمير المؤمنين مع قوله :

أبا دلف يا أكذب الناس كلهم      سواي فاني في مدحك أكذب  
ومع قول بكر بن البطاح في :

أبا دلف ان الفخير بينه      لمن يرتجي جذري يدريك ويأمله  
أرى لك باباً مغلقاً متمماً      اذا فتحوه عنك فالناس داخله  
كأنك طبل هائل الصوت معجب      خلياً من الخيرات تعساً مداخله

قال فلما انصرف قال المأمون لمن حوله لله دره حفظ ه جاء نفسه حتى انتفع به  
عندي واطفاً لهيب المتنافس

ولاحسد أسباب كثيرة تزيد على ثمانية فلنشرح بعضاً منها وهو ماله مدخل في  
المورد فمن أسبابه العداوة والبغضاء وهو أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص  
بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ  
في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن أن يتشفي بنفسه  
من يبغضه أحب أن يتشفي منه الزمان وربما أحال ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى  
فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله تعالى على بغضه لذلك  
الشخص وانها لاجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه كان ضد ارادته وربما يخطر

له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه  
وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقى أن لا يبغى وأن  
يكره ذلك من نفسه فاما أن يبغض أحدهم انساناً ثم استوي عنده مسرته ومساآته فهذا  
غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به أعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى « واذا  
لقوكم قالوا آمنا واذخلوا اعضاءنا عليكم الا نامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم  
بذات الصدور وان تسمك حسنة تسؤهم » الآية وكذلك قال تعالى « ودوا ما عنتم  
قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » الآية

والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستقراق العمر في ازالة  
النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه

ومن أسباب الحسد استشعار النفس بفوت مقاصدها وذلك يختص بالمتزاحمين على  
مطلب واحد فان كلاً منهما يحسد صاحبه على كل نعمة توصله الى مقصوده ودونه ومن  
هذا الجنس تحاسد الضرار على مقاصد الزوجية وتزاحم الاخوة على نيل المرتبة الاولى  
في قلوب الآباء والامهات للتوصل الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلامذة  
على نيل الانضلية من قلوب أسانئتهم وتحاسد ندماء الملك ورجال بطاآته على نيل  
الحلوى برضاء توصلوا الى المال والجاه الخ وهذا شأن النوم المتناظرين في كل فن  
ومطلب اذ كل واحد منهم يريد المنفعة لنفسه ولهذا السبب قيل القاص لا يحب القاص  
وقيل لبعض العقلاء ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيقي بالنسب وشريك في الصنائة  
وجاري في البلد فذكر بجوابه هذا أشد دواعي الحسد

ومن أسباب الحسد خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد كثيراً  
من الناس اذا وصفت واحد منهم حسن حال آخر أنهم الله عليه ببعض نعمه شق  
ذلك عليه حتى ولو كان لا يعرفه ولا يتضرر من الخير الذي هو فيه واذا وصف له  
اضطراب أمور بعض الناس وادبارهم في دنياهم وفوات متاعدهم وتنفس عيشهم فرح  
به فهو أبداً يحب الادبار لغيره ولو لم ينله من وراء ذلك تبع ويخجل بنعم الله على عباده  
كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس  
ولؤم في الطبع وما أحسن ما قيل في هذا الباب :

ان يحسدوك على علاك فانما متسافل الدرجات يحسد من علا  
وقال شاعرنا الانطاكى في الحسد :

على م يحسد الحساد مثلي ولا خير لهم مني وشري  
 ألوم الطبع يحعلهم حزاني على ما فيه من دهري أسر  
 والحسد كما قلنا لا يكون الا على نعمة قال النبي صلى الله عليه وآله (استعينوا علي  
 قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود) وقال صلى الله عليه وآله (ان  
 لكل نعمة أعداء) فقبل ومن هم يارسول الله؟ قال (الذين يحسدون الناس على ما آتاهم  
 الله من فضله)

« حسد الاقربين والمتناظرين »

اعلم أن الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يتوى  
 بالاكثر في صدور قوم تجمعهم روابط القربى أو التناظر على المنفعة لكثرة اجتماعهم  
 في مجالس المخاطبات والمناظرات فاذا حالف أحدهم صاحبه في غرض من الاغراض  
 وأسباب الخلاف كثيرة - نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فمند ذلك يريد  
 احتقاره ومجازاته بالسوء على مخالفته له بفرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى  
 أغراضه وهذا قلما يكون بين القوم الذين ليس فيهم مناصرة أو مجاورة أو قرابة إذ  
 لرابطة بين شخصين في بلدين متباينتين أو في مصلحتين مختلفتين أو ليس بينهما قربى  
 تكثر من اجتماعها في أمورهما ومقاصدهما

وعلى هذا فان المتناظرين أو ذوي القربى تبرز في صدورهم نائرة التنافس والتنافر  
 والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد  
 والعابد يحسد العابد دون الصانع والتاجر وهلم جرا ويحسد الرجل أخاه أو ابن عمه  
 أكثر مما يحسد الغريب والمرأة تحسد ضررها أكثر مما تحسد أم زوجها أو غيرها من  
 النساء والسرى في ذلك كله هو المزاحمة على المنافع والامر بديهي لا يحتاج الى زيادة  
 بيان ومنشأ جميع ذلك هو حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق في وجوه المتزاحمين  
 فيتحاسدون أما الآخرة فلا تضيق فيها ولا تزاحم وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم  
 من يحب معرفة الله تعالى ورسوله وأهل بيته لم يحسد غيره اذا عرف ذلك  
 أيضاً لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرحون  
 بمعرفته جميعاً ويلتذون به وتنلج صدورهم فيه ولا تنقص لذة واحدة بسبب غيره بل  
 بالعكس تزداد فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة مادام مقصدهم معرفة الله تعالى  
 وهي بحر خضم واسع لا تضيق فيه وبغيتهم المنزلة عند الله تعالى وهي تسع الجميع الا



إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال أعيان وأجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم المصرف بالطبع عن تعظيم الاخر أو نقص عنه لاحالة فيكون ذلك سبباً لحسده والفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن يد والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليقه من غير أن يرتحل من قلب معلمه فان فرض كثرة في العارفين لم يكرهوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين « وزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين » فهم اخوان بغير تحاسد كما عرفت أنه لاحسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السموات وجنان الارض وما يتبع تحت أنظارهم من بدائع الطبيعة لان ليس في ذلك اختصاص وانما يتحاسدون على ما يمكن فيه الاختصاص فعليك أيها القاري الكريم ان كنت بصيراً أن تطالب نعمة لازحة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى فان كنت لاتشتاق الى معرفة الله ولم تدق لذتها فانت في ذلك معذور لان الاعمى لا يدرك وهج النور نقول وقد تمثلنا هذا بالعلماء دون غيرهم لما نعلم من أنهم يجب أن يكرهوا أبعد الناس عن التحاسد

هذا وقد يكون الحسد منها على فضل المحسود ونقص الحسود كما قال أبو تمام الطائي :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العود

لولا التخرّف للعراقب لم يزل للحاسد النعمى على المحسود

وقيل كان واضظ في بغداد كثير التبول عند الناس فحسده بعض الوعاظ وأرسل اليه رجلاً وهو على كرسية نأسر اليه بما يكره من فحش القول ظناً منه انه يقابله بالمثل فتسقط كرامته من عيون الساهين أما الواعظ فتبسم وقال ما أحوج الذي أرسلك الى الحلم قبل العلم ولم يزد على ذلك فازدادت بجوابه هذا منزلة زفعة عند الناس ومثل هذا ما نقله بعض النقاة من أن رجلاً من العلويين من أهل النجف الأشرف وفد على الميرزا حسين قلي خان المصروف بأبي غداره فاعطاه خمسمائة درهماً فحسده بعض الحاضرين من الوافدين وقال للميرزا ان هذا السيد لا يستحق ما أعطيته لانه يشرب الخمر فقال ياسبحان الله ما علمت بذلك اذن هذا يحتاج الى أكثر مما أعطيتناه

فلا تكفيه الحمائم ثم أمر له بحمائم أخرى فكان الحسد موجياً لزيادة عطائه (١)

(١) أورد عظمة مولاي السرمدار أقدس هذه الرواية عن صاحبه أبي غداره حسين قبي خان بنفس تطهرت من رجاسات الحسد مع انه حفظه الله أتى كثيراً من أمثاله وأبي أن يذكرها عن نفسه تواضعاً وهي خطئه العلياني سياسته مع عبده المتقين حوله المتناظرين في خدمته المتنافسين على نيل رضاه فكما قرر اعزّه الله في المتن من نحاسد المتناظرين حول الملك فان حاشية سموه الواسعة لم تتسكب عن هذه القاعدة ولكن التحاسد في حاشيته أقل بكثير من التحاسد في حواشي الملوك الآخرين والفضل في ذلك لعظمته حفظه الله فانه من جملة المميزات التي تفرّد بها على ملوك هذا العصر انه لا يترك مجالاً لتحاسد حاشيته وتنافسها لاهاله كل ما يسمعه من بعضها ضد البعض الآخر

قيل لعظمته يوماً وكنت بحضورته ان خادمك فلان (وسماه) أصبح اليوم بفضلك غنياً واسع الثروة حتى تبلغ أملاكه ونقوده نيف ومئة ألف من الليرات فقال لعظمته حفظه الله ولم لا يصبح كذلك وهو أمين في خدمتي؟ وهذا الجواب الملوكي وحده يكفي لحذل ذلك الحاسد المعروض بخادم أمين لا فضل للمحسنين عظمة الشيخ خزعل خان وقيل لعظمته مرة أن خادمك فلان يتمتع بأموالك في بلد كذا وينفق عن سعة فضحك عظمته وقال سأزيده ان نعمتي لاني أحب من اتباعي ان تظهر عليهم نعمتي كما يحب الله من عبده أن تظهر نعمته عليه وكان هذا الجواب أيضاً رادعاً لذلك الحاسد اللئيم خزاء الله

وقيل لعظمته في مجلس ان عبدك فلاناً قال لي كيت وكيت تعريضاً برفيع قدرك فعبس لا كدّره الله وقال ان كلامك هذا هو العيب الذي أثبت سماعه فعبدي الذي تعنيه أخلص لي منك وأنا أوفر ثقة فيه وهكذا تصاغر بنفسه ذلك الحاسد النمام ولم يعد الى مثل هذه الدسائس التي لا يأتيها غير اللئام

وأمثال هذه الحوادث كثيرة ومأثورة عن عظمة مولانا معز السلطنة ولذلك ترى جميع حاشيته مطمئنة على مستقبلها في خدمته اذ لا تخاف وشاية حاسد أو نيمية حقوق ولذلك لا تعجب اذا قلت لك أن جميع أفراد الحاشية مخلصون لعرش مليكهم المقدس ويتمنون لو يضيف الله من أعمارهم الى عمره السعيد ليعيش الخلود

فإن عظمة وليّ النعم المرمدار اقدس بمكارم أخلاقه وسعة صدره من أولئك

« حب المائثة »

ومما جُبلت عليه النفوس حبّ المائثة والمشاكله أي المرء يجب دائماً أن يساوي غيره في السراء إذا لم يستطع أن يفضله كما يجب أيضاً أن يمانته غيره في الضراء وهذا نوع من أنواع الحسد والمنافسة واليه أشار القرآن الشريف إذ قال تعالى ( ودّوا لو تكفروا كما كفروا فتكفونون سواء ) وقوله تعالى ( ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ) الآية وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال ( مازلت مظلوماً ، إذ كنت صيباً إذ كان عقيل ليرمد فكان يقول لا تذرّوني حتى تذرّوا أخي عيياً فأضطجع وما بي رمد ) ومن هذا قال بعض العلماء من آفات البذل والعطاء أن إيصال الخير إلى الكل محال فلا بد من إيصاله إلى البعض دون البعض فيفضي ذلك إلى العداوة لأن المحروم يقول في نفسه لماذا منع فلان المحسن عني خيره وأوصله إلى فلان وهكذا تقوم له في نفسه عداوة ) وأنشد بعضهم في هذا المعنى :

عدوك من صديقك مستفاداً      فلا تستكثر من الصحاب  
فإنّ الداء أكثر ما رآه      يكون من الطعام أو الشراب

وذكر ابن خلكان في تاريخه أن تاجر أدخل مدينة الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام ومعه حمل من الخمر السود فكسدت عليه ولم يجد لها طالباً فضاقت صدره فقيل له ما ينفعها لك إلا مسكين الدارمي وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالخلاعة والظرف فقصدته الخمر فوجده قد تزه وانقطع في المسجد فقص عليه قصته فقال وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على العبادة فقال التاجر ولكي غريب وليس لي بضاعة سوى هذه الخمر أتضرع إليه فخرج مسكين من المسجد ولبس لباسه الأول ونظّم بيتين وأذاعها وهما :

قل للمليحة في الحمار الأسود      ماذا صنعت بزاهد متعبّد  
فدكان شمّر للصلاة رداه      حتى وقفت له بباب المسجد (١)

فشاع بين الناس أن مسكين الدارمي قد رجع إلى ما كان عليه بنواية كعوب مررت

الملوك الذين يصغون للحساد والوشاة فينكفون بالابرياء ويقصون الخالصين الأوفياء فلا يخلص لعرشهم عبد ولا يصدق في خدمتهم خادم لعالمهم أنهم في كل ساعة معرضون لغضب الملك بوشاية حسود ولذلك قيل في الامثال « مجاور السلطان كجوار الاسد »

هذا بعض مميزات عظمة شيخنا المرادار اقدس حيّاه الله وبيّساه وجعلنا فداه  
(١) كنا مرة في مجلس عظمة الامير المرادار اقدس الشيخ خزعل خان في القيلية

عليه وهو في المسجد وكانت لابسة خمار أسود فلما سمعت النساء القصة أسرعت بطلب  
 الخمر السود وباع التاجر بضاعته بأضعاف ثمنها . أما مسكين الدارمي فرجع بعد ذلك  
 ومن ظرائف الروايات أن رجلاً كانت لحيته سوداء قد خالطها الشيب وكان له  
 امرأتان شابة ومسننة فكان إذا حضر عند الشابة تنفت من لحيته الشعر الأبيض وإذا  
 حضر عند المسننة تنفت من لحيته الشعر الأسود فما مضى عليه شهر الا وقد تنفتا لحيته  
 فراحت شهيدة المائة

ومن هذا القبيل قول أمير المؤمنين عليه السلام « لا تصحب المائق فإنه يزين لك  
 فعله ويورد أن تكون مثله والمائق هو الشديد اللحمق وأما زين لك فعله لثمائه وبالجملة  
 فحبّ المائة والافتداء طبع لازم لسائر النفوس وكذلك بعض المخالفة والتباض بين  
 المتخالفين

« الغيرة »

ومما جُبلت عليه النفوس الغيرة وهو ألم حاصل عند استشعار المشاركة في المحبوب  
 وهو خلق لازم يهيج عند عروض أي سبب من استشعار الرغبة في المشاركة والنفوس  
 كما تحب أن تشترك مع غيرها في المرغوب المحبوب وأن يشاركها غيرها بما تنى به من  
 المنفوس المكروب كذلك تحب اختصاصها بمحبوبها وتنفرد عن المشاركة فيه من قبيل  
 الانانية وحبّ الذات على حدّ قول الشاعر :

أحب من الاحباب من كان لي وحدي وأهوى من الخلان من لم يخن عهدي  
 وبناء على هذا الاختصاص المطبوع في النفس قال أحد العقلاء « اذا خدمت رئيساً

الحمية وكان عظمته حفظه الله يحدثنا عن آداب العرب فصغى ونستفيد ثم ذكرت  
 في حضرته العلية عناية الفرنجة بالاعلانات حتى ان تاجرهم يصرف نصف رأسماله على  
 الاعلانات عن بضاعه وان العرب مازالوا حتى بمصر أقل عناية من الفرنجة بالاعلانات  
 عن بضائعهم ولذلك كانوا أقل نجاحاً منهم فتبسم أعزه الله وقال ولكن أتدري أن  
 الاعلانات هي من اختراع العرب وان الفرنجة أخذوها عنا كما أخذوا غيرها فدهشنا هذه  
 الرواية واستزدنا عظامه البيان فقصّ علينا القصة التي تراها في المتن وقال أليست هي  
 اعلان عربي يوم كان الفرنجة لامدنية عندهم ولا يعرفون الاعلانات ؟ ؟



فلا تلبس مثل ثوبه ولا تركب مثل مركوبه ولا تستخدم كخدمه فعاك تسلّم منه « (١) وما نسكة البرامكة الا من هذا القليل  
وذكر ابن الجوزي في تاريخه لما تزوجت ليلى جاء المجنون الى زوجها وهو يصطلي  
في يوم شتاء فوقف وقال :

بربك هل ضممت اليك ليلى      قبيل الصبح أو قبلت فاها  
وهل رفعت عليك قرون ليلى      رفيف الاقحوانة في نداها  
فقال اللهم اذ حلفتني فنعّم فقبض المجنون بكفتي يديه قبضتين من الحجر فما كان  
فارقها حتى سقط مغشياً عليه فسقط لحمه مع راحتيه  
قلنا والغيرة لا تحمد الا في موضع واحد وهو أن يغار الوضيع من الرفيع فيعمل  
ليرتفع نظيره وفي ذلك قلنا لولدنا جاسب وكان يترعرع في واقعة حالٍ  
أجاسب قد عددتك للمعالي      فكان في المقبل الاتي فتاها  
وانك فوق طلاب الملاهي      ونفسك لا يسرك مشتهاها  
وأطعم ان طمعت بذات يوم      بأن تعدوذوي التيجان جاها  
فاني لم أغر عمري سوى من      معالٍ لست أبلغ منهاها  
واعلم أن الغيرة في النساء والصبيان أشد منها في الرجال وذلك للضعف الفطري  
الموجود في النسوة والفتيان

ومن فكاهات الغيرة في النساء المستماحة ما ذكره ابن الجوزي في كتاب الاذكياء  
عن خالد بن صفوان التيمي انه أدخل يوماً على الخليفة السفاح وليس عنده أحد فقال  
بأمير المؤمنين والله ما زلت منذ قلدك الله الخلافة أطلب أن أصير الى مثل هذا الوقت  
في الخلوة فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بأمسك الباب حتى أفرغ فليفعل فأمر

(١) كنا يوماً في خدمة عظمة مولانا الشيخ المعز حياه الله وكنّا طائفة من الادباء تأدب  
بأداب عظمتها فانتقل بنا الحديث الى هذا القول المأثور فضحكنا جميعاً وقال مبتماً ما  
الذي يضحككم قلنا ان صاحب هذا القول لو عرف عظمتك لما قاله فانا نراك تؤثر  
عبيدك وخدمك على نفسك فنحن في رث ورغد أكثر من ولي نعمتنا على أننا نتفق من  
فضلك ونجود من كرمك ومع ذلك ليس منا من يتوقع غير السلامة في رضاك والعيشة  
في طاعتك فقال روجي فداه وقوله من الغرر «كل سروري أن أرى كل من حولي مسرورين»  
فقلنا والله انك لعلى خلق عظيم

الحاجب بذلك فقال يا أمير المؤمنين اني فكرت وأجلت الفكر فلم أرَ أحداً له قدرة  
 واتساع على الاستمتاع بالنساء مثلك ولا أضيق فيهنّ عيشاً منك انك ملكت نفسك  
 امرأة من نساء العالمين فاقصرت عليها فان مرضت مرضت معها وان غابت غابت لاجلها  
 وان عركت عركت وان حزنت حزنت ورحمت نفسك يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراق  
 الجوارى ومعرفة اختلاف أحوالهنّ والتمتع بما يشتهى منهنّ فان منهنّ الطويلة التي  
 تشتهى لجمها والبيضاء التي تحبّ لرؤيتها والسمراء والعمماء والصفراء الذهبية ومولدات  
 المدينة والطائف واليمامة ذوات الالمن العذبة والاجوبة الحاضرة وبنات سائر الملوك  
 وما يشتهى من نضارتهم ونظاقهم وتخلل خالد باسانه فأطرب في صفات ضروب  
 الجوارى وشتات محاسنهم والسفاح يسمع وهو ساكت حتى اذا ما انتهى قال ويحك  
 ملأت سمعي بما شغل خاطري والله ما طرقت أذني كلام أحسن من هذا فأعد عليّ  
 كلامك وقد وقع مني موقعاً حسناً فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه ثم قال له  
 انصرف فانصرف وبقي السفاح يفكر فدخلت عليه أم سلمة زوجته وكان قد حلف لها  
 أن لا يتخذ عليها زوجة ولا سرية ووفي لها بذلك فلما رآته مفكراً مهموماً قالت اني  
 لانسرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شيء تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له قال لا هذا ولا  
 ذاك فلم ترل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت وما قلت لابن الفاعلة فقال لها أينصحنني  
 وتشتيمه فغضبت وخرجت الى موالها وأمرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من عند  
 أمير المؤمنين مسروراً ولم أشك بالصلاة فيبيننا انا واقف أتظرها اذا قبل قوم يسألون عني  
 فحقت أنهم جاؤوا اليّ بالجازة فقلت لهم ها أنا ذا فاستبق اليّ أحدهم بخشبة فعمزت بردوني  
 فلحمتني وضرب كفل البرذون فركضت ففهم واستخفيت في منزلي اياماً ووقع في قلبي  
 اني أوتيت من أم سلمة فيبيننا أنا ذات يوم جالس في بيتي فلم أشعر الا بقوم قد هجموا  
 عليّ وقالوا أجب أمير المؤمنين فسبق الى قلبي انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون  
 والله لم أرَ دم شيخ أضيع من دمّي فركبت الى دار السفاح فأصبته جالساً ولحظت في  
 المجلس بيتاً عليه ستور رفاق وسمعت حساً من خلف الستر فأجلستني ثم قال ويحك  
 يا خالد وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها فقلت يا أمير المؤمنين أعلمتكم أن العرب جعلوا  
 اسم الضرة من الضرر وان الرجل لا يكون عنده من النساء أكثر من واحدة الا  
 وكان في ضرر وتغصيص فقال السفاح لم يكن هذا كلامك أو لا قلت بلى يا أمير المؤمنين  
 وأخبرتكم أن الاربع من النساء شرّ مجموع لصاحبهن يشبهنه ويهرمنه قال والله

مسمعت هذا منك أولاً قلت بلى والله يا أمير المؤمنين قال أفكيدني قلت أفقتلني ؟  
 نعم والله يا أمير المؤمنين أن أبكار الاماء رجال الا أنهم ليس لهم خصي قال خالد فسمعت  
 ضحكا من خلف الستر ثم قلت والله يا أمير المؤمنين وأخبرت أن عندك ربخانة قريش  
 وأنت تطمح بعينيك إلى النساء والجواري فقيل لي من وراء الستر صدقت والله يا عمه  
 بهذا حديثه ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك فقال السفاخ قاتلك  
 الله وضحك قال خالد فانسالت وخرجت فبعثت الي أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون  
 وتحت ثياب

نقول ومن هذه الحكاية يجب أن تنتبه الى أمور منها وجوب المداراة وحفظ  
 اللسان والنظر الى الاصلح ومنها ما ذكرناه من أن وجود الغيرة في نفوس النساء أشد  
 وأعظم من وجودها في نفوس الرجال وقد تتجاوز النساء في الغيرة حداً ينزج في  
 عن سياسة العقل والشرع الى ما لا يحل وذلك لضغفهن

ومن هذا القبيل ما حكى عن رجل غاب عن زوجته ثم بلغها أنه اشترى جارية  
 فاشترت هي غلامين فباع الخبر زوجها فاجاء مبادراً وقال لها ما هذا ؟ قالت أو ما علمت أن  
 الرجا، الى بغلين أحوج من البغل الى رحوين فباع الجارية لايبع الغلامين فعمل

وأصبح من ذلك ما حكى عن البهاء زهير الشاعر أنه كان يتبرد في دهايز داره أيام  
 الحر وكان قبيح الصورة فأنت جارية سوداء فوقت نخلتس النظر اليه ثم مضت فلم  
 يكن أسرع من أن أقبلت ومعها امرأة حسناء كأنها دارة القمر فلما أتته قالت أنا ذن لي  
 بالذخيل فقال على الرحب والسعة فدخلت وقالت هل لك في نقال أي والله ومن برد  
 مثلك فلما قضى منها وطره قامت لتذهب فعرض عليها شيئاً من الذهب والقماش فأبت  
 أن تأخذ منه شيئاً فقال ياسيدي متى يكون اللقاء فقالت ان عاد عدنا فقال جملت فذاك  
 من ؟ قالت زوجي قام في غفلة مني الى جارية سردهاء عندي في غاية الدمامة والقيح فاليت  
 لا كائنه على صنيعه برجل أسود مثاها فأرسلت ثمقي هذه ( تعني الجارية ) التي سارت  
 تبصر لي رجلاً قبيحاً مثل تلك الجارية السوداء . فطافت القاهرة فلم تجد من يشبه الجارية  
 غيرك فأتيت اليك لا كافي زوجي وان عاد عدت اليك ثم انصرفت ففرح البهاء زهير  
 بدمايته اذ كانت سبباً لتمتعه بتلك الحسنة التي صدق فيها قول الشاعر :

حورية لو رأتها الشمس ماطلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحد

ومن هذا قال أمير المؤمنين عليه السلام « غيرة الرجل إيمان وغيره المرأة كفر »

لان في غيرة الرجل على نهائه صوتاً لهن عن المنكر وفي غيرة النساء على رجالهن تهتك  
 وفجور وابتذال والافضل أن تكون غيرة الرجال باعتدال  
 « الحمية »

ومما جُبلت عليه النفوس الحمية ومعناها المحافظة على الحرمة من التهمة وهي على ثلاثة  
 أنواع حمية النسب وحمية العرض وحمية الدين

أما حمية النسب فهي من خواص العرب وقد عرفت فيهم وسأتلو عليك أخباراً  
 تشهد بذلك وتؤيده منها ما ذكره الشيخ عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح النهج  
 عن أبي عبيدة قال كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء الا قائداً فدخل  
 على سليمان بن عبد الملك يوماً من الايام فأنشده شعراً فخر فيه بأبائه وفي جملة ما قال :  
 تالله ما سحلت من ناقة رجلاً مثلي اذ الرحلة تني عن الكور

فقال سليمان هذا المدح لي أم لك؟ قال لي ولك يا أمير المؤمنين فعضب سليمان وقال  
 قم فأنتم ولا تنشد بعده الا قائماً فقال الفرزدق لا والله لا أفعل فقال سليمان ويبي على  
 الاحق ابن الفاعلة لا يكتفي وارتنع صوته فسمع الضوضاء بالباب فقال سليمان ما هذا قيل له  
 بنو تميم على الباب قالوا لا ينشد الفرزدق قائماً وأيدينا في مقابض سيوفنا قال فليشد قاعداً  
 وروى المرزباني قال: كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن وفدوا على رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم صحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين وكان من رجاله  
 المشهورين ثم وفد على معاوية بعد أن استقامت الامور له وكان معاوية يشبهه مرة  
 بمينه فدخل عليه في جملة الناس فلما انتهى اليه استنسه فانتسب له فقيل له أنت صاحب  
 ليلة الهرير قال نعم قال والله ما تخلو مسامعي من رجلك تلك الليلة وقد علا صوتك  
 أصوات الناس وأنت تقول

شدوا فداء لكم أمي وأب فانما الامر لمن غلب

هذا ابن عم المصطفى والمنتجب تنميه للعلياء سادات العرب

ليس بموصوم اذا نص النسب أول من صلى وصام واقترب

قال نعم أنا قائمها قال فلماذا قلتمها؟ قال لانا كنا مع رجل لا يعلم خصلة توجب الخلافة  
 ولا فضيلة تصير الى التنفيذية الا وهي مجموعة له كان أول الناس اسلاماً وأكثرهم علماً  
 وأرجحهم حلمات الجياد فلا يشق غباره يستولي على الامد فلا يخاف عثاره وأوضح  
 منهج الهدى فلا يبدي مناره وسلك القصد فلا يدرس آثاره فلما ابتلانا الله تعالى باتقاده



وحوّل الامر الى من يشاء من عباده دخلنا في جملة المسلمين فلم نزرع يداً عن طاعة  
 ولم نصدع صفاة جماعة على أن لك منا ما ظهر وقلوبنا يبسد الله وهو أعرف بما فيها  
 استتر فأقبل صفوفاً وأعرض عن كدرنا ولا تتركنا على حقد فان النار تقدح بالزناد  
 قال معاوية وانك تهددني يا أخاطي بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق فقال  
 يا معاوية هم الذين أشرقوك بالريق وحبسوك في الضيق وذادوك عن سنن الطريق  
 حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت وآمن بمنزاتها وكفرت  
 وعرف من تأويلها ما أنكرت فغضب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله فاذا جلهم من  
 مصر ونقر قليل من اليمن فقال يا أيها الشقي الخائن اني لأخال ان هذا آخر كلام تنفوه  
 به وكان عفير بن سيف بن ذي يزن باب معاوية فعرف موقف الطائي ومرام معاوية  
 خفاف عليه وهجم داخلاً وأقبل على البيانية فقال شامت الوجوه ذلاً وقلاً وجدعاً وفلاً  
 كتم الله هذه الانب كما مر عبأ ثم التفت الى معاوية فقال أي والله يا معاوية ما أقول  
 قولي هذا حباً لأهل العراق ولا جنوحاً اليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب لقد  
 رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة يعني صصمة بن صوحان وهو أعظم جرماً من هذا  
 وأزكى لقلبك وأقدح في صفاتك وأجد في عداوتك وأشد انتصاراً في حربك ثم  
 أثبتته وسرحته وأنت الآن تجمع على قتل هذا استصغاراً لجماعتنا بأننا لانمر ولا نحلي  
 ولعمري لو وكلت أبناء قحطان الى قومك لكان جدك العائر وذركك الدائر وحدك  
 المغلول وغرسك المشلول فأربع على ظامك واطونا على باللتنا ليسهل لك حزننا ويتطامن  
 لك شاردنا فانا لازام برفع الغم ولا نتغاب ببحر الحسف ولا نمر بفهار الفتن  
 ولا ندر على الغضب فقال معاوية انضبط شيطان فأربع نفسك أها الانسان فالتألمات  
 الى صاحبك مكروهاً ولم ترتكب منه منخبأ ولم نذهبك منه محرماً فدرتك فانه لم يضق  
 عنه حملنا ويسع غيره فأخذ عفير بن الوليد وخرج به الى منزله وقال له والله لتؤوب  
 بأكثر مما أب به مودي بن معاوية وجمع من بدمشق من البيانية وفرض على كل رجل  
 دينارين في عطائه فبلغت أربعين ألفاً فتعجبها من بيت المال ودفعها الى الوليد وردّه  
 الى العراق

ومن هذا القبيل ما ذكره الميداني في مجمع الامثال أن العيسار بن عبد الله الضبي  
 وفد هو وحبش بن دلف وضرار بن عمر والضبيان على الزمان بن المنذر فأكرمهم  
 وأجرى عليهم رزقاً وكان العيسار مهذاراً يقول الشعر ويضحك المبلوك وفي جملة

ما يروى عنه قوله :

لا أذبح النازي الشعوب ولا أسلخ يوم المقامة العنقا  
 وكان النعمان بادياً فأرسل إليهم بحجر زهين تيس فأكلوه من غير التيس فقال ضرار  
 للعيار وهو أحدثهم سنأ أنه ليس عندنا من يسلخ هذا التيس فبذالو ذبحته وكفيتنا  
 ذلك فقال العيار ما أبالي أن أفعل فذبح التيس وساخه فانطلق الضرار الى النعمان وقال  
 له أبيت اللعن أيها الأمير ان العيار يسلخ تيساً فأني به وقال له أين قولك لا أذبح النازي  
 الشعوب الى آخر البيت ففجعل العيار وضحك النعمان ساعة وعرف العيار أن الضرار  
 هو الذي أخبر النعمان بما صنع وكان النعمان يجلس بالحاجرة في ظل سرادقه وكان  
 كسا ضراراً حلة من حله وكان ضرار شيخاً أعرج بادناً كثير اللحم قال فسكت  
 العيار حتى كانت ساعة النعمان التي كان يجلس فيها في سرادقه ويؤتى بطعامه عمد العيار  
 الى حلة ضرار فلبسها ثم خرج يتعارج حتى اذا كان بحيال النعمان كشف عنه وقضى  
 حاجته فقال النعمان ما لضرار قاتله الله لا يهايني عند طعامي وغضب عليه فلما بلغ الامر  
 ضرار حلف بأنه لم يفعل هذا المنكر وقال ولكني أرى العيار فعله للوقعة بي جزاء  
 ذكري سلخه التيس وعلى أثر ذلك وقع بينهما نفرة فتشأما عند النعمان فلما كان بعد  
 ذلك وقع بين ضرار وبين أبي مرحب أخي بني يربوع ما وقع فتناول أبو مرحب  
 ضراراً عند النعمان والعيار شاهد فشم العيار أبا مرحب وذجره فقال النعمان أتشم أبا  
 مرحب في ضرار وقد سمعتك تقول به شراً مما قال له أبو مرحب فقال أبيت اللعن  
 يامولاي وأسعدك الهدى « اني لا كل لحمي ولا أدعه لا كل » فأرسلها مثلاً فقال النعمان  
 « لا يملك مولى لمولى نصرأ » فأرسلها مثلاً نقول والسر في نصرة العيار للضرار انهم امن

نسب واحد فلم يرض أن ينال من عرضه أبو مرحب

ومثل ذلك ما روي أن ابن أبي جهل لما أسلم دخل المدينة فجعل يمر في الطريق  
 فيقول الناس ابن أبي جهل فذكر ذلك لام سلمة فذكرته لرسول الله صلى الله عليه  
 وآله فخطب في الناس فقال « لاتؤذوا الاحياء بسبب الاموات »

وأما حمية العرض فلا تختص بأحد دون أحد بل هي في الناس شرع وقد يعبر  
 عنها بالغيرة وهذه الحمية وجودها في النفوس على مراتب ثلاثة وهي الافراط والتفريط  
 والاعتدال فاذا غابت الحمية على الانسان حتى يتنصص بها عيشه فهي الافراط وفيها  
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله « ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي

غيرة الرجل على أهله من غير ريبة « وكان أمير المؤمنين عليه السلام « لا تكثر الغيرة على أهلك فزى بالسوء من أجلها » وقال مسكين الدارمي

من لم يزل متهماً عرسه      مناصباً منها لرجم الظنون  
يوشك أن يغربها بالذي      يخاف أو ينصبها للعيون

وذلك لما قدمناه من حرص الانسان على ما منع والنساء في ذلك أشد

وأما التفريط فهو أن تفقد الحمية من الرجل حتى لا يبالي بعرضه وما يصنع به وهو عكس الافراط في الزيرة عليه وقد تفقد الحمية في بعض النفوس حتى لا يهتم الا بنفسه قال ابن الاعرابي خرج بعض الاعراب في عام مسغبة يلتمس شيئاً يرجع به الى أهله فتي من أطعمه وأسقاه فنسي من تخلف ثم جاء بعد حين شعباناً رياناً فقالت امرأته له :

كفي لامة والله عالم غيبه      وعندك من علم الكرام يقين

بأن يخرج المعتار من عند أهله      سغاباً ويأتي الاهل وهو بطين

وان امرءاً ارضى بطعم ومشرب      ويبتغي جيعاً خلفه لمهين

ومثل هؤلاء المفترطين الذين لا يهتمون بصيانة أعراضهم أو أنهم يرضون بتهتك نساءهم لقاء كسب يجنونه لحري بأن تكون نساءهم كالجاريتين اللتين تمارحتا في قول الشاعر

قالت لجاتها يوماً مازحة      قرنت زوجك ان القرن يفضحه

قالت أيتمى بلا قرن فوالهفي      يلقاه زوجك ذو القرنين ينطحه

وأما حمية الدين فلا تختص بالعرب فقط بل لعابها في غيرهم أشد وقد يعبر عنها بالعصبية ولكن الفرق بينهما ظاهر وكل منهما من ثمرات الغضب للدين أو الوطن الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله « حب الوطن من الايمان » الا أن هذه الحمية اذا خست بالدفاع عن الدين أو الوطن أو كليهما أو التشييد لآثار الدين وعمران الوطن وتجرد صاحبها عن الطعن بالغير وتنقيصه فهو حمية والا فهو عصبية والحمية من

هذا النوع محودة ولا يخلو منها طبع بشري وان اختلفت مراتبها في النفوس

قال بعضهم: رأيت في بغداد رجلاً كيف البصر يسأل الناس ويقول من أعطاني فلساً سقاه الله على يد معاوية قال فتبعته حتى خلوت به فلطمته لطمه أوجعته وقلت عزلت أمير المؤمنين عليه السلام عن حوض الكوثر بفلس واحد فقال الكفيف لا والله لا كان ذلك أبداً وأنا لم أذكر معاوية حوضاً في كلامي فليستهم من حيث شاء

وإعجبني ما نقله الشيخ محمد طه نجف دام علمه عن الشيخ جواد نجف

فُدس الله سره قال ان بعض من كان مشهوراً بالسرقة في طهران سرق في ذات ليلة دار رجل يهودي ولم يعلم بأن صاحب تلك الدار من آل اسرائيل فلما أصبح الصباح اشتهر أمر السرقة وعلم السارق ان المسروق يهودي فجاء اليه كالمستخبر وقال كم كانت سرتك قال كذا وكذا قال اكتبها على القرطاس لا تجسس السارق لعلي أعتز عليه فكتبها وسلها في كاغد ليد السارق فاذا هي كل ما كان مسروقاً من غير زيادة فقال له امض معي الى الحاكم فذهبا اليه وهناك سلم الرجل اليهودي كل ما سرقه منه في ليلته فقال له الحاكم وذاك تأخذ مال المسلمين وترد مال اليهود قال السارق نعم ان المسلمين أخرة واذا كان يوم القيامة أصلح بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالاناس من هذا والتوسل لهذا ولكن يشق عليّ أن يطاطبي رسول الله رأسه بين يدي. وصى ابن عمران حينما يقول له ان رجلا من أصحابك سرق دار رجل من أصحابي ويكيدني حينما يأخذ رسول الله يدي اليه ويخضع له ويقول قل لصاحبك يعفو عن هذا القرنان وأما العصبية فلا يخلو منها طبع بشري لان عليها قوام الحياة والسر في ذلك هو عجز الفرد الواحد عن حفظ وجوده واحتياجه الى تعاضد اخوانه فيما يسمونه تراحم البقاء أو تغلب القوي على الضعيف وبذلك انقسم الناس الى قبائل وشعوب وقامت فيهم العصبية وهي التي توسع فيها الفرنجة فدعوها «وطن» بعد أن تحضروا وبعبارة أفصح ان العصبية عند الامم التي تغلب فيها البداوة تقوم مقام الوطن عند الامم التي تغلب فيها الحضارة

وللفسكاهة نرى أن نورد هنا بعض القصص المشيرة الى الحمية الدينية الداخلة فيها الحمية العصبية لاشترك الدين والسياسة في الاسلام وللجمع بين الفسكاهة والفائدة ذكر ابن الجوزي في كتاب الاذكياء انه كان في بغداد في طرف الجمر سائلان كفيفان أحدهما يتوسل الى الناس بأمر المؤمنين عليه السلام والاخر بمعاوية (وأنت تعلم أن الناس في بغداد شيعة وسنة) وكانا يجمعان المال بهذه الحيلة من كل من يمر بهما وكانا اذا انقضى النهار يجتمعان ويقسمان مكسب يومهما فتأمل

وقيل للبهلول أيهما أفضل أبو بكر أو علي فقال أما وأنا في كندة فعلي واذا كنت في بني ضبة فأبو بكر وكندة في الكوفة من شيعة أمير المؤمنين وبنوضبة هم أصحاب الجمل وفي الاثر ان رجلاً قال للبهلول انه ورد في الحديث الصحيح ان في يوم القيامة توضع أعمال الشيخين في كفة من الميزان وأعمال سائر الخلق في الكفة الاخرى



فترجح أعمال الشيخين على أعمال الخلائق فقال البهلول ان كان هذا الحديث صحيحاً فالعيب في الميزان

وكان صاحب ربيع يتشيع فارتفع اليه خصمان اسم أحدهما علي والآخر معاوية فأنحى علي معاوية وضربه مئة سوط من غير ان تتجه عليه حجة فقطن المضروب الي سبب نكبته وقال أصلحك الله سل خصمي عن كنيته فاذا هو أبو عبدالرحمن وكانت كنيته معاوية بن أبي سفيان فبطحه وضربه مئة سوط أيضاً فقال لصاحبه ما أخذته مني بالاسم أخذته منك بالكنية

وقال الراغب في المحاضرات ان بقزوين قرية أهلها مغالان بالتشيع فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال عمر فضره بوه ضرباً شديداً فقال ليس اسمي عمر بل عمران فقالوا أشد من الاول فان فيه عمر وحر فان من اسم عثمان فهو أحق بالضرب

ومن هذا الباب قصة الحجاج بن عكاظ السلمي في حسن تلفظه واحتماله وتيقظه في توصله الي تحصيل ماله وخلاصة القصة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن عكاظ السلمي وكان أسلم في حال قدومه وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي مالا عند صاحبي أم شيبه ولي مال متفرق في تجار مكة فأذن لي يا رسول الله في العودة الي مكة عسى أسبق خبر اسلامي اليها فاني أخاف ان علم أهلها باسلامي أن يذهب جميع مالي فأذن له رسول الله قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الي الثنية البيضاء وجدت بها رجلاً من قریش يستمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد سار الي خيبر وكانوا قد عرفوا ان خيبر قرية الحجاز ريفاً ومنعه رجالها فهم يتجسسون الاخبار فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر اليتين أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون النبي صلى الله عليه وآله قد سار الي خيبر قال فقلت لهم بئني انه قد سار اليها وعندي من الخبر ما يسركم قال فزادحوا علي جنبي ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزيم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسّر محمد أسراً وقالوا لا نقله حتى نبعث به الي مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني علي جمع مالي من غرمائي بمكة فاني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من نقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الي هنالك فقاموا معي فجمعوا مالي كما أحب قال ووجبت صاحبي فقلت هات مالي لعلي ألحق خيبر فأصيب من فرص

البيع قبل أن يسبقني التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه عني أقبل حتى وقف الى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به ؟؟ قال قلت وهل عندك كتمان لما أضعه عندك قال نعم قالت فاستأخر عني حتى أملك على خلوة فاني مشغول في جميع مالي كما ترى فانصرف عني حتى أفرغ قال وبعد أن فرغت من استعصاء جميع أموالي بمكة وأجمت على الخروج لقيت العباس فقالت احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل فاني أخذت الطاب واكنتم عليّ ثلاثاً ثم قل ما شئت قال أفعل فقالت والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعني صفية ولقد افتتح خير وانتقل ما فيها وصارت له ولاصحابه قال ما تقول يا حجاج ؟؟ قلت أي والله فاكنتم عني ولقد أسلمت وما جئت الا مسلماً لا أخذت الي فرقاً من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاث فظاهر أمرك فهو والله على ما تحبّ قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتحلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هنا والله التجلد لحرّ المصيبة قال كلا والله الذي حلقتم به لقد فتح محمد خيراً وترك عروساً على ابنة ملكهم وأحرز أمرهم وما فيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر ؟؟ قال الذي جاءكم به ولد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله وانطلق ليلته حق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا لقد أفلت تدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن وما لبثوا أن ظهر لهم الصحيح وهكذا توصل الحجاج بيقظته واحتياله الى الحصول على أمواله

### ﴿ الروضة الثالثة ﴾

#### ﴿ في القوة الروحانية ﴾

##### ( توطئة )

ان القوة الروحانية أشرف من القوة الشهوية ومن غلبت عليه الروحانية يسمى روحاني المزاج ويطلق عليه لقب ( أريحي ) وأما ما يتعلق بهذه القوة من الاخلاق فهو حب الاستيلاء والاستعلاء والقدرة على الغير وحب المال وألجاء والانفراد بالكمال وحب الثناء والمدح وعلو الهمة وكبر النفس والانفة والعجب والحياء والعفة وأشباه ذلك

« الكمال لله »

من المعلوم أن في الانسان صفات بهيمية وأخرى سبعية وأخرى ربانية ولما كان الانسان مركباً من هذه القوى الثلاثة أصبح ولا شك يتأثر بمؤثراتها عليه على قدر استعداده النفساني لها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بطبيعته ومعنى الربوبية هنا التفرد بالكمال على سبيل الاستقلال وإذا كان الكمال من الصفات الالهية صار محبوباً للانسان

والكمال بالتفرد بالوجود من حيث المشاركة فيه نقص فكمال الشمس في أنها موجودة لوحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصاً لها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية

والتفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواء فانما سواء أثر من آثار قدرته لا اقوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجوداً معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن أشراق نور الشمس في أقطار الافاق لا ينقصها بل هو من البراهين على كمالها وانما ينقصها وجود شمس مثلها مع الاستغناء عنها وكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى أشراق أنوار القدرة الالهية فيكون تاماً ولا يكون متبوعاً وعلى هذا فعنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان يحب بطبعه لان يكون متفرداً بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ العلم مامن انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله « أنا ربكم الأعلى » ولكنه لم يجد مجالاً لظهار ربوبيته سوى باستعباد الناس الى أجل معين والعبودية قهر على النفس والربوبية بالعكس محبوبة من النفس التقيية

لاجرم مامن أحد الا وهو يدعي الربوبية على من دونه من العبيد والاماء والخدم والحشم والاتباع على أنه يتمتع عن اظهار مافي نفسه الا في حالات استشاطته وغيظه وغضبه عند تقصير بعضهم في خدمته (١)

(١) لله درّ شيخنا المزمّن الذي نمر أفضل تفسير ما جرح في صدور أولي الزمامة وأهل الرئاسة من الكبر الى ادعاء الربوبية على من دونهم قدراً أو المنتمين اليهم في الخدمة ومن باب تقرير الحقائق نقول أن عظمة مليكنا المفدى بالنفوس الشيخ خزعل خان حفظه الله قد تزه عن هذا على علو قدره وواسع سلطانه فهو من رعاياه وعبيده بمنزلة الاب الرؤوف الرحوم من بنيه يلاطف الكبير والصغير ويرحب صدره فيهم جميعاً وما عهدناه

وما ادعاه مثل هؤلاء الربوبية أو ظهورهم بظواهرها الا من عوامل الكبرياء التي لا يخلو من شرها انسان الا من عصم الله وقد أوماً الى ذلك القرآن الشريف بقوله « قل الروح من أمر ربي » ولكن لما عجزت النفس عن ادراك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشبهة له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته وللكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم الذاتية أو عدم صفات الكمال من ذاته وأما الكمال بعد أن يسلم المتفرد بالوجود بالاستيلاء

نحن عبيده غاضباً مقتظاً الى أحد على كثرة ذلاتنا وتقصيرنا في خدمته العلية بل بالعكس اذا رأى من أحدنا تقصيراً في واجباته نهبه الى تصديره باشارة خفية كأن يقول له كنت أنتظر منك عمل المسألة الفلانية أو أظن أن عملك ذاك كان تسرعاً ولو تمهات أو سرت به من طريق كذا لكانت النتيجة أفضل

ومع أن عظمته حفظه الله وجعلنا فداء يتحمل تبعة جميع اعمالنا اذا ساءت مع ذلك لم يواجه أحداً منا بما يكره بل كان بحكمته يصالح أو يفسدنا وهو في الوقت نفسه اذا قال له قائل أن فلاناً من عبيدك تسبب عن مسألة كذا خالق له المعاذير على عمله وأوضح للعادل أنه لا يزال على تقته فيه وهذا منتهى الحلم وغاية الرأفة

اذ كر مرة أني كنت في خدمة عظمته في القيلية فطابت من أحد بيده عظمته قضاء أمر لي في البصرة فتهازلت وتضررت من تهامله واذا لنا أدلال على عظمته نحن بعبده الامناء انتهزت فرصة وجود ذلك الرجل في خدمة ولي النعم وعاتبته على ايماله ومصالحتي في الحضرة وقبل أن يمتد بادر عظمته لخير خاطري وتخفيف حدتي قائلاً لا تتكدر من هذا الامين فقد أهمل مصالحتي أنا من قبل وفي هذا الجواب الملوكي المملوء من الحكمة والرأفة أصاب عظمته ثلاثة أغراض لا يصيرها الا الحكيم أولها انه أزال من نفسي ما كنت أجده على ذلك العامل الامين والثاني به عامله الى ايماله ومصالح عظمته وهو المنتمين الى عرشه والثالث انه وفق بيني وبينه نعمنا الى الصفاء والولاء بمعاضدين على خدمة عظمته وأشباه هذه الحوادث كثير يعرفها كل من لاذ بعظمة ولي النعم ووقف في بابه وأخلص في خدمته فهل لا يحق لنا أن تتفانى في حب هذا الملك الرحيم وتتنافس في سبيل كسب رضاه أعزه الله لاجرم أن ملكنا المميز من المتفردين في الكمال الروحية ولم نر في ملوك العرب الحاضرين ولم نقرأ عن غيرهم من سلف مثل فضله أضاف الله الى عمره السعيد من أعمارنا ووقفنا الى خدمته وكسب رضاه



على كل الموجودات فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فإن لم يكن منك فعلى الأقل تكون مستولياً عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوباً بالطبع لأنه نوع من الكمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويتذ به إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخراً لك تردده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له الاستيلاء على كل الأشياء الموجودة معه إلا أن الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا تستولي عليه قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملكوته السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والحيوانات والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فإذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يتدر عليه كذات الله والعالم الهيوالي أحب أن يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالأدخل تحت العلم والعالم به كالمستولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب البحار والحيوانات وغيرها لان ذلك نوع من الاستيلاء عليها والاستيلاء نوع من الكمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنع العجائب ان معرفة طريق صنعها كمن يمجز عن اختراع الكهرباء اليوم فانه يشتهي معرفة أسرارها وكيف تنبعث أنوارها وتستخدم لحفظ الأصوات فيما يسمونه «الفونوغراف» أو نقل الاخبار فيما يسمونه التلغراف بلا سلك الخ وعلى ذلك فيكون الإنسان متأماً ببعض العجز ملتذاً بكمال العلم ان علمه

والقسم الثاني وهو الارضيات التي بقدر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يتولى عليها بقدرته على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان أجساد وأرواح أما الاجساد فاهما الذهب والفضة فيجب أن يكتر منهما ليقني فيهما ما يريد من متاع وعقار ويستخدمهما لرفعة أناس وضعة آخرين فان ذلك في قدرة رب المال والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبه بالطبع مع ان الإنسان لا يحتاج الى المال لاكثر من دأكله ومشربه ومضجعه وما زاد على ذلك كان فضولاً

وكذلك يطلب صاحب السطوة والمال استرقاق العبيد واستعباد الاحرار تارة يبذل ماله وطوراً بالتغلب والقهر بجيوشه وأعوانه توصلاً للتصرف بأرواحهم وأجسادهم على سبيل السخرة وأن لم يملك قلوبهم فانها قد تنفر من مظالمه وجوره وتمنى هلاكه ومع

ذلك تراه راغباً في هذا الاستعباد تلذذاً بالحشمة القهرية لما فيها من القدرة التي هي نوع من الكمال الرباني (١)

والقسم الثاني كسب نفوس الناس وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الارض فهو يجب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفه تحت اشارته وارادته لما في ذلك من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب اذ هو من صفات الله والصفات الالهية كلها محبوبة وعلى هذا تمى ألجاء الحقيقي هو تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية

وعلى هذا فمحبوب النفس بالطبع الكمال بالعلم والقدرة والمال والحجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والتقصان لا يزول والوصول الى الكمال محال ولنعم قال النبي صلى الله عليه وآله « من هو من لا يشبعان طاب علم وطاب مال » وسرور الانسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال

وقد يشارك الحيوان والانسان في حب الاستعلاء والاستيلاء والقدرة ألا ترى الهرة اذا صادفت فأرة تلاعبها وتداعبها قبل أن تقتلها لاطهار قدرتها عليها وربما تغافلت عنها لتمن في الهرب فتشب عليها وتصيدها مرة ثانية كل ذلك تفعله ايثارا للذة القهر والغلبة على الاكل فاذا كان الحيوان بهذه المثابة فالانسان الذي هو أعرف بحب الاستيلاء والاستعلاء أولى بلذة الاقتدار والقهر

روي المدائني قال قدم على بعض الامراء بخراسان رجل فدخل مع الناس فقال أصلح الله الامير ان لي عليك يداً قال وما يدك : قال أخذت بركابك يوم كذا قال صدقت فما حاجتك ؟ قال تولفتي للبلد الفلاني قال لم ذاك قال لا كتسب مئة ألف درهم قال فأننا قد أمرنا لك بها الساعة فتكون قد بلغناك ما تحب وأقررنا صاحبنا على عمله قال أصلح الله الامير انك لم تقض زمامي قال ولم وقد أعطيتك ما أملت قال فأين الامارة وأين التلذذ بالامر والنهي قال قد وليتك اياها وسوغت لك ما أمرت لك به وأعفيتك عن

(١) نقول لقد تزهت عظمة شيخنا المحبوب عن هذه الخلة لتزهره عن ظلم رعاياه والضغط على مر يديه والملتفين حوله ولذلك تراهم جميعاً يحبونه حباً جماً من صميم قلوبهم ويتنافسون الناس في حبه ويتعززون دائماً أبداً بمحامده والثناء عليه

الحاسبة أن صرفتك عنها قال ولما تصرفني عنها ?? ولا يكون الصرف الاعن عجز وخيانة وأنا بريء منهما قال اذهب فأنت أميرها مادامت لنا خراسان فلم يزل أميراً عليها حتى عزل الامير عن خراسان

ومن أمثال العرب «ياحبذا الامارة ولو على الحجارة» وما من انسان الا ويجد لذة للقدرة والقهر لغيره ما لا يجود في غيرها من سائر اللذات  
( حب الجاه )

من أسباب السكالم كما أسلفنا المال والجاه وقد تكلمنا طويلا على المال وأما الجاه فاعلم ان السبب الذي يقضي بأن يكون المال محبوباً هو بعينه يقضي بأن يكون الجاه محبوباً بل يقضي ان يكون أحب من المال لانه أبدي متلا منه فقد يكون صاحب المال وجيهاً وقد يكون غير وجيه

فأنت تعلم ان الذهب والفضة لا عرض للانسان في أعيانها اذا لا يصاحبان لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملابس وانما هما والحصيله بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة الى جميع الشهوات والملاذات من حاجيات وكليات وبالاخير لأنهما يوصلان صاحبهما الى الجاه وهو غاية ماتصوباليه النفوس

والجاه كما سبق القول هو ملك القلوب حتى تشعر من نفسها بوجوب احترام صاحبه وحبه أيضاً

وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد الاقتدار الى الوصول لبعيد الاغراض فكذلك ملك قلوب الاحرار يفيد القدرة على تسخيرها للتوصل الى ما فوق هاتيك الاغراض وهو العلو الذي يفيد معنى السكالم الرباني

وكما ان صاحب المال يطلب الحياة على الارقاء والعييد فصاحب الجاه يطلب الحياة على قلوب الاحرار واسترقاقها وعلى هذا فالرق الذي يطلبه صاحب الجاه أصعب من الرق الذي يطلبه صاحب المال اذ أن الغني يملك العبد قهراً والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه لانسل عن الطاعة وأما الوجهه فانه يطلب الطاعة طوعاً ويقصد أن يكون له الاحرار عبيداً بمطلق رضائهم فرحين فاذن معنى الجاه قيم المنزلة في قلوب الناس ومعنى قيام الجاه في القلوب اعتقادها صفات السكالم في شخص ذلك الوجهه أما بلم أو بعبادة أو بحسن خلق أو بصحة نسب أو بكرم أو بولاية أو بجمال أو بقوة أو بها أو ببعضا اذا اجتمعت في شخص واحد فان هذه الصفات تستعبد قلوب الاحرار وتكون

سبباً لقيام الجاه الذي هو غاية الغايات في هذه الدنيا (١)

وبقدر ما يعتقد الناس من كمال الرجل تعظم في أعينهم وجاهته وتدعن قلوبهم له بقدر اذعان القلوب تكون قدرته على تسخيرها وبقدر هذه القدرة يكون فرحه وحبها للجاه ولما ذكرنا من ترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه أحب من المال وفي الطباع أمر عجيب وراء ما ذكرنا من حب المال والجاه لم يكن الا للتوصل الى الاغراض والحاجات وهو حب جمع الاموال وكنز السكروز وادخار النخار واستكثار الخزان وراء جميع الحاجات حتى لو كان للانسان وأديان من ذهب لا يتغنى لهما ثائلاً وكذلك حب الانسان للسعة في الجاه وانتشار الصيت الحسن الى أقاصي البلاد وهو يعلم انه لا يطأها في حياته ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليروه أو ليعينوه على قضاء عرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ بما يعلم من اذاعة صيته بالحمد غاية التلذذ وحب ذلك ثابت في طبعه وليس لذلك سبب الا لما في النفس من معنى الربوبية واعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه أصبح كثير الاهتمام بمراعاة الخلق شغفاً بالشودد اليهم والمروآت لاجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتقياً الى ما يعظم منزلته عندهم وقد يدعوا ذلك الى فساد حاله من التساهل بالعبادات والمرايبة بها والى اقتحام المحظورات توسلاً الى اقتناس القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وآله حب الشرف والمال وافسادها للدين بذننين متضادين وقال انه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو بالفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس يضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بمخالفات حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات

ولكن شتان بين أن يدفع حب الجاه بالانسان الى الوصول اليه بالنفاق والرياء وتصدق فيه نظريتنا ومن يصل الى الواجهة الصحيحة فيملك قلوب الناس من غير

(١) نقول وما وصل عظمة مولانا المعز الشيخ خزعل خان الى غاية الغايات في الجاه الا لحيازته على هذه الصفات العالية فهو أعزه الله وأدام علاه وافر العلم كثير العبادة حسن الخلق صحيح النسب جميل الطلعة مهابها قوي البدن سديد الرأي وافر السخاء جهم العطاء عظيم العطف فسبحان من جملة بهذه الكمالات اه



أن يطاها لميزات خاصة بنفسه جعلته في أعين الناس وحبها بكل معنى الوجاهة (١)  
« حب المدح والثناء »

ومما جُبلت عليه النفوس الروحانية حب المدح والثناء وذلك ثمرة حب الجاه فما  
من شيء أحب إلى من يطلب الوجاهة من ترديد الناس ثناء والتعزّل بمحامده مدحاً له  
ومن أمثال العرب في ذلك قولهم « حب الثناء طبيعة الانسان »

قال يزيد بن المهلب « المال والحيوة أحب شيء إلى الانسان والثناء أحب إلى منهما  
ولو أني أعطيت ما لم يعط أحد لاحتبت أن يكون لي أذن أسمع بها ما يقال عني غداً  
وقدمت كرمياً واعلم أن للمدح والثناء تأثيراً عظيماً في النفوس العالية

وقيل ان الماءون تكلم يوماً فقال يحيى بن أكرم مدحه يا أمير المؤمنين جعلني الله  
فذاك ان خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته أو في النجوم فأنت هرمس في  
حسابه أو في الفقه فأنت علي بن أبي طالب في علمه وان ذكر السخاء كنت حائماً  
في جوده أو الصدق فأنت أبو ذر في صدق لهجته أو الكرم فأنت كعب في ايشاره  
على نفسه أو الوفاء فأنت السموّل بن عادياء في وفائه فاستحسن قوله وتهلل وجهه (٢)  
وكان الحجاج يستنقل زباد بن عمر الكلبي فلما قدم على عبد الملك بن مروان  
قال زياد يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذي لا ينبو وسهمك الذي لا يطيش  
وخادتك الذي لا تأخذ، فيك لومة لأم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه  
ومن هذا المثل يظهر لك فائدة المديح وكيف يؤثر على قلب من تمدحه حتى يرغب  
فيك بعد ان كان يرغب عنك

ثم أتم أنه لا فرق في التأثير بين أن يكون المدح للنفس أو لعلائقها من ذلك ان  
هرون الرشيد كان يحب من الالوان السواد سأل يوماً بعض العلماء عن السواد فقال

(١) ومن هذا الصنف بل وفي مقدمتهم عظمة شيخنا المنز المحبوب الذي تسعى إليه  
الوجاهة ولا يسعى اليها لما فيه من الكمال العالية التي يعرفها الادنون والابعدون اه  
(٢) نقول كنا بالحضرة العلية الخزلية في مجالسنا الادبية فروى لنا عظمة الشيخ  
المعز حفظه الله هذه القصة وقد اقتضاها الحال وقال ان سرور المأمون في هذا المديح  
على ما فيه من الاغراء لم يكن لتوهمه من نفسه صحته بل لانه كان من ذوي النفوس  
العالية التي ترغب في كمالات هؤلاء النوابغ فسمره أن يشبهه بهم ومن هذا التذييل يظهر  
مبلغ فضل سمو شيخنا وبعد دواقع نظره في استنتاجاته حياه الله

هو شرُّ الألوان لا يلي فيه محرم ولا يكفن فيه ميت ولا تجلب فيه عروس فصعب على الرشيد ذلك لما فيه من مخالفة ذوقه وكان القاضي أبو يوسف حاضراً فرأى أن يستدرك غضب الرشيد فنال وسكن النور في السواد فتهايل وجه الرشيد وسُرِّي عنه ومن تأثر المدح في النفوس أو ما يتضمن معنى المدح ما حكى عن رجل كان جاراً لفيروز الديلمي فأراد بيع داره لدين لزمه فلما ساءها وأحضر المشتري الثمن قال البائع هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار فقال المشتري وهل يباع الجوار فقال نعم جوار فيروز يباع بضعاف ثمن الدار وأبى أن يبيعهما بغير ذلك فلما لم يفيروز خبر معصرة جاره وانه مع حاجته المال أبى أن يبيع داره بغير اضعاف ثمنها لتشريرها بحيرته بعث له بضعف ثمنها وقال له معها على نفسك بارك الله لك فيها (١)

ومثل ذلك ما جرى لابن الجهم العدي فانه باع داره بمائة ألف درهم ثم قال بكم تشترون جوار سعيد بن العاص فقلوا وهل يشتري جوار قط قال ردوا عليّ داري وخذوا دراهمكم والله لا أدع جوار رجل ان قدمت سأل عني وان رأيتي رحب بي وان غبت حفظني وان شهدت قربني وان سألتني أعطاني وان لم أسأله ابتدأني وان نابتني جأحة فرج عني فبلغ ذلك سعيد فبعث اليه بمائة ألف درهم

ومن هنا قال بعضهم قد جُبات النفوس الالوية الروحانية على تحقيق الظنون فيها وتحقيق آمال مرادها من نظرة فاعانة فسد خلقة فكشف مظلمة فدفع شر حجاب منفعة وأما النفوس التي تكذب الظنون وتخيب الآمال فهي التي غلبت عليها القوة الشهوية فصغرت بنفسها وتضائلت أمام المجتمع الانساني

ومن تأثر المدح والثناء ما ورد في الاثر وهو ان اعرابياً أطال صلاته فدحه الحاضرون فلما فرغ قال وأنا مع ذلك صائم قال هذا استزادة للمدح ثم مال الى صديق له فقال يجب أن أصلي طويلاً وأصوم كثيراً أن لم يكن في رضوان الله سبحانه فلكسب

(١) وحدث مثل هذا في النقيامة فان جارية عمجوز كان لها بيت صغير تسكنه بجوار قصور عظيمة مولانا المراد اقدس فعند ما أمر سهره بشييد الديوانية بجوار قصوره لتكون منزلاً لصيفه الكثرين أرسل لها أحد عبيده ليبتاع منها دارها بالثمن الذي تريده فقالت معاذ الله أن أبيع جوار مليكي وأنا كل يوم أرقب مروره منها لاسبح الله بوجهه فلما باع عظمتها هذا الجواب شرَّ سروراً كثيراً وأمر بأن تشاد لها دار جميلة بجوار الديوانية وأن يصرف لها ما تعيش به برفاه الى آخر عمرها وهذا بعض ما لعظمتها من النوادر في الكرم

• مدح الناس وثناهم

ومن لطائف النوادر ما حكى عن الشيخ فارس أحد مشايخ كعب جيء له بماء فتال بعض الحاضرين الشيخ لا يشرب من مائي فقال أي وأبي لا أشرب وامتنع عن الشرب ليلته حتى اذا أمض به العطش خرج لضرورة وشرب من ماء مطهرته وكان حاراً فعمل كل ذلك حفظاً لما مدح به من انه لا يشرب الا الماء الذي يعتقده طهوراً ومن هذا القبيل كان يتوصل الاذكياء الى أغراضهم من طريق المدح والاطراء فيقولون لمن نال طرفاً من العلم هذا عالم هذا فاضل فيدعوه اطراؤهم له الى تحقيق أقوالهم باجتهاده حتى يكون بالفعل عالماً فاضلاً ومثل هذا كثير

وعندي أن من يتعذر وعظه وتبديه الى نقصه لعلو قدره أو ضيق صدره لا أحسن من مدحه بعكس ما هو فيه كأن يقال للعضوب أنت حليم وللبخيل أنت كريم ومدح أمامه الحلم أو الكرم فان كان ممن فتح الله على قلوبهم كان مدحهم له خير مؤدب أما اذا كان غيباً فيزداد في غيبه ولا يهتم بما يقال له أو يلقي عليه (١)

روي عن الحسن عليه السلام ان نقل في مجلسه عن معاوية انه قال اذا لم يكن الهاشمي جواداً والاموي حليماً والعوامي شجاعاً والخزومي تياهاً لم يشبهوا آباءهم فقال الحسن انه والله ما أراد بقوله النصيحة ولكن أراد أن يفني بنو هاشم ما في أيديهم فيحتاجوا اليه وأن يشجع بنو العوام فيقتلوا وأن يتيه بنو مخزوم فيمقتلوا وأن يحلم بنو أمية فيجبههم الناس

ومن دهاء معاوية في أيام صفين انه لما رأى كثرة مبارزة أمير المؤمنين والفشل والذكر في أصحابه أو عز لعمر بن العاص ليكتب لابن عباس كتاباً فكتب عمرو طال البلاء فلا ندري له آسي بعد ألاله سوى رفق ابن عباس نأجابه ابن عباس رضي الله عنه

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس فاذهب فللك في ترك الهدى آسي

(١) مما نحفظه عن عظمة شيخنا العظيم حفظه الله أن ما من شاعر وافاه مادحاً الا وكان يأخذ قصيدته ويحيتنا قاتلاً ان الشاعر يطلب مني أن أكون كذا وكذا فاعني اللهم على تحقيق ظنون القوم بي وأعني لاجلهم صادقين في مدحي واذا كنا نترا لعظمته أنه قصر عن بيان الحقيقة كان يقول أنا لا أنهم لم يعرفني اخلاصكم لي ولكني أعرف نفسي وأريد لها الكمال بالاستفادة من كل ما يلبي علي ويلقى الي نهل بعد هذا من كمال؟

ثم كتب له معاوية كتاباً ذكر فيه انما بقي من قریش ستة أنا وعمرو بن العاص بالشام وسعد وابن عمر بالحجاز وعلي وأنت بالعراق وأنا جميعاً على خطب عظيم ولو بوسعك بعد عثمان لاسرعنا فيه فأجابہ ابن عباس برسالة فيها

دعوت ابن عباس الى السلم خدعة وليس له حتى يموت بخادع ويظهر جليلاً من هذه القصة ان المدح مخادعة ولكنه لا يؤثر الا في النفوس الضعيفة وأما أرباب البصائر فلا ينخدعون الا من قبيل قرظهم «ان الكريم ينخدع» أي تغلب عليه صفاته العالیه فيؤخذ بلطف القول وهو يعلم انه مأخوذ (١) وبالجملة فان كان المدح لذوي النفوس الروحانية واله م العالیه فهو ينشطها الى بلوغ الكمالات وان كان يريد المادحون المخادعة فلا ينخدع الا كريم يريد أن يحنق آماله قاصديه أو أحق يفره ما يقال فيه فيكذب نفسه ويصدق سواه وبذلك يدخل عليه الغرور والكبر وليعاذ بالله

واعلم كما ان للنفس ميلاً الى المدح وارتياحاً الى الثناء فلها أيضاً نفرة عن الذم والقبح أو ما يتضمن معناهما كالتنقيص والتنديد صاح رجل بالأمون يا عبد الله فنضب وقال أتدعوني باسمي فقال الرجل نحن ندعو الله باسمه فسكت الأمون وقضى حاجته وانما غضب لانه لم يدعه «أمير المؤمنين» ودعاؤه له باسمه تنقيص ولكن كانت حجة الرجل بالثمة وعذره مقبولاً بقوله انا ندعو الله باسمه يسكن غضبه وقضى حاجته

ومثل ذلك ما ذكره ابن خلدان في وفيات الاعيان قال لما ولي يوسف بن عمر انقطع عليه ثلاثون ألف ديناراً فحبس في السجن عليها وكان بلال ابن أبي بردة يومئذ محبوباً هناك فقال بلال يا يوسف ان الموكل بهذاب الذين في السجن رجل اسمه سالم ويلقب بزنبيل فاياك أن تقول له زنبيل فانه يكره ذلك ويشدد عليك الاذاب نأى الرجل الى يوسف وعذبه فنسي اسمه وجعل يقول له يا زنبيل اتق الله فأغاظه ذلك وشدد عليه العذاب ويوسف يكرر عليه القول وهو يشدد لغيظه فلما أخلى سبيل يوسف قابله بلال

(١) ومن هذا القبيل ما يقوله لنا عظمة شيخنا المحبوب عند ما نعرض ببعض من يقصدونه لاطائه ممن يضمرون أذيته ولو أنهم عاجزون دعوهم ودعوني أن أظهر لهم بأن الكريم ينخدع فانا أحسن اليهم لانهم قصدوني وأتجاهل لثؤمهم لانهم أعجز من أن يوصلوا الاذى الى وفي ذلك ما فيه من علو الجناب وعزة النفس



وقال ألم أنهم عن تسمية الرجل بزنبيل فقال له وهل أوقعني بالزنبيل غيرك  
وإنما طبعت النفس على حب المدح لما فيه من معنى الاحتشام والاحترام فاذا حصل  
بالفعل كان ذلك أشد تأثيراً كما قيل أنه قدم القعقاع بن شور على معاوية فدخل عليه  
والجلس غاص بأهله ليس فيه مقعد فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه فلم يبرح  
القعقاع عن ذلك الموضع يكلم معاوية ومعاوية يخاطبه حتى أمر له بمئة ألف درهم فأحضرت  
اليه فجعلت الى جانبه فلما قام قال للرجل الذي أحله محله ضمه اليك فهي لك بقاءك  
لنا عن مجلسك وفي هذه الحكاية تنبيه الى ثمرة الايثار على النفس وعلى حسن الوفاء

وبالجملة فحب المدح والاحتشام أمر جلي طبيعي في النفس لما فيها من معنى الربوبية  
واعلم أن حب المدح وتلذذ القلب به أربعة أسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس  
بالكمال وقد سبق وبيننا أن الكمال محبوب وكل محبوب ادراكه لذيق فهمما شعرت  
النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس المدح بكمالها فان  
الوصف الذي به مدح لا يخلو اما أن يكون جلياً ظاهراً أو يكون مشكراً كما فيه فان كان  
جلياً ظاهراً محسوساً كانت اللذة به ولكن لا يخلو من لذة كما يثنى على رجل لطول  
قامته أو بياض لونه فان هذا النوع من الكمال ظاهر للعيون ولكن النفس تغفل عنه  
فتخلو من لذته فاذا استشعره المدح لم يخل حدوث الشعور به من حدث لذة ولكن  
ان كان الوصف المدحى مما ينظر الى الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء على الرجل لامله  
أو ورعه أو جودة الخ فالرجل ربما كان في شك من هذه الكمالات وهو يتمنى أن  
يسمعا من أوصاف الناس لها لتحل عنده في محل اليتيم فيتلذذ بها

وتعظم لذة الثناء اذا كان صادراً عن بصير خبير ويفرح بها كفرح التلميذ عند  
ما يسمع من استاذة مدحاً لكياسته وأدبه وذكائه وأما اذا صدر الثناء عن يكيله جزافاً  
أو عن غير ذي بصيرة فتقل لذته عند المثنى عليه وان كان لا يجردها تماماً  
وكذلك يمتنع الانسان النعم ويكره التنقيص لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان  
ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر النعم من  
بصير يثق الناس بقوله كما ذكرنا في المدح

والسبب الثاني إن المدح يدل على أن قلب المدح مملوك للمدح وأنه من يدل ومعتقد  
فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بمحصوله لذيق فهمما هذه العلة تعظم  
اللذة اذا صدر الثناء ممن تسع قدرته ويتنفع باقتناص قلبه كالمملوك والا كابر وتضعف اذا

كان المادح من لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر صغير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضاً يكره الذم ويتألم به القاب واذا كان المذموم من الاكابر كانت نكايته أشد وأعظم

والسبب الثالث أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه ولا سيما اذا كان ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا محتص بثناء يقع على الملام فلا جرم كلما كان اثناء أشهر والمثني أجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذم وكذلك الذم كلما كثرت اذاعته وكان قائله جديراً بالاصغاء فهو آلم للنفوس

السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة أيضاً للذم كما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن بمدح به ولكن مجرد تذكرة بغابته على المادح يورثه اللذة وبالعكس يورثه الألم لمجرد تذكره بنفرة الذي تذمه من يد قدرته

فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فتعظم بها لذة الممدوح وقد تفرق فتقص اللذة بها على قدر نقصها

أما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح أن المادح غير صادق في قوله كما اذا مدحه ممدوح بالنسب وكان وضعياً أو السخاء وكان شحيحاً أو العلم وكان جاهلاً وهلم جرا فتزول حينئذ من نفسه اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات الاخرى المعنوية

واذا كان يعلم الممدوح ان المادح لا يعتقد ما يقوله فيه ويعلم خلوه من تلك الصفات التي وصفه بها بطلت اللذة الثانية وهي الاستيلاء على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب والهزء بطلت اللذات كلها فلم يشعر أصلاً بلذة لفوات الاسباب الثلاثة وحل محلها الألم « العجب والزهو »

العجب خلق جبلت عليه النفوس قال أبو العتاهية

كل امرء في نفسه أعلى وأشرف من قرينه

وحقيقة العجب عبارة عن هيئة نفسانية تنشأ من تصور الكمال في النفس والفرح به والركون اليه من حيث أنه قائم به وصفة له مع الغفلة عن قيام النفس الى الغير بكونها

أفضل منه وهذا التمدد ينفصل عن الكبر اذا لا بد في الكبر أن يرى الانسان لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم زيادة مرتبته على مرتبة الغير فكل متكبر معجب ولا يعكس والفرق بين العجب والتهيه هو أن المعجب يصدق نفسه وهماً فيما يظن بها والتهيه يصدقها قطعاً كأنه متجبر في تهيه ويمكن التفريق بينهما بامر آخر وهو أن المعجب قد يعجب بنفسه ولا يؤذي أحداً بذلك الاعجاب والتهيه يضم إلى الاعجاب الغضب من قدر الناس والترفع عليهم ليستلزم ذلك الاذى لهم فكل تائه معجب ولا يعكس وأما الفرق بين الاعجاب بالعمل والاذلال به هو ان العجب يجعل صاحبه مستعظماً نفسه فقط فاذا أضيف إلى ذلك ان له عند الله حقاً وانه منه ذو مكانة حتى يتوقع بعلمه كرامة في الدنيا ويستبعد أن يصيبه مكروه سمي هذا ادلالاً فكأنه يرى لنفسه دالة على الله تعالى وكرامة لديه

وكذلك من يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويتعجب به فيكون معجباً فان استخدم الذي أعطاه عطيته أو اقترح عليه الاقتراحات الشقي أو أنكرك تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً

والادلال وراء العجب فما من مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذا العجب هو نتيجة استعظام المرء لنفسه ونسيان نعمة الله عليه بما أوجب اعجابه والادلال هو أن يتبجح المرء على الآخرين بما هو معجب به

ثم اعلم أن العجب إنما يكون منبئاً عن ميزة يظن صاحبها أنها كمال فيفرح بها من حيث أنها فيه لا من حيث أنها عطية من عند الله تعالى ونعمة يجب شكرها ولو عرف أن ما هو معجب به هو منحة الهية لو شاء سلها عنه لزال عجبها وعلى هذا فيكون العجب عبارة عن استعظام المرء للنعمة التي هو فيها مع نسيان اضافتها للنعم بها عليه وهو الله عز وجل وهذا هو حقيقة العجب وهو مقدمة الكبرياء ولا يخلو منه طبع بشري الا من عصم الله من ذوي البصائر من الناس ممن تغلب عقله على عواطفه (١)

وأما ضعاف العقول والمدارك فلا تكاد تقع عينك على واحد منهم الا وتراه معجباً

(١) ومما تثبت هنا عن عظمة شيخنا المعز الجليل اننا مع استئناسنا برغبة مولانا عن كل مدح اذا ذكرنا لعظمته بمقتضى واقعة حال تفرد به بالذكاه أو بالفضل أو بالعدل أو بالحلم أو بغير ذلك من المشاهدات الواقعية المحسوسة يبادرنا بقوله أنها نعمة من الله تعالى هو مظهرها ويشفع ذلك بحمد الله وشكره عليها تحجباً لمواطن العجب

بنفسه لما يحسبه من فمزيائه أو ما بين يديه سواء في ذلك الجليل والحقير أو الكثير والقليل  
حمانا الله وإياك من العجب وجعلنا على نعمه تعالى من الشاكرين  
« أقسام العجب »

واعلم أن أسباب العجب باضافته الى المعجب عديدة أولها اعجاب المرء ببدنه وجماله  
رهينته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وبها عظمته ورخامة صوته فبلغت الى ما فيه من  
بعض أو كل هذه المعيزات وينسى أو يتناسى أنها نعمة من الله تعالى عليه وأنه معرض في  
كل وقت لزوالها عنه واعجاب المرء بهذه المعيزات البدنية أكثر وهذا النوع من الاعجاب  
يفضي بالمعجب بها الى تنقيص الغير وثلبهم واغتيابهم وذكر عيوبهم بالحق وبالباطل  
الثاني العجب بالمال كما قال الله تعالى أخباراً عن صاحب الجنتين اذ قال أنا أكثر منك  
مالاً وأعز نفراً . ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً غنياً جالساً فقيراً فانقبض عنه  
وجمع ثيابه فقال « أخشيت أن يعدو اليك فقره » وما فعل الغني هذا الا اعجاباً بغيره وهذا  
العجب أكثر ما يكون بين الملوك في خزائنهم والتجار في بضائعهم والمزارعين في أراضيهم  
والغاوين في لباسهم وحيولهم ومرآتهم فيحتقر غنيهم الفقير ويقول له بلسان الحال ان  
لم يكن بلسان المقال أنت مكدود ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من  
هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أنفق  
في اليوم ما لا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه نعمة الله عليه واعجابه بها من غير أن  
يلتفت الى أنها نعمة قابلة ازوال

والثالث عجب المرء بكثرة الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار  
والاتباع كما قال الكفار نحن أكثر أموالاً وأولاداً وكما قال المؤمنون يوم حنين لا تغلب  
اليوم من قلة واليه الاشارة بقوله تعالى « فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا  
وأعز نفراً »

والرابع العجب بالبطش والقوة كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم  
« من أشد منا قوة »

والخامس العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشميين حتى يظن بعضهم ان الناس له  
موالي وعبيد ويأنف من مخالطهم ومجالستهم وثمرة هذا العجب على اللسان التفاخر به  
فيقول لغيره يا هندي أو يا أرمني أو يا معيدي من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان ومن  
ابن لملك ان يكلمني أو ينظر الي وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك



عن مثله الرجل اذا كان حسيباً نسيباً الا من عصم الله فذكر القول المنسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام

الناس من جهة التمثال اكفاء أبوهم آدم والام حواء  
وان يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء

والسادس العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين  
والديناوآفته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين لرأيه وعدم الاصغاء  
الى أهل الدراية والاختبار والعلم فيخطيء وهو يظن نفسه مصيباً

والسابع العجب بالرأي ولو كان خطأ قال الله تعالى «أمن زين له سوء عمله فرآه  
حسناً» وقوله عز وجل «وهم يحسبون أنهم بحسنون صنعاً» ومن هذا الباب قولهم ليس  
يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب اليه من الاستماع منك ولا يستفيد من نصيحتك من  
غلب هواه على رأيك ولا يستفيد من معرفتك من اعتقد من نفسه انه أتم معرفة منك  
وهذا النوع من العجب يعبر عنه بالجهل المركب وآفة هذا العجب التمادي بالاغلاط مع  
مخاطبة الغير بما قد يكونون فيه صيبين

والثامن العجب بالعلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله «آفة العلم الخيلاء» فلا  
يلبث العالم ان يشعر بعزة العلم وينتفخ به ويستشعر بنفسه جماله وكماله فيستعظم قدر نفسه  
ويستهزئ بالناس وينظر اليهم نظره الى البهائم السائمة ويستجهلهم وداخله الاعتقاد بان  
المسلط عليهم وكثيراً ما ترى مثل هؤلاء العلماء ذوي الخيلاء يتوقعون ان يبدأهم الناس  
بالسلام ويخصوهم بالتعظيم والاحترام ان بدأوا واحداً منهم بسلام أو ردوا عليه سلامه  
ببشاشة أو قاموا له أو أجابوا له دعوة حسبوا ذلك صنعة وفضلاً كما يحسبون انه ينبغي  
لهم ان يترفوا عن الناس الذين يطلقون عليهم اسم «العامية» فلا يبرون من برهم ولا يزورون  
من زارهم ولا يعودون من عادهم بل يتجاوزون ذلك الى استخدام من خالطهم وتسخيره  
في حوائجهم فان قصر في ذلك مقصر استنكروا وتقصيره كأن الناس عبيدهم واجراؤهم  
أو كأنهم بتعاليمهم العلم أسدوا الناس صنائع يجب أن يشكروها ويبروها ويتعبدون لها  
وبالجملة فما نشأ على وجه البسيطة عالم يحق أن يسمى عالماً الا وحر كته عزة العلم وداخله  
خيلاً الا نضر من أهل العقل الراجح وللنفس الطيبة ممن يحسبون ماتعه وفضلاً من الله ومنه  
يشكرونها عليها بغير خيلاء ومن وجد من مثل هؤلاء فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن  
يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلاً عما يتوقع من مجالسته ومذاكرته من جلائل الاستفادة

والتاسع المعجب بالعمل والعبادة وليس مخلو صاحبه من رزية الاستعزاز والكبرياء وآفة هؤلاء أنهم يرون فرضاً على الناس توقيرهم وتبجيلهم وزيارتهم وقضاء حوائجهم والتوسع لهم في المجالس وذكورهم بالوع والتقوى ولا يكتبون بهذا بل هم يحترقون من عداهم من الناس ويهمونهم بالكفر والزندقة ويعدون لهم الهلاك في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله « إذا سمعت الرجل يتولى هلك الناس فهو أهلكهم » وإنما قال ذلك دلالة على أنه مزدورٌ بخلق الله تعالى ففتر بالله آمن من ذكره وقال النبي صلى الله عليه وآله « كفى بالمرء شراً أن يحقر أخاه المسلم » وكم من البون الشاسع بن مثل هذا العابد المحقر للناس وبين من يظمه لعبادته ويرجر له من رحمة الله فوق ما يرجوه لنفسه ?? فالخلق يتقربون إلى الله بالدنوء من مثله وهو يتمقت إلى الله بالنبز والتباعد عنهم فأجدرهم وقد أحبراً صلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته وما أجدره إذ ازدراهم أن يهمله الله كما روي عن رجل من بني إسرائيل كان يسمى « خليع آل إسرائيل » لكثرة فساده مر رجل آخر كان يسمى « عابدة بني إسرائيل » وكان على رأس العابد عمارة تظله فلما مر به الخليع قال في نفسه لو جلست إلى هذا العابد قد يرحمني الله فأتوب فجلس إليه فقال العابد في نفسه كيف يجلس هذا الخليع إلي ؟ وأنهره قائلاً قم فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستا نفا عمهما فقد غفرت للخليع وأممت العابد وفي رواية فتحوات عمارة العابد إلى رأس الخليع ومن هذا تعرف أن الله سبحانه يريد من الناس قلوبهم فالجاهل الباطني إذا تواضع هيبة لله وذلك خوفاً منه فقد أطاع الله بقلبه أكثر من طاعة العابد المتكبر والعالم المعجب

وكذا روي « أن رجلاً من بني إسرائيل أتى عابداً من قومه ووطيء على ركبته وهو ساجد فقال العابد إنهم فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله إليه قائلاً « أيها المتاله بل أنت لا تغفران لك » وهذه الآفة تكثر في البلاد الزهاد فإن أحدهم إذا استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك في أنه صار ممقوتاً عند الله ولو جرى ذلك لغيره من المسلمين لم يستنكر عمله ويستبعد غفران الله له وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والمعجب والاعتزاز بالله

وقد ينتهي الحلق والعبادة ببعضهم وهو يتحدى من ناله منه غضاضة ويقول سترون ما يجري عليه وإذا أصيب بنسكة عرضاً زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد بنسكة ذلك الذي أساء إليه الا شفاء غلبه والانتقام له منه مع أنه يرى الكفار يسبون الله

ورسوله وكثيرون منهم آذوا الانبياء وضربوهم وقتلوه ثم ان الله سبحانه لحكمة يعرفها أهمل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما آمن بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة

ثم ان مثل هذا العابد الجاهل المغرور قد يظن بانها كرم على الله من انبيائه وقد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه من اعدائهم ولعله في مقت الله لاعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه

وأسباب العجب كثيرة وأظهرها سببان المدح واعتقاد الانفراد بالكمال أما المدح فانه يحرك في نفس الممدوح العجب . كما روي انه خطب ابن ظبيان في البصرة خطبة أوجز فيها فنأدى الناس من أطراف المسجد أكثر الله لنا . تلك فقال لقد كلفتم الله شططاً . وأما اعتقاد الانفراد بالكمال فانه لما حيج آدم بعد هبوطه وقضى مناسك الحج بالبيت تلقته الملائكة يهنئونه بحجته وقبول توبته فقالوا برحمتك يا آدم أنا حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام فتعاصرت الى آدم نفسه (١)

« العجب يدعو الى التقصير »

والعجب يدعو الى تقصير المعجب بحق نفسه قال أمير المؤمنين عليه السلام « الاعجاب يمنع الازدياد » وسر ذلك ان المعجب بنفسه أو بما لديه من الكمالات الادبية والمعنوية يظن نفسه قد بلغ الغاية التي ليس وراؤها زيادة لمستزيد فتمتعس عن الاستزادة في طلب الخير لنفسه فتعاضد ليس يمنع عنه الزيادة فقط بل يوقعه في النقصان ومن هذا القبيل ما رواه بعض العلماء اذ سئل قال من يرى انه خيرهم ؟ وذلك لما في هذا الاعتقاد من منع صاحبه عن الاجتهاد وقد قال الشاعر في هذا المعنى :

(١) يرى القاري الكريم العجب المطرب من هذا التفصيل لاحوال العجب بالنفس مما فيه الدلالة الناصعة على أن عظمة، ولانا السردار أودس رحي فداه قد درس بنفسه أحوال الناس درساً صحيحاً فكيف ما يخال نفوسهم من وسواس العجب أبداع تكييف على ما رأيت هذا وقد جمع عظمته حفظه الله جميع الاسباب الاثلة الى العجب فنزهه الله سبحانه عن عيب العجب وفتح بصيرته فرأى العجب بالناس على قبيحة تصوّره ابراعة المصوّر الماهر لما أمامه من المرثيات فيورك بعظمته التواضع بغير ضعة ووقفنا لتلقى عليه مثل هذه الدروس ونستفيد منها لديننا ودينانا سبحانه على كل شيء قدر

من لا يرى نفسه في الناس قاصرة  
ومن يكن راضياً عن نفسه أبداً  
عن الكمالات لم يكمل له أدب  
فذاك غرُّ عن الآداب محتجب  
وقال شاعرنا الانطاكي :

أراك تواصل المسعى بمسعى  
كأنك ما علمت بان كفيت الـ  
لخير الناس مجتهداً صبورا  
هوافي وقد حبوتهم الكثيرا (١)  
وقال أمير المؤمنين عليه السلام « رب مفتون بحسن القول فيه » أقول طالما فتن  
الناس ببناء الناس عليهم فيقصر علمهم في اكتساب العلم اتكالاً على ما عنده مما أوجب  
الثناء عليه وتهاون العابد في عبادته اعتماداً على ما يسمعه من الاماديج وهلم جراً  
وأيضاً فإن ثناء الناس يغضي الى اغراء المثنى عليه بالعجب بنفسه ان لم يكن حكيماً  
واعجاب المرء يدعوه الى التقصير

حكى ان أحد نوابغ طلبة العلم مرض يوماً فقال أستاذة أسفاً اذا مات فلان  
ذهب فلم كثير وعند ما تعافى بلغه مقالة أستاذة فاغتر بنفسه وترك طلب العلم اكتفاء  
بالقليل الذي عنده فحسر بذلك مستقبلة وكان يقدر ان يكون ماهراً وأشبهاه هذه  
الحوادث كثيرة ومشاهدة فلا حاجة الى الاستزادة بها  
« الكبرياء »

الكبرياء رأس الشرور ومصدر المآثم وصاحبها معرض دائماً الى كراهة الناس له  
واحتقارهم شخصه والتباعد عن مجلسه مهما كان عظيماً أو وجيهاً أو علماً أو عابداً أو  
غير ذلك من صنوف البشر

حكى أنه أتى وائل الى حجوة النبي فاقطعه أرضاً وأمر معاوية أن يمضي معه فيريه  
الارض ويعرضها عليه ويكتبها له فخرج مع وائل في هاجرة شافية وشى خلف ناقته  
فاحرقته الرمضاء فقال اردفني فقال لست من ارداف الملوك قال فادفع اليّ نعلك قال  
ما بلجل يمعي يا ابن أبي سفيان ولكن اكره أن يبلغ اقبال اليمن انك لبست نعلي

(١) نظمت هذين البيتين مرتبجلا في يوم قضاة عظيمة مولانا السردار أقدس حيااه الله  
في النظر بحاجات الناس من شروق الشمس حتى غروبها فكان بحسن لهذا ويكشف  
ظلامه ذلك ويوصي بعلي ويمنع الضرر عن حسين حتى اذا ما دخل مجلسنا ألفيناها تعباً  
وصباً فانشدته البيتين وكلم لعظمته من أيام ذلك المجلس الناس ببارك الله فيه



ولسكن امش في ظل ناقتي وحسبك بذلك شرفاً (١)

وقيل أن هشام بن عبد الملك حبس يوماً الفرزدق في سجن خالد بن عبد الله القشيري فوفد جرير الى خالد ليشفع فيه فقال له أيسرك أن الله قد أخزى الفرزدق؟ قال أيها الامير والله ما أحب أن يخزيه الله الا بشعري وانما قدمت لاشفع فيه في ملا من الناس ليكون بذلك أشد خزياً فاشفعه ودعا الفرزدق وقال له اني مطلقك بشفاعة جرير فقال الفرزدق واذلاه أسير قشيري وطلق كلبي فبأي وجه أفاخر العرب بمدها بالله أيها الامير رديني الى حبيبي فذلك أشرف لي

والكبرياء بنفوس وضعاء الناس ولا سيما من أصاب منهم نعمة أرسخ ولكن القلة والذلة يمنعان ظهور كبريائهم وفي ذلك قال الشاعر:

مضى ترى الكلب في أيام دولته فاجعل لرجليك أطرافاً من الزرد  
واعلم بان عليك العار تلبسه من عضة الكلب لا من عضة الاسد

ومن ذلك أن عمارة بن حمزة بن ميمون مولى بني العباس كان مثلاً في التيه حتى قيل «أتيه من عمارة» وكان يتولى دواوين السفاح والمنصور وكان اذا أخطأ مضى على خطأه تكبراً عن الرجوع عنه وكان يقول الاصرار على الخطأ أهون علي من الرجوع الى الصواب وكان قوله هنا كبراً وصافاً جعله سخريه بين الناس

واقترحت أم سلة الخزومية امرأة السفاح ذات ليلة بقومها على السفاح وبنو مخزوم يضرب بهم المثل بانكبر والتيه فقال أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالي ليس في أهك مثله فأرسل الى عمارة وأمر الرسول أن يعجله عن تغيير زيه فجاء على الحال التي وجدء عليها الرسول في ثياب ممسكة مزررة بالذهب وقد غلغلت حية بالغالاية حتى قامت فرمى اليه السفاح بمدهن ذهب مملوء غالية فلم يلتفت اليه وقال هل

(٢) أقول والشئ بالشئ يذكرو كما قيل وبضدها تميز الاشياء فان عظمة شيخنا المعز فضلاً عن وداعته في معاملة اللائذين بعرضه والمنتهمين اليه فانه حفظه الله كثيراً ما يتفقدا بعطفه ولا سيما اذا كنا بخدمته في رحالة صيد أو سفرة حرب وكمن مرة رأيناها ينزع عن كتفه عبايته ليلتفت بها أحدهم اليك اذا رآه وقد مسه البرد بل كم رأيناها يوقف الركب اكراماً لتابع له وقد ظهرت عليه علائم الاعياء ويأتيه بنفسه متنازلاً للسؤال عن صحته واذا أردنا أن نمرد حوادث عنايته بنا نحن عبيده الامناء وكيف بهم بكل واحد منا اهتمام الاب الرؤوف بينه لاحتجنا الى مجلد كبير

ترى لها في لحيتي موضعاً؟ فأخرجت أم سلمة عقداً لها ثميناً وأمرت خادماً لها أن يضعه بين يديه فقام وتركه فامرت الخادم أن يتبعه به ويقول أنها تسألك قبوله فقال للخادم هو لك فانصرف بالعقد اليها فاعطت الخادم فكأكه عشرة آلاف ديناراً واسترجعته وعجبت من نفس عمارة وكان عمارة لا يذلّ للخلفاء وهم مواليه ورتبه عليهم فنظر رجل الى المهدي ويده في يد عمارة وهما يمشيان فقال يا أمير المؤمنين من هذا؟؟ قال هذا أخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلما ولي الرجل ذكر المهدي الكلمة كما يمازح لعمارة فقال عمارة والله انتظرت أن تقول مولاي فانفض يدي من يدك فتبسم المهدي (١)

(١) وما عطف المهدي على عمارة وتنازله بالتودد اليه وجواب سائله عنه بالشيء الذي يذكر بجانب عذاف عظمة مولانا وليّ النعم الشيخ خزعل خان المعظم علينا نحن عبيده ومواليه وعندنا من البراهين على ذلك الشيء الكثير فقد كان عظمته مرة جالساً في حديثه الغناء في الكعالية على كرسي مذهب وكنا نحن أخصاؤه جالسين على سندس العشب تتبادل أطراف الاحاديث الادبية والمطارحات الشعرية في صباح يوم من أيام الصيف والحرّ لافح الا في ظلال تلك الاشجار الباسقة فجاء أحد الحجاب وقال في الباب أديب من مصر قدم لتأدية واجبات الاخلاص هو محمود أفندي طاعت المصري فقال دعه يدخل ثم استوقفه وقال احضر لنا خمسة كراسي لاخواني هؤلاء فانصرف الحاجب في أمر مولاه وقال لنا لقد اخترتم الجلوس على سندس العشب طلباً لراحتكم ولكن لأريد أن يدخل علينا هذا الضيف فلا يفظن الى سبب جلوسكم وأنه باختياركم وقد يظن أنني أحتقر مجالسكم وأنتم جلاسي فقلنا عفواً مولاي فان جلوسنا عند قدميك تشریف لنا قال ولكن لا يشرّفني وما أنا الا بمقام الوالد منكم والأخ بصحبتكم وهكذا حضرت الكراسي فجلسنا ودخل الضيف فألقانا بين يدي مولانا أعزه الله كالهالة حول القمر والأكام للشمع وعند ما أرفض الاجتماع اجتمع بي طاعت أفندي وقال اني لاغبطكم على صحبة هذا الامير الفاضل الذي لم أجد مثل لطفه وعطفه في كل ملوك العرب والعجم

أقول هذا مثال الكثير مما يجره عظمة مولانا السردار أقدس أرواحنا فداه على انه حفظه الله يأتي الأ أن يدعون أبناءه وما نحن الا عبيده الامناء العائشون بنعمته وما قدم أخونا الى زار من زواره الا وقال «ولدنا فلان» فتأمل أيها القاري الكريم هذا العطف الابوي وقل لنا بالله أو ما خفيق بنا ان نفاخر العالمين بهذا العاهل العظيم؟؟

« حقيقة الكبرياء وأفتها »

اعلم أن الكبرياء تنقسم الى باطنية وظاهرية فالباطنية هي خلق في النفس والظاهرية أمر لها تم عنها الجوارح ولذلك اذا ظهرت الكبرياء على انسان يقال عنه متكبر وان لم تظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عايد فان الكبرياء تستدعي متكبراً ومتكبراً عليه ومتكبراً به وبهذا ينفصل الكبر عن العجب فان المعجب بنفسه اذا لم يكن سواه في هذه الدنيا يظل معجباً أما المتكبر فاداً لم يكن ما يتكبر به ومن يتكبر عليه لما استكبر

ولا يكفي الانسان أن يستعظم نفسه ليكون متكبراً فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم منه أو في مرتبة فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي للمتكبر أن يرى لنفسه مرتبة فوق مراتب غيره من الناس فيستكبر عليهم ويتعجب لان هذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة فرح وعزة وجبروت من حيث يصدق فيه قول الشاعر :

أرى الناس دوني اذا رأني فوقهم ذكاءً وعلماً واعتلاءً وسؤداً  
قال النبي صلى الله عليه وآله « أعوذ بك من نفخة الكبرياء » ثم ان هذه النفخة تقتضي أعمالاً في الظاهر والباطن هي ثمراتها ويسمى ذلك تكبراً فانه مهما عظم عند الانسان قدر نفسه بالاضامة الى غيره حقر الغير في نظره فازدرأه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومواكفته ورأى ان من حق ذلك الغير أن يقوم مائلاً بين يديه ان اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلاً للقيام بين يديه ولا بخدمة عبته فان كان ذلك يتأفف من مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأ بالسلام وقد لا يجابوب واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عيف في النصح وان رُد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمعلمين واستبد بهم وانتهرهم وأمتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة بطرف عينه كمنظره الى السامعة استجهالاً لهم واحتقاراً واشباه ذلك كثير في المتكبرين لا يكاد يجعلها أحد والعياذ بالله من الكبرياء وأهلها

« في المتكبر عليه »

اعلم أن المتكبر أما أن يتكبر على الله أو على أنبيائه عليهم السلام أو على سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوماً جهولاً فتارة يتكبر على الخالق وطوراً على أنبيائه وأونةً على سائر الخلق

فالتكبر على الله وذلك أخف أنواع الكبر لا مثار له الا الجهل المطبق والطغيان والكفر والعياذ بالله مثل تكبر نمرود فانه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكمن ادعى الربوبية كفرعون فانه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى اذ استنكف ان يكون عبداً لله لذلك قال تعالى « ان الذين يستنكفون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » وقال تعالى « لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون » وقال تعالى « واذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » والتكبر على الرسل والانبياء عليهم السلام يكون من حيث استعزاز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثاها وذلك تارة يصرف عن فكر ذلك المتكبر الاستبصار فيبقى في ظلمات الجهل ويمتنع عن الانقياد للحق وهو يظن انه محق برأيه الاخرق وطوراً يمتنع مع المعرفة ولو لكان لا تطاوعه نفسه على الانقياد للحق الذي جاء به الرسل ليتواضع لهم كما حكي الله عن قولهم « أنؤمن ببشر مثلنا » وقولهم « ان أنتم الا بشر مثلنا وإن أطمع بشراً مثلكم انكم اذن لحاسرون » وقوله « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو ترى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً » وقالوا « لولا أنزل عليه ملك » وقال فرعون فيما أخبر الله عنه « أو جاء معه الملائكة مقربين » وقال الله تعالى « واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق » وهكذا تكبر فرعون على الله وعلى رساله جميعاً . قال بعض المفسرين قال له موسى آمن وراك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت عبداً تعبد . فاستنكف عن عبادة الله وعن اتباع النبي موسى عليه السلام كبراً وعتواً

وقالت قريش فيما أخبر الله عنهم « لولا أنزل هذا الرجل من القرينتين عظيم » قال بعض المفسرين عظيم القرينتين هو الوليد ابن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي اذ قالوا غلام يتيماً وكيف بعثه الله الينا ؟ قال تعالى « أنهم يقسمون رحمة ربك » وقال الله تعالى « ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا » أي استحقاقاً لهم واستبعاداً لتقدمهم . وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله كيف نجلس

اليك وعندك هؤلاء وأشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حينما دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم « فقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الاشرار » قيل يعنون عماراً وبلالاً وصهيباً والمقداد رضي الله عنهم

ثم كان من هؤلاء المتكبرين من منعهم تكبرهم عن التفكير والمعرفة فجهلوا كونه صلى الله عليه وآله محقاً ومنهم من عرفوا ذلك ومنعهم الكبر والصلف عن الاعتراف بنبوته وقد أخبر الله تعالى عن هؤلاء بقوله « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » وقال « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » وهذا النوع من التكبر قريب من التكبر على الله وفي مثل غشه اذ انه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله عليه الصلاة والسلام

وأما التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم المتكبر نفسه ويستحققر غيره فتأبى نفسه الانقياد الى من هو ارفع منه من الناس وتدعوه الى الترفع عنهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساوئهم وهذا وان كان دون التكبر على الله ورسوله فهو أيضاً قبيح من وجهين أحدهما أن الكبر والاستعزاز والتعظيم والتعالي لا يليق الا بالملك القادر سبحانه عز وجل فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق به الكبر والصلف لا جرم ان العبد على ما هو عليه من ضعف اذا تكبر فقد نازع الله تعالى في خاصية من خصائصه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين المنازعة بمرود وفرعون لله سبحانه بون شامع ولكنهما مع هينتها على تلك لانزال قبيحة في نظر العاقل المتأمل

والوجه الثاني الذي تعظم به رزية الكبر ان يدعو المتكبر الى مخالفة الله تعالى في أوامره ونواهيه فان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ومن ذلك ما تراه من التعنت في المناظرين بأسرار الدين الى أن يتجاهدا يتجاهد للتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهما أنف الاخير عن قبوله وتشمر لجحده تعنتاً واحتمال لدفعه بما يستطيع من إيهام وتليبس ومخالطة وهذا من أخلاق الكفرة والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى « وقال الذين كفروا لا تأتينا بهذا القرآن يا أيها الذين آمنوا فيه لعليكم تغلبون » فكل من يتناظر للغلبة والاقحام ولا يفهم الحق اذا ظهر به فقد شارك الكفرة في هذا الخلق القبيح وقد يحمل



ذلك على الافقة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم »

« في البواعث على التكبرياء »

علمت ان الكبرياء خلق باطني وأما ما يظهر عنه من الافعال والاخلاق فهي ثمرة ونديجته وينبغي ان تسمى تكبراً ويخص اسم الكبرياء بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير والكبرياء الباطنية لها موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالكبرياء كما مرّ بنا فان المرء اذا أعجب بنفسه أو بامله أو بعمله أو بماله أو بسبب من اسبابه استعظم نفسه وتكبر

وأما الكبر الظاهر فاسبابه في المتكبر والمتكبر عليه وفيما يتعلق بغيرهما

وسبب التكبر في المتكبر هو العجب في النفس وسبب التكبر في المتكبر عليه هو الحقد والحسد وسبب التكبر فيما يتعاق بغيرها هو الرياء

أما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن الموصل الى التكبر في الظاهر الاقوال والافعال والاحوال قال بعض الحكماء « من أثبت لنفسه تواضعاً فهو التكبر حقاً » ووجهه ان التواضع لا يكون الا عن رفعة فعني أثبت الانسان لنفسه تواضعاً فقد أثبت لها رفعة. وقال بعض العارفين المتبصرين مادام العبد يظن ان في الخلق من هو شرٌّ منه فهو متكبر حقه الاحتقار من الناس والازدراء.

وأما الحقد فانه قد يحمل على المتكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله أو فوته ولكن قد غضب بسبب سابق فأورثه الغضب حقداً ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقاً لتواضع فكم من ذنئ لا تطاوعه نفسه على التواضع للاكبر منه لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على ردّ الحق اذا جاء من جهته وعلى ان لا يستجله وان كان في حقيقته جليلاً حقداً له وبغضاً وأما الحسد فانه أيضاً يوجب البغض للحسود وان لم يخف الحسود من أذيته وكذلك الحاسد قد يبغض الحسود فيستنكف من التواضع له ولو كان في ذلك خيره كتلم علم أو استفادة مال أو غير ذلك تكبراً وبغياً فهو يمرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه أهل لان يتواضع له لعلمه أو فضله

وأما الرياء فهو أيضاً يدع الى التكبر حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه أفضل منه فيكون باعته على التكبر الرياء المحرّد ولو خلا معه وأمن الاشتهار لتواضع له وما تكبر عليه

اعترافاً منه بفضله

ومن هذا القبيل من ينتمي الى نسب شريف كذباً فإنه يعلم من نفسه أنه كاذب في دعواه لكنه قد ادعى الشرف رياءً وتكبر به على من نسبه دون النسب الذي ادعاه وأعلم أن التكبر لا يخفى على صاحبه كالصفرة على الوجه والشذر في النظر والحيلاء في المشي بل وتظهر الكبرياء على المتكبر في رنة صوته وهو يتكلم وميله في مشيته وهو يتبختر ولسان حاله يقول « يارض اشدي ما عليك أحد قدي » كما تقول العمامة في أمثالها وبالاجمال يظهر عليه التكبر في كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته

ومن المتكبرين من يجمع كل مظاهر الكبر ومنهم من يظهر عليه بعضها ويخفي البعض الآخر من ذلك ان يحب المتكبر ان يقوم له الناس كلها مرّ بهم ولكنه لا يقوم لاحد أو ان يمشي وخلفه آخرون يتبعون خطواته أو ان يزار ولا يزور أو ان يستكف من مجالسة غيره ممن يظنهم أقل منه واذا جالسوه يستكف أن يجلسوا في جواره ويطلب ان يكون جلوسهم بين يديه الى غير ذلك من المظاهر التي يظهر بها المتكبر أمام مواطنيه مما لا تخفى على من يراقبونه كيجرّ الطيلسان وقتل الشاربين وانتهاز المجالسين الخ الخ

« اللجاج والتعنت »

ومما جُبل عليه الانسان اللجاج والتعنت في المناظرة والجدال وهو خلق يتركب من الكبر والجهل معاً ولذلك قيل اللجاج من التجة والتجة من قلة الحياء وقلة الحياء من قلة المروءة وفي الامثال « لج صاحبك فحج »

والمر في ذلك كله أن الانسان يشتبك بمناظرة في موضوع مع غيره وقد يكون جاهلاً ذلك الموضوع فينتحمه خصمه ويأخذه بالحجة فاذا كان غير متكبر رجع للحق واعتذر فلا يكون في ذلك تعنتاً وأما اذا كان متكبراً فبأبى عليه كبرياًؤه ان يعترف بالحق فينتسك بالباطل تعنتاً

ومن هذا القبيل الجدل والجدل يكون فيما يختف عليه من شتات المسائل السياسية والادبية والادبية والصناعية حيث ان كل مسألة تقبل الجدل لاختلاف افهام ومدارك الناس فيما يعرض عليهم من المسائل

فان كان المتجادلون طلاب حقائق انتهى الجدال على سلام وعمت الفائدة وان كان فمهم من في نفسه كبر وصلف يفضي الامر الى التعنت والاستبداد بالرأي وينتهي

الجدال غالباً بين مثل هؤلاء الى خصام وشقاق وسوء تفاهم ويفضي الى التعمير واطهار العيوب والمطاعن القبيحة

والباعث على الخصام في الجدال هو رغبة المرء باظهار علمه وفضله وتهجمه على اظهار نقص الغير وهما شهوتان باطنيتان في النفس قويتان فيها فاظهار الفضل من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبيد من الطغيان ودعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما الرغبة في تنقيص الاخرين فهو من مقتضى طبع السبعية في الانسان حيث يرغب أن يبطش بغيره ويمزقه تمزيقاً

وهاتان الصفتان مهلكتان وهما تقويان بالمراظة على الجدال فاذا اعتاده الانسان وساعدته عليه قوة حافظته وشغفته لسانه فأثني عليه الناس لاجل ذلك وصادف لديهم قبولاً حسناً ووجد من وراء ذلك اعتزازاً اجتمع عليه سلطان الغضب والكبرياء والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات المهلكة تشق مجاهدتها فكيف بمجموعها وفي ذلك قلنا :

وجاهد اذا جادت غيرك زغبةً      باظهار حق يدفع الغي بالهدى  
وحاذ اذا ما حبك الخصم ان تكن      على العنت في اخفاء حق لندبا  
وكن بالذي ما أنت تجهل علمه      كمسترشداً او ما تعلمت مرشداً  
بذلك تنجو من هوان تكبر      وتكسب اعجاب الانام مؤكداً

وقال شاعرنا الانطاكي يوماً وقد ضاق صدره عن مخاحج مة بنت :

علامَ تعالي برأيك جهلاً      فتأني الصحيح وترضى الخطا  
فقف يا ابن ودِّي معي ههنا      فما انا راضٍ بهنقل الخطي

« علو الهمة »

ومن خواص ذوي النفوس الروحانية علو الهمة وهو خلق مختص بالانسان فقط وأما سائر الحيوان فلا أثر لعلو الهمة فيه وذلك اذ يتحرى كل نوع منها الفعل بقدر ما في طبعه وعلى مدى استطاعته وقد قال الله عز وجل « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » وقال أمير المؤمنين عليه السلام « قدر الرجل على قدر همته ، وصدقته على قدر مروئته ، وشجاعته على قدر أفتته ، وعفته على قدر غيرته » وعلى هذا فالحرُّ الكريم لا يقنع من شرف الدنيا مما انبسط له بل يطلب المزيد وينظر الى ما هو أسنى وأسمى وأرفع منزلة ومن الشواهد لهذا المعنى أن موسى الكريم عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام

عند ما كلم الله سبحانه سألَه النظر اليه أي انه ما اكتفى بشرف مخاطبة الحضرة الالهية بل طمع الى ما وراء ذلك من النظر الى الانوار القدسية استدلالاً على أن الحرّ الكريم لا يقنع بمنزلته مهما كانت عالية وقد حاز عليها الا ويطمع بما هو فوقها وأشرف منها فكأن نفسه أشبه بشعلة نار تأبى الا أن تشع وترتفع وقد قال في منها أبو الطيب المتنبّي:

إذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرامها الاجسام

وقال أيضاً:

لولا المشقة ساد الناس كلهم      فالجود ي فقر والاقدام قتال

وقلنا في هذا الباب :

من هان هان عليه أن يعيش بلا      جاه وعلم ومال غير محترم  
ومن سمت نفسه لا يرتضي أبداً      هوئاً وهل يرتضيه صاحب الهمم  
فعمش عزيزاً نهباً وافر الكرم      أو مت شريفاً حميد الذكر والشيم

وقال شاعرنا الانطاكي :

لا تشفقوا لشبابي أن يضيع سدى      دون المال اذا ما عزّ مطلبها  
فالنفس ان عظمت أعيت مطالها      وأتعبت ربهما من حيث يتعبها

فعلوا الهمة خلق موجود في كل انسان الا أن الموانع التي تمنعه عن مقصوده تخيفه من عواقب الامور وقد قيل لابي مسلم الخراساني في صباه نراك تنظر طريلاً الى السماء كأنك تسترق السمع أو تتربع نزول الوحي عليك قال لا هذا ولاذاك ولكن لي همة عالية ونفس تتطلع الى المعالي نأنا بين عيش كعيش الهمج الرعاع وحال متناهية في الارتفاع فقالوا له ما الذي يشفي علتك ويروي غلتك قال الملك قالوا فاطلب الملك قال الملك لا يطلب هكذا قالوا فما تصنع وأنت تذوب حممرات وتكاد تموت كمدأقال سأجعل بعض عقلي جهلاً وأطلب به مالا يطلب الا بالجهل وأحرس بالباقي بالايحرس الا بالمثل فأعيش بين تدبير ضدين فان الحمول أخو الادمم والشهرة أخذت الوجود نقول وبمثل هذه الهمة العالية بلغ أبو مسلم ما بلغه من بعيد الامال ونقل الخلافة من بني أمية الى بني العباس بسعيه اذ لم يعرف السكّال

« الحياء والنجل »

ومن ثمرات الروحانية الحياء والنجل وهما من خصائص الانسان لا يوجدان في غيره من الحيوان وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء قال بعض الحكماء

« الحياء انقباض النفس عن القبائح » وهذا أحسن تعريف له ومتى قصد به الانقباض عن الجرأة فهو ممدوح بالصبيان والنساء وأما اذا كان انقباضاً عن القبائح فهو ممدوح لكل انسان

وأما الخجل فخيرة تلحق النفس لفرط الحياء وتكشها عن الاقدام والجرأة وهو محمود في النساء والصبيان ويذم في الرجال وقد قيل في الامثال « الحياء للرجال يكسب الفقر والحول »

و ضد الخجل القحة وهي مذمومة بكل انسان وتعريفها جريرة المرء على غيره بالحق وبالباطل وحققتها لجأح النفس في تعاطي القبائح وقد قال في ذلك الشاعر :

صلاية الوجه لم تغلب على أحدٍ الا تكامل فيه الشر واجتمعوا  
وقلنا في هذا الخالق لواقعة حال :

عجبت لمن يلقى الانام بلا حياء      ويذكر فيها بينهم شر ما عمل  
نخوراً بأثام أتاها سفاهة      وجاء يباهي الناس فيها بلا خجل  
ألا ان من يأتي انفجور يسرها      عن الناس خوف اللوم والهون ان عقل (١)  
والحياء خلق مركب من حبن وعفة فلا يكون المستحي فاسقاً ولا الفاسق مستحيماً  
لتنافي اجتماع العفة والفسق وقلمما يكون الشجاع مستحيماً والمستحي شجاعاً لتنافي  
الجبن والشجاعة

وأسباب الحياء كثيرة وأشدها تأثيراً في الانسان سببان هما الامل والاستعظام أما الامل فقد قيل من أمل أحداً هابه قال الباقر عليه السلام « من أمل رجلاً هابه ومن

(١) ارجل عظمة مولانا الشيخ المعز حفظه الله هذه الايات في أحد مجالسه حيث  
فدع عليه أحد اشرف بغداد وأخذ يقص على مسامعه الكريمة الكثير من الاثام التي أتاها  
في زيارته أوروبا وكان عظمته برحابة صدره يسمع حديث نزيله وهو غير راضٍ طبعاً  
عنها حتى اذا انصرف مال لنا وقال أندرون ما كنت أفكر والرجل يقص قصته ??  
قلنا لا قال كنت أنظم أبيات ورواها فمعجبنا لبداة عظمته ولما رمى اليه بانشادها لنا  
نحن عبيده فقد أراد عظمته حفظه الله أن يظهر لنا انه لم يكن راضياً عن حديث نزيله  
وأن يؤدبنا أيضاً بها اذ أن عظمته كان ولا يزال خير مؤدب لنا على هذا النحو أي انه  
أطال الله بقاءه ينهز كل فرصة لتثقيف عقولنا بالمواعظ الواقعية من غير أن يواجها  
بشديد النصح مباشرة وهذه الميزة هي من خصائص عظمته التي امتازها



قصر عن شيء غابه « وقال الهيثم « ربما يبلغني عن الرجل يعتابني فاذا ذكر استغفاني عنه فيهن علي ذلك « وأما الاستعظام فان الانسان متى ما استعظم أحداً استحى منه ولو لم يكن بحاجة اليه فيكبر في نفسه أن يطع على عيوبه ولذلك لا يستحى من الحيوان الغير الناطق ولا من الاطفال الذين لا يميزون ولكنه يستحى من الملك أكثر مما يستحى من الصعلوك ومن العالم أكثر مما يستحى من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحى من الزرد

والذين يستحى منهم الانسان ثلاثة هم البشر ونفسه والله عز وجل أما البشر فهم أكثر من يستحى منهم الانسان وذلك خوف تشهيرهم به فيحطون من قدره في ذكر سيئاته ثم يستحى من نفسه وذلك اذا كان له ضمير حي يوبخه على سيئاته أما اذا لم يكن له ضمير حي يوبخه فلا يستحى منها وأما حياؤه من الله فهو اذا كان ذا دين يرجو الثواب ويخاف العقاب أما اذا كان ضعيف الايمان فلا يستحى من الله فيما يفعل من الموبقات في الخفاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله « استحيوا من الله حق الحياء » وقال سبحانه وتعالى « ألم تعلم بان الله يرى » على ان العبد اذا علم ان ربه يراه استحى من ارتكاب الذنب وسئل بعض العلماء عما يتولد منه الحياء من الله تعالى فقال « ان يرى العبد آلاء الله ونعمه عليه ويرى تقصيره في شكره » فان قال قائل فما معنى قول النبي صلى الله عليه وعلى آله « من لا حياء له لا ايمان له » قلنا له ان الحياء أول ما يظهر من اماراة العقل في الانسان والايمان آخر ما يظهر منها ومن المحال أن يحصل على المرتبة الاخيرة من اماراة العقل من غير أن يحصل على المرتبة الاولى

ومن ثمرات الحجل الحصر في المنطق فان كثيراً ما يحصل ذلك للانسان اذا تكلم في جمع من الناس أو وقف خطيباً بينهم

روى أبو الحسن المائني قال صعد ابن لمدي بن أرطاة المنبر فلما رأى الناس حصر فقال الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويستقيهم . وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قد رشقوه بأبصارهم وصرقوا اسماعهم نحوه قال نكسوا رؤوسكم وعضوا أبصاركم فان المنبر أول مركب صعب فأذا يسر الله عز وجل فتح قفلاً ثم نزل . وخطب مصعب ابن حيان آخر مقاتل بن حيان خطبة تكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم لا اله الا الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك أهذا دعوناك ؟

ومن ثمرات الحياء المنع من القبيح فقد جعله الله في الانسان

عما تنزع إليه نفسه من الموبات فلا يكون كالبهيمة ومن كساه الحياء ثوبه لم ير الناس  
عبيه قال الشاعر :

لاتسأل المرء عن خلانقه في وجهه شاهد عن الخبر  
وقال آخر :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها الا الحياء  
اذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الا موركا يشاء  
وقلنا لواقعة حال :

لاتهيجوا الفلان في مساوئه ألم تروه وماء الوجه تدنضا  
من لا حياء له لا دين يمنعه عن المساوي فيأتي الشر والثلبا  
وقال شاعرنا الانطاكى لواقعة حال : (١)

دعه على بادي سفاهته يسب الصالحين بلا هدى وحياء  
أو ترخي من مثله خيراً وها هو عاكف جهرأ على الصهباء  
« العفة »

ومن ثمرات الروحانية العفة فمن غلبت روحانيته عليه كان عفيفاً بطبيعته زاهداً  
بالشهووات على أنواعها ومعنى العفة بالحصر هو ان يعف الانسان عما في يد الغير من مال  
وجاه وعرض وكلها محمودة وأمجدها التمهف عن الزناه

وصف اعرابي امرأة طرقتها فقال مازال القمر يرينها فلما غاب ارتنيه فقيل فما  
كان يينكما قال أقرب ما أحل الله مما حرّم اشارة في غير بأس ودنو من غير مساس  
وأشد الرضي الموسوي رضي الله عنه :

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى يلفنا الشوق من فرع الى قدم  
وبات باسم ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داج من الظلم  
وأحسن منه مطابقة لهذا المقام قوله رحمه الله :

خولنا فيك انت عفة وتعففاً وقد رذعت في الحمي منا الموانع

(١) كنت مرّة في حفلة عرس في البصرة فاذا بسفيه من ذوي اليسار قد امتلا  
رأسه ببخار العقار فجعل يتناول على الصالحين الاخبار فحاول أحدهم ان يسكته بصفحة  
كف فاعترضته بهذين البيتين وفي اليوم التالي نمي الخبر لعظمة وليّ النعم روجي ففاداه  
فسره من عبده هذا التوسط الذي حال دون اتساع الشر في صنع ذلك الجاهل الغرّ

سولوا مضجعي عني وعنهما فانتنا  
وقلنا في هذا المعنى :

أتنتني وقد أرخى الظلام سدوله  
وبنتنا كما شاء الغرام على هوى  
والم أجن من ذنبٍ عليه أتوب  
وقال شاعرنا الانطائي :

خلوت بجمل لا أخاف مراقباً  
ضممت بها قدأً لقد أخجل القنا  
بليلة أنس ليت طالت مدى الدهر  
يميل عليّ والهوى بيننا عذري  
وأحييتها حتى الصباح على صفا  
وليس بنا غير التعفف والطهر

وشعر العرب في هذا الباب كثير وعندني أن أكثر الشعراء يدعون العفاف دعوى لسكيلا يدخلوا تحت حدّ الزناء أو أنهم في كلّ وادٍ يهيمون ويقولون ما لا يفعلون والله أعلم

ومن نوادر ما يروى أن خارجياً نزل يوماً على بعض اخوانه مستترأمن الحجاج فشحص المضيف لبعض حاجاته وقال لزوجه يا ضيا أوصيك خيراً بضيفي هذا وكانت من أحسن النساء وجهاً فلما عاد بعد شهر قال لها كيف كان ضيفك؟ قالت ما اشغله بالعمى عن كل شيء وكان الضيف قد أطبق جفنيه فلم ينظر الى المرأة ولا الى منزلها الى ان عاد زوجها

ومثل هذا ما يروى لجنون ليلى العامرية انه اجتمع معها ندخل زوجها عليها بقتة فادخلت الجنون ما بين جلدها وثوبها الى أن خرج زوجها فأخرجته فستل الجنون بعد ذلك ما رأيت من محاسن ليلى؟ فقال والله دخلت أعمى وخرجت أعمى  
« الوفاء والصدق »

ومن ثمرات الروحانية الوفاء وهو ملكة نفسانية تنشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه ما طال العهد والصدق ملكة تحصل من لزوم الاقوال المطابقة للواقع والرغبة في تجنب الاكاذيب وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة ملازمتان لها قال الشاعر :

كأل الفضيلة صدق الحديث      وستر القبيح عن الشامتينا

وقلنا في الصدق :

تجنب الكذب واعلم انه سبب  
الى الهوان وكره الله والناس

ولازم الصدق تظفر في معزته  
وقتنا في الوفاء :

كن كالسموأل في حسن الوفاء اذا  
وأما ككرم الاخلاق أجمعها  
رمت الفخار وحب الناس والشرفا  
شهم لآخوانه بالمكر مات وفي  
وقال شاعرنا الانطاكي :

علمتني يا عميد الناس أجمعهم  
لما رأيتك في صدق المقال مع الـ  
حسن الوفاء وصدق القول والعمل  
وفاء قد بت فينا مضرب المثل (١)

وقال الاحنف بن قيس « خصلتان لا يجتمعان في انسان الكذب والمروءة »  
فان المروءة نتيجة روحانية ومن ثمراتها الصدق والوفاء والحياء والعفة فلا يمكن ان  
تكون مع اضدادها وأهمها الكذب على حد قول الشاعر :

لي حيلة فيمن يـم  
من كان بمخلق ما يقو  
وليس في الكذاب حيلة  
ل تخيلتي فيه قليله

وبعد فكل خلق حسن فهو من نتائج المروءة والمروءة نتيجة الروحانية المودعة  
في الانسان فيقوى كل خلق حسن في الانسان بقوة روحانيته ويضعف بضعفها

ومن ثمرات المروءة الايثار على النفس مع الحاجة قال الله تعالى « ويؤثرون علي  
انفسهم ولو كان بهم خصاصة » قيل أن هذه الاية الشريفة نزلت في رجل من الانصار  
أضاف رجلاً نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجد عنده شيئاً فسار به الى  
منزله ووضع بين يديه طعاماً وأمر امرأته باطناء المراج وجعل يمد يده مع الضيف  
يوهمه انه يأكل معه وهو لا يأكل حتى استت في الضيف كفافه فلما أصبح قال رسول  
الله صلى الله عليه وآله « لقد أعجب الله عز وجل من صنيعكم مع ضيفكم » وقيل في  
سبب نزولها انه أهدي لبعض الصحابة رأس مشوي وكان مجهوداً فوجه به الى رجال

(١) أنشدت عظمة، ولاي المعز مر تجلاً هذين البيتين في مجلس جرى فيه ذكر أحد  
ولاة البصرة بجزرته العلية بمعرض ذم وكان ذلك الوالي في بدء عهده من المنتمين  
لعظمته المتحبين اليه ثم لجهل منه وحماقة بطبعه قلب لعظمته ظهر الجح فكان ذلك  
وبالا عليه أما عظمة مولانا أعزه الله فأبى ان ينسى تودد ذلك الوالي لعرشه وكان بأبي  
داعماً جماع ذمه وهو يقول « ان الحسنات يذهبن السيئات » فأنا لا أنسى لذلك  
الوالي تودده الي وان خطاه الاخير قد لاقى فيه جزاءه فحسبه ما لقي وعلمنا أن نعفو

فقد اولته تسعة أنفس ثم عاد الى الاول فنزلت هذه الآية بسبب ذلك

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بني النضير للانصار « ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم ولا أموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة » فقالت الانصار « بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها » فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في سبمة عطشوا في يوم أحد فجيء بما يكفي أحدهم فقال واحد منهم فأول فلان وهذا أحاله على الثاني حتى طيف به على السبمة وما تروا ظيماً ولم يشرب وأحد منهم فأثنى الله سبحانه عليهم

وقيل نزلت في رجل جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أطعمني فاني جائع فبعث الى أهله فلم يكن عندهم شيء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الانصار وأتى به الى منزله ولم يكن عنده قوت صبيانه فباتوا جوعاً وجعل المضيف يعض لسانه لضيف رسول الله فظن الضيف انه يأكل معه فلما أصبحا غدوا الى رسول الله فنظر الى الانصاري وتبسم وتلاه هذه الآية

هذا ما قيل والصحيح أن الذي أضاف الضيف وترك صبيته ينامون على الطوى واطفاً المراجها علي وفاطمة عليهما السلام ذلك ما رواه ثقة المحدثين وكبارهم في القرآن وأشبه هذه الحوادث في العرب كثيرة وهم أهل البر والكرم يؤثرون ضيوفهم على أنفسهم ولو كانوا على خصاصة ولو أردنا أن نستقصي الروايات والتقصص من هذا التجميل لضاق بنا المجال بل لنا وللقصص فان كل من زور العرب ويتجول في ديارهم يرى من المروءة والايثار على النفس الا يراه في العالم أجمع

ومن الطف ما جاء عن الايثار على النفس حديث حذيفة المدوي قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن تم لمي ومعني شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته منه ومسحت وجهه بالباقي فلما وجدته أشرت اليه أن أسقه فمد لي ابن عمي نم وإذا برجل يقول آه فأشار اليّ هشام أن أنطلق اليه فحسنته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو أيضاً قد مات نقول وأنها مروءة محودة وفق الله الجميع الى التحلي بها

### ﴿ الخاتمة ﴾

هذا ما أوردناه عن القوى الشهوية والغضبية والروحانية ونحسبه كافياً لتقريب حقائقها من الافهام واتنا نحتّم هذا المورد في بيان أمرين أولهما فيما يعم النفس البشرية



ولا اختصاص له بقوة من القوى الثلاثية والثاني في بيان ما يؤثر في نفس الانسان وهي أمور سبعة ستأتي مفصلة ان شاء الله تعالى وهاتمن ذا نبدأ في بيان الامر الاول ونقرعه تفريماً يجمع بين الفائدة والفكاهة على النحو الذي رآه القاري الكريم « الطبع والتطبع »

قال بعضهم ان الاخلاق لا تتغير اذا كانت طبعاً في الانسان لا تطبعاً واستدل على ذلك بأمرين أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فكما أن الصورة الظاهرة الخلقية لا يمكن تغييرها فلا يصير القبيح جميلاً والقصير طويلاً وكذلك الخلق الباطن يستحيل تغييره ولا سيما اذا كان خلقاً بغير تخلق وطبعاً بغير تطبع

والثاني أن حسن الخلق يقمع الشهوة والنضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع ولذلك اذا لم يكن للإنسان من داخله خلق حسن يحول دون غضبه وشهواته فالاشتغال في تأديبه تضييع للزمان بغير فائدة على حد قول الشاعر :

لا تنتهي الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

فالمطلوب اذن من الانسان أن يتطعم على نفسه خط التصادي في طاب الخنازير العاجلة من نفسه اما أن يتطعمه عليه غيره بوعظه وتأنيبه فذلك ضرب من ضروب الخصال ولا يُرْبِدُهْنا نكران فائدة الوصايا والوعظ والنصح كلا فان هذه وتلك وجدت لمعاونة الانسان على ردع نفسه وتلطيف ضروره بتنبيهه اليها وعليها يترتب الحسن والقبح والثواب والعقاب ولذلك قيل « من أنذر فقد أعذر » وقال الله تعالى « وذكر ان نفعت الذكري »

وأما ما نذهب اليه من تغيير الخلق وعدمه فالك ما يذهب اليه جالينوس من القول بالتفصيل بان الناس على ثلاثة أقسام قسم طبع على الخير فلا يتغير طبعه الى الشر وقسم طبع على الشر وهؤلاء كثيرون ولا يتغير طبعهم الى الخير ما دامت النفس أمارة بالسوء وقسم ثالث طبع أصحابه بين الخير والشر وهؤلاء اذا حسنت تربيتهم وكثر نصحتهم وارشادهم ووعظهم رجونا الخير من تقويم أودهم واصلاح ما فسد من أخلاقهم ومن شواهد هذا المذهب ما نقل عن ارستطاليس حكيم الروم قال « نقل الطباع من ردي الاطباع شديد الامتناع » وأخذ المتنبئ هذا المعنى فنظمه بقوله :

براد من القلب نسيانكم  
 وقلنا نحن أيضاً في هذا المعنى :  
 وجارية أوفيتها الحب صادقاً  
 فهل خلق فيها الففور ولا نرى  
 وقال ارستطاليس « تنذر الافعال التي هي غير مطبوعة أشد انقلاباً من الريح  
 الهبوب » ونظم المتنبي هذا المعنى بقوله :  
 واسرع أفعالاً أردت تغييراً  
 وله في هذا المعنى أيضاً :  
 كل امرئ راجع يوماً لشيمته  
 وله أيضاً :  
 ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه  
 وقال صالح بن عبد القدوس :  
 والشيخ لا يترك أخلاقه  
 اذا ارعوى عاد الى جهله  
 وقلنا في واقعة حال :  
 لا تلوموا خائناً ملكه  
 فطبعه قد ساقه للخنا  
 وقيل سأل بعض الملوك وزيره هل الادب يغلب الطبع أم الطبع يغلب على الادب  
 فقال الوزير بل الطبع فوق التطبع ثم ان الملك أراد ان يحام وزيره فاستدعى مائدة  
 (١) وسبب نظم هذين البيتين وأنا في خدمة عظمة مولانا ولي النعم الشيخ خزعل  
 خان المعظم هو أن رجلاً ربي في نعمة عظمته وعاش في ظله عهداً طويلاً ثم اغراه عدوكم  
 فانضم اليه وانقلب على ولي نعمتنا ونعمته انقلاباً أصابه شره ورجع بعد حين مستغفراً  
 لحظيرة ولي النعم فقابلته عظمته كما دته بالرحمة والغفران وأبى أن يذكر له خيائته ولوعلى  
 مجرى العتاب ترفعاً من عظمته ومبالغة بكرم أخلاقه حفظه الله وكانت حاشية ولي النعم  
 حفظه الله تكثر من لوم هذا الانسان بل شبه الانسان وكان مولانا كلما سمع من يعرض  
 بهذا الرجل يسكته الى أن كثر المرصون فأنشدنا عظمته في أحد مجالسه الزاهرة هذين  
 البيتين الدالين على غاية الغايات في مكارم الاخلاق

وآبن السباع على الناقل

وبالغت في اكرامها وهي نافره  
 تناسب في أخلاقها المتنافرة

هي غير مطبوعة أشد انقلاباً من الريح

تسكف شيء في طباعك ضده

وان تخلفت أخلاقاً الى حين

يدعه ويغلبه على النفس خيمها

حتى يارى في ترى رسمه

كذي الضنا عاد الى نكسه

بعظم هين وكسب يسير

والطبع قهاره فهل من عنبر (١)

الشراب وأحضر سنائير بأيديها الشموع المضاءة فوقفت حوله وكانت قد تطبعت على ذلك وقال للوزير أنظر خطاك في قولك الطبع يغلب الادب فقال الوزير أمهاني يامولاي الى الليلة التالية قال أمهلتك فلما كانت الليلة التالية جيء بمائدة الشراب وأقبلت السنائير بشموعها وفي الحال أفلت الوزير من كمة فأراً كان قد أحضرها معه فلما رآته السنائير رمت الشموع وتبعته الفأرحتى كاد البيت يحترق فقال الوزير أنظر أيها الملك كيف ان الطبع يغلب الادب وأنشد :

إذا كان الطباع طباعٍ سوءٍ      فلا أدبٌ يفيد ولا أدب  
وقال أحد الشعراء :

ظلمت امرءاً كلفته غير طبعه      وهل كانت الاخلاق الاغرازا  
وقال شاعرنا الانطاكى :

طبعت على الوفاء فلست أنسى      جميلة ما جفت دلاً وهوا  
فان أوفيت في ودي فطبع      بنفسى انى أشقى وأهوى

وعن حماد الراوية قال كانت عتبة بنت عفيف وهي أم حاتم أعظم الناس سخاءاً وأكثرهم عطاءً فلما أسرفت على نفسها وأضر بها جودها حبسها اخوتها في بيت سنة يطعمونها قوتها ولا يمكنونها من مالها وكانت موسرة ثم أخرجوها بعد السنة وهم يظنون انها قد بلغ بها الادب ودفموا اليها صرة من مالها فاتتها امرأة من هوازن فأعطتها الصرة وأنشدت :

لعمري ليوماً عضني الدهر عضّةً      فأليت ان لأمنع الدهر جائعاً  
فقولوا لمن قد لامني اليوم فاعفني      وان أنت لم تفعل فعض الاصابعا  
فما مارتون اليوم الا طبيعةً      فكيف بتركي يا ابن أُمي الطبايعا

وقيل لما مات حاتم الطائي أراد أخوه أن يتشبه به في الجود فقالت له أمه لا تتبع بما لاتناله فقال وما يعنني وقد كاشقبي من أمي وأبي قالت اني لما ولدتك كنت اذا أردت رضاعه أبى وامتنع حتى آتته بمن يشاركه في الثدي الآخر وكنت أنت اذا أرضعتك ودخل علينا صغير بكيت حتى يخرج وما أحسن ما قاله المتنبي الماماً بهذا المعنى :

وكلُّ بري طرق الشجاعة والندى      ولكن طبع النفس للنفس قائد

وقال أمير المؤمنين عليه السلام « اذا قوي وال في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر » وأنت تعلم ان الطبع يبعث على الخير والشر

ولكن المانع لظهورها في الانسان أما الضعف وعدم القدرة أو الخوف من تحمل التبعة كما قال أبو الطيب المنبجي :

والظلم من شيم النفوس فان تجرد  
ذا عفة فعلعله لا يظلم  
وكما قلنا :

اذا شمت من في طبعه الخير ساكتاً  
وشمت الذي في طبعه الشر ساكتاً  
فذاك للضعف أو تخوف محنة  
لقد تركا طبع الفتى فيه كما منا  
وقال أمير المؤمنين « اذا كان في رجل خلة رائحة فانتظروا منه اخواتها فقد تكون  
فلتة » مثال ذلك ان ترى انساناً بسيطاً وقد صدرت عنه خلة تروك وتعجبك اما لحسنها  
أو لقبهجها فلا تعجل بالحكم عليه بل انتظر منه أخواتها لان طبيعته الباطنية التي حر كنه  
على عمل ما أعجبك أو راعك لا بد أن تحركه الى فعل ما يناسبها ماذا والا فيكون عمله  
المفرد اما بالصدفة أو بدافع مخصوص قد يكون ضد طبيعته  
وقد يصادف الانسان أن يعمل عملاً على غير استعداد منه قبيحاً كان أو حسناً فاذا  
وجد ما يشجعه على مثل عمله صار له ذلك العمل عادة اما تعود عليه بالخير أو بالشر من  
ذلك ماروي عن الاحنف انه حلم يو أ على سفيه تجراً عليه فسيبه فقبل له في ذلك فتبسم  
وقال دعوه فاني قتلته بحلمي وسيقتل نفسه بجرأته فلما كان بعد أيام تجراً ذلك السفيه  
على زياد وهو أمير البصرة وطن انه كالاحنف يقابله بالحلم فساء فأله اذ أمر في الحال بقطع  
لسانه ويده

ومما تقدم يظهر بوضوح أمران أولهما ان الطبع غير قابل للتغيير والثاني ان الطبع  
باعث على أفعال الخير والشر ما لم يمنعه مانع من ضعف أو خوف ناشئ عن عقل أو شرع  
« الافعال الظاهرة تدل على الاخلاق الباطنة »

ولا بد لنا من القول هنا بان الافعال الظاهرة تدل على الاخلاق الباطنة وذلك لان  
الانسان مادام عاقلاً مدركاً فهو بطبيعة الحال لا يأتي أي فعل كان بغير أن يستحسنه  
تصوره ويتفق مع طبعه واذا كان التصور الذي هو نتيجة الطبع خفياً في داخل الانسان  
مما لا يمكن الاطلاع عليه كان الحكم عليه مما يصدر عنه من الافعال ان خيراً نخيراً وان  
شراً فشرراً

قال أمير المؤمنين عليه السلام « اذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فانك  
تقف من رأيه على عدله أو جوره أو خيره أو شره » وقال الشاعر :

قد يُستدكُّ بظاهرٍ عن باطنٍ حيث الدخان فتمَّ موقف نار  
وهذا مأخوذ من قولهم « لادخان بغير نار » وقولهم « ما الدخان على النار وما  
العجاج على الريح بأدلّ من ظاهر الانسان على باطنه » وفي ذلك قلنا :  
واذا جهلت خلائق الخلق الألى يتظاهرون بفيرة ونجاد  
فانظر لما فعلوا من الاحسان في ما قد مضى واحكم بكلّ سداد  
وقال أحد الشعراء :

ومها تكن عند امرء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم  
وقال أمير المؤمنين ما أضمر أحدكم شيئاً الا ظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه  
وذلك لان اللسان هو دليل الجنان والوجه هو مرآة الباطن فهما مكر الرجل باخفاء  
باطنه واطهار غير ما في نفسه لا بد وان تمّ عليه فلتة من فلتات لسانه أو لحمة من لحات  
وجهه لان العقل هو الذي يتصرف بدهائه في اظهار غير ما في الباطن فاذا اشتغل في  
موضوع آخر سها عن ضبط ما أخفى فانفضح وهذا هو السرّي كشف كثير من الجرائم  
واقترح كثير من سرار المرآتين الخادعين

وقد يرمّ الوجه عن خلائق صاحبه وهو ما يسمونه بعلم الفراسة أي معرفة خلائق  
الرجل من النظر الى جبينه وعينه وأنفه وفمه ويده الخ وقال الشاعر مشيراً الى هذا :  
لاتسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهدٌ عن الخبر  
وقال آخر :

وفي عينيك ترجمة أراها ندلّ على الضغائن والحقود  
وأخلاق عهدت اللين فيها غدت وكأها زير الحديد  
وقد عاهدتني بخلاف هذا وقال الله أوفوا بالعهود

ولبعض تدماء الشعراء :

وطالع من نفسه ما يسرّه عليه من اللحظ الحقي دليل  
إذا القاب لم يبد الذي في ضميره ففي اللحظ والالفاظ منه رسول

وقد أحسن ابن المعتز في هذا الباب بقوله :

تفقد مساقط لحظ المرّيب فان العيون وجوه القلوب  
وطالع بوادره في الكلام فانك تجني ثمار العيوب



وقال شاعرنا الانطاكى :

لتجهدى النفس فى التضليل كاذبةً  
فقد صغيت لعدلى ولو احمى  
انى قرأتُ بعينيك السلو فلا  
بجديك من بعد هذا اليوم ابرحمى

وقال صادق لهشام فى جملة قول له « لان الله تعالى لم يدل على الباطن الحفى من العقل الا بظاهر منه وناطق عنه فليعلم الباطن من الظاهر كما يعلم من حمرة الوجه وانتفاخ العروق وغلظ الصوت وشدة الغضب ارادة الاتقام ومن اصفرار الوجه وتضاؤل البدن وتحريك الفرائص وشدة الخوف كل ذلك للتناسب بين النفس والبدن بحيث يصل أثر أحدهما الى الآخر » كذلك تعلم الصفات النفسانية والكمالات الروحانية والعلوم والعقائد الراسخة القلبية من الاعمال والافعال الصادرة عن الاعضاء الظاهرة والسر في ذلك هو ان الاخلاق الباطنة تنم عليها الافعال الظاهرة كدلالة الأثر على المؤثر أما علم الفراسة وقد سبقت الاشارة اليه فهو عبارة عن الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن فقد روي فى الأثر « ان الطرش فى الكرام، والهوج فى الطوال، والكياسة فى القصار، وحسن الخلق فى الحول، والكبر فى العور، والبهت فى العميان، والذكاء فى الحرص »

وقيل انه مكتوب فى التوراة « تسع خصال فى تسع رجال : الشؤم فى الاسور، والتباجة فى الاحول، والنفلة فى الطويل، والفتنة فى القصير، والكياسة فى الكوسج، والتكبر فى الاعرج، والشطارة فى الاحدب، والخبث فى الاشقر » تقول وهذا لم نقف له على أثر فى التوراة ولكننا رأينا بعضه فى المشاهدات وقد نظم بعضهم آيات يحذرها الناس من تسعة رجال قال :

توق رعاك الله تسعاً من البشر  
فصحبهم تفضى الى البؤس والضرر  
وهم أحول مع أعور ثم أحدب  
كذا كوسج يتلو نشاطاً من السكر  
واياك والانف الطويل وأصغر  
فانهما بيت الخيامة والخطن  
كذا غائر الصدغين خارج جبهة  
كذا أزرق العينين فالخذر الخذر  
توقاهم تحيا سليماً من الردى  
وباعدهم اذا الفراسة والنظر

وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصفه يدل على لطف الحركة فاذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والاروثة والنقى بطول نحر يفتها تدل على الحق والنقى يكسر طرفها

تدل على خفة وطيش والشعر في الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة  
تدل على حق وهذيان الى آخر ما قيل من هذا القبيل مما تراه في كتب علم الفراسة  
وبعضه يصدق والبعض لا يصدق  
« في العادة »

قد عرفت فيما تقدم أن سبب وجود الملكات في الانسان شيان أحدهما الطبع  
والآخر التطبع أو العادة فالطبيعة هي ما يقتضيهما أصل المزاج وأما العادة فهي حاصله  
بسبب التكرار والمزاولة للأعمال حتى تكون خلقاً يعسر زواله فقد قيل « العادة طبيعة  
خامسة » وقالوا ان الملكات تحصل بتتابع الفعل وتكراره لأن الفعل يقع أولاً وتعود  
منه الذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار  
فتكون ملكة أي صفة راسخة وقالوا ان الملكات اذا استقرت ورسخت في انسان  
أصبحت طبيعة وجبلة فيه وقال ابن خلدون في مقدمة تاريخه « الانسان ابن عوائده  
وملوفاته لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي ألفه من الاحوال حتى صار ملكة وخلقاً وعادة  
ينزل منه منزلة الطبيعة والجبلة » ومن الكلمات التي تعزى الى أمير المؤمنين عليه السلام  
« العادات قاهرات، من اعتاد شيئاً في سره وخلوته فضحه في جهره وعلايته » والقول  
في العادة كالقول في الطبع فكما ان الطبع لا يمكن تغييره كذلك العادة يعسر تبديلها  
والتحوي عنهما وكما أن الطبيعة باعثة على الافعال كذلك العادة سائقة الى الاعمال  
قال الشاعر :

اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى فان فطام النفس عنه شديد  
ومن أمثال العرب « عادة السوء شر من المفرم » ومعناه من عودته شيئاً ثم منعته  
عنه كنت أشد عليه من المفرم وقيل معناه ان المفرم اذا أدبته حقه فارقك وعادة السوء لا تفارق  
صاحبها بل تكون فيه طبعاً ثابتاً وقال الشاعر في ذلك :

من عود الناس احساناً وتكرمة لا يعتن على من جاء في الطلب

ومنه قلنا :

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| عودها الدلال اذا صار خلقاً | ليس عنه في حبه تتحول     |
| فنصر أخا الهوى وتعمل       | بالتلاقي وفي الصدود تحيل |
| وخليق بصها يتحمل           | وخليق لحسنها تتدليل      |
| ومجال تغير عادة نفس        | زاولتها هيئات ليس تبدل   |

ومن ألف شيئاً فتعود عليه صعب عليه تركه من ذلك حب الحياة حتى ترى المقعد  
الاعمى الكثير الاوجاع الشديد المتربة لو عرضت عليه الموت ليستريح من اسقامه ومتاعبه  
لاباه ونقر منه وقد قال المتنبي :

الف هذا الهواء أوقع في الآذ ؛ ففس ان الحمام مرّ المذاق  
وقال آخر في العادة :

ولكن فطام النفس أتقل محملاً ؛ من الصخرة الصماء حين ترومها  
وقال غيره :

لا تهني بعد ان أكرمتني ؛ فشديده عادة منزعة  
وقال شاعرنا الانطاكى :

مولاي قد عودتني أن التقي ؛ لك برحب صدك باسماً مسرورا  
فجزعت حين رأيت وجهك عابساً ؛ بالله قل ما أوجب التغييرا  
أجريت ذنباً أم أتيت أئيممة ؛ هب قد أتيتها ألت غفورا (١)

ومن أمثال العرب « اذا تعود السطور كشف القدور فاعلم أنه لا يصبر عنها »  
وبالجملة فالزوع عن العادة شديد ولسنا نقول مستحيل ولذلك كان أكثر العقلاء  
يحذرون الناس من الاستمرار على العادات القبيحة وبمخونهم على اعتماد العادات  
الحسنة ومما يروى أن عيسى عليه السلام لقي خنزيراً على الطريق فقال له اذهب بسلام  
فقيل له أتقول هذا لخنزير فقال اني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء ومن هذا  
القبيل قال بعضهم :

عود لسانك صدق القول تنجو به ؛ ان اللسان متى عودته اعتادا

ومن ثمرات العادة تهوين الامر الذي يعتاد عليه مهما كان شاقاً على النفس فان  
العادة والممارسة للاعمال الشاقة تزيد في القوى كما ترى في الجمالين والفلاحين وغيرهم

(١) من مميزات عظمة مولانا السردار اقدس حفظه الله ظهوره للناس دائماً ابداً  
طلق أسارير الوجه باسم الثغر حتى أن النظر الى وجهه المنير يبعث السرور والانشراح  
للمتمتعين بمشاهدته العلية فدخلت على حضرته يوماً فوجدته على غير عادته مقطباً  
عابساً فجزعت حاسباً أنه ولا سمح الله غاضبٌ عليّ وأنا كما تعلم « حياتي في رضاه »  
فارتجلت بين يديه هذه الايات وأنا فرق فقهه عظمته ضاحكاً وقال لا هذا ولا  
ذاك ولكن أردت مآزحتك لما أعلمه من اخلاصك فخدمت الله على ذلك كثيراً

من أهل المهن المتعبة ومن ثمّ رآها أيضاً ألفة ما تنفر منه الطباع كمن تعود خض الحروب  
فلا يستفزع سفك دماء البشر وفي ذلك يقول المتنبي :

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا      فأهون ما يمرُّ به الوحول

وكذلك إذا اعتاد الفتى المزة من الناس واكرامهم صعب عليه الهوان حتى يرى  
الموت أسهل منه خلافاً لمن تعود الهوان فألفه حتى أصبح كما قال المتنبي :

من ين يسهل الهوان عليه      ما لجرح بميت إيلام

قال بعض الحكماء « لا تكثّر معاتبة اخوانك فيهنّ عليهم سخطك » ومن تأمير  
العادة ما روي في تفسير قوله تعالى « استحوذ عليهم الشيطان » قالوا في تفسيرها وسؤل  
الشيطان أي ذنب إذا فعله ابن آدم استحوذ عليه؟ قال إذا أطاعني المرة الاولى . أقول  
وذلك لان الانسان قبل اطاعة ابليس لا يلبث يستعظم المعصية فاذا فعلها المرة الاولى  
أغرته نفسه بالثانية وهكذا حتى لا يبالي . من ذلك المقامر والزاني والسارق الخ وقد  
قال أمير المؤمنين عليه السلام « ما زنا غيور قط » وذلك لان من اعتاد الزنا حتى صار  
دربته وعادته وألفته نفسه لا بد أن يهون عليه أمر الزنا حتى يظنه مباحاً أو في حكم المباح  
لان من تدرّب على شيء سهل عليه أتياه وكما يسهل عليه أتياه وزوال قبحه من نفسه  
لم يعظم عليه أتياه من أهله وبناته فتسقط غيرته وهذا يشاهد بكثرة في البلاد التي كثرت  
فيها الحرية الشخصية وبطلت الآداب الدينية حتى صار الزنا في أهلها عادة ، ألوفنة

ومن قبيل العادة ما قالوا في تفسير العجب بانه حيرة تعرض للانسان لقصوره عن  
معرفة سبب الاشياء أو عن معرفة كيفية تأثيرها فيه أو عدم الاعتياد على رؤية الاشياء  
أو سماعها مثال ذلك ان الانسان اذا رأى خلية نحول ولم يكن شاهداً من قبل كثرت  
حيرته لعدم معرفته فاعلمها فلو علم أنها من عمل النحل لتجيراً أيضاً من حيث ان ذلك  
الحيوان الضعيف يستطيع احداث المسدسات المتساوية الاضلاع التي يعجز عن مثلها  
المهندس الحاذق من الفرجات المسطرة ويتساهل من أين لها هذا الشمع الذي اتخذت منه  
بيوتها المتساوية التي لا تخالف بعضها بعضاً كأنها أفرغت في قالب واحد من أين لها هذا العسل  
الذي أودعته فيها ذخيرة للشتاء وكيف عرفت ان الشتاء يأتيها وانه ينفد فيه الغذاء وكيف  
اهتدت الى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطاً بالعسل من جميع جوانبه  
فلا ينشفه الهواء ويظل طرياً فهذا معنى العجب والحيرة وكل ما في العالم هذه المثابة الا ان  
الانسان يتعود على النظر الى هذه الخوارق منذ صباه فيألفها وتزول حيرته بها بحكم

الإلفة والاعتیاد ألا ترى الانسان ينظر الى هذه الافلاك وهي داعية الى الدهشة فلا يندهش حتى اذا رأى ما لم يعمود على رؤياه كهيوان غريب الحلقة أو اختراع جديد من اختراعات الفرنجة المستحدثة فيأخذ بتسبيح الله عجباً واندهاشاً

ومن قبيل حكم العادة ان الاتقياء من المسلمين اذا رأوا مسلماً أفطر في يوم من شهر رمضان أنكروا ذلك عليه انكاراً ورموه بالكفر والزندقة وقد يشاهدون من يخرج الصلاة عن أوقاتها ولا تنفر طبايعهم منه نفرتهم ممن أفطر مع ان صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الزقية عند آخرين وترك صوم رمضان كله لا يقتضي مثل ذلك وما السبب في استنكار افطار الصائم وعدم استنكار مهمل الصلاة الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها بين الناس مما يكثر فيهمون أمرها على القلب لكثرة المشاهدة خلافاً للصوم الذي يكون شهراً واحداً في السنة

وكذلك يُستنكر على النقيبه ان يلبس ثوباً من حرير أو خاتمياً من ذهب أو ان يشرب من اناء فضي أو ذهبي ولا ينكر عليه ان يتصدر المجالس باغتياب الناس والقيية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير واستعمال الذهب ولكن كثرة سماع القية ومشاهدة المغتابين اسقط وقها في القلوب وهون على النفوس أمرها

ومن ثمرات العادة نابتها على اللسان بل وسائر الاعضاء فكل من اعتاد فناً من الفنون الادبية غلبت عليه قواعده واستعملها في أقواله وكتاباتة نظماً كانت أو نثراً وغلب على تخيلاتة في المباني التي يوردها ألا ترى أبا الفتح البستي ومقاطيعه المشهورة في الاداب والحكم كيف تغلب ألفاظ المنجمين فيها وهذا يظهر جلياً للناقذ المتأمل في كتابات الكتاب وفصائد الشعراء

حكى ان بعض الاطباء كان في خدمة أحد الملوك في غزوة فعند ما انتصر أمر الطبيب ان يبشر بنصرته وزياره فسكتب «أما بعد فقد كنا مع العدو في حلقة كدائرة اليبارستان حتى لو رميت مبضعاً لما وقع الا على رأس مقاتل فلم يكن الا نبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسماذتك يا معتدل المزاج» ومن هذا القبيل ما روي عن ابن سينا متغزلاً :

|                       |                           |
|-----------------------|---------------------------|
| تصدى بعد صدّ للوصال   | وغازني بسالفتي غزال       |
| وأبدى من محيائه ثنايا | تراها كاللهالي في اليبالي |
| بوجه لا يزال يدور فيه | على قطب الهوى فلك الجمال  |



محاسنه هيولى كلّ حسنٍ ومغناطيس أفئدة الرجال  
 وقريب من هذا قول رياضي وهو يختصر اللهم يا من هو قطر الدائرة ونهاية العدد  
 والجذر الاصم اقبضي اليك زاوية قائمة واحشرنى على خط مستقيم  
 ويحكى ان صاحب سلاح أحد الملوك وصائغاً وصاحب بقرة ومعلم صبية ترافقوا  
 على طريق فركبوا مركب الجدد وواصلوا سير النهار بسير الليل فيبيناهم في وحشة الظلام  
 ومقاساة خوف أهواله آنسهم البدر بوجهه الكريم وأضاء لهم كلّ مظلم بهم فافاض كلّ  
 منهم بوصفه فشبهه السلاحى بالترس المذهب يرفع عند الملك والصائغ بالسبيكة من  
 الابريز والبقار بالجين الايض يخرج من قلبه طرياً والمعلم برغيف أحمر يصل اليه من  
 بيت ذي مروءة من أحد آباء صيته  
 وبالجملة فلكلّ صنف من الناس أمثال تشاكلهم فلا تجرد لكامل الا مثلاً كاملاً  
 ولا لساقط الا مثلاً ساقطاً وبذلك يعرف شعر الملوك وأبناء الامارة من شعر السوقة  
 اذ كلّ أناة ينضح بما فيه والسرّ في ذلك هو العادات المتماكة في النفوس المتمكنة منها  
 فن تمثيلاتهم الساقطة لشيء المريب قول الصوري :

إذا ما كنت ذا بول صحيح ألا فاضرب به وجه الطيب

والمعنى في البيت صحيح فان البول هو ميزان الصحة في عرف الطب الحديث  
 ولكن التعبير تشمّر منه الاسماع  
 وانصرف سيف الدولة بن حمدان من حرب وهو منتظر على دمه فدخل عليه  
 الشعراء يهنئونه وفيهم رجل من أهل الشام فأنشده من قصيدة :  
 وكانوا كفاروسوسوا خلف حائطٍ وكنت كمنوع عليهم تسقف  
 فأمر بطرده من المجلس وقال قاتله الله جهنمي سنوراً وجعل أعدائي فأراً وكلا  
 التشبيهين قبيح ومدح رجل المهلب فقال :

نعم أمير الرفقة المهلب أبيض وضاح كشمس الحلب

وربما ألف المتخصص مللاً غامياً أو تشبيهاً ركيكاً لكثرة ما يطرق سمعه من مخالطة  
 الارازك فيسترسل في ضربه مثلاً فيصير به مثلاً كالذي حكى عن الاصمعي أن الرشيد  
 سأله يوماً عن أنساب بعض العرب فقال على الخير سقطت يا أمير المؤمنين فقال له  
 الفضل بن الربيع اسقط الله جنبك أخطاب أمير المؤمنين بمنى هذا الخطاب؟ فكان  
 الفضل بن الربيع مع قلة علمه لم بما يستعمل من الكلام في محاوره الخلفاء من

الأصمعي الذي هو واحد عصره وقريع دهره في الرواية  
وخلاصة الامران الامثال أو التشبيهات هي تابعة للاحوال والعادات والظروف  
فيجب ان يتنبه اليها الاديب

وورد عن اعرابي اختصم الى قاضٍ فقال أيها القاضي ان خصمي وان هملج الى  
الباطل فانه عن الحق لقطوف . وقال المبرد قيل لطيفلي كم اثنين في اثنين ؟ فقال أربعة  
أرغفة وقال طيفلي انتظرت فلاناً مقدار ما يأكل الانسان رغيفاً

ومن ثمرات العادة وتأثيراتها ما يروى عن بقراط انه قال يداوي كل عليل بمعايير  
أرضه لان الطبيعة تطلع بهوائها وتنزع الى غذائها وقال أفلاطون غذاء الطبيعة من  
أرضها من أنفع أدويتها وقال جالينوس يتروّح العليل بنسيم أرضه كما تنبت الحبة بيل  
القطر وأصل ذلك العادة والالفة وما ولد عليه الانسان وما نشأ فيه وقال بعض الاذكياء:  
والنفس مولعة بما عودتها فدع الطبيب وعد الى المعتاد

روي عن سيور ذي الاكتاف انه اعتل يوماً وكان في أسر الروم فقالت له بنت  
ملكهم وقد عشقته ما تشتهي ؟ قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته  
بعد أيام بماء وقبضة من تراب وقالت هذا من ماء دجلة وتربة من أرضك فشرّب واشتم  
بالوهم فنقه من علته وللوهم تأثير لا ينكره أحد  
« الطبع سراق »

روى الشيخ في الامالي عن الصادق « من جالس الاحمق يوشك ان يتخلق  
باخلاقه » وقال سلطان المنكلمين في كتاب الاخلاق « ليس شيء أشدّ تأثيراً في النفس  
من الجليس » وقال في رسالة آداب المتعلمين « اياك والمناظرة مع غير مستقيم الطبع فان  
الطبع سراق والمحاورة مؤثرة والاخلاق معدية » وقال المحقق الملا أحمد النيرافي في  
كتاب معراج السعادة « ان في ابن آدم دواعي الخير ودواعي الشر وانما صاحبه يميل  
به الى أحدهما » وقال فيه أيضاً « وصحبة كل أحد توجب الاتصاف بأوصافه والتخلق  
باخلاقه » وكان بعض العقلاء يقول « ليس شيء أنفع لقلب الانسان من مخالطة الصالحين  
والنظر الى أعمالهم وليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر الى أفعالهم »  
ولهذا قيل:

صاحب أخا أدب تحظى بصحبته      فالطبع مكتسب من كل مصحوب  
كالريح آخذة بما تمرّ به      تتأ من النتن أو طيباً من الطيب

وقال آخر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه  
فشكل قرين بالمقارن يقتدي  
وقال غيره :

إذا كنت في قومٍ فعاشر خيارهم  
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي  
وقلنا فيما أملاه علينا الفكر على سبيل النصيحة :

حاذر بُني رجال السوء أهمُّ  
قد يسامونك من آدابك الحسنات  
ولازم الفضلاء الصالحين إذا أردت أن تكسب الأخلاق والفظنا

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال « يحشر المرء على دين خليله  
فلينظر أحدكم من يخال » وقال بعض الحكماء لولده « يا بني احذر مقارنة ذوي  
الطباع المرذولة لئلا يسرق طبعك من طباعهم وأنت لا تشعر »

والسرُّ في سرقة الطباع وانتقال عداوها بين الصحبة هو التعود عليها واثتلاف  
النظر إليها حتى تنتقل من الاستحسان إلى الاترام ألا ترى الإنسان يألف الميسر أو  
المسكر لكثرة مصاحبته من يسكرون أو يقاهرون بعد أن كان تقياً صالحاً يستهجن  
هذا وذاك وينادي بأنهما رحس من عمل الشيطان وكذلك كم من الفسقة والفجارتابوا  
وتاب الله عليهم بصحبة الأبرار والاختيار؟؟ ألا أن سرقة الطباع مما لا جدال فيه

وكما تكون سرقة الطباع بين الأفراد من الناس تكون أيضاً بين الأمم قال  
الأصمعي « جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين قلة الغيرة واللؤم وجاور أهل  
البصرة الخزر فأخذوا عنهم خصلتين الزنا وقلة الوفاء وجاور أهل الكوفة السواد  
فأخذوا عنهم خصلتين السخاء والغيرة » نقول وحكم الأصمعي على أهل هذه المقاطعات  
في أيامه ونحن أوردناها هنا للاستشهاد فقط

وروى شاعرنا عبد المسيح بك انطاكي عن أهل مصر وما كسبوه من الأخلاق بعد  
هبوط الفرنجة بالادهم مآثر تأثيراً كبيراً على أخلاقهم العربية وكذلك روى عن أهل  
تونس والجزائر والشام لهذا العهد ما يظهر معه بكل جلاء بأن الأخلاق تسرق والطباع  
تعدي وكذلك روى لنا التاريخ عن تأثير العمج فالترك في دولة بني العباس لا يشذ عن  
هذه القاعدة وقلنا في هذا المعنى مخاطب ولدنا جاسب: (١)

(١) هو المرقدار أرفع سمو الشيخ جاسب خان كبير أنجال عظمة مولانا ولي النعم  
المرقدار أقدس المعظم وعامله على المحمرة وهو كالامراء اخوانه من نوابغ الامراء الذين

أجاسب حاذر جوار اللثيم وصحبة أهل الخنى والفساد  
ولا يزم ببشر ذوي الحزم أهل الزكا والمعالى وأهل الرشد  
فإن الطباع لتبدي وعدوى ال طباع تُضيع النهى والسداد  
ومصاحبة المعاجز تكسب النشيط المعجز والحيان تجعل الشجاع جباناً والشحيح  
تترك الكريم شحيحاً وفي ذلك قال ابن زيد الخوارزمي :

عدوى البئيد الى الجليد سريرة والجرير يوضع في الرماد فيخمد  
وبالجملة فسارقة الطبع من المعاشرة أمر ظاهر لا يحتاج الى برهان (١)  
وأما صحبة المتشاكلين بالطبع فانها تزيد في طباعهما خيراً كانت أم شراً لان ما يعمله  
الانسان لو حده يتضاعف اذا كان معه شريك فيه يشجعه عليه

وقال الحكماء لا يتأذى تهذيب النفس الا بمفارقة قرناء السوء وعدم استماع قصصهم  
الفاسدة وقالوا اذا كان المرء بطبعه شريراً فان صحبة الاخيار تنفقه وبالعكس اذا كان

تقرُّ بهم أعين الامة حاز على رضاء عظمة مولاة ومولانا والده العظيم ومحبوب من عموم  
قبائل عربستان لشهاته وشجاعته وكرمه ومكارم أخلاقه وتقائه بالاخلاص للعرش  
العالي الخزعلي حتى يقول فيه كل من عرفه «من شابه أباه ما ظلم» ولعظمة مولانا أعزّه  
الله ثمانية أشبال غيره وكل منهم فرقد في سماء الكمالات وشهاب في أفق المجد وفيهم قد قلت :

بدورٌ لشمس المكرمات وأنجمٍ لافق العلى من نور خزل نورها

تاللي بأنوار الذكاء وتجلي بدوراً فيجلى الداجيات سفورها

(١) وما يجب أن يذكر هنا والشئ بالشئ يذكر اني كنت يوماً في بغداد ضيفاً على  
سمو مولاي السيد عبد الرحمن أفندي القادري السكيلافي نقيب نقباء السادة الاشراف وبينما  
كنت في مجلس يتصدره سماحته واذا بأحد الحاضرين ذكر جناب الحاج محمد علي رئيس  
تجار الحمرة ووزير عظمة مولانا ولي النعم وروى ما عاينه حضرته من الوداعة ولطف المعاشرة  
ورقة الطبع وصادق بعض الحاضرين على ذلك فقلت لانهم يجوبوا اذا رأيتهم كل من لاذ بعظمة  
مولاي المرردار أقدس الشيخ خزعل خان على مثل هذه الاخلاق الراضية فان ملازمتنا  
عظمته وصحبنا له على جليل فضله تجعل طباعنا مسروقة من طبعه وأخلاقنا منبثقة من  
أخلاقه وجعلت أحدهم عن عظمة مولانا وما خلق الله فيه من الشماثل العالية والشماثل  
الراضية بما كانوا لا يجهلونوه وكان في المجلس أحد السادات من آل السكيلافي وقد ناله  
ألحظ زيارة عظمته فكان يصادق على كل كلمة أقولها والله ما قامت الا الحق

المرء خيراً فصحة الاشرار تفسده وقل الهمزاني :

اياك صحة من تبدلك صحبته بالخير شراً وبالاخلاق أخلاقا

فالماء والبرد فاش من طبيعته بصحبة النار يعطي المس احراقا

وجاء في الاخبار أن الولد تكون نجابته وحسن أخلاقه وإيمانه وصفاته الحميدة والذميمة مضافة الى الوالدين والاعمام والاخوال فالاسانذة فالاصحاب الجلساء كل ذلك

لطول الصحبة ودوام المعاشرة كما هو مشاهد للعيان

« التأسى بالامثال »

ومما جئلت عليه النفوس حب المائة والاقترناء بالغير وهذا هو التأسى الذي أودعه

الله في النفوس ليهون عليها ملقى كوارث الحدثنان فان الانسان عند ما تصيبه مصيبة يذكر

من أصيب بمنزلها وأعظم منها وقد يكون فوقه قدراً وثروة فتهمون عليه مصيبته

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله تهويناً له أمر الموت « انك ميت وانهم ميتون »

وقال سبحانه وتعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » أي في مصابه وما

مضي به يوم أُحُد من الكفار ومن فقد أولاده عليهم صلوات الله وفي ذلك من تهوين

المصائب على الناس ما فيه لعلمهم أنهم دون رسول الله قدراً وكرامة عند الله والناس

وفسر بعض العلماء قوله تعالى « ولن ينفعكم اليوم اذا ظلمتم أنكم في العذاب

مشترون » قال انه لا يهون على أحد من أهل النار عذابه وان تأسى بغيره من المذنبين لان الله

تعالى جعل التأسى نافعاً لأهل الدنيا ولم يجعله نافعاً لأهل النار مبالغة في تعذيبهم ونفياً

لراحة تصل اليهم أقول وامل المراد أنه لما كان من شأن أكثر الناس التأسى بغيرهم

فيتهاونون بالمعاصي بالنظر الى أمثالهم ويقولون بأنهم اذا كانوا في النار معذبين همون علينا

الخطب اذا اشاركنهم بما هم فيه فرد الله عليهم بأن التأسى لا ينفعكم يوماً مثلاً اذ شدة العذاب

تذهبكم عن الانفات الي غيركم

ومن التأسى حديث أبي حمزة الثمالي مع الامام زين العابدين لما دخل عليه ووجده

يبكي على ما جرى عليهم يوم الطف اذ قال أبو حمزة « يا سيدي ان القتل لكم عادة وكرامتكم

من الشهادة ألم يقتل جدك أمير المؤمنين ألم تر جنازة عمك الحسن » الى آخر الحديث

كل ذلك كان يقوله تسلية له من باب التأسى ومن التأسى قول الخنساء في أخيها صخر:

ألا يانفس لاتنسيه حتى أفارق عيشتي وأزور رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي



ولا يكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالناسي

وقال آخر :

ولولا الاسي ماعشت في الناس ساعة

ولسكن اذا ناديت جاوبني مثلي

وقال آخر :

وهوّن وجدني عن خليلي اني

اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

وقال آخر :

ومما يؤديني الى الصبر والمزا

تردد فكري في عموم المصائب

وقال عاشق يشواق الى عشيقته النائية :

نكاد حين تناجيك ضارنا

يقضي علينا الأسي لولا تأسينا

وقال شاعرنا الانطاكي عزّي أحد الولاة وقد عزل من ولايته بعد أن طفئ وتكبر :

عزلوك لا تجزع فمكل منصب

لا بدّ مطال المدى معزول

وطنيت في حكم الولاية فاعتبر

بالعزل دولات الرجال تدول

وتأسّ ان حسن اتأسي بالولا

ة السابقين وذكرهم ممول

واذا بلغت ولاية فاجهد بان

تبقي بها ما فيه يحلو القول

والله ما أنا شامت لكن كشي

ر شامتوك و من أسي قليل

ومن أمثال العرب ( التكلّي تحبّ التكلّي ) وذلك لانها تأسي بها فيخفف عليها وقع

المصائب وتشاركها بالجزع والبكاء، والاكتئاب

وروي عن الاسكندر انه لما شعر بدنوّ أجله كتب الى أمه يهدّها الى سماع الخطب

فيه فقال « يا أماه اذا بلغك كتابي فأولمي وليمة شائقة أدعي لها من لم تلمّ به مصيبة من

مصائب هذه الحياة » قيل فلما بلغها الكتاب أولت وليمتها وأرسلت المنادين ينادون

في الناس أن من لم ينكب بنكبة فليقصد أمّ الاسكندر ويشاركها في وليمتها فلم يحضر الوليمة

أحد فقالت ما بال الناس مع تقدّسنا اليهم بالدعوة قد تخلّفوا عنا فقبل لها أمرت أن

لا يحضر وليمتك من أصابته مصيبة وما في الناس من هو كذلك قد دقت كفّاً بكفّ وقالت

ويلاه قد مات الاسكندر وما طالب مني في كتابه ما طالب الا لينعي اليّ نفسه فقالوا لها

الامر كذلك فقالت « يا اسكندر ما أشبه أو اخرك باوئلك أردت والله ان تعزيني عنك

التعزية البالغة بالناسي بمصائب الناس »

والتأسي لا يختص بالملوث فقط بل في كل مصيبة من مصائب الحياة كالفقر والمرض والهجر وغير ذلك وكل ما كان المتأسي به قريباً من الزمان والمكان والشكل والصناعة وغير ذلك من أسباب المماثلة كان أشد تأثيراً وأعظم تهويناً للإصعاب لهم.  
حكى إن عبد الله بن كرزبلا المنبر في البصرة خالياً خصر عن الكلام وكان خطيباً مصقفاً فشق عليه ذلك فقال له زياد بن أبيه وكان خلفه أبا الأمير لا تجزع ولو أمت على المنبر عامة من ترى أصابعهم مألصاك فلما كانت الجمعة تأخر عبد الله بن عامر وقال زياد للناس إن الأمير اليوم متوكت المزاج ثم أشار إلى رجل من وجود أمره انقبائل بأن يصعد المنبر فلما صعد خصر فقال الحمد لله الذي يرزق هؤلاء وبقي ساكناً فأنزلوه وأصعدوا آخر من الوجوه فلما استوى قائماً قابل بوجهه الناس فوقت بينه على صلوة رجل فقال أبا الناس إن هذا الاصع قد منعني الكلام اللهم إني أمن هذه الصلوة أنزلوه وقالوا لوازع اليشكري قم إلى المنبر فتكلم فلما صعد ورأى الناس قال أبا الناس إني كنت اليوم كارهاً لحضور الجمعة ولكن أراي حمايتي على أيمانها وأنا أشهدكم أنها طابق فأنزلوه وهم يسخرزون من صقاعته فقال زياد له بدالاً من كرزب كيف رأيت ؟ فقم الآن واخطب في الناس فمررتي همه في ذلك وتأسي بغيره ودلا المنبر فطرب الأسماع بحباب نفيس

وأما حب المماثلة والافتداء فمن شواهد قول علي بن مقلة :  
وإذا رأيت فتى بأعلى قمة  
فإن شاع من عزة المترف  
قالت لي النفس العروف بفضلها  
ما كان أولاني بهذا الموضع  
وقلنا في حب المماثلة :

لي همزة لا ترضي دن السهي  
من مجلس تنوي به وتقيم  
لوشمت من جاز الهالك بفضله  
لا جبرته والناظرون وجوم  
وفي الحديث « لا تنظروا إلى من فوقكم وانظروا إلى من دونكم فإنه أجدر  
أن لا تزدروا لعمه الله عليكم » إشارة إلى ما في جبهة الإنسان من حب المماثلة وقال أبو  
الفتح البستي :

من شاء عيشاً رحيماً يستتب به  
في دينه ثم في دنياه إقبالا  
فليظرن إلى من فوقه أدباً  
ولينظرن إلى من دونه حالا  
واعلم إن حب النفس المماثلة والافتداء بالغير هو السبب السكلي في مسارقة الطباع

وصيرورتها الى الفساد عند مشاهدة المعاصي والمفاسد فان الانسان اذا اكثر من مشاهدة الكبائر من غيره ألفها واستسهل من نفسه اتيان الصفائر بجانبها ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم فيه لاحتقار ما عنده وتؤثر مجالسته الفقراء في نفسه لاستعظام ما توفق اليه من النعم وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة وللجماعة تأثير خفي فالفاجر اذا صحب تقياً وهو ينظر الى رهته الله ومداومته العبادة والصلاح يستحي من أصراره على الزجور ولا بد أن يتوب وكذلك الكسلان ينشط بمعاملة النشيط وهم جراً

قال جعفر بن سليمان مها فترت في العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع الي نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعلى هذا فن يقصر نظره على ملاحظة أحوال النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته في العبادة والتزوه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصراً فلا يخلو من داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماماً للاقتداء

ومن انظر الى الاحوال الغالبة على أهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه يادنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه ويكفي في تفسير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلاً عن مشاهدتها وفي هذه النقطة تتضح الحكمة من قوله صلى الله عليه وآله « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » وهو كناية عن انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستدكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير . والمنهوم من فحوى هذا الكلام عند النطن كالمفهوم من عكسه وهو ان عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر المعاصي ويذعن السامع للميل اليها فيكون ذكرهم موجياً للجنة واذا كان هذا ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال « مثل الجلّيس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشمره علق بك من ريحه » فكما ان الريح يعلق بالتوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على النفس وهو لا يشعر بها . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله « مثل الجلّيس مثل صاحب المسك ان لم يهب لك منه نجد ريحه » ولهذا ينبغي لمن عرف من عالم زلّة ان لا يحكيها لان حكايتها تهون على السامعين أمر تلك الزلّة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الاقدام

عليها فيكون ذلك سبباً لتهوين تلك المعصية فإن الراوي معها شجع بتلك الزلة لا يذيل تشديعه سوء القدوة للسامع فيقول في نفسه كيف يستبعد هذا منا وكاننا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولكن لو ظل معتقداً ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق. متبر لشق عليه الاقدام على مثله فاذا كان السماع هذا تأثيره فالمشاهدة أعظم تأثيراً في تهوين الامر برفع الموانع عن ميل النفس للشهوات وارتكاب المحظورات

« ميل النفس لشكلها »

ومما جُبلت عيائه النفوس ميلها لشكلها وأنسها بجنسها قال بعض البلغاء « من شأن الاجناس أن تتواصل ومن عادة الاشكان أن تتوأم والشيء يتقلقل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ولاقي عنصره وشج بعروقه وشيك بفرعه وتمكن على الاقامة وثبت ثبوت الطينة » وقال النبي صلى الله عليه وآله « لو أن مؤمناً دخل الى مجلس فيه مئة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو أن منافقاً دخل الى مجلس فيه مئة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه » وهذا من قبيل شبه الشيء منجذب اليه أو كما قيل « ان الطيور على أشكالها تقع »

قيل أن أناساً قدموا مكة المشرفة فقالوا قدمنا بلادكم ففرقنا خياركم من أشراركم في يومين قيل كيف؟ قالوا لحق خيارنا بخياركم وأشرارتنا بأشراركم فألف كل شكله (١) ومن هذا قال بعض البلغاء:

تخير أخاً في الله تصحبه ساعة  
فمكل أمره يصبوا الى من يجانسه  
وقلنا في ذلك:

اذا جهلت امرءاً ما كنت تعرفه  
فاصبر قليلاً ليختار الصحاب له  
وقد أتاك غريب الدار والوطن  
من ميله بعد أن يأوي الى سكن

(١) وطالما رأينا عظمة السردار أقدس حفظه الله يحكم على ضيوف البصرة وحكامها بعد وصولهم اليها بأيام معدودات لطول اختباره البصريين فاذا قيل له قدم فلان البصرة سأل ونزل عند من والثف على من؟؟ فيقال لعظمته على فلان وفلان فيقول ان أخلاقه كذا وكذا فيكون كذلك ولسعة اختبار عظمته للناس بفراسته وبعد موافق نظره ترى عقلاء البصريين يرجعون الى رأيه الارشد في كل نازل ببلدهم فيأمنون بذلك مغبة الخنة في عشرته اذا كان شريراً أو يفتنون صحبته اذا كان خبيراً كريماً

ان النفوس لارواح مجنّدة تأوي لأشكالها بالسر والعلن وروي أن امرأة مهزارة من أهل طيبة علي ساكنها الصلاة والسلام قصدت مكة فذكرت لها صاحبها فإذا هي مهزارة مثلها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول «الارواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»

والدر في ائتلاف الارواح وتخالفها هو ان النفوس تأنس لمن يشاكلها في طباعها وأخلاقها وتكر من يخالفها فيهما بحيث لا يطيب العيش الا بين المتجانسين الأتري الكريم لا يأنس بصحبة الذم وان تعاشرأ فالى زمن قصر وكذلك يقال في جميع أصناف الناس المتخالفين في طبائعهم وهذا الخلق لا يختص بالانسان بل يشاركه فيه الحيوان قال بعض الحكماء «كل انسان مع شكله كما ان كل طير مع جنسه» وكان مالك بن دينار يقول «لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي أحدهما وصف من الاخر فان أشكال الناس كأشكال الطير ولا يتفق نوعان منها في الطيران الا لمناسبة بينهما وروي عنه انه يوماً رأى حجلة مع غراب فعجب من اتفاقهما ولبسا من شكل واحد فلما مشيا أمامه اذا بهما أعرجان فقال «من ههنا اتفقا»

والخلاصة فكل انسان يأنس الى شكله كما ان كل طير يأنس الى جنسه وفي الأثر: انه لما مات بعض الخلفاء جمعت الروم ملوكها وقالوا الان يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فلنمير الى بلادهم ونفتحها وكان فيهم ذو عقل وسداد رأي فنهام فلما أصبحوا غدوا عليه فأمر باحضار كامين عظيمين أعدهما ثم حرش بينهما فتهارشا حتى سالت دماؤها فلما بلغا الغاية في الخصام فتح باب بيت عنده وأرسل على السكبين ذئباً قد أعدّه فلما أبصره تركا ما كانا عليه وتأنف قلبها ووئبنا على الذئب فقتلاه فأقبل ذلك الرجل على الجمع من الروم وقال مثلكم على المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب فلا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فتأنف قلوبهم على قتاله فقبلوا قوله واتصحووا به اه وقد قال أرسطو ليس في هذا المعنى «الاشكال لاحقة بأشكالها كما ان الاضداد مباينة لاضدادها» ومنه أخذ المنبي قوله:

وأشبهنا بدنينا الطغام وشبه الشيء منجذب اليه  
واعلم كان المشاكلة موجبة للالفة فعدما مفض الى النفرة وروي في كتاب أينس



العقلاء انه كان من عادة ملوك الفرس اذا غضب أحدهم على عالم حبسه مع جاهل تقول وهذا شر أنواع العذاب وروي ان الرشيد غضب يوماً على ثمامة بن الأبرش وكان عالماً متبحراً فسلمه الى خادم له يقال له ياسر وكان يحسن اليه ويتأدب في حضرته ويعظمه حتى سمعه ثمامة مرة يقرأ (ويل يوماً هذا للمسكذ بين) وفتح الذال فقال له ثمامة ويلاك ان المسكذ بين هم الانبياء فقال له ياسر كان يقال عنك انك زنديق ولم أصدق أتستم الانبياء يا ثمامة؟ ثم انه أعرض عنه وهجره وتركه فلما رضى الرشيد عنه وردّه الى مجلسه سأله يوماً ما أشد الأشياء؟ قال عالم يجري عليه كلام من جاهل ثم أخبره بقصته مع ياسر خادمه فضحك الرشيد من ذلك

ومن هذا قيل اذا أردت أن تعذب طالماً فأقرن به جاهلاً أقول ان مباحثرة العقلاء لا يهلا عذاب للروح على أن عذاب البدن بالسياط أهون من عذاب الروح بمعاشرة الجاهلاء وقد قالوا في الامثال العامة (عشرة البهيم مع الفهم داء عقيم) وقال الشاعر:  
ومن البليّة نذل من لا يرعوي  
عن غيبه وخطاب من لا يفهم  
وقننا في هذا المعنى:

ما صرّني من رزايا الدهر جاححة  
الاصاحبة الجاهل فهي بلا  
شكوت منها الى ربّ العالمني  
شكّ لتدعو الى الاملال والسقم

وقال بعضهم:

اذا غلب الشقاء على سفيه  
فنزلة السفيه من السفيه  
تنطع من مخالفة الفقيه  
كنزلة الفقيه من السفيه  
فمننا زاهد في قرب هذا  
وهذا فيه أزهده منه فيه

وقال بعض الحكماء اني لارجم الحكميم اذا اضطرّ لمجاورة السفيه فلا شيء أشدّ عليه من ذلك لانه يدرك بفعله تدبير الأشياء فيحتمل على كثير من الامور الورد السفيه عن جهله فهو يتعذب بكل ما يصنع وينكر كل ما يرى منه ويسمع (١)  
سأل بعض الحكماء ما بال الرجل الثقيل أنقل على الطبع من الحمل الثقيل فقال لان الحمل الثقيل تشارك الروح الجسد في حمله فيتعاونان أما الرجل انثقل نالته حمله الا الروح فيثقل عليها.

(١) حدث مرة ان مرّ جاهل متفاته بالحجرة فقصده رحاب عظمة الشيخ المفز  
حيّاه الله كعادة كل من يمرّ بهذا البلد وادعى العلم والفضل فطلبه عظمته لمجلسه الأدبي

وفي الحديث أن سليمان عليه السلام لما تفقد الهدد ولم يره قال «لا عذبته عذاباً شديداً أو ليأتيني بسلطان مبين» فلما أتاه بالحجة دفع عنه العذاب الشديد وقال لا بد من تأديبه حتى لا يحجر الطيور على مثل فعله فأمر به فحبس مع الحداة في قفص واحد فلما نظر الهدد إلى كثافة طبعها ورقة طبعه وحسن منظره وقبح منظرها كان عليه ذلك عذاباً زوحي شديداً فطلب من سليمان أن يخرج منه ذلك القفص ويمدبه أشد عذاب الطيور فسأل عليه السلام عن عذاب الطيور فقالوا أن الطائر إذا زنا اجتمعت عليه الطيور وتفت ريشه بمنافيرها حتى يصير قطعة لحم، لمقاة ويكون حاله هذا شديداً حتى ينبت له الريش ففعلوا بالهدد ما قالوه وكان عليه أسهل من اجتماعه مع الحداة التي لا تلامه في طبعها وجنسها.

ولما انصلت بمسور بنت مجدل السكبية أم يزيد بن معاوية بما ويرة وكانت ذات جمال باهر وحسن عام أعجب بها معاوية وهياً لها قصرأ مشرفاً على النوطة وزينه بأنواع الزخارف ووضع فيه من أواني الفضة والذهب ما يضاويه ونقل اليه من الديباج الرومي الملون والمواشي ما هو لائق به ثم أسكنها مع وصائف لها كأمثال الحور العين فلبست يوماً أغر ثيابها وتزينت وتطيبت بما أعد لها من الحلبي والحوجر الذي لا يوجد مثله ثم جلست في روضتها وحوها الوصائف فنظرت إلى القوطة وأشجارها وتجابو الطير

الذي يحق في هذا العصر أن يدعى سوق عكاظ وكان مهيق هذه الحواشي متمشراً بحضور ذلك المجلس الزاهي ولما تداولوا الأبحاث الأدبية وجدنا صاحباً جهل من دابة أما عظمة مولانا وليّ النعم فإن أخلاقه الكريمة تأتي أن يواجه أحداً بما يكره ولو كان حقاً ونحن على رأي القائل «الناس على دين ملوكهم» فتحملنا هذا الاحق طول مجلسنا ولما انصرفنا سار الرجل إلى دار الضيافة وكان ليلاً شداً حدوانا الإذابة اللانذين بخدمة عظمة الشيخ غائباً فأرسل عظمته إليه في الصباح أن «ضيقتنا فلان (ويريد به الجهل المتناقض) قد قصدنا فوجب حقنا علينا وهو من العلم والفضل على ما سترى فيجب أن تصحبه في زيارة الحمرة» ففعل ذلك الأديب كما أمر مولاه وفي المساء جاءنا أديبا وهو غاضب وقال لوليّ النعم ما ذنبك إليك حتى حكمت عليّ بهذا العتاب الصارم بصحبة هذا الجاهل؟؟ فضحك عظمته وقال ذنبك أنك تخلفت عنا البارحة فصحبناه دونك وحفظنا لك حقك من صحبته وضحكنا جميعاً من هذه التكلفة البطيئة أما ضيفنا فأنعم مولانا عليه حسب عادته المبرورة مع جميع قاصديه وصرفه شاكراً داعياً.

في أوكارها وشمّت نسيم الازهار وروائح الرياحين والنوار فذكرت مجدداً وحنّت الى  
أزهارها وأناسها ونذّكرت مسقط رأسها فبكت وتهدت فتات لها بعض وصفاتها  
ما يبكيك وأنت في ملك يضاهي ملك بلقيس ؟ تتنفس الصعداء وأنشدت :

لبيت تحفق الأرياح فيه      أحب الي من قصر منيف  
ولبس عباءة وتقرّ عيني      أحب الي من لبس الشفوف  
وأكل كبيرة في كسر بيتي      أحب الي من أكل الرغيف  
وأصوات الرياح بكل فيج      أحب الي من نقر الدفوف  
وكلب ينبح الطراق دوني      أحب الي من قطّ ألوف  
وبكر يتبع الاضغان صعب      أحب الي من بغل رفوف  
وخرق من بني عمي نحيف      أحب الي من عالج عنوف

فلما دخل معاوية قصت عليه الوصيفة بما قالت ميسور وقيل انه سمعها وهي تنشد  
أبياتها فقال مارضيت ابنة بجدل حتى جعلتني علجاً علجاً فأمي طالق ثلاثا مروها فلنأخذ  
جميع ما في القصر فهو لها ثم سيرها الى أهلها بنجد وكانت حاملاً يزيد فولدته بالبادية  
وأرضعه سنتين ثم أخذه معاوية منها بعد ذلك  
« جهل الأشياء »

قال الله تعالى « واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا انك قديم » وقال بعض الاذكياء:  
ومن يك ذا فم مرّ مريض      يرى مرّاً به الماء الزلالا  
وقال شاعرنا الانطاكى :

عادوا الاعراب عن جهل بفضلمهم      وانما الناس أعداء لما جهلوا  
لو أنهم عرفوا نياتنا ندموا      على معاداتنا في كل ما فعلوا  
وما هم غيرنا عند الشدائد ان      صاح الفير وخاضوا الحرب واقتلوا  
قولوا لهم انصفوا الاعراب واقربوا      منهم والا نضاع السمعي والامل  
وقال أمير المؤمنين عليه السلام « من جهل شيئاً عاداه » وقال أيضاً « الناس  
أعداء ما جهلوا » وهو من جوامع كلمه وقال الله تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا  
بعلمه » وقلنا في هذا المعنى :

جهلونا فأغضبونا وباتوا      في رزايا يشكون منها الزمانا  
ليت شعري أمدروا بعد طول ال      مهد معنا أن لا محب سوانا

وقال ابن دريد:

جهلت فعاديت العلوم وأهلها  
وقال بعض الاساطين لابنه « يا بني عليك بكل نوع من العلم في زمنه فان المرء  
عدو ما جهل »

وقال أحد الشعراء في مثل هذا :

تفان وخذ من كل علم فاعلم  
فانك حرب للذي أنت جاهل  
يفوق امرئ في كل فن له علم  
به ولعلم أنت تتفقه سلم  
والعلة في أن الانسان عدو ما يجهد هي أنه يرى نفسه بين غارفي ذلك منتقصاً  
فيستشعر باهانة ذلك النقص فيضمر العداوة لمسببه ولذلك قيل « والجاهلون لاهل  
العلم أعداء »

« رضى الناس لا يدرك »

قال بعض الاساطين لبعض أصحابه « والله ما أقول لك الا نصحي أنه ليس الى  
السلامة من الناس سبيل فانظر ما ذا ينفعك فاعمله » وقال للشاعر :  
من راقب الناس مات غمماً وفاز باللذة الطيور  
وقلنا في هذا المعنى :

سر في طريقك في الخيرات تسلكها  
هيئات لو كان ينجو من ملائمتهم  
واعرض عن الناس لا يرضيهم عمل  
ناج نجا منهم الاقطاب والرسول  
وقال يوماً أحد العلماء لتلميذ له أعمل كذا وكذا فقال يا أستاذ لا أستطيع خوفاً  
ملاية الناس فالتفت الشيخ الى أصحابه وقال « لا يفوز عبد بسؤله الا اذا كان أحد  
اثنين أما رجل تسقط الناس من عينيه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وانا رجل سقطت  
نفسه من عينيه فلا يبالي بأية حاة يراه الناس » وقال بعض العلماء « ان الاتيان بما  
تستحسنه جميع الطباع ليس في قدرة البشر » ولبعض العقلاء

لو كنت كالتدح في التزييم معتدلاً  
وقال شاعرنا الانطاكي :

ولست بطامع ارضاء كل الأ  
فان أرضيت في عملي الهني  
نام ولم يكن ذا مستطاماً  
وأرضيت الضير فلن أراعا  
وحكي أن بعض العرفاء أراد أن يعظ ابنه ويبله بعدم الاهتمام بأقوال الناس

نظر ج به را كين على هابة فقال بعض الناس انظروا الى هذين كيف راكب على هذه الدابة وهي لا تطيق حملها فنزل الولد ورتي الولد را كبا فرأيا باخرين فقالوا انظروا قصر قلب هذا الرجل كيف هو راكب وابنه يمشي وكان الولد اولى عنقه بالراكوب فنزل الولد وراكب الولد ومرا باخرين فقالوا انظروا الى هذا الولد لما نزل اذ به ابوه يمشي وهو راكب فنزل الولد ايضا ومشيا على اقدامهما وجعلوا يحزيران الدابة حزا فرأيا باخرين فقالوا اما نعلم عقل هذين بعينين على اقدامهما والدابة لا راكب عليها فقال الرجل لولده انظر الى هذا الامر واعتبر به فانك لا يسلم أحد من أئسنة الناس بها على وقال أحد الشعراء :

ان كنت منبسطاً سموك مسخرة  
وان تطأ حبهم فقالوا به طمع  
وان كنت منبسطاً سموك مسخرة  
وان تطأ حبهم فقالوا به طمع  
وقال آخر:

وما أحد من الناس سالم  
فلو كان مقداماً يقولون أهوج  
وان كان سكيناً يقولون أبكم  
وان كان صواماً وبالليل قلماً  
ولو أنه ذلك النبي المطهر  
وان كان مفضلاً يقولون حيدر  
وان كان منطيقاً يقولون مهتر  
يقولون زواراً براني ويحكر  
ولا يخشى غير الله والله أكبر  
فلا تحزنل بالناس في الدم والنا

وحكي عن موسى عليه السلام أنه قال الهى أسألك أن لا يقال في ما ليس في فاحى الله اليه ذلك شيء ما فعلته نفسي فكيف أنمله بك ؟ وفي هذا المني ما ينسب الى أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

قد قيل أن الاله ذو ولد  
ما نجا الله والرسول عما  
وقيل أن الرسول قد كئنا  
من اسان الورى فكيف أنا

ومن كلام له عليه السلام «ان أقل تقول حرص وان أسكت تقول حيزع من الموت» اشارة الى عدم ضبط ألسنة الناس في حقه عليه السلام سواء طلب حقه أو سكت عنه كما قال الصادق عليه السلام «رضي الناس لا يملك وأستهم لا تضبط ألم ينسبون الى النبي يوم بدر أنه صلى الله عليه وآله أخذ لنفسه من النعم قطعة حمراء حتى أظهره الله على القطيفة ورأى نبيه من الحيانة وأنزل في كتابه «وما كان لشي أن يقل»  
وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله تعالى خلق الخلائق أجمعين وأنهم



عليهم بأنواع النعم فأكل حواسمهم وحقاق فيهم الشهوات ثم أفاض عليهم أممه وأكمل لهم اللذات وبمدها فاقدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمتهم بل قالوا فيه ما لا يليق به ووضعوه بما يستحيل عليه وأضافوا إليه ما يتقدس عنه فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له بنت ومنهم من يجسسه ومنهم من يشبهه ومنهم من أنكره بتاتا والعباد بالله الى غير ذلك وهو سبحانه مع ذلك محبيهم ويرزقهم ويصح أجسامهم وحواسمهم شعاعهم اليه صاعده وبركاته عليهم نازلة قل كل يعمل على شاكلته ويفرق مما عنده

وبالحيلة فإن رضاء الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بأصلاح نفسه أولى والاستهانة باختلاف آرائهم في أعماله إصلاح وقد قال الشاعر:

أما الناس في اختلاف عقولهم مثلما الناس في اختلاف وجوه

« بين اللؤم والكرم »

لا بد للإنسان من أن يكون لئيماً أو كريماً أو وسطاً بينها تبعاً لبعاطفه الداخلية وطبائمه الفريزية التي تحثه على الخير أو الشر أو بينهما واللؤم يشتد في من غلبت عليه القوى البهيمية بحيث يرى كل ما في العالم لا يساوي بجانب لذة من ملأه قلامة ظفر والكرم يكون فيمن غلبت عليه القوى الروحانية فيعلم أنه إنسان ووجد في هذه الدنيا ليكون عضواً نافعاً للإنسانية وأما ما بينها فكان وسط كمن لا يضر ولا ينفع وقد كرم الناس شرراً أو كمن يكون نفعه مثل شره باعتدال وقد ذهب بعضهم الى أن طبيعة الخير أصل في فطرة الانساب ولكن مخالطة الاشرار وممارسة الشهوات تحوله الى الشر وقال غيرهم بل أن الشر أصل في فطرة الانسان والخير يتعاده اعتياداً بالتأديب والتعليم

وفي رأي جالينوس إن الناس فيهم الخير بطبعهم وفيهم الشر بطبعهم وفيهم المتوسط بين هذا وذلك وقال عن الاول ان كان كل الناس اخياراً بطبعهم وانما ينتقلون الى الشر بالقدوة السيئة والعشرة الفاسدة فمن الضرورة ان يكونوا قد تلقوا الشر عن اساندهم وهؤلاء تلقوه عن تقدمهم الى ان يصل لظانفة من الناس كانوا اشراً بطبيعتهم والعكس بالعكس وفي قوله هذا أقصد المذهبين الذين تقدم ذكرها من تأصيل الشر والخير في عامة الناس الى ان قال لا بد ان يكون في الناس عاطفتان متباينتان عاطفة خير وعاطفة شر فان تعلبت الاولى على الثانية بالتعليم والقدوة كان الانسان خيراً وان تعلبت الثانية على

الاولى كان الانسان شريراً وقال بعد ذلك انا نشاهد عياناً طائفتين من الناس منصرفاً الى الخير وهذه لا تكون شريرةً واخرى منصرفه الى الشر وهذه لا تكون خيرة الا انها القسم الاكث وطائفة ثالثة وسط بين هذه وتلك وهذه التي يمكن اصلاحها وفسادها تبعاً للوسط الذي تعيش فيه

هذا رأي جانسون واليه ذهبنا وحينما فيه هو ان الانسان له عواطف وعقل واما عواطفه فتدعوه الى الشر لانها تطالب ملاذها واما عقله فيدعوه الى الخير لانه يدرك فيه فساد الشرور فمن تغلب عواطفه على عقله كان شريراً ومن تغلب عقله على عواطفه كان خيراً على ان من الناس من تتوازن قوتاهما وعواطفه وهؤلاء هم الوسط بين الاختيار والاشرار وهؤلاء الذين تفيدهم الموعظة الحسنة وتضربهم القدوة السيئة ومن كان شريراً فهو لئيم لا تنفعه معاشره الصالحين ولا يفيد عظة الواعظين

ومن يك ذانم مريماً يرى مرأياً به الماء الزلالا

ومن كان خيراً فهو كريم وهذا لا تؤثر عليه معاشره الفاسدين واغراء الائمة الفاسقين واعلم ان الذي خبث لا يخرج الا سكراناً وربما ازداد خبثاً اذا صادف من الناس من يشجعه على لؤمه كالبيخل اذا سمع من يمدح الاقتصاد في الاتفاق ودم الاسراف وهو يميل بطبعه الى رذيلة البخل فيفرط فيها وهم جزأ وقد يدوى الشر فيه بتعريف المذومات كالدهاء والجريرة والشره والظلم فيكون حاله في ذلك حال الغافل فاذا تذكر بشيئ منها انبه اليه وعمل به على حسب استعداده الطبيعي والعكس بالعكس وقد قال الشاعر:

طر بنا بتعريض العذول بذكركم  
فمنعوا بوادٍ والعذول بوادٍ

وكثيراً ما حصلت هذه الرذائل في النفس الشريرة من تعريض الاستاذ او مطالعة كتاب لان النفس تأخذ من كل شيء وتجعله وفق مراتبها وطبق هواها ويكون تنبيهاً للهوى واغراءً للنفس الامارة لردائتها وخبثها فيستحيل الحمود مسدوماً كما يستحيل لذيق الطعام بعد اذ رذره الى الفساد ومن هذا ورد عن امير المؤمنين عليه السلام «لانعه وا اولاد السفة اللم فاهم اذ لم يوه طابوا معالي الا نور فاذا نالوا ما اعتموا بمذلة الاشرف»

اقول والعالم لا يقتضي ذلك لكن النبات تابع لارضه ومن ارسل رائد الطرف الى حيث النهضات الهوجاء الحديثة يتضح له صدق هذا القول وتبطل بالشاعر الذي يقول:

ومذ أصبحت اذنا فاعاً ارضاً لنا  
غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

حكى ان امرأة كانت متزوجة بابن عمها وكانت متضررة من صخبته ورابعة في

مفارقة ف أرسلت تفنن على عالم يدبر لها خيلة للفراق فتوفقت بعد الجهد الى وضع  
 تلم لثيم الطبع فدبر لها أن تدعي انها ارتدت عن الاسلام وتخفي الى أن تنفضي  
 عهدها فتصل الى الحاكم الشرعي وتتعرف بصدور ذلك منها وانها ثابت ورجعت الى  
 الحق وأخذ على هذه الخيلة أجرة أما المرأة ففعلت ما أمرها به ولو كان هذا العالم غير  
 وضيع النفس لعمل على اصلاح الخليلين الزوجين بما يرضى الله ورسوله فيكسب الثواب  
 في الدارين ولم يهن على الفسق الفاسقين ومما ينسب الى أمير المؤمنين عليه السلام في  
 هذا الباب قوله:

من لم يكن عنده طيباً لم يخرج الطيب من فيه  
 كل امرئ بشبهه فله وينضح الكوز بمسافيه

ومن كلامه عليه السلام «احذروا صولة الكريم اذا جاع والثيم اذا شبع» ومن  
 المعنى الاول ما قيله:

لا يصبر الحر تحت ضمير وانما يصبر الحمأور  
 ومن المعنى الثاني قوله أبي الطيب المتوفي:

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت المشيم تمردا  
 ومن جدا قيل في الامثال «اتق شر من أحسنت اليه» وقيل في واقع حال بعض من  
 ههنا مثل المشهور:

كم من كريم وقد نال الاذية  
 لو لم يكن خطئاً فيما سكاريندا  
 ولبيض الشمراء:

وأخش الاذى عند اكرام الله بك  
 وقال شاعرنا الانطاكيا:

كم هو كم قد نالني امر الأذى  
 كل ذني غنمه رفقني به  
 من الشعر بعد اشفاق عليه  
 عند ما احتاج فأحسنت اليه

حكى أن رجلاً ذنب الطباع سفل الاخلاق صافر الحرد بعد ان عاشت به فاقته حتى  
 احتاج الى القوت فرأى على بائع زلابية فوقض قبالة دكانه ولسكن قبالة عليه فاشفق عليه  
 الزلابي وأحسن اليه ما سئبه وبينما كان يأكل منهم واذ بحمدب المسيفة سريراً لسواق  
 يفتن للواوون وينظر في الماء كل حسنها فاستدها ويحفر النام من أنواع الثمن فتمند

ما بلغ الزلابي كان ذلك الليم قد شبع وبقيت لديه بقية من الزلاية فمجنها بيده وقال للمحتسب نصرك الله على هذا الزلابي أنظر ما يفعله لفتش الناس فأخذوا المحتسب صاحب الزلاية وضربه ضرباً موجعاً وغرّوه بيمض المال وبعد أن مضى المحتسب التفت الزلابي الى ذلك الليم وقال له ما ذنب معك وقد أشفقت عليك فأطعمتك وأنت جائع حسبة لله تعالى ألا قاتل الله كفران النعمة وصدق من قال « اتق شر من أحسنت اليه »

ووجد على صنم مكتوب حرام على النفس الخبيثة أن تخرج من هذه الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها . وكل من أكرم الناس يحفظ كثيراً من قصص هؤلاء اللثام بما يجري معهم في كل يوم

وقيل « الكريم يابن اذا استعطف والليم يقسو اذا لوطف » وقيل « احسانك الى الحر يحرّكه على المكائنة واحسانك الى النذل يهينه على الطمع فيك »  
واذا عرفت أن الاحسان الى الليم يدعو للاساءة الى من أحسن اليه فاعلم أنه خليف

به الاهانة والاهمال . كما يقول الشاعر :

أهن عامراً تكرم عليه فأنما أخو عامر من مسّه بهوان

ومن هذا القبيل ما حكاه شاعرنا عبد المسيح بك انطاكيا من محفوظاته قال حكى عن أحد الخلفاء أنه بينما كان يتجوّل في البرية طاباً للصيد وجد بجوار احدى القرى صبية حسناء اسمته بجملها فسألها عن بلدها وأبها ثم عاد الى بغداد وفي اليوم التالي أرسل كبيراً من رجال بطاقته لابيها يخبطها لنفسه فله اوصل رسول الخليفة لوالد تلك الفتاة وكان من صعايلك أهل القرية حيّاه تحية الندّ للندّ وتظف بابلاذه ارادة الخليفة من الرغبة بخبطة ابنته فأم طبعه ورجع الى خساسته وكبر عليه أن يعامل بالاطف ورفض طلب الخليفة على ما فيه من الشرف العظيم له ولييته فعاد الرسول وأخبر مولاه بما سمع ورأى فاستشاط غضبه وأمر بزيادة الخراج على تلك القرية بما يرهق أهلها فلما بلغهم أمر الخليفة بزيادة الخراج بادر وجوههم الى دار الخليفة فرأوا من رجال بطاقته من أبلغهم بسرّ غضب الخليفة فقالوا ليس الذنب على ذلك الصعلوك برفض نعمة أمير المؤمنين بقرانه بابنته بل الذنب على الرسول الذي أكرمه والليم يتمرد بالاكرام فاذا أمر الخليفة فليرسل معنا رسوله لثريه كيف تخطب بنات هؤلاء اللثام فنقل الخبر الى الخليفة وكان شغفه بتلك القروية بالغاً حدّه فأمر بالحال أحد أعوانه بالسفر مع وجوه القرية لاحضار الصبية له عروساً فسافروا حتى وصلوا الى القرية فنزلوا في دار أحد

وأرسلوا وراء أبي الصبية حتى اذا ما حضر بادره بالسب والاهانة وصفوه صفعات مؤلمات فقال وما ذنبي؟ قالوا كيف آيت تزويج ابنتك من الخليفة؟ فقال أنها جارية في مطبخه ولكن لم يأتي من يفهمي المقصود بمثل ما فهمته منكم فضحك رسول الخليفة بجواب ذلك الصعلوك وعاد بالجارية فأصبحت محظية الملوكة

وفي أمثال العرب « ان الهوان للثيم مرأمة » أي مرحة وقيل « لا يصاح للثيم لمعروف ولا يصدق في ود ولا يستقيم الا عن فرق أو حاجة فاذا استغنى أو ذهبت حدثه عاد اليه جوهره وظهر بكل وضوح طبعه »

ومما يتضيه طبع اللثيم القدح في الناس واغتيالهم ففي مشور الحكم « اللثيم اذا غاب عاب واذا حضر اغتاب » وقال بعضهم لا تخرج الغيبة الا من نفس مبيية (١)

وقال عباس الاسدي ما الضاري على فريسته بأسرع من الدني في عرض المرعي أقول والغيبة لا تختص بالثيم فان الطعن بأعراض الناس والاشتغال بذكر مساوئهم صفة مجبولة في طبع الانسان داخلة في حكم النفس السببية من ذلك ما قيل لاسماعيل بن حماد بن أبي خليفة أي اللحمان أطيب لحم الانسان أم لحم الحيوان قال لحوم الناس هي والله أطيب من لحوم الدجاج والدرّاج وقد عني بأحوم الناس اغتيالهم

قال بعضهم بت اية في البصرة مع رفاق لي فلما كان وقت السحر حرّكهم واحد وهو يقول كم هذا النوم أنوادكم عن أعراض الناس طويلاً

وقيل لشاعر وصله بعض الرؤساء وأزم عليه ما صنع بك الامير؟ قال ما وفقت نعمته باسائه الي بمعنى لذة الثلب وحلاوة الشكوى (٢)

(١) ومن المعلوم أن الغيبة تكثر في مجالس الملوك لكثرة تراحم الناس على كسب رضاهم بافساد بعضهم على بعض ولا يخرج عن هذه القاعدة على ما اعلم الا مجلس عظمة مولانا المزي الشيخ خزعل خان حفظه الله فانه ليس أيضاً لا يسمع لمغتاب حديثاً ولا سيما على أحد عبيده المخلصين واسكن ينهر المغتاب حتى لا يعود الى اغتيال صاحبه ولذلك ترانا نحن، ما نشر أعوان عظمتهم بالفقه وصفاء وقد اجتمعت قلوبنا على حبه ولا يهنا جميعاً الا التفاني بخدمة باخلاص علماً منا أن في هذا وحده كسب رضاه حياؤه الله

(٢) وما هذا الامير الاعظمة مولانا المعري الذي يأتي أن يجري لسانه في مجالسه الطاهرة بمثاب الناس وذكر معانيهم والشكوى منهم على ما سبق القول في الحاشية السابقة والنائل معروف منا ولسكننا نكنم اسمه اتباعاً لسنة ولانا المراد اقدس والناس على دين ملوكهم

والغيبة والطمع في الناس ما سوى خبث الطباع أسباب منها التشفي وذلك أن يفضب رجل على آخر فيتشفي منه بذلك مثالبه بالحق وبالباطل وإذا لم يستطع الناعب أن يتشفي بثلب من غضب عليه بعرضه وشرفه واضطر إلى السكوت عنه يحتقن الغضب في باطنه فيصبح حثداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكرى المساوي وعلى هذا فالحقمد والغضب من البراءات العظيمة على الغيبة.

ومنها الحمد وهو أن بعضهم يحسدون من يثني عليه الناس ويحبونه ويكرمونه فيتمنون زوال تلك النعمة عنه ولا يجدون سبيلاً إلى ذلك إلا بالتدح والتشهير برفقه ليكف الناس عن اكرامه واثناء عليه.

ومنها موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء فإذا كان نثر من الناس في مجلس يتفاكحون بالاعراض فلا يرى الواحد منهم الا موافقة أقرانه ومجاملتهم بالتصديق على ما يقولون خوفاً من أن يستغلوا مجلسه وينفروا من صحبته وقد يظن أن هذا من حسن المعاشرة أو من آداب مجاملة الاصحاب فيخوض معهم في ذكرى المثالب والايوب وهذا يكثر في مجالس الاكابر حيث يضطر المتصقون بهم من الاصاغر إلى موافقتهم في كل ما يقولون ومن لطائف ما يروى من هذا القبيل أن كبيراً من الناس بينهما كان يطلق فمه في التلب والسب دخل عليه واحد من المتصقين به فسمعه يسب بعضهم فأخذهوا يوماً بالسب فقال له أحد الحاضرين همساً لمن تسب يا فلان؟ قال الذي يسبه الاغا.

ومنها أن ينسب إلى رجل شيء يريد أن يتبرأ منه ولا يجد مناصاً لتبرئته الا بنسبة ذلك الشيء إلى غيره حقاً كان أو باطلاً وإذا كانت الهمة ثابتة عليه يتم غيره بالاشتراك بها ليمهد بذلك العذر لنفسه.

ومنها ارادة التصنع والمباهاة فينتص غيره ليرفع نفسه من قبيل «وبضدها تميز الاشياء»

### ﴿ الامر الثاني من امري الخاتمة ﴾

( في بيان ما يؤثر في نفس الانسان )

تفعل النفوس البشرية من أمور ثمانية وهي الطمع والعين والاعتقاد والوهم وتأثير الكلام وتأثير الشعر والنظير والتفاؤل ويتبع ذلك ثلاثة أمور لها تأثير وان لم يكن بالنفوس وهي اللسان والمدكان

« الطمع »

أن الطمع يؤثر في النفوس أعظم تأثير فقد جاء في الحديث « ان الصنات الزلاء التي



لا تثبت عليها أقدام العلماء تنحصر في الطمع « وفي الامثال « تقطع أعناق الرجال المطامع »  
ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام « الطمع رق مؤبد » وقال الشاعر :

تعفف وعش حرأولاتك طامعاً فما قطع الاعناق الا المطامع  
وقلنا في الطمع :

وكم طامع قد ضاع ا. في يمينه وما فاز فيما فيه قد كان طامعا  
فحسب الفتى حسن النعاة بالذي لديه وأهنا الاس من بات قائما

ومن المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله « احتج الى من شئت تكن أسيره  
واستغن عن من شئت تكن نظيره وأنعم على من شئت تكن أميره » وأرسل عثمان بن  
عفان الى أبي ذر النفاري كيساً من الدراهم مع عبد له وقال له ان قبل هذا فأنت حر  
فأنى الغلام بالسكيس الى أبي ذر وألح عليه في قبوله فلم يقبل فقال له أقبله فان فيه مني  
فقال نعم ولكن فيه رقي

وحكي عن عمرو بن العاص انه قال لمعاوية يوماً ما أشد حبك للمارق ولم لأجبه  
وأنا استعبد به مثلك وأبتاع به دينك ومروءتك ???

وقيل ان الحجاج بن يوسف أرسل الى ملك بن دينار وحيب الاعمى واستدعى  
بمال وقسمه شطرين فأعطى مالك بن دينار نصفه فأخذته وأعطى حبيب الاعمى نصفه  
فردده وانصرفا فرح حبيب بمالك بن دينار وهو يتسم المال على الفقراء فقال له يا حبيب  
لاجل ذلك قبلنا المال فقال له حبيب دع هذا الكلام ولكني أسألك بالله العظيم أن  
تخبرني أيما أحب اليك الحجاج اليوم أو قبل اليوم فقال مالك أما اذا حلقتني بالله فهو اليوم  
أحب الي فقال حبيب من هذا تركنا ماله فلا خير في شيء يحب الي الحجاج

ومن ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله « حُببات النفوس على حُبِّ  
من أحسن اليها » وروي ان أحد القضاة طلب من المهدي أن يوفيه من القضاء فقال  
ما السبب؟ قال تقدم الي خصمان منذ شهرين ولم أحكم بينهما رجاء أن يصطلحا فوقف  
احدهما على بائع الرطب وانتقي رطباً لم يوجد مثله ورشى بوابي على أن يدخل الرطب  
علي فلما وضع الطبق بين يدي أنكرت وطرده ورددت الطبق فلما قعد اليوم خصمه  
لم يتساوى في قلبي ولا عيني يا أمير المؤمنين فقلت في نفسي هذا حالي ولم أقبل هديته  
فكيف لربيات؟ وقد فسدت الناس واني أخاف أن أهلك فأقاني أقالك الله من انصائب  
فأقاله وهو آسف

وقال المأمون لأحمد بن يوسف إن أصحاب الصدقات نظلموا منك فتال والله  
 يأمر المؤمنين ما رضي أصحاب الصدقات عن رسول الله حتى أنزل الله تعالى عليهم  
 «ومنهم من يلزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون»  
 فكيف يرضون علي؟ فضحك المأمون وقال انظر في أحوالهم  
 وجاء في الحديث أن عابراً عبد الله دهرأ طويلاً فقيل له إن ههنا شجرة يبعدها  
 قوم من دون الله فغضب لذلك وأخذ فأسه وتصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في  
 صورة شيخ وقال له أيها العابد أي ثمرة لك في قطع الشجرة وأنت متفرغ للعبادة؟ فقال  
 قطع الشجرة خير من العبادة فقال ابليس لأدعك تقطعها فتماسكا وأخذها العابد وصرعه  
 على الأرض وقعد على صدره فقال ابليس اطلقتني حتى أكلمك فقام عنه وقال ابليس  
 إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا فاعبد ربك وما عليك من غير ذلك قال العابد لا بد لي من  
 قطعها ثم تقاطلا ثانية نصرعه العابد وقعد على صدره وعجز ابليس عن التماس منه فقال  
 هل لك أمر يفصل بيني وبينك وهو خير لك وأنتع؟ قال وما هو؟ قال اطلقتني حتى أقول لك  
 فأطلقه فقال ابليس أنت رجل فقير وأنت كل على الناس ويحب أن تفضل على إخوانك  
 فارجع عن هذا الأمر ولك علي أن أجعل في كل ليلة عند رأسك دينارين إذا أصبحت  
 أخذتهما وأنفقتهما على نفسك وإخوانك وهو أنتع لك من قطع الشجرة التي يفرس الناس  
 مكافئها غيرها ولا يضرهم قطعها شيئاً ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعها فتنكر العابد قايلاً ثم  
 قال صدق الشيخ إن الله لم يأمرني بقطع هذه الشجرة حتى أكون آثماً بتركها وما قاله  
 الشيخ «ويريد ابليس» أكثر من مرة فعاهدته على الوفاء بذلك ورجع العابد فرحاً إلى عبده  
 فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذها وكذا في غده ثم أصبح في اليوم الثالث لم  
 ير شيئاً فغضب فأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ وقال إلى أين؟  
 قال إلى قطع الشجرة فقال كذبت والله ما أنت قادر على ذلك ولا سبيل لك إليها فتناولوه  
 العابد ليأخذها كما فعل أول مرة فقال ابليس هيات وتناولوه بيده نصرعه فاذا هو كالصفيور  
 بين يديه وقعد ابليس على صدره وقال يا ههنا لتنتهين عن هذا الأمر أو لاذبحك فنظر  
 العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني  
 الآن فقال كان غضبك لله أولاً وكانت نيتك الآخرة فلو قامت الخلائق لردك واجتهدوا في  
 منعك وصدك لما ظفروا بك ولا قاموا بحربك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا  
 فصرتك وهكذا خسر العابد في طوبى دنياه وأخراه معاً

ومن باب تأثير الطمع في النفوس ما ذكره ابن شهر آشوب انه خرج من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يوم حنين خالد السدوسي ونادى من يبايعني على الموت فأجابه تسعة آلاف فقاتلوا حتى بلغوا فسطاط معاوية فهرب معاوية فنهبوا فسطاطه وأنفذ معاوية إليه يا خالد لك عندي امرة خراسان متى ظفرت فاقصر ويحك عن فمالك هذه فنكل خالد عنها فقتل أصحابه في وجهه وحاربوا الى الليل وظفروا دونه

والباعث على الجمع شيئان الشره وقلة الأنفة فلا يقنع الانسان بما أوتي وان كان كثيراً لشره ولا يستنكف مما منع وان كان حقيراً لقلته أنفته وهذه حال من لا يري لنفسه قدراً ويرى المال أعظم خطراً فيرى بذلك النفس أهون الامرين واجلهمالهما فيما وليس من كان المال عنده أجلّ ونفسه عليه أقلّ وأقلّ اصفاءً لتأنيب ولا قبولاً لتأديب وروي ان رجلاً قال يا رسول الله أوصني قال عليك بالناس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فانه فقر حاضر الى آخر الحديث وقال بعض الشعراء :

ومن كانت الدنيا مناه وهمه سبته المنى واستبدته المطامع

ولا يتخلص الانسان من شرور الطمع الا باحد أمرين أما اليأس أو القناعة ولا كل منهما بحث يطول سيرد معنا في موضع آخر من هذا الكتاب « العين أو النظرة »

قال أمير المؤمنين « العين حقّ والرقي حقّ والسحر حقّ والفأل حقّ والطيرة ليست بحقّ والعدوى ليست بحقّ » الى آخر الحديث وقال عليه السلام في حديث آخر « العين حقّ ولا تأمنها منك على نفسك ولا منك على غيرك فاذا خفت شيئاً من ذلك فقل ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم » وعنه « من أعجبه شيئاً من أخيه فليبارك عليه فان للعين حقاً » وقال « لو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين » وقال « ماقال للناس لشيء طربى له الا وقد خبياً له الدهر يوم سوء »

أدخل على النبي صأسى الله عليه وآله بابني جعفر بن أبي طالب وهما ضارعان فقال مالي أراهما ضارعين ؟ قالوا تسرع اليهما العين فقال استرقوا لهما . وفي هذا الحديث وأمثاله دلالة على تأثير العين وأنها مؤثرة باعتبار أن النفس القوية بأصل خفتها تقوى على التأثير في غيرها فيفعل منها ما هو أضعف منها من النفوس الساذجة ولهذا لا تؤثر العين في كل أحد وان هذا التأثير يندفع بالرقية بالاسماء والآيات لما هو مقرّ أن الفيض متوقف على أسبابه

ومن تأثير الدين ما ذكره بعض العلماء أن نبياً من الانبياء استكثر قومه يوماً فأمات الله منهم ثمة ألف في ليلة واحدة فلما أصبح شكى الى الله من ذلك فقال الله تعالى له انك لما استكثرتهم عنهم نهلاً حصتهم؟ فقال يارب فكيف أحصيتهم قال تقول حصتكم بالحى القيوم الذي لا يموت أبداً ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال صاحب الكتاب وهكذا السنة في الرجل اذا رأى نفسه سليمة وأحواله معتدلة يقول في نفسه ذلك

وحكى بعض الثقة عن يوثق به ان جماعة كانوا يخرجون الى الجبال لصيد الوعول والوحوش بالبنق (التفك) فقال رجل من الاكراد انا اخرج معكم غداً الى الصيد نخرج معهم فقالوا له اين آلة الصيد؟ قال هي معي وستنظرونها فدا بلغوا الجبل رأوا وعلا على قته فقال انظروا كيف أصيد؟؟ وجلس ينظر الى الوعل ويشبهه ويستعظم سحته وقرونه وعظمه فوثب الوعل من صخرة الى أخرى فاخطأ الصخرة ووقع من أعلى الجبل فانكرت يده ورجله فأخذه وذبحه . فقالوا له اخرج من بيننا فانا نخاف من عينك ذا خرجوه

وقال بعض العلماء «كان علماء الفرس والهند وأطبا اليونانيين ودهاة العرب وأهل التجربة من نازلة الأمصار وحقاق المتكلمين يكرهون الاكل أمام الحيوانات المفترسة خوف أن يصابوا بعيونها لما فيها من الهم والشره ولما ينحل عند ذلك من أجوانها من البخار الرديء ويفصل من عيونها مما اذا خالط الانسان نقصت رية تلبه وأفسده . وكانوا يكرهون قيام الحدام بالمذاب والاشربة على رؤوسهم خوفاً من أعينهم عندما يحدقون بهم وهم اقول . وكانوا يأمرون باشباعهم قبل أن يأكلوا . وكانوا يقولون في الكلب والسنور أما أن يطرد أو يشغل بما يطرح له

وجاء في كتاب هذا العالم أيضاً ما نصه «كان عندنا عيانان (يعني رجلين عيونهما صيابة) فمر أحدهما بحوض من الحجارة فقال تالله ما رأيت الى اليوم حوضاً أحسن منه فانصدع فلتتين . فمر عليه الكني فقال وأبيك لفلما ضررت أهلك نيك تطاير أربع فلق» وللحكاه في تعاليل ذلك قول لا بأس به قالوا هذا عائد الى نفس العاين وذلك لان الهيولى مطيعة لانفس متأثرة بها ألا ترى أن نفوس الافلاك تؤثر فيها بتماقب الصورة عليها والنفوس البشرية من جوهر نفوس الافلاك وشديدة الشبه بها الا ان نسبتها اليها نسبة المراج الى الشمس فليست عامة التأثير بل تأثيرها في أغلب الاحيان في بدنها

خاصة ولهذا تشتد حرارة دم الانسان عند غضبه ويستمد جسمه للوقوع عند ما تصور النفس صورة من تحب وان كان بعيداً عنها وعلى هذا فتصور النفس قد أصبح مؤثراً فيما هو خارج عنها لأنها ليست حالة في البدن عندهم فلا يستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص مخالف لغيره من جواهر النفوس تؤثر في غير بدنها . ولهذا يقال أن طائفة من أهل الهند والهم البراهمة يقتلون بالوهم . نقول ومن هذا التيبيل الاصابة بالعين وهو أن تستحسن النفس صورة مخصوصة وتمعجب منها وتكون تلك النفس خبيثة جداً فينفعل جداً جسم تلك الصورة طيعاً لتلك النفس كما ينفعل البدن بالسم

« تبييه » ولا بد لنا من الاشارة هنا الى مذهب لهما الفرنيجة المصريين الملتزمين بالطيبين في مسألة اصابة العين وما شاكلها مما لا يجدون له حلاً طبيعياً فان هؤلاء العلماء لا يسمون بما لم يتفوا له على سبب ظاهر محسوس ولذلك ينكرون تأثير العين وكل ما هو من نوعها فاذا حججهم بألوف الحوادث المشاهدة والتي تشهد يومياً وباجماع الناس حتى أهل الفرنيجة على اصابة العين قالوا لك عن اعتقاد الناس هذا أهم وأهمون واذا توسعوا قالوا نعم انه تجري حوادث يترهم الناس أنها من تأثير «العين» ولكن لا بد ان تكون لها أسباب مازاله سرها غامضاً وما كان هذا منهم عناداً ضدّ المشاهد المحسوس ولكن له حفاظة على المبدأ الذي اتخذوه لانفسهم وهو أن لا يسلوا بأمر ما لم تتضح لهم أسبابه بصورة محسوسة ولكن بما أن العلم المصري لا يزال ناقصاً جداً وفي كل يوم يكتشف العلماء الطبيعون ما كانوا يجهلون في أمهم حتى أصبحوا يشتغلون بالارواح وعلاقتها بالاجسام البعيدة والقريبة فلا بد لهم من يوم يحيى يعترفون فيه بما يعتقدونه الناس أجمع من تأثير اصابة العين وحيث يوضحها بأسبابها والله أعلم « الاعتقاد »

قال محمد بن زكريا ينبغي للطبيب أن يبشر أبداً بالشفاء وان كان غير واثق منه فان المزاج تابع لاعراض النفس . وروي انه عند ما ضرب الفضل بن يحيى مئتي سوط جيء اليه بالطبيب ليما لجه فقال أحبه ضربه خمسين سوطاً فليل له بل مئتي سوط قال الطبيب لا أظن هذا الا أثر خمسين سوطاً وأخذ يعالج المريض حتى اذا ما نبت لحمه قال أتحفظ قولي هذا أثر خمسين سوطاً قال نعم قال والله لو ضربت ألف سوط لما كان بأثرها أشد مما كنت عليه وأنا قلت ما قلت لتقوي نفسك فتبينني على علاجها وقيل ان صاحب شبروان عبد الله خان كان رجلاً تركياً قاصبه يوماً القولنج فرأى

الطبيب محمود عماد الدين أن يحقنه وكان طيباً حاذقاً فسأله عبد الله خان عن الحقنة وكيف تكون فأخذ بوصفها بقوله أن يوضع في الاست أنبوبة فقال الخان غاضباً باست من ؟ وكان فاسقاً فنا كآ نخاف الطبيب مغبة غضبه وقال في استي أنا فسكن ما به وأمر الطبيب أن يُدخمن فرضي الطبيب بذلك حقناً لدمه واتفق أن عبد الله خان بري من علته فأجازه وتأثير الاعتقاد على النفس لا يكاد ينكره أحد وإن لم يسلم به علماء الفرنجة الطبيعيون المصريون حتى نقلوا لنا بأن طائفة من أطباء أميركا أخذوا يطيبون مرضاهم من طريق الاقتاع بأن يدخل الطبيب عند مرضه ويأخذ باقناعه بكل ما أوتي من ذلاقة لسان بأنه غير مريض ولا يزال به حتى يعتقد بنفسه الصحة ثقةً بطيبه فيدق في « الوهم »

جاء في نهج البلاغة ان سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام بأي شيء غابت الاقران فقال ما لقيت أحداً الا وأعاني على نفسه يومي وذلك لتمكن هيته من القلوب قال الشارح ابن أبي الحديد قالت الحكماء « الوهم يؤثر » وهذا حق ألا ترى العليل اذا تقرر في وهمه انه مرض مرضاً قاتلاً ربما هلك بالوهم ؟ وكذا من تلسعه حية ويقع في خياله أنها قاتلته فانه لا يكاد يسلم منها . وقد ضربوا لذلك مثلاً بلماشي على جزع مشرف على ههواة فان توهمه بقرب سقوطه يورثه الاضطراب وقد يسقطه والا فشيته على الجزع وهو منصوب على المهواة كمشيته عليه وهو ملقى على الارض لافرق بينهما الا الوهم والاشفاق والحذر فكذلك الذين بارزوا عالياً من الابطال لما كان قد طار صيته واجتمعت الكلمة على انه مابارزه أحد الا كان مقتولا غلب الوهم عليهم فقصرت أنفسهم عن مقاومته وانخذلت أيديهم عن مناهضته وكان عليه السلام في الغاية القصوى من الشجاعة والاقدام يقتحم عليهم فيقتاهم

أقول هذا تعليل ابن أبي الحديد وهو في نظري موضع بحث فقد يكون للوهم تأثير على النفوس فيضعفها ولكن ما لا شك فيه ان أمير المؤمنين سيدنا علي عليه السلام ما كان له من يقاويه وطلما فشل الكثيرون الذين حاولوا التسطي عليه وانباء قوته عليه السلام وغلبته بها لقد شهدت بها ملائكة السماء الذين ناشدوه قائلين :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي

ولقد اغتقد علماء أوروبا وأميركا المصريين بتأثير الوهم وانه يقتل بعد ان أجروا التجارب الكثيرة ورووا لنا أن بعض المحققين في أميركا أرادوا أن يمتحنوا تأثير



الوهم فجأثوا بجان محكم عليه بالاعدام وأومره انهم سيقتلونه نصداً وأجلسوه على كرسي وغطوا وجهه وعينيه وكشفوا عن زنده وجاء أحدهم فأمر على زنده بمبضه وهو يومه انه جرحه وجعل الثاني يدفق عليه ماءً أحراراً يمثل حرارة الدم ايها ما له بأن دمه أخذ يتدفق بينما كان الثالث ماسكاً نبضه وهو يقول بين حين وآخر لقد خفت النبض ونفذ الدم وبازال كذلك الى عشرة دقائق ثم قال ماسك يده في انقضائها انه مات ثم كشفوا عن وجه الجاني فاذا هو قد مات بوهمه فعلاً وأشبه هذه الحوادث في اختباراتهم كثير أقرتوا معه على تأثير الوهم في الانسان ما أصبح بده حقيقة راهنة

والاصل في تأثير الوهم ما قرره من أن الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية فتأثر بمؤثراتها حتى يصبح التخيل حقيقة أو شبه حقيقة

واعلم أن تأثير الوهم لا يختص بالانسان وحده بل يؤثر في سائر الحيوانات حتى قيل أن الهر في جملة حيله على اصطياد الفأر يستعمل التوهيم فاذا كانت الفأرة في السقف والهر في الارض تلاصقت لها ووثبت من الارض توهمها انها تقدر على الوصول اليها فعند ذلك يغلب الوهم من الفأرة فتتحل عزائمها وتتعل حواسها فتقع على الارض فتصيدها

وللوهم آثار عجيبة يكاد العتل ينكرها لولا المشاهدات وقد حدثني من أتق به أنه خرج لزيارة الحرّ الشهيد وبات مع جماعة من أصحابه هناك فيبينما هم جالسون اذ سقطت حية من السقف ووقعت على رجل منهم كان نائماً ثم انسابت الى حفرة وبعد ذلك استيقظ الرجل فقال اني شعرت بثقل مرّ عليّ فقيل له تصارعنا فوقنا عليك ثم أن رجلاً لم يستطع الكتمان فاخبره بخر الحية فاخذته الحمي من ساعته وبقي عليلاً ثلاثة أشهر ومات كل ذلك بتأثير الوهم

وللوهم ما هو أغرب من هذا روي أن أميراً نزل بقريّة فاحتاج الى مزين يتقصّ شعره ولم يشأ أن يستدعي اليه مزيناً بل جدّ في طلبه منفرداً حتى اذا ما بلغ دكانه قال له أنا حاجب هذا الامير الذي قد نزل بكم فقصّ شعري فان وجدتك حادقاً في صفتك جاء الامير وقصّ شعره وأما فعل ذلك خوفاً من أن يعلم المزين بانه الامير فتأخذه هيئته بالوهم فيجرحه

ومن نوادر الوهم ما روه لنا قالوا أن رجلاً توهم بان في رأسه بطيخة وعجز أهله وصحبه عن افئاعه بانه واهم بكل طرق الاقناع العقلية وتصد الاطباء نصاروا

يضحكون عليه ويحسبون به مسأاً الى أن وصل الى طيب نبيه فشكا اليه ثقل البطيخة التي في رأسه فآظهر الطبيب التصديق وجعل يمس رأس غليله بيديه وهو يستعظم حجم البطيخة ويقول لا بد من استعمال الموضع لازالتها وأمره بالحال أن يعود الى بيته ويستعمل كذا وكذا من العلاج الى صباح اليوم التالي حيث ياتيه بمباضعه ويخرج البطيخة من رأسه فرجع الواهم الى بيته وقال لاهله أرايتم كيف اني كنت على حق وان الطبيب فلان عرف ووضع البطيخة من رأسي وأنه في صباح الغد سيخرجها بمبضعه وأخذ في استعمال العلاج الذي وصفه له وفي صباح اليوم التالي جاء الطبيب بمباضعه وأمر الواهم فاطبج على فراشة وأعطاه مخدرأ فنام ثم جرحه جرحاً بسيطاً وكان أعدت بطيخة معه فوضعها بجانب رأسه ونبهه وهو مربوط الرأس فأذ رأى البطيخة بجانب رأسه المربوط باللفائف البيضاء شغبي من وهمه

وهكذا لا دواء لشفاء الوهم الا مسآيرة الموهوم بما يتوهم واهائه بزوال ما كان فيه من الوهم بالطرق التي يزول بها لو كان اياه حقيقة لا وهماً وهذا وحده يمكن شفاء داء الوهم الذي يعترى الكثيرين ويسميه الاطباء « نورستانيا »

وقد يغلب الوهم على الانسان فيظن الاشياء على حسب الغالب على طبيعه وعند ذلك يرتكب ما لا ينبغي بدون أن يتروى من ذلك ما رواه شهاب الدين أحمد الطفاشي في كتاب مرشد الريب أن رجلاً من المنزلة جنى جنابة فاخذ جنود الحاكم يحرقونه فاجتمع الناس عليه وكان فيهم امرأة فضولية فسألت عن خبره فقيل أنه معتزلي جنى جنابة فخلعت نعلها وجعلت تصفعه به فقيل لها لم تصنعيه ولست عالمة بأمره ؟ قالت أليس يمزق عن النساء والعزل مكره شرعاً أضحك الجماعة من قولها وما سبق الى ودها قال المؤخرون لما مدح الذحاس بن فروخ بقصيدته التي أولها « بات ساهي الطرف والشوق يلح » ولم يكن له حظ توهم انه عناء وعرض بهجائه في قوله :

كل عيش ينقضي ما لم يكن مع ملىح ما لذلك العيش ملىح

لان ابن فروخ كان أعور ذميم المنظر فأعرض عنه ومنعه الجأزة

وكذلك لما أنشد ذو الرمة عبد الملك قوله « ما بال عينك منها الماء ينسكب » وكان بعين عبد الملك مرض لانزال عينه تدب مع منه سبق الى وهمه انه يمرض فيه فقال وما سواك عن هذا يا جاهل ؟ وأمر باخراجه وكذلك فعل هشام ابنه باي المنجم لما أنشد :  
صفراء تد كادت ولما تفعل كأنها في الافق عين الاحول

وكان هشام إنما يعرف بالاحول فسبق الى وهمه انه عرض به فامر بطرده وقد تظهر الخبآت بتسليط الوهم على الناس من ذلك ما روي عن النبي سليمان عليه السلام ان جاءه أحدهم وشكى له سرقة أوزه فنأدى سليمان الناس الى صلاة جامعة ثم خطب فيهم وقال في جملة قوله وأحدكم يسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فسح رجل رأسه فقال سليمان خذوه فانه صاحبكم

ومن هذا القبيل ما روي عن رجل واسمه موسى كان قد سرق شيئاً ووضع في يمينه ودخل المسجد يصلي فتلا الامام قوله تعالى « وما تلك بيمينك يا موسى » فرمى الرجل ما سرقه وهرول خارجاً وهو يتمول لا شك أنه ساحر

ومن هذا القبيل أيضاً قولهم في مثل مشهور « كصاحب البعرة » والقصة أن رجلاً كان له ظنة في قوم فجمعهم ليستبرههم فاخذ بعرة وقال اني ارمي ببعرتي هذه صاحب ظتي فخبيل له أحدهم وقال لا ترمي ببعرتك فاخضم على نفسه وهذا المثل يضرب لكل من يظهر على نفسه ما لم يطاع عليه الناس من أعمالهم ومثله قولهم « يكاد الرب أن يقول خذوني » لأنه يتوهم أن الناس مضطلعون على دخيلته

ونقل قطب الدين الراوندي بسند صحيح أن رجلاً أنفذ مع ابنه أحد غلمانة الى الكوفة فتخاضعا في الطريق فضرب الابن الغلام فذكل هذا عنه وسبه حتى ادعى انه وهو ابن سيده مملوكه وتحاكما الى أمير المؤمنين فقال لفتنبر أفتب في الحائط فتبين ثم قال لكل منهما أدخل رأسك في هذا الثقب وقال لفتنبر علي بالسيف سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وعجل ضرب رقبة العبد منهما قال فأخرج الغلام رأسه مبادراً ومك الحرة صابراً فعرف حينئذ الخليفة من هو الغلام وأدبه على ما صنع ثم رده الى مولاه بعد أن قال له لئن عدت لاقطعن يديك

وحكى أن رجلاً اشترى يوماً سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال هاتوا السمك فالواقدا كلته قال لا قالوا ابلى شم يدك فشه بها وقال صدقتم ولكن كآني ما شبت لاني لا أزال أشعر بالجوع

وقال الجاحظ كان رجل يرقى الاضراس ساخرأ بالناس لياخذ أموالهم وكان يقول للذي يرقه اياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد فيرجع الوجع الى ضرسك فتبيت وجماً فيذهب المروجوع وهو يعالج أن لا يذكر القرد والوهم بصوره له فيحسبان عدم شفائه لذكركه القرد وفي اليوم التالي يرجع الى الدجال شاكياً فيقول له لعلك

ذكرت القرد فيقول نعم فيقول من ثم لم تفعلك الرقية

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الاذكياء عن داود بن رشيد قال قلت  
لهشيم بن عدي بماذا استحق سعيد بن عبد الرحمن ولاية القضاء من المهدي وأنزله منه  
تلك المنزلة الرقيقة؟ قال ان خبره نظريبن اعلم انه أتى الى باب الخليفة فوافى حاجب  
الربيع وقال له استاذن لي على أمير المؤمنين المهدي فاني قد رأيت له رؤيا صالحة وأحبيت  
أن أذكرها له فقال له الربيع ان الناس لا يصدقون أحلامهم فكيف يصدقون أحلام  
غيرهم فاحتل بحيلة غير هذه فقال له ان لم تجربه بذلك أسأل من يوصلني اليه دونك وأخبره  
اني سأنتك الاذن فلم تقبل تخاف الربيع الوشاية ودخل على المهدي وقال له انكم أطمتم  
الناس بانفسكم وقد احتالوا لكم بكل ضرب من الحيل فقال المهدي هذا صنع الملوك فماذا؟  
قال رجل بالباب يزعم انه رأى لامير المؤمنين رؤيا صالحة وقد أحب أن يتصها عليك  
فقال المهدي ويحك يا ربيع اني أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح فكيف اذا رآها لي من لعله  
فتعها؟ قال لقد قلت له مثل هذا فلم يقبل قال فهات الرجل فخرج وأدخل عليه سعيد  
ابن عبد الرحمن وكان صبيح الوجه حسناً جميلاً له هيبة ووقار وحية منسدلة ولسان  
فصيح حاد فقال المهدي هات برك الله عليك ما رأيت فقال يا أمير المؤمنين رأيت آت  
أتاني في المنام فقال لي أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش في الخلافة مدة ثلاثين سنة وآية  
ذلك يرى ليلته هذه في منامه أنه يتلب يا قوتابين يديديه ثم يده فيجده ثلاثين يا قوته وكأها  
قد وهبت له فقال المهدي ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن ذلك في هذه الليلة فان كان الامر  
على ما ذكرته أعطيناك كما تريد وان كان بخلاف ذلك لا نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا ربما  
صدقت وربما اختلفت قال سعيد فماذا أصنع أنا الساعة اذا سرت الى منزلي صفر اليدين؟  
وقد علموا اني كنت عند أمير المؤمنين فقال له المهدي وكيف نصنع؟ قال تعجل لي يا أمير  
المؤمنين بما أحب وأحلف لك بالطلاق اني كنت صادقاً في رؤياي فامر له بشرة آلاف  
درهم وأمر أن يؤخذ منه كفيل فخذ نظره فرأى غلاماً حسن الوجه واقفاً على رأس  
المهدي فقال هذا الغلام يكفلي فقال له المهدي أنت تكفله فاحمر وجه الغلام خجلاً  
وقال نعم فاستأذن سعيد وانصرف وفي صباح اليوم التالي أرسل المهدي فاستدعى سعيداً  
فلما مثل بين يديه ووقع نظره عليه قال سعيد هل رأى أمير المؤمنين شيئاً فتلجأج المهدي  
في جوابه فبادره سعيد قائلاً امر أني طالق ابن لم تكن رأيت ما ذكرته لك فقال المهدي  
ويحك ما أجراك على الحلف قال له لمي يقيناً اني أحلف صادقاً فقال المهدي والله قد

رأيت ذلك يقيناً قال له سعيد الله أكبر أنجز لي ما وعدتني قال حباً لله وكرامة فأمر له المهدي بثلاثة آلاف دينار وعشرة نخوت ثياب وثلاث مراكب من أحسن دوابه فاخذ ذلك وانصرف فتبعه ذلك الغلام الذي كلفه وقال اسالك بالله العظيم هل كان لهذه الرؤيا حقيقة فقال له سعيد والله لولا انك واجب الحق علي لما قد اوليتني من احسانك حيث تكلفت بي لما كنت اخبرتك والله ما رأيت شيئاً ولا اصل لهذه الرؤيا فقال وكيف ذلك؟ وقد رأى امير المؤمنين جميع ما ذكرته له فقال له هذا من الخوارق الكبار التي لا تتوجه لها امثالكم اعلم واكرم اني لما ذكرت له الرؤيا اشتغل فكره وتعلق خاطره بها فلم انام خيلاً له ما كان في قلبه مما شغل فكره وتعلق خاطره به فرأى ذلك في منامه لان الانسان اذا نام وفكره مشغول بشيء رآه في النوم فقال له الغلام كيف تجرأت وحلفت له بالطلاق على صحته؟ قال اني حلفت واحدة وبقيت اثنتان علي فازيد في المهر عشرة دراهم من الذي حصل لي من نعم امير المؤمنين التي نالها كقفارة لقسمي وارجع الى امرائي فبهت الخادم من ذكاء الرجل ودهائه وانصرف سعيدو بعد ذلك قر به المهدي منه حتى عينه في القضاء .

ومن آثار الوهم غلبتها على الخوارق حتى يظهر أثرها عليها كغلاط وشبهة فمن ذلك ما قيل انه دخل رجل على المستبين العباسي وقبأوه مخرق فسئل عن ذلك فقال اجزت بالدرج وكان فيه كلب لم أره فوطئت قباهه نخرق ذنبي ويريد فوطئت ذنبه نخرق قبائي وقيل دخلت امرأة على عمر بن الخطاب وكان حاسر الرأس فدهشت المرأة فالتت أبا غفر حفص الله لك فقال عمر ما تقولين فقالت صامت من فرقتك وأرادت ان تقول اولاً أبا حفص غفر الله لك وثانياً فرقت من صلمتك

ونزل ابن الحمصاس يوماً من الخاقان الوزير في حراقة وفي يده بطيخة كافور فأراد ان يعطيها الى الوزير ويصق في دجله فرمى البطيخة في الماء وبصق في وجهه الوزير فارتاع الوزير وانزعج ابن الحمصاس وقال والله العظيم لقد أخطأت وغاظت أردت ان أبصق في وجهك وأرمي بطيخة الكافور في الماء فقال وكذلك فعلت يا جاهل تغاظ في الفعل ونحطي في الاعتذار

وحكى نفظويه عن حكيم بن عباس الكلبي أنه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قریش والمرب فيمنها هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم سرور واجلسه الي جانبه وديما بقوس ورمى عنها

وأعطاها من على يمينه فرمى عنها. حتى اذا صارت للاعرابي نزع فيها بقوة فضرط فرمى بها مستحياً فقال عبد الملك دهينا بالاعرابي وكنا نطمع بانسه واني أعلم انه لا يسكن مابه الا الطعام فدعا بالمائدة وقال تقدم يا اعرابي لتضرط وانما اراد لتأكل فقال له الاعرابي قد فعات انا لله وانا اليه راجعون فقال عبد الملك لقد امتحننا هذا اليوم والله لأجعلنها مذكرة يا غلام اثنتي عشرة آلاف دينار فجاء بها فاعطاها للاعرابي فلما صارت

له تسلى وانبسط ونسي ما صدر منه وأنشد على الاثر حكيم بن عباس الكلبي  
ويضرط ضارط من عبد قيس      فيحبوه الامير بها بدورا  
فيالك ضرطة جرت كثيراً      ويالك ضرطة أغنت فقيرا  
يود القوم لو ضرطوا جميعاً      وكان حياؤهم منها عنيرا  
أيقبل ضارط ألفاً بألف      فاضرط أصلح الله الاميرا

فتبسم عبد الملك وأجاز حكيم بن عباس بمنزلها

« تأثير الكلام »

قال بعض المحققين اعلم أن للكلام تأثيراً في النفس ، كما تظهر آثاره في الحسن ، ولهذا ترى رقيق الشعر ، يفعل ما لا يفعله السحر ، وجليل العبارة ، فيه من الاثارة ، ما يشجع الحيان ، ويذهب البكسلان ، ويسخي البخيل ، ويعز الذليل ، ويسحر الارواح ، ويسخر الاشباح ، ويعطف القلوب ، ويؤلف بين المحب والمحبوب : ويصير العدو صديقاً ، وغليظ الفؤاد رقيقاً ، اه قال الشاعر :

حديث لو ان الميت يؤتي ببعضه      لا يصبح حياً بعد ما ضمه القبر

وقلنا في هذا الباب :

كم من فصيح بحسن القول نال من ال      آمال ما لم ينله صاحب المال  
فلا تقل عزة الدنيا لجاهلها      والذل ذل أديب رب اقلال  
فكم أديب تعالي في تأدبه      ما فوق أهل الغنى في ثوبه البالي

وقال الميداني في مجمع الامثال وفد على النبي صلى الله عليه وآله عمرو بن الاهم والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الاهم عن الزبرقان فقال عمرو مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يارسول انه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنك حسدني فقال عمرو أما والله أنه لزم المروءة ضيق العطن أحق الولد لثيم الخال والله يارسول الله ما كذبت في الاولى ولقد



صدقت في الاخرى ولكني رجيل رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما وجدت فقال رسول الله « أن من البيان لسحراً » يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر ومعنى السحر اظهار الباطل في صورة الحق والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن وإنما شبه بالسحر لتأثيره على سامعه وسرعة قبول القلب له وكان بعض الاعراب يلازم شجراً ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم يمت علي وان تفتت في وجهه احتمل مني وان عربدت عليه لم ينضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني هذا الاعرابي بالندماء

ومن المستعذب ما يحكى عن الفضل قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعندة جاريتة مارية وكانت تحسن الشعر بدنها وهي ذات أدب وحسن وجمال فقال يا فضل قل في هذا الورد فانشدته الجارية مقاطعة الفضل:

كأنه لون خدي حين تدفني يد الرشيد لأمري يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يا فضل فقد هيجتني هذه الماجنة فقامت وقد أرخيت الستور وللأمثال من الكلام موقع في الاسماع وتأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل تبلغ مبلغها ، أو يؤثر تأثيرها ، لان المعاني بها لأمتة ، والشواهد بها واضحة ، والنفوس بها رامقة ، والقلوب بها واقفة ، والعقول لها موافقة ، ولذلك ضرب الله الامثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحججة على خلقه لانها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة وبالجملة فقد جُبلت القلوب على التأثر بالامثال وثبت المعاني فيها بواسطة وكذا الكناية عن الشيء يلازمه فان له في النفس أثر عظيم ولذلك عبر القرآن بقوله « كن فيكون » عن نهاية القدرة وعبر بقوله عليه السلام « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » عن سرعة التقلب

« تأثير الشعر »

قال الحكم بن قنبر

مقالة الذم الى أهلها أسرع من منحدر سائل

قيل كان الرجل من نمير اذا قيل له بمن الرجل ؟ يقول من نمير وأمال بها عنقه افتخاراً فلما هجاهم جرير بقوله :

ففض الطرف أنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

صار اذا قيل لاحدهم بمن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير . ومثل هذا ما قاله ابن نفيل في عبد الملك بن عمير القاضي :

إذا كلمته ذات ذلّ حاجة فهم بأن يقضي تمنح أوسعل  
قال عبد الملك تركني والله وأن السعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله فأهاب  
أن أسعل

ومن تأثير الشعر في النفوس مارواه شاعرنا عبد المسيح بك انطاكي قال نقل لي  
جبرائيل الدلال الشاعر النديم الحلبي المعروف قال اتصل بمنيف باشا وزير المعارف  
في الدولة العثمانية «وكان مجلسه مجلس أدب وعلم» عالم من أهل فاس وكان يبرمنا في  
مجالسه حتى تضايق الوزير فأظهر التبرّم من هذا الضيف فقال الدلال أنا أ كفيك  
اليلة قال ولكن أشترط أن لا تطرده طرداً قال هو كذلك وفي المساء انعقد عقد  
المجلس وحضر الرجل ودار الحديث فقال الدلال للرجل هل لك في اعراب بيتين  
أشكل عليّ اعرابهما فقال قل فقال :

أتانا عالم من أهل فاس يجادل بالصحيح وبالقياس  
وما فاس له بلد ولكن فسا يفسو فساء أفهو فاسي

قال الدلال وما كاد صاحبنا يسمع البيتين حتى جمع ما تراخى من جيبه وأسرع  
مهورلاً وكان آخر عهدنا به

ومن تأثير الشعر ما حكاه أبو اسحق الصابي في كتاب الناجي قال كان لمعز الدولة  
غلام تركي يدعى بكين الجام وكان أمرد وضيء الوجه منهمك في الشرب لا يعرف  
الصحو ولا يفارق اللهو واللعب فلفرط ميل معز الدولة اليه وشدة إعجابه به جعله  
قائد سرية جرها لحرب بعض بني حمدان وكان المهلي يستظرفه ويستحسن صورته  
ويرى أنه من عدد الهوي لا من عدد القوى فمن قوله فيه:

طفل يرق الماء في وجناته ويرق عوده  
ويكاد من شبه العنا رى فيه أن تبدون هوده  
ناطوا بمقعد خمصره سيقاً ومنطقة تؤوده  
جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يتوده

فما كان بأسرع من أن دارت الدائرة على هذا القائد وخرج الامر على ما أشار  
اليه الحلبي بن أبي صفرة

وذكر صاحب جمهرة الامثال ان عامر بن مالك ملاعب الأسنه وفد على النعمان  
في رهط من بني جعفر بن كلاب فيهم ليبد بن ربيعة فظعن فيهم ربيع بن زياد وذكرك

معايرهم ولم يزل به حتى صدّه عنهم فرجعوا الى رجالهم يتشاورون في أمره فقال ليبدو هو غلام يحفظ رحلهم اذا غابوا انا صاحبه والله ان جمع بيني وبينه لافضحتنه فقالوا اهج هذه البقلة وأشاروا بالبقلة اذامهم رعى التربة فقال هذه التربة لاتذكو ناراً ، ولا تؤهل داراً ، ولا تسترحا ، عودها ضئيل ، وفرعها ذليل ، وخيزها قابل ، أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعا ، وأشدّها قلعا ، بلدها شاسع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، فلما أصبحوا غدوا به معهم فوجد الربيع يأكل مع النعمان فذكر الجفريون حاجتهم فاعترض الربيع فقال ليبدو :

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| أكل يوم هاتي مقرعه           | يارب هيجا هي خير من دعه    |
| نحن بنو أم البنين الاربعه    | سيوف حق وجفان مترعه        |
| ونحن خير عامر بن صعصعه       | الضاربون الهام تحت الخيصه  |
| والمطعمون الحفنة المدعذه     | ياواهب الخير الكثير من سعه |
| اليك جاوزنا بلاداً مسبعه     | نخبر عنها خبراً فاسبعه     |
| مهلاً أبيت اللعن لانا كل معه | فاسته من برص ملعه          |
| وأنه يولج فيها اصبعه         | يولجها حتى يوارى أشبعه     |

كأنما يطلب شيئاً ضيعه

فقال النعمان أ كذلك أنت ياربيع ورفع يده عن الطعام ثم قال قدموا لهذا طعاماً وأمر بالربيع فصرف الى أهله فكتب الى النعمان :

|                           |                                 |
|---------------------------|---------------------------------|
| لان رحلت جمالي ان لي سعة  | ما مئها سعة عرضاً ولا طولاً     |
| بجيت لو وزنت لهما بأجمعها | لم يدلو اريشة من ريش شمريلا (١) |

فأجابه النعمان :

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| شرد برحلك حيث شئت ولا           | تسكث علي ودع عنك الا باطلا   |
| قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذباً | فما اختيالك في قول اذا قيلاً |

ومثل هذا ما وقع لابي نواس مع أبان اللاخقي على ما ذكر في كتاب طبقات الشعراء قال كان أبان اللاخقي شاعراً ظريفاً يمدح البرامكة وكانوا يولونه أمر تفرقة المال على الشعراء كلما أرادوا ذلك ففي ذات يوم أمروا له بال تفرقة وكان كثيراً ما يخطب له مما رآه في نواين فأرسل درهماً ناقصاً وكتب له اني أعطيت كل شاعر على قدره وهذا مقدارك

(١) شمريلا اسم طائر معروف

فوجد عليه أبو نواس فلما قال أبان قصيدته الحائية التي يصف فيها نفسه ويثمنت فيها عند  
جعفر بن يحيى وهي:

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| أنا من حاجة الأمير وكذب   | من كنوز الأمير ذو أرباح  |
| كاتبٌ حاسبٌ أديبٌ خطيبٌ   | ناصحٌ راجحٌ على النصاح   |
| شاعرٌ مفلحٌ أخفٌ من الر   | شة مما تكون تحت الجناح   |
| لو رأي الأمير عين مني     | سمهرياً كالجلجل الصياح   |
| لحية سبطة وأنفٌ طويلٌ     | واتقادٌ كشعلة المصباح    |
| لست بالفرط الطويل ولا بال | مستكين الحيد الدحداح     |
| أعين الناس طائراً يوم صيد | لغدوٍ دُعيت أم لرواح     |
| أبصر الناس بالجوارح والأك | لب والآخرد الصياح الملاح |

وبلغ أبو نواس هذه القصيدة فقال والله لأعرفنه نفسه وأنشأ يقول:

|                             |                         |
|-----------------------------|-------------------------|
| ان أولى بخسة الحظ مني       | بالمسسى بالجلجل الصياح  |
| قبلوا منه حيث خبٌ لديهم     | أخرس الصوت غير ذي انصاح |
| ثم بالريش شبه النفس بال     | فئة مما يكون عند الجناح |
| فاذا الشم من شاربخ رضوى     | عنده خفة لدى السياح     |
| لم يكن فيك غير شيتين مما    | قلت من نعت خلتك الدحداح |
| لحية سبطة وأنفٌ طويلٌ       | وهباءٌ سواهما في الرياح |
| فيك ما تحمل الملوك على الحر | ق وتزرى بالسيد الجحجاج  |
| فيك تيهٌ وفيك سجبٌ شديدٌ    | وطماحٌ يفوق كل طاح      |

فلما انتهى شعر أبي نواس الى أبان اللاحقي سقط في يده وعلم انه لو بلغ البرامكة  
نرات مرتبته عندهم وندم على ما كان منه فبعث الى أبي نواس لانذيمها وراك حكك ثبعت  
اليه لو أعطيتني الدنيا لم يكن بدٌ من اذاعتها فاصبر على حرارة كيهما واعرف الان قدرك  
قال فلما سمع جعفر البرمكي شعر أبي نواس في اللاحقي قال والله لقد قدفني بحس خصال لا تقبله  
السفلة على واحدة منها فكيف تقبله الملوك؟

والحكايات في هذا الباب كثيرة في بيان تأثير الشعر في قائله أو فيمن قيلت فيه.

« التطير »

جاء في مفتاح دار السعادة « التطير بما يضر من أشفق منه وخاف أما من لم يملك

ولم يعبأ به فلا يضره البتة ولا سيما ان قال عند رؤيته ما يتطير به أو صمائه « اللهم لا تطير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك » وأما من كان متمقداً بالتطير فهو أسرع اليه من السيل الى منحدره لما يقتح له من أبواب الوسواس فبما يسمعه ويراها ويفتح له الشيطان من المناسبات البعيدة والقريبة ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه « اه

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله « الطيرة على ما تجعلها ان هونها تهونت وان شدتها تشددت وان لم تجعلها شيئاً لم تكن » وقال ابن خلسكان من قبيح ما وقع لابني نواس ان جعفر بن يحيى البرمكي بنى داراً استفرغ فيها جهده فلما كملت وانتقل اليها وصفها أبو نواس بقصيدة امتدح فيها جعفر وكان مطلعها :

أربع البلان الخشوع لبادي عليك واني لم أخذك ودادي

وجاء في بعضها :

سلامٌ على الدنيا اذا ما فقدتمُ بني برمكٍ من راحلين وغاذي

فتطير البراءة من هذه القصيدة وقالوا نعت لنا أنفسنا يا أبا نواس فما كانت مدة يسيرة حتى أوقع بهم الرشيد وصحبت الطيرة

وذكر الطبري والخطيب والبغدادي وابن خلسكان وغيرهم ان جعفر بن يحيى البرمكي لما بنى قصره وتناهى بنيانه وكمل حسنه واستكمل فرشه وعزم على الانتقال اليه جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه اليه فاختاروا له وقتاً في الليل فخرج في ذلك الوقت والطرق خالية والناس نيام فرأى رجلاً قائماً يقول :

تطير بالنجوم ولست تدري ورب النجم يفعل ما يشاء

فتطير ووقف ودعا بالرجل وقال له أعد ما قلت فاعاده فقال ما أردت بهذا ؟ قال ما أردت به معنى من المعاني ولسكنه خاطر عرف لي وجاء على لساني فأمر له بديار ورضى لوجهه وقد تنص عيشه وتنقص سروره فلم يكن الا القليل حتى أوقع بهم الرشيد وبني عبد الله بن زياد داراً عظيمة فرَّبها مع بعض الاعراب نراى في دهليز صورة أسد وكلب وكبش فقال أسد كالح وكبش ناطح وكلب ناجح والله ان يمنع بها صاحبها فلم يلبث عبد الله فيها الا أياماً يسيرة حتى مات

وحكي أن صاحب قرطبة أصابه وجع فامر بعض جواريه ان تغنيه ليلها عن

وجعه فغنت :

هذي الياالي علمنا أن ستطوينا فشمعينا بماء المزن واسقينا  
 فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يتم بعد ذلك غير خمسة أيام ثم مات  
 ومن ذلك ما بنى السفاح دلوه بالاتباع ودخل عبد الله بن الحسن فتمثل حين رأى  
 السفاح بهذا البيت:

يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة  
 فتغير وجه السفاح فاعتذر اليه عبد الله بأنه جرى على لسانه فامر عليه أيام حتى مات  
 ومن عجيب ما يحكى في التطير أن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب لما  
 خرج من القاهرة الى جهات البلاد الشمالية أقام بظاهر البلد لتجتمع العساكر وكان  
 معه طائفة من العلماء والادباء والاعيان فأخذ كل واحد يقول كلمة في وداعه وكان في  
 الحاضرين معلم اولاده فاخرج رأسه وأشار الى السلطان وأشد البيت المشهور:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد المشية من عرار  
 فانقبض السلطان وتطير الناس من ذلك وكان الامر على ما قاله فانه لم يمد بعدها  
 الى مصر واشتغل بفتوح القدس والسواحل حتى مات

وذكر القليوبي في نوادره قال حدث ابن مكى عن أبيه قال قال لي محمد الامين  
 في آخر أيامه يا مكى انى والله أحب أن أعقد يوماً قبل ان يحال ببني وبين ملكي فقلت  
 يا امير المؤمنين افعل فقال اغد علي في غد قال فانصرفت فعدا علي رسول في السحر  
 سقت اليه وهو في صحن داره وعليه حبة مزركشة بالقصب تتألق وعمامة مشها مارأيت  
 شكلها على رأس احد قط وتحت كرسى من ذهب مرصع بالجواهر فدعا لي بكرسى  
 جلست عليه عن يساره ثم قال لحادم على رأسه ادع لي فلانة وفلانة حتى عد أربع  
 جوار ما منهن الا وانا اعرف حذقها وجودة غناها فخرجن وجلسن عن يمينه ثم قال  
 يا غلام علي برطل فأتى برطل وجام بلور مكلل بالجواهر فالتفت الى التي تليه وقال لها  
 غني فضربت ضرباً حسناً وغنت بشعر الوليد بن عتبة بن ابى معيط

هم أقتلوه كي تكونوا مكانه كما قتلت كسرى بلبل مراربه

بني هاشم ردوا سلاح أخيك ولا تهبوه لآخلك مناهبه

قال فرمى بالجام وسط الدار ثم قال لئنك الله ما هذا؟ قالت والله ياسيدي ما جاء  
 على لساني غير هذا ثم التفت الى الغلام وقال له اسقني فانه مجام مثل الاول فاخذه  
 وقال للثانية غني ففنت ما قيل في كليب بن وائل:



كليب لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر ذنب منك دُرَج بالدم  
 فرمى بالحمام من يده فكمزته ثم قال يا غلام علي برطل وقال لثالثة غني فغنت:  
 أتقتل عمراً لا أبالك شاردأ وتزعم بعد القتل أنك هارب  
 فلو كنت بالاقطار ما فت ضربي وكيف تفوت الحين والندم طالب

قال فرمى بالحمام وقال يا غلام علي برطل وقال للرابعة غني فغنت:  
 كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر  
 أبلاد ونحو أهلها فإبانا أصروف الليلي والخطوب الزواجر  
 قال فالتفت الي وقال قد سمعت هذا انه لا امر يريد الله عز وجل قال فما مضت  
 أيام حتى رأيت رأسه مغلقاً على القصر

وحدثنا شاعرنا عبد المسيح انظلكي قال ان التطير كثير في مصر والمصريون  
 يسمونه فالاً ويمتقدون فيه فاذا كان الرجل ذاهباً بحاجته وسمع في طريقه كلمة طيبة  
 انتظر الخير فيما هو ذاهب اليه وان يسمع كلمة غير طيبة انتظر الشر قال وهذا اعتقاد  
 عام يشمل الجميع وتأثيره ظاهر

وحدثنا أيضاً بان التطير تعتقد فيه عامة الفرنجة فهم يتطيرون من عدد ١٣ فلا  
 يجاسون للطعام وهم ١٣ نفساً ولا يعملون عملاً هالاً في يوم ١٣ من كل شهر ويكثر  
 فيهم في النساء والرجال تعاقب حلية من الفضة أو الذهب وأحياناً مرصعة بالجواهر وعليها  
 عدد ١٣ ويعلقونها رقية لهذا الداء الذي يتطيرون منه

« التناول »

والتناول كالتطير الا انه يكون بالخير والفرق بينهما التسمية اللفظية وضروب التناول  
 كثيرة منها التناول بالاستصباح كأن يخرج الانسان من بيته فاذا رأى أول انسان حسن  
 الوجه تناول خيراً أو قبيح الوجه تناول شراً

وكذلك التناول بسماع كلمة من فم أحد أو مطلع قصيدة أو نحوه على ما رأيت  
 في التطير وهذا نوع خاص شأن أهل مصر

ومن التناول ما يكون بالأسماء روي أن هاشم بن عبد الملك تناول باسم نصر بن سياد  
 فولاه خير سان وبقي عامه عليها عشر سنوات وتناول عامر بن اسماعيل قاتل مروان  
 ابن محمد بالدم رجل يدعى منصور بن سعد فقال له من أي قبيلة قال من سعد العشيبة  
 فاستصحبه وطاب مروان فظفر به فقتله

بوتقائه المأمون منصور بن بسام فكان سبب مكانه عنده  
وقيل ان اليداليمري كانت تسمى في الاصل العمري ولكنهم أطلقوا عليها اللفظ  
اليمري تفاؤلاً ومن هذا القبيل تسميتهم الاعمى بالبصير والديبع بالسليم والقطع بالجبر  
وفي الحديث قال سليمان بن المسيب بن خزن بن أبي وهب الخزومي قدم جدي  
خزن على النبي صلى الله عليه وآله فقال له ما اسمك؟ قال خزن قال رسول الله بل سهل  
قال ما كنت لأدع اسماً سبني به أمي قال سليمان فانا لن نجد لك الخزونة في أخلاقنا  
الى اليوم

وكان النبي صلى الله عليه وآله يحب الألقاب الصالح والاسم الحسن ويكره الطيرة وكان  
يقول «ليس منا من تطير أو تطير له» ويروى انه صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من  
شيء وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه سر به وظهر الاستبشار من ذلك  
على وجه الكريم وان كره اسمه ظهرت الكراهية على وجهه وكان اذا دخل قرية  
سأل عن اسمها فان أعجبه ظهر على وجهه. وعنه صلى الله عليه وآله انه قال يوماً من  
يحب هذه اللقحة فقام رجل فقال ما اسمك فقال امرأة قال اجلس ثم قال ثانية من يحب  
هذه اللقحة؟ فقام رجل فقال ما اسمك؟ قال يعيش فقال صلى الله عليه وآله احلب

وكان صلى الله عليه وآله كثيراً ما يتساءل بالاسماء ونحوها من الكلمات الطيبة في الحرب  
أو السفر أو غيره مما يأتي به من الافعال وأنت تعلم ان التأسى به سنة  
وفي السير انه صلى الله عليه وآله لما خرج الى بدر مرّ برجلين فسأل عن اسميهما  
فقالوا أحدهما مسلخ والاخر مخذل فعدل عن طريقهما وليس هذا من الطيرة التي نهى  
عنها عليه الصلاة والسلام بل من باب كراهية الاسم القبيح وكذلك تشاؤمه من اسمه مرة  
لانه اسم لابن الشيطان وبه كني ابيس امرأة أو لاشتقاقه من المرارة وكذلك  
كراهيه لمن اسمه حرب وكان صلى الله عليه وآله يكتب الى امرائه اذا أبرتم اليه  
بزيءاً أبردوه مع حسن الاسم حسن الوجه ونزل صلى الله عليه وسلم على كاثوم بن  
الهدم فصاح بغلام له يا نجيح فقال انجحت يا كاثوم وسمع صلى الله عليه وآله رجلاً  
يقول يا حسن فقال أخذنا فالك من فيك

ومن ظرائف ما يروى عن الاسماء ونورده هنا للتحفة ما نقله لنا شاعر ناعبد المسيح  
بك انطاكيا قال نقل لي أحد الثقات بحلب عن مزين من عامتها قال خرجت مرة للتجول  
شرقي حلب فررت بعشار عزة فنزلت على بيت فيه صبوية ناهد فرحبت بي حسب

عوائد العرب وأخذت دابتي فسقتها وأعلفتها ثم جاءني بما تيسر لطعامي وإذا شاب عربي دخل علينا ضيفاً فرحبت به الجارية وقالت ما اسم الضيف : قال اسمي بوجهك قالت مرحباً بحسن ثم قال الشاب وما اسم معزبي؟ أي مضيفتي قلت اسمي بسيفك قال مرحباً بفتنه أما أنا فعجبت مما قالوا من السكنى اللطيفة ثم مالت اليّ الجارية وقالت ما اسم معزبي؟ أي ضيفي فقلت والله لا أعرف ما تعرفان أنا اسمي الحاج محمد من محلة باب النيرب بحلب فضحكا وضحكت ثم انصرفت وأنا معجب بذكاء قومي العرب في باديتهم رجاهم في حضارتهم

توبة

« في تأثير اللسان والمكان »

أما تأثير اللسان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله « ان البلاء موكل باللسان » وروي أن يوسف عليه السلام شكى الى الله طول الحبس فأوحى اليه « يا يوسف أنت حبست نفسك حيث قلت ربي السجين أحب اليّ ولو قلت العاقبة أحب اليّ لعوفيت » وحكي أن المؤمل بن أميل الشاعر لما قال يوم الحرّة :

شفّ المؤمل يوم الحرّة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر

عجمي وأتاه آت في منامه فقال هذا ما طلبت

وحكي أن نور الدين محمود وهام الدين ركبوا في يوم عيد وخرجا للتفرّج فتجاولا في الكلام ثم قال محمود يامن درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم؟ فقال له هام الدين قل هل نعيش الى آخر الشهر؟ فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقتها ما كان مقدراً منذ الازل فلت أحدها قبل تمام الشهر والآخر قبل تمام السنة

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام « ارجاف العامة بالشيء دليل على مقدمات كونه » أقول ونرى تصديق ذلك في كثير من الامور التي تلهم بها العامة فتقع فعلاً ولذلك قالوا « السنة الخلق أقلام الحق » وبالاختصار نقول ان تأثير اللسان من الامور المحسوسة المشاهدة

وأما تأثير المكان فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال « الشؤم في الدار والمرأة والفرس » وفي لفظ آخر « ان يكون شيء من الشؤم حق ففي الدار والمرأة والفرس »

وروي أن رجلاً أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنهم سكنوا داراً وعددهم كثير

ومالهم وفير فقلّ العدد وذهب المال فقال له دعوها فانها ذميمة وأمرهم بالخروج منها وقال عبد الملك بن عمر الكوفي كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة المعروف بدار الامارة حين جيء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآني وقد ارتعت فقال مالك؟ فقلت أعينك بالله اني كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله ابن زياد فرأيت رأس الحسين بن علي عايتها السلام بين يديه بهذا المكان ثم كنت فيه مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي فرأيت رأس عبد الله بن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس الخمار بين يديه ثم هذا رأس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم الطاق الذي كنا فيه

وقيل ان في همدان خاصة وهي أن لا يكون الانسان فيها حزينا ولو كان ذا مصيبة ويغلب على أهلها اللهو والطرب وعذوبة اللسان واطافة الطبع وحسن الخلق والغالب على أكثرهم البدهة وقيل في ذلك

لا تلمني على ركاكة عقلي ان تيقنت اني همداني

وقيل في قبرس وهي جزيرة في بلاد الروم قريبة من بيروت انها ذات عجائب منها ان من حفظ شيئا بارضاها لا ينساها مبالغة بصفاء مناخها بحيث يصفوبه الدهن فيستعد للتحفظ وينسبون الى هذه الجزيرة سقراط وأفلاطون (١)

وبالجملة فلكل مكان تأثير خاص أودعه الله فيه بعضها محسوس وبعضها غير محسوس وأنا أعينك بالله يا ابن ودي أن تظن أني أقول بان هذه التأثيرات للسان أو المكان أو لغير ذلك بل ذاك ما أودعه الله فيه من قبيل ابداع النار بالزناد

(١) ومن هذا القبيل ماهو معروف في العراق اليوم بان الحمرة دار الانس والصفاء ساد هذا الاعتقاد في العراق حتى تسمعه في مصر فالشام فبلاد ما بين النهرين وذلك أن هذا البلد البهيج في موقعه المؤنس في أهله من يوم ولاية عظمة مولانا الشيخ خزعل خان المعظم أصبح مقصد القصاد ومورد الوراد فيجد فيه العلماء والشعراء والادباء من فضل عظمة الامير جردا واحسانا ومجد فيه التجار والمرزقة بعدل عظمة الامير ما يروج متاجرهم ويزيد في أرباحهم ويجد فيه الخائفون أمانا بظل ظليل سلوته حفظه الله ولذلك بات أهل العراق والشام ومصر أيضاً أذارا أو معسرا أو حزينا يقولون له «عليك بالحمرة حيث جلاء الكدر، ورواج المتجر، ومقام الرغد والهناء، وزوال النكد والغناء» فبارك الله بالامير الذي جعل أمارته مورد الخير والبركات كما قيل «بجوارها تغلو الديار وترخص»

## ﴿ المورد الثاني ﴾

وهذا المورد يشتمل على مقدمة وخمس رياض وخاصة  
 الروضة الاولى — في فضل العقل وعمراته  
 الروضة الثانية — في ذم الجهل والغباوة  
 الروضة الثالثة — في الاستدلال بالعقل السليم  
 الروضة الرابعة — في الامور الحاجبة للعقل  
 الروضة الخامسة — في الامور الكاشفة  
 الخاتمة — نظرة اجمالية

## ﴿ المقدمة ﴾

## ﴿ في العقل وأحكامه علماً ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله  
 الذين شادوا الدين، وبعد فاعلم أن أكثر ما ذكرناه عن أحوال النفس في المورد الاول  
 قد أنعم الله به على الحيوان والانسان، اذ للحيوان أيضاً ما للانسان من الشهوة والغضب  
 والحواس الظاهرة والباطنة، حتى أن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته فتهرب منه،  
 وهذا ما يسمى الادراك الباطني، وهو في بعض أنواع الحيوان كثير، ولا سيما في الكلب  
 الموصوف بالامانة والذكاء، ألا ان الانسان يمتاز عن سائر الحيوان في العقل، وذلك لان  
 الشرف وقسماً يمحصر في القوة والحيوان أقوى من الانسان لو لم يتغلب عليه بفعله  
 ودهائه فيسوده

والعقل هو القوة المدركة في الانسان التي بواسطتها يفكر ويفرق بين الحيوان والشر  
 ويتعلم ويعلم ويخترع وبالاجمال هو المظهر الوحيد الذي يميز الانسان ويجعله بمرتبة عالية  
 بين الخلوقات الارضية يقرب فيها من العالم الروحاني

والعقل عبارة عن علم وارادة، أما العلم فهو معرفة الانسان الامور الدنيوية والاخرية  
 وفيها الحقائق التي لا تدرك بالمحسوسات ولذلك لا يشاركها بها الحيوان الاعجم

فالعلوم السككية الضرورية التي وان كنا ندرکها بالبدهة هي من خواص العقل  
 اذ يحكم الانسان مثلاً بعقله بان الشخص الواحد لا يمكن أن يوجد بشخصيته بمكانين  
 في وقت معاً فان هذه القاعدة البسيطة السككية يدركها كل انسان بعقله واذا فهمت هذا  
 في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر

وأما الإرادة فإنّ الانسان اذا كان يدرك بعقله طائفة الامور وما صلح منها وما  
فسد يندبث من نفسه شوق الى العمل بما أدرك طلباً لمصلحته وتعاطي أسبابها بمطلق ارادته  
وهذه الإرادة تقسم الى عامة وخاصة أما العامة فهي ما يشترك فيها مع الحيوان  
كإرادة الاكل والشرب والجماع وتكون حينئذ ارادة اكرهية تبعث اليها الحاجة  
وأما الإرادة الخاصة فهي الممتازة بها العقل الانساني كالامتناع عن الشهوات المحرمة أو  
الضارّة والنفس تطلبها والمقل يصدّ عنها

### ﴿ الروضة الاولى ﴾

« في فضل العقل وثمراته »

العقل أيديك الله سلطان الفرائح ، ومصباح الجوارح ، ومفتاح المصالح ، ورأس  
العلوم ، وسبب ادراك المعلوم ، ومادة الفهم . روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله  
أنه قال « العقل نور في القلب ، يفرّق بين الحق والباطل » وأهل العقول هم المخاطبون  
وهم المكلفون قال الله سبحانه « انّ في خالق السموات والارض واختلاف الليل  
والنهار آيات لأولي الاباب » الى قوله « لايات لقوم يعقلون » وقال عزّ من قائل  
« انّ في ذلك لايات لأولي النهي » وقال « هل في ذلك قسم لذي حجر » وهذا  
كثير في كلام الله .

وبالفعل استظهر المرء على كثير مما غاب عنه واستطلع على اكثر ما احتجب عنه مما  
يمكن عرفانه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال « لسكّل شيء دعامة ودعامة  
عمل المرء عقله فبدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع أو  
نعقل ما كنا من أصحاب السعير »

وقالت الحكماء « بنور العقل تظهر الحقائق وتنكشف السرائر وتلوح خفيات  
الامور فيعبد الله تعالى على حقيقة العلم به »

وحكي الاصمعي قال لقد اجتمعت بحدث من أولاد العرب كان يحادثني فامتعني  
بفصاحة وملاحة فقلت له أيسرّك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال لا والله  
قلت ولم ؟ قال أخاف أن يجني عليّ حقي جناية تذهب بمالي ويبقى عليّ حقي « اه  
فانظر الى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدقّ  
على من هو أكبر منه سنّاً وأكثر تجرّبةً

ومن كلام لامير المؤمنين عليه السلام « لا مال أعود من العقل » وذلك لانّ الاحق



ذا المال طالما ذهب ماله بحمقه فعاد أحق فقيراً والعاقل الذي لا مال له طالما اكتسب المال بعقله

وخطب رجلان الى ديمارس الحكيم ابنته وكان أحدهما فقيراً والآخر غنياً فزوجها من الفقير فسأله الاسكندر عن ذلك فقال لان الغني كان أحق فكنت أخاف عليه الفقر والفقير كان عاقلاً فرجوت أن يغني بعقله

وقال بعض الادباء « صديق كل امرء عقله ودمره جهله » وقال بعض البلغاء « خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل » وقال بعض الشعراء :

|                                |                             |
|--------------------------------|-----------------------------|
| يزين الفتى في الناس صحفة عقله  | وان كان تحظراً عليه مكاسبه  |
| يشين الفتى في الناس قلة عقله   | وان كرمت أعراقه ومناسبه     |
| يعيش الفتى بالمثل في الناس انه | على العقل يجري علمه وتجاربه |
| وأفضل قسم الله للمرء عقله      | فليس من الاشياء شيء يقاربه  |
| إذا أكل الرحمن للمرء عقله      | فقد كات أخلاقه ومناقبه      |

وقتنا في العتل :

قد ميز الله بالعقل الانام عن ال  
فاجهد بتويع عقل أنت صاحبه  
وقال شاعرنا الانطاكى :

قل للذي ضل عن سبل الهدى وغوى  
ازجع لعقلك واسترشد به أبداً

واعلم أن بالعقل تعرف حقائق الامور، وينفصل بين الحسنات والسيات، ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام « ما استردع الله امرءاً عقلاً الا لينقذه به يوماً ما » قال الشارح لا بد أن يكون للباريء تعالى في ابداع العقل في قلب زيد مثلاً لا غرض ولا غرض الا أن يستدل به على ما فيه نجاته وخلصه وذلك هو التكليف فان قصر في النظر وجهل واخطأ الصواب فلا بد أن ينقذه عقله من ورطة من ورطات الدنيا وليس يخلو أحد من ذلك أصلاً لان كل عاقل لا بد وان يتخلص من مضرة سبيلها أن تقال بأعمال فكرته وعقله في الخلاص منها والحاصل أن العقل أما أن ينقذ الانسان في دينه وهو الفلاح والنجاح على الحقيقة أو ينقذه من بعض المهالك الدنيوية على دانيها من كثرة الإفات وعلى كل حال قد صح قول أمير المؤمنين

وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب فقال ما من بشر الا وله ذنوب وخطايا يقتربها فمن كانت سجيته العقل وغيرته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة

وجاء أن قوماً أئذوا على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة والعبادة وخصال الخير حتى بالغوا فقال كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله نحبك باجتهاده في العبادة وضروب الخير وتساءل عن عقله فقال ان الاحمق يصيب بحمقه أعظم مما يصيبه الفاجر بفجوره وانما ترتفع العباد غداً في درجاتهم وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم فالعقل تقمه في الدنيا والاخرة ظاهر

وحكي أن نصيباً دخل على عبد الله بن مروان فتغدى معه فلما رأى عبد الملك ظرئه وأدبه قال هل لك بما تتادم عليه فقال يا أمير المؤمنين لوني حائل وشعري مفلنل وختلي مشوه ولم أبلغ ما بلغت من اكرامك اياي لشرف أبولاء لكرم أم وأما بلغت بعقلي ولساني فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة عندك فأعفاه

وبالجملة فقد أوجب الله الدين بكأله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف بين خلقه مع اختلافهم وما ربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال « ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى » وقال المتنبي :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| الرأي قبل شجاعة الشجعان    | هو أوّنه وهي المحل الثاني |
| وإذا هما اجتمعا النفس مرة  | بلغت من النلياء كل مكان   |
| ولربما طمن الفتى أقرانه    | بالرأي قبل تطامن الاقران  |
| لولا العقول لكان أدنى ضيغم | أدنى الى شرف من الانسان   |
| ولما تقاضت النفوس ودبرت    | أيدي الكهاة عوالي المران  |

« تعريف العقل »

عرف العقل بتعاريف عديدة ولتقتصر منها على أحسنها فأما تعريفه بالمعنى الشرعي فقد روي عن الاشعري عن حمد بن الجبار عن بعض أصحابنا رفعه الى أبي عبد الله قال قلت له ما العقل ؟ قال ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان قال قلت فالذي كان في

معاوية ؟ قال تلك هي النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بعقل  
وأما العقل بالمعنى العرفي فهو المعرفة المستعملة في تحري النفع وتجنب الضرر  
وبعبارة أخرى ملكة وحالة في النفس تدعو الى اختيار النفع واجتناب الشرور والمخار  
وبها تقوى النفس على زجر الدواعي الشهوانية والغضبية والوساوس الشيطانية  
ولأهل اللغة والمتكلمين في اشتقاق العقل ومعناه أقوال كثيرة قالوا العقل اشتق  
من عقل الناقة اذا شدوا طفلها مع ذراعها بجبل يمنهما من الشراد فكأنه يمنع الانسان  
عن التماذي في سبيل هواه . وقيل اشتق من العقل وهو الملبأ يقال عقل الوعل اذا  
التجأ الى الجبل الذي يمنعه فكأن الانسان يلتجئ الى عقله في أحواله  
ويقسم العقل الى قسمين غريزي ومكتسب وهذا مأخوذ عن أمير المؤمنين عليه  
السلام فقد نسبوا اليه قوله :

رأيت العقل عقليين فطبوعٌ ومسموع  
ولا ينفع مسموعٌ اذا لم يك مطبوع  
كما لا تنفع الشمس ونور العين ممنوع

ثم ان كل واحد من القسمين يختلف بالشدّة والضعف . أما القسم الغريزي فقد  
يكون في الناس من لا يحتاج في النظر الى ترتيب المقدمات بل تنساق النتيجة النظرية اليه  
سوقاً من غير احتياج الى فكر وتدبّر ويسسى ذكاءً ويسسى صاحبه ذكياً . وقد يكون  
فيهم من هو دون ذلك وقد يكون من هو دون الدون  
وأما القسم الثاني فتد يكون في الناس من لا يجدي فيه التعليم بل يكون كالصخرة  
الجمادة بلادةً وغبابةً ومنهم من يكون أقلّ بلادةً وجنوح ذهن من ذلك ومنهم  
من يكون الوقفة عنده أقلّ فيكون ذا حال متوسطة وبالجملة فاستقراء عقول الناس يشهد  
بصحة ذلك

وأصل نقصان العقل المكتسب من نقصان العقل الغريزي كما قال أمير المؤمنين  
عليه السلام « ولا ينفع مسموعٌ اذا لم يك مطبوعاً » وقد شاهدنا كثيراً مثل هذا في  
أشخاص كثيرين اشتغلوا في العلم الدهر الطويل فلم ينجع معهم العلاج وفارقوا الدنيا  
وهم على الغريزة الاولى من السداجة

واعلم ان العقل المكتسب نتيجة العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة  
وليس له حدٌ لانه ينمو ان استعمل وينقص ان أهمل واكتسابه من وجهين اما بالتعليم

واما بالتجربة وقد قيل في مشور الحكم « من طال عمره نقصت قوته بدنه وزادت قوة عقله » وقيل « لا تدع الايام جاهلا الا أدبته » وقال بعض الحكماء « كفى بالتجارب مؤدباً وبتقلب الايام عظة » وقال بعض البلغاء « التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل » وقال بعض الادباء :

ألم تر ان العقل زينٌ لاهله  
وقلنا في هذا الموضوع :

لا تظنوا الذكاء والعلم يكفي  
ليس يحلو العقول الا زمان  
يتقضى ومنه تجنى التجارب  
وقال أحد الشعراء :

اذا طال عمر المرء في غير آفة  
ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام « لم يذهب من مالك ما وعظك » ومثل هذا قولهم « ان المصائب أثمان التجارب » وقيل لعالم فقير بعدان كان غنياً أين مالك ؟ قال اتجرت فيه فاتبعت به تجربة الناس والوقت فاستفدت فيه أشرف العوضين ومن المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام :

كلما أدبني الده  
واذا ما زددت علماً  
رأراني نقص عقلي  
وقال شاعرنا الانطاكي :

انما عقل الفتى جوهرة  
وتجاربها مصقلة  
صقلها يحلو سناها فتضي  
يتوخاها أخو الفكر الوضي

واعلم ان من فقدت غريزته أو نقصت لاتتجمع فيه التجربة اذ الكلان التجربة نتيجة الغريزة والغريزة أساس التجربة ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام « أجهل الجهال من عثر بحجر مرتين » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وفي أمثال كليلة ودمنه زعموا انه كان أسد في أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فاصاب الاسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى ما بالاك ياسيد السباع قد تغيرت أحوالك قال ان هذا الجرب قد أحجبتني وليس له دواء الا قلب حمار وأذناه قال ابن آوى ما أيسر هذا فقد عرفت بمكان كذا حماراً مع قصار يحمل عليه ثيابه وهذا آتيك به ثم دلف الى الحمار فاتاه وسلم عليه

فقال له مالي أراك مهزولاً؟ قال ما يطعمني صاحبي شيئاً قال وكيف ترضى المقام معه على هذا؟ قال فمالي حيلة في الهرب عنه فليست أتوجه إلى طرف الأضربني إنسان نمكدي وأجاعي قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به إنسان وهو خصب المرعى فيه أتان لم تر العين مثلها حسناً وسمناً وهي محتاجة إلى الفحل قال الحمار وما يحبسنا عنها فانطلق بنا إليها فانطلق به ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار فخرج إليه فأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخاص الحمار منه فأفلت هلعاً على وجهه فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال أعجزت يا سيد السباع إلى هذا الحد؟ فقال له إن جيتني به مرة أخرى فلن ينجو مني أبداً فضى ابن آوى إلى الحمار فقال له ما الذي جرى عليك؟ إن الأتان لشدة غلمتها وهيجانها وثبت عليك ولو ثبت لها ثلاث لك فلما سمع الحمار بذلك الأتان هاجت غلمته ونهق وأخذ طريقه إلى الأسد فسبته ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه فقال له استعد فقد خدعتك لك فلا يدركك الضعف في هذه النوبة فانه إن أفلت فلن يعود معي أبداً فحاش جاش الأسد لتجريض ابن آوى له وخرج إلى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثة افترسه فيها ثم قال قد ذكرت الأطباء انه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهر فاحتفظ به حتى أعود فأكل قلبه وأذنيه وأترك ماسوى ذلك قوتاً لك فلما ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد فلا يأكل منه شيئاً ثم إن الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى أين قلب الحمار وأذناه؟ قال ابن آوى ألم تعلم انه لو كان له قلب وأذنان لم يرجع بعد ان أفلت ونجا من الهلكة؟ وفي هذا المثل كفاية للعبارة بان من كان له قلب وأذنان يجب أن يستفيد مما يمر عليه من التجارب فلا يدعها تتكرر عليه

### الروضة الثانية

#### في ذم الجهل والنباوة

قالوا «الجهل رأس الفضاخ، ومعدن التبائح، ومضمار الثمار، وهو الدليل على غلظ الطبع، وجمود الخاطر، وفساد التركيب، واعتلال الذهن، وكذب النفس، وخبث الطوية» وقال بعض الحكماء «عمى الجهل أشد من عمى العين لان الاعمى يتوقع ان يعترفها ارتقع من الارض او يسقط فيها الخفض منها والجاهل ربما عثر فيها لايستقيل منه ويقع فيها لا يخرج منه»

كان الخليل بن احمد يجب ان يرى ابن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعها عياد بن عباد المهلي فتجادنا ثلاثة ايام بلياليها فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله بن المقفع؟ قال ما رأيت مثله ما رأيت مثله عمله أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل؟ قال ما رأيت مثله عقله أكثر من عمله قال المعيرة فصدقا أدنى عقل الخليل الى أن مات أزهده الناس وجهل ابن المقفع أداه الى أن كتب أماناً لبيد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ففساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جداً وبالأخص أمر البيعة فكتب الى سفیان بن معاوية المهلي أمير البصرة من قبله ليقبله فقتله

وقيل ان اعرابياً ولي قضاء بلد فخطب وقال لا والله انه لا يبيحني ظلم أو مظلوم الا ووجهتها ضرباً فأنصف الناس بعضهم بعضاً وتراضوا فيما بينهم ولم يرفعوا اليه أمورهم خوفاً من عقوبته وظلمه وشره وخسافة عقله وضيعه ليه وجهله في عامة الاحكام والجهل يقسم الى قسمين جهل مطبق وهو ان يكون الانسان عديم المعرفة في كل شيء وجهل بسيط أي غير مطبق وهو أن يكون الانسان على معرفة بالامور ولكن يجهل تطبيقها على أعماله وقد رأيت جهل ابن المقفع مع فضله وعلمه وأدبه في كتابه الامان فأفضى جهله الى سفك دمه كما رأيت جهل ذلك الاعرابي في القضاء بحيث توعد الظالم والمظلوم معاً والفرق بين الجهلين ظاهر فتأمل

### « الجهل البسيط »

وعلى هذا فكما ينقسم العقل الى غريزي ومكتسب فالجهل أيضاً ينقسم الى بسيط ومركب أما الجهل البسيط فهو نقصان العقل المكتسب وفقدان التجربة ويطلق عليه التفعل ومنه البله وأمثاله وذو الجهل البسيط اذا نهبه منبه الى خطأه انتبه اليه وذلك لسلامة غريزته من ذلك ما تقول العرب في أمثالهم « أبله من باقل » وباقل رجل من ثعلبه اشترى ظيماً بأحد عشر درهماً وحمله وسار به فسئل عن ثمنه ففتح يديه وأخرج لسانه يريد بذلك الدلالة على ثمن الظبي فأقلت الظبي من يده وهرب

ومثل هذا مارووه عن رجل من أهل الشام مضى الى نجار يصنع له باباً فقال اثنتي بمقدار العرض فقدرة يباعه وفتح يديه وسار الى النجار وهو في عرض الطريق يدفع الناس بصدرة ويقول تنحوا عن ( الهنداسمة ) فدفعه رجل من قفاه فوقع الى



الارض ويداه مبسوطان فقال الرجل يا أخي اقبضي من ذقتي وأقني حتى لا تخرب الهنداسة  
قبضه من لحيته وأقامه

وحدثنا شاعرنا عبدالمسيح بك انطاكي فقال ان أهل سوريا ينسبون الى أهل حمص  
وهي بلدين حلب والشام البلاة ويروون عنهم كثيراً من النكات . من ذلك ان بعض  
المحصين كانوا يوماً سائرين بزفة عروس فوصلوا الى باب قصر وكانت العروس طويلة  
فحاروا في أمرهم وكيف يدخلون العروس فذهب بعضهم الى وجوب هدم الباب وآخرون  
الى وجوب قطع رجل العروس وبينما هم في حيرتهم مر بهم رجل نبيه فقال أنا أكتفيكم  
الامرين ودنا من العروس فمسكها من رقبتها وجعل يقول لها اخفضي رأسك قليلاً  
فقليلاً الى أن أدخلها الباب فأخذت الناس بالهيلة وعكف الرجال على شكر ذلك  
البنية . ومن ذلك أن بعضاً من النسوة كن في قيلولة حرّ جالسات على نهر العاصي  
خارج المدينة وقد أزلن أرجلهن في الماء فاختلط عليهن معرفة كل منهن برجليها  
وحرن في أمرهن وما عندين يعرفن كيف يصنمن لتظفر كل منهن برجليها فتعود الى  
يتبها وبينما هن في ذلك مر بهن لبيب فعلم ما هن فيه فدنا منهن وكان بيده عصا فقال  
لهن اني أضرب أرجلكن فمن شعرت منكن بالالم سحبت رجلها وهكذا كان  
فهنضن وشكرنه على صنيعه . ومن ذلك أن رهطاً من أهل حمص سافروا الى الشام  
فوجدوا التماردين وهو نوع معروف من الحلوى يصنونه في الشام من تمر المشمش  
فسألوا من حولهم كم هي جميلة أشجار التماردين عند ما يكون ثمرها طويلاً يتدلى  
فيلعب به الهواة ؟ وأشبه هذه النكات عن أهل حمص كثيرة يتداولها عموم أهالي بلاد الشام  
وفيها : بالغات والحقيقة أن المحصين كغيرهم من أهل الشام واذكياؤهم كثيرون  
ومن ذلك ان هشام بن عبد الملك عرض الجند فتقدم رجل ومعه فرس كلما قدمه  
يتأخر فقال له هشام ما هذا ؟ قال يا سيدي انه فاره وقد شبهك ببطار كان يعالجه فنفر  
وتعدى أبو السريال عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهد أبيه فقدم أمامه  
جدياً وقال كل من كليته فانهما يزيدان في الدماغ فقال لو كان كما يقول الامير لكان  
رأسه مثل رأس البغل

وأهدى ابن الجصاص الى العباس بن الحسين الوزير نبقاً وكتب معه

تفيمات بأن تبقى فأهديت لك التبقا

فكتب له الوزير ما تفيمات ولكن تبقرت . وتولى بعض المتفقهين القضاء فأرسل

الى من ولاة هدية وأرسل معها مكتوباً مضمونه « بعد السلام على مولانا الواصل  
 لكم هدية خروفين وسرموحتين الوالي خروف وسرموجه والنائب خروف وسرموجه »  
 فلما وصل الى الوالي مكتوبه أمر بعزله وتحقيقه واخراجه من القرية  
 ورأى بعض البلهاء بالنجف رجلاً يشكي ففك فقال له أداويك بالسكي فقال له  
 الرجل من أين علمت ذلك ؟ فقال عندنا حمار قد ورم ففك ففكرته بجديدة فعافاه  
 الله تعالى فقال انك لتصاح أن تكون بيطاراً

وقيل أن رجلين من طلبة العلم سافرا فنزلا على رجل من الاعراب وكان اسم كل  
 منهما الشيخ محمد فسأل صاحب المسكن أحدهما عن اسمه فقال محمد ثم سأله عن اسم  
 صاحبه فقال كذلك فجعل صاحب المسكن ينادي أحدهما الشيخ محمد والثاني الشيخ كذلك  
 ومن الحمقى الآخر من بن جعفر بن عمر بن جريث قال له يوماً بحال سوء ما بال  
 وجهك أصفر هل تشكي شيئاً ؟ فرجع الى أهله لساعته وقال يا بني الحية أنا شاك  
 ولا تعلمون اطرحوا علي الثياب وابشوا ان الطبيب

وقيل لرجل عند موته قل لا اله الا الله فأعرض فأعادوا عليه فقال لهم أخبروني  
 عن النعمان بن المنذر ملك الحيرة أقالها عند موته فقيل له وما أنت والنعمان فقال أرغب  
 لنفسي ما رغبه ذلك الشريف لنفسه

وقال رجل لا كاره اذا زرعت القطن فازرعه محلوجاً وازرع معه شيئاً من الصوف  
 وسمع بعض المغفلين رجلاً يقرأ بيتاً من قصيدة للمهيار في رثاء الرضي وهو :  
 بكر النعي بان ردى خير الورى ان كان يصدق فالرضي هو الردى  
 فغضب المغفل للشريف الرضي وأخذ يشتم الشاعر قائلاً الردى هو وأبوه ومثل  
 ذلك ان بعض المغفلين سمع رجلاً ينشد :

وكان بنوعمي يقولون مرحباً فلما رأوني معدماً مات مرحباً

فقال المغفل كذب والله الشاعر فان مرحب قتله علي بن أبي طالب ولم يموتاً  
 وعن ابن الجوزي قال كان لبعض المغفلين حمار فرض السحار فنذر ان عوفي حمارة  
 صام عشرة أيام فعوفي وصام فلما انقضى صيامه مات حمارة فقال يارب أهكذا تفعل لما  
 تم صيامي أمت حماري ولكن دع رمضان يأتي فأخذ منه عشرة أيام لأصومها  
 وقرأ بعض المغفلين « في بيوت أذن الله » ورفع التاء في بيوت ولم يقرأ ما بعدها  
 قول الله تعالى « أن ترفع » فقال له بعض الجاهلين يجب أن تحج التاء فقال له المغفل

يا جاهل اذا كان الله تعالى يقول « في بيوت اذن الله ان ترفع » فكيف تجرّها ؟  
 ومن المعروفين بالحقارة ونقص العقل معلمو المكاتب وقلماء يوجد معلم الاوفيه نقص  
 وان أعجبك ظاهره . قيل لمعلم من أهل المكاتب ما اسم أم موسى؟ فقال فارغا فقال له  
 من أين علمت ذلك قال من قوله تعالى « وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً »  
 وحكي ان معلماً أتاه صبي من صبيانه فقال يا معلم ان في بطن الجبّ صيداً يا هب في  
 الماء ولما نظرت اليه أخذت مني خبزة كانت في يدي فأتى المعلم الى الجبّ ونظر الى الماء وقال  
 هذا الذي رأيته أنت في الجبّ هو شيخ ذو لحية وليس بصبي ولعله سارق ذلك لان  
 المعلم رأى شبهه

وحكي أن امرأة غاب ولدها فأتت معلماً وقالت تنال لابني في المصحف فانه قد  
 طالت غيبته فطام فاه « حسن مات » فقال لها ابنك حسن قالت نعم فما يدريك بذلك  
 قال هذا القرآن يقول وحسن مات فصرخت وشقت أثوابها ومضت الى بيتها حزينة  
 كئيبة فاجتمع عليها أهل الولد فاقاموا ائماً عليه وبعد مدة عاد الولد وكان ذلك الشؤم  
 من بلاهة الاسناد

وقال احمد بن دليل مررت يوماً بمعلم يعلم صبيانا وبين يديه صبي وهو يقول الانجيل  
 من خلنه؟ قال موسى بن عمران قال فالبعير من درر البعرة في أستة؟ قال انه الشيطان  
 قال أحسنت وآدم من أبوه؟ قال نوح قلت أنا نوح من أولاد آدم قال هل تعرفني بادم  
 وأنا أبو عبد الله المعلم يا صبيان كرفسوه فكر فسوني وضربوني حتى نكحت قواي فخلقت  
 ان لا أتف على معلم ما حيت

وقيل لمعلم ابن معلم مالك أحقق؟ قال لو لم أكن أحقق لكنت ولدنا ونعم ما قال فان  
 الولد سرّ أليه

وقال الجاحظ مررت بمعلم وعنده عصا طويلة وأخرى قصيرة وصولجان وطبل  
 وبوق فقلت له ماهذه الهدية؟ قال عندي صغار في المكتب فأقول لآحدهم اقرأ لو لك  
 فيصفر لي فاضربه بالعصا القصيرة فيأخر فاضربه بالطويلة فيصفر من بين يدي فاضع  
 الكرة بالصولجان وأضربه فاشجه فتقوم الي الصغار كلهم بالالواح فأعلق الطبل في عنقي  
 والبوق في فمي فاضرب في الطبل وأنفخ في البوق فيسمع الجيران والمسارون ذلك  
 ويسارعون الى نجدتي

وحكي الجاحظ قال أتت امرأة الى معلم ابنها ونكحت عدم طاعته وطابت منه أن

يفزعه وكان المعلم طويل اللحية فأخذ لحيته بفيه وحرك رأسه وحدق بعينه وصاح صيحة أفزعت المرأة فضرطت وقالت انما قلت لك فزّع الصبي لا تفزّع أمه فقال لها يا حمقاء أما علمت أن العذاب اذا نزل بقوم هلك الصالح والطالح ؟

وحدثنا شاعرنا عبد المسيح بك انطاكي عن الجاحظ صاحب نواذر بلهاء معلمي الكتاب التي أوردنا بعضها فيما تقدم قال قال الجاحظ جمعت من نواذر المعلمين ما أوشك أن يكون كتاباً ضخماً ولكن أفكته ما عثرت عليه من نواذرهم هو انني مررت يوماً بكتّاب فدخلته حسب عادتي تحرشاً بعلمه فرحب بي وأكرم مثواي ثم تحدّثنا طويلاً فاذا هو على علم ومعرفة فاكثر التردد عليه وأنا أقول في نفسي وليس كل المعلمين من البلاهة على ما كنت أظن بل فيهم العاقل واللييب وخطر بيالي أن أمزق كتابي اكراماً له الى ذات يوم قصدت فيه زيارة ذلك المعلم فوجدت الكتاب مقفلاً والصبيان يلعبون خارجه ويتضاربون فسأتهم عن معلمهم فقالوا أنه أصيب بمصيبة يحولونها فهو حزين ولا يريد أن يتعزى قال الجاحظ فقلت في نفسي يجب أن أدخل عليه فاعزّيه فدخلت ووجدته يبكي ويتعجب وقد انزع عمته ونكت لحيته فأخذت أعزّيه بما حضرني من الحكم والأمثال والاليات والمبرم ثم سألته فقلت له هل مات الوالد؟ قال يا ليت قلت أمانت الزوجة قال يا ليت قلت أفقدت الاخ؟ قال يا ليت قلت من اذن جعلت فداك؟ قال حبيبتى قلت عظم الله أجرك وغدا تنسلى بغيرها جارية تكون أجمل وأحسن حدق بي وقال وهل أنا أعرّفها قلت اذن ماذا؟ قال منذ أيام مرّ في الطريق ماراً وسمعته ينشد:

يا أمّ عمرو جزاك الله محسنةً رديّ اليّ فؤادي أينما كانا

فعلمت أن أمّ عمرو هذه لو لم تكن من جميلات النساء بل أجمل بنات حواء لما قال فيها الشاعر ما قال وعشقها واليوم صباحاً مرّ ماراً في الطريق وسمعته ينشد:

لقد ذهب الحمار بأمّ عمرو فلا رجعت ولا رجح الحمار

فعلمت أنّها ماتت فشقت ثيابي وقلت الكتاب وجلست حزينا على ما ترى قال الجاحظ فلما سمعت هذا عدت الى رأيي الاول بوجوب طبع الكتاب الذي جمعته عن نواذر المعلمين على أن أثبت هذه النادرة في أوله اه

وعن أمير المؤمنين عليه السلام « لا تستشرف الحاكّة ولا المعلمين فانّ الله سلهم عقولهم ». وذكر العالم الرباني الشيخ كمال الدين هيثم البحراني في توجيهه « ان المعلم

عقله وحواسه متفرقة الى التوجه الى تدبير أمور الصبيان فلم يبق له من العقل والتدبير ما يصرفه في غيرهم وكذلك الحائلك بالهنسية الى الخيوط المختلفة وصراف الفكر فيها فلا عجب اذا اتازا بالصقاعة « قال الشاعر:

ان الصقاعة خُصِّصت في ستة  
فخائنك ومنجيد واسكاف  
ومعلم الاولاد اصنع لحيه  
يتبعه الحلاج والنداف

« الجهل المركب »

وأما الجهل المركب أو المطبق فهو الحفاقة بعينها والفرق بين الجهل البسيط والجهل المركب هو ان الاول اذا نهته الى خطأه انتبه وأما الثاني فكلمتا تنبهه يزداد حماقة وغياً سأل رجل بعض المنفلين من أفضل معاوية أم عيسى؟ فقال له ما رأيت أجهل منك ولا سمعت أحداً قاس كاتب الوحي بنبي النصاري

وأنى بعضهم الى قصاص بنصراني يريد أن يسلم فقال قوموا عني أريدون أن توفقوا الحصومة بيني وبين عيسى بن مرهم عليه السلام وسأل بعض القصاص عن لوط عليه السلام فقال كان رجلاً لوطياً نعم وذباله فانكروا عليه قوله ولامه بعضهم واعلمه أن لوطاً نبي مرسل من عند الله الى قوم ذلك الزمان ليردعهم عن قبيح فعلهم فندم على ما قاله فلما كان ذلك القصاص الغبي في مجلس آخر سئل عن فرعون فقال دعونا من حديث الانبياء واسألوا الله السلامة أنهم قوم لا رأيناهم ولا رأونا فكيف تتكلم في أعراضهم .

قال ابن هشام قيل ما فعل أبوك بحماره فقال باعه وجر العين والهاء فقيل له لماذا جررت باعه؟ فقال ولم جررت الحمار؟ فقالوا أنه مجرور بالباء فقال ولم بائكم بحجر وبأني لا تجر إشارة الى الباء في أول باعه

سأل رجل شريحاً ما تقول في رجل مات وخلف أبوه وأخوه؟ فقال شريح قل أباه وأخاه وقال الرجل كم لاباه وأخاه؟ فقال شريح لايه وأخيه فقال سألتك وندمت يا بارداً وجاء رجل الى سيديويه ليصاح له شعراً فقال أنشدني فأشد :

ما العيش الا مع الحبيب اذا تلتاك من القريب

اذا تأملت طويلاً أكاد من حبه أموت

فقال سيديويه ويحك البيت الاول آخره باه والثاني آخره تاء كيف يكون هذا؟ فقال يا سيدنا لا تنقط فلا أحد يدري ما هو فقال سيديويه فاخر الاول مجرور وآخر الثاني

مرفوع فقال الرجل ما أجهلك أنا أقول لك لا تنقطه وأنت تشكاه  
وقيل أن رجلاً من أهل الشام عزم على لقاء المأمون فاستشار بعض أصحابه فقال  
على أي وجه أصلح أن ألقى أمير المؤمنين؟ قال على الفصاحة قال ليس عندي منها شيء  
واني لالحن في كلامي كثيراً قال فعليك بالرفع فإنه أكثر ما يستعمل فدخل على المأمون  
وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته ورفع كل هذه الالفاظ فقال يا غلام اصغمه اصغمه  
فقال باسم الله ورفع الكلمتين فقال المأمون ويحك من ذلك على هذا الرفع قال وكيف  
لا أرفع من رفعه الله فضحك وقضى حاجته (١)

وكان لرجل ولد اسمه حمزه فبينها هو يوماً يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بشاب  
يا عبد الله فلم يحبه ذلك الشاب فقال ألم تسمع؟ فقال ياعم كلنا عبيد الله فأني عبد تعني؟  
فالتفت أبو حمزه لابنه وقال ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب؟ فلما كان الغد إذا برجل  
ينادي باحمزه فقال حمزه ابن الاعرابي كلنا حماة من الله فأني حمزه تعني؟ فسمع ابوه جوابه  
وقال ليس يعنك الرجل يا من أخذ الله ذكر أبيه

وحكي مثل ذلك عن بعض الأديباء قال إن رجلاً من اقاربه جاءه زاراً في أصفهان  
قال فأثبت به الى الحمام وفيه خلق كثير ثم انه شرط في ذلك الحمام فضحك عليه فقال  
يا أخي نحن نضطر باللسان العربي وهؤلاء أعجم لا يفهمون لغتنا كما نحن لانفهم لغتهم

(١) ومن هذا القبيل ما رواه لي أحد أتباع عظمة مولاي المرقد أقدس وأثبته  
في كتابي « الدر الحسنان » قال الراوي جاءنا يوماً اعرابي متسولاً فاتي المرحوم  
الحاج الميرزا حمزه خان الذي كان في حياته من كبار المقرئين من ولي النعم فسأله ان  
يدخله عليه فقال له ان مولانا روحي فداه عند ظنك فيه كثير البذل جم الندى ولكن  
احسانه موقوف على العلماء والادباء والشعراء فهل أنت عالم؟ قال لا قال فهل أنت أديب؟  
قال لا قاله فهل أنت شاعر؟ قال لا قال على الأقل الا تحفظ شيئاً من الشعر تنشده؟  
قال لا قال كيف اذن تتقدم من عظمته وبأي وسيلة تبغ شيئاً من كرمه؟ قال والله لا أعرف  
غير اني قصدته وهو أبو العرب فقال الميرزا رحمه الله لا بأس عليك فانا أساعدك وبعد قليل  
يخرج عظمته واكون بخدمته فادخل عاينوا ودع أنك شاعر تريد أن تنشده قصيدة  
قلتها في مدحه وعظمته لفرط وداعته يغلب عليه أن لا يسمع ما قيل في مدحه تواضعاً  
فيه حسن اليك من غير أن يستشرك في شكره الاعرابي على هذه المنه وبعد قليل خرج عظمة  
الشيخ خزعل خان من الحرم لمجلسه وازدحم الناس حوله بين عبيد وقوف في الخدمة



هذا والجهل المركب أو المطبق لاعلاج له إذ القول في العقل كالتقول في الطبع فكما ان من طبع على الشرّ وغلبت شهوانيته على روحانيته لا تتغير طباعه الشريرة الى طباع الخير كذلك كل من نقصت غريزته أو فقدت لا يرفع التعليم عنه جهلا ولا يزيد التجربة عقلا واعلم ان الحماقة تلد بالغريزة ولا تتغير وأنشد بعضهم :

وعلاج الأبد ان أيسر خطباً حين تعقل من علاج العقول

وروي عن المسيح عليه السلام « عالجت الاكمه والأبرص فأبرأتها وعالجت

الاحمق فاعيانى » وأخذ بعضهم هذا المعنى فقال :

لكلّ داء دواءً يستطبّ به الا الحماقة أعتت من يداويها

وقلنا في واقعة حال :

ألومه ولقد اخطأ وأرجع في لومي وقائده حمقٌ عزيزي  
لو كان يدرك ما آذى مصالحه فهل يلام سفيه طبعه الفبي

وقال شاعرنا الانطاكي :

قالوا فلان أبقي شاردٌ وكان في أوطانه محترم

وأعوان ينتظرون الاوامر وأرباب حوائج يطلمون قضاءها وكان في جملتهم ذلك الاعرابي فتقدّم من وليّ النعم روجي فداه وسلم بتحية الامارة وقال حياً الله أبا جاسب فقد امتدحتك بشعري قال حفظه الله حسبك بأخا العرب فقد قبلنا مديحك ومال ليأمر أحد أعوانه بالجائزة فاعترض الميرزا رحمه الله وقال ألا نسع ما قال الاعرابي ؟ فقال عظمته بدعته المشهورة حسناً هات أيها الشاعر فماذا قلت فينا ؟ فحجج الاعرابي واضطرب وقال والله يا ولوي لست بشاعر ولا افرق بين الشعر والشعر وإنما جئتك متسوّ لا كالالوف من العرب الذين يسعون اليك في كلّ يوم فلا تحيّب منهم سائلا فلقيني هذا الخبث وحملني على هذا الكذب حتى اسودّ وجبي سود الله وجهه فضحك

سعوّه وضحك من في المجلس وامر له عظمة وليّ النعم بمجازة سنبة وأنشد

واني لاهل الشعر عون لانه يدون اشيات المفاخر للعرب

اجازي عليه أهله مع دعائه ومن قد رواه أو له مال واتسب

ويبتي به نتج القسرايح رائيح وداري عكلاظ للمعارف والادب

وعندي مقامات المعارف تزدهي بأربابها من كل معنى ومضطلب

وعندي دراري الشعر صيفت فلائداً ملائسة تشرى بمتنثر الذهب

فقلت هذا حقه ساقه للذل لولا حقه لم يُضم.

واعلم زادك الله علماً انه اذا انضم الى الجهل المركب عجب انساني فذاك هو  
الداء العضال واذا شيب هذا العجب ببعض معارف سطحية تلقاها صاحبها على غير  
ثقة عن طريق السماع فهو المصيبة العظمى على سامعيه ومعاشره ولا خلاص من  
ابرامه الا بالفرار منه

قال بعضهم لئن أصاحب أحق أحب الي من مصاحبة نصف أحق قيل ومن هو  
النصف أحق؟ قال الجاهل المتعاقل الذي يظن نفسه يدري وهو لا يدري

ومن الحكايات العجيبة أن بعض الاطباء دخل على مريض وجس نبضه وشاهد  
تفسرته فقال له لعلك تناولت شيئاً من الفواكه مع صدر فروج فقال نعم فقال الطبيب  
لا ترجع تأكلها فانها يضر أنك فتعجب الناس من حذق الطبيب وكان لذلك الطبيب  
ابن فقال يأبت كيف عرفت ان المريض تناول الفاكهة والفروج؟ قال يا بني ما عرفت  
ذلك بالطب وحده بل بالطب والفراسة فقال له كيف عرفت بالفراسة؟ فقال اني لما  
دخلت دار المريض رأيت على سطح الدار سقطة الفاكهة ثم رأيت في وجه المريض  
انتفاخاً وفي النبض ليناً وفي النفسرة غلظاً وغباجة وعلمت ان الفاكهة اذا حضرت عند  
المريض لا يصبر عنها فظهر لي من هذه الشواهد انه تناول الفاكهة وما جرت بها  
بل قلت لعلك أكلت وقبل أن ادخل الدار رأيت على الباب ريش الفروج وفي النبض  
امتلاء وفي الرسوب غلظاً فعلمت أن الفروج لا يأكله الا المريض غالباً فظهر لي  
بهذه الشواهد انه أكل جيج فروج وصدورها ومع ذلك ما جرت به بل قلت لعلك  
فعلت هذا فسمع انه هذا الكلام وأحب أن يظهر بمحذوق مثل حذق ابيه فدخل بعد أيام  
على مريض وجس نبضه وشاهد تفسرته وقال لعلك أكلت لحم حمار فقال المريض  
حاشا وكلا كيف يؤكل لحم الحمار أيها الطبيب فخرج ابن الطبيب وخرج اوني الخبر  
الى ابيه فسأله كيف خطر لك أن مريضك أكل لحم حمار؟ فقال لاني رأيت في دارهم  
برذعة فعلمت انها لا تكون الا للحمار ثم قلت لو كان الحمار حياً لكانت برذعته على  
ظهره وجرت انه لم يكن حياً لان البرذعة كانت على الارض وقلت في نفسي لابد أنهم  
ذبحوه وأكلوه فقال أبوه لو كان شيء من هذه المقدمات صحيحاً لرجوت فيك  
النجابة ولكن مقدماتك كلها فاسدة وطبع النجابة فيك محال

وحكي أن بعضهم ضم ولده الى رمال ليعلمه فبقي عنده مدة حتى علمه أصول الرمل

جاء والده وسأل الاستاذ عن ابنه فقال علمته فامتحنه فقبض الاب على عملة وضمَّ يده عليها وقال اولاده اعرف ما في يدي فحسب ولده وقال في يدك حيوان اسود اللون محروم من وسطه فقال له ماهو؟ فقال الولد لعله جاموسة فلما رأى الوالد خطأ ابنه مع دلالة الترائن على صحة حسابه اولاً لامنعاه فقال انما اتا اعلمه علماً ولكن لا اعطيه عملاً وقيل ان أحد الملوك خرج مع وزيره للزهرة فمرَّ على فلاح يحرث الارض وقد اهوَّ ففاه من الشمس وتشتتت قداه من الحما وسدة البرد وهو في حالة مكربة فقال الملك لوزيره ما حل هذا الرجل؟ فقال هذا من فلاحي الرساتيق ينشأ الشخص منهم على الذهب والفضة وقلة الدين والجهل فيصير في هذه الحالة فقال الملك لوزيره اترى انا اذا اخذناه وعلمناه الادب وشغلناه بالعلم يتغير عما هو عليه؟ فقال الوزير كلا ايها الملك فقال الملك است مصيباً ولا بد من اخذه وتعليمه وبالذم اخذ الفلاح وانهم عليه وارضى بذهاب من يعلمه ويشقه فبقى على ذلك بضع سنوات حتى يرع في كل فن من فنون العلم والادب فاحضره الملك يوماً بمشهد من وزيره وقال له ألا ترى ان فرائدك قد اخطأت في هذا الفلاح؟ فقال الوزير امتحنه ايها الملك فقال الملك للفلاح بلغني أنك تتقفت في غرائب العلوم فبأي شيء؟ قال الرمل والحجر والحساب وغير ذلك مما يحب ولي ملتكم في استخراج ما في الضمائر قال فزرع الملك خاتمه وضمَّ عليه يده وقال انظر ما في يدي فضرب الفلاح رءوسه اشكالا وقال في يدك شيء مدور قل اسم قال وهو خلي الوسط قال صدقت فاهو؟ فسكت الفلاح ساعة ثم قال اظن والله اعلم انه حجر طاحون فضحك الوزير وغضب الملك وسلب عن الفلاح نعمته وردَّه الى حالته الاولى

وحكي ان بعض الملوك قال لصاحب خيله قدم الفرس الابيض فقال له الوزير لا تهل للفرس الابيض فانه عيب ويزري جهده اسم لونه بهيبة الملوك ولكن قل للفرس الاسهب فلما احضر السباط قال لصاحب سباطه قدم الصحن الاسهب فقال له الوزير قل ايها الملك ما شئت فقل في تقريتك خيلة. قال المتنبي:

ومن البليبة عدل من لا يرعوي عن غيبه وخطاب من لا يفهم  
وقلتا لي مثل ذلك:

وأصعب ما لا يقينه لصح أحق  
فلم يصع للوصول الذي حجت ناصحا  
هو عند أرباب النكا كان واضحاً

مخاطبة الجهال شرٌّ مصائب الحكيم إذا ما راح يدي الموضاهة  
ومن أمثال كليله ودمته أن جماعة من القردة كانت تسكن جبلاً فالتفت في ليلة  
باردة ذات أمطار ورياح ناراً تصطلي بها فلم تجد شيئاً فرأت براعة تطير كأنها شرار نار  
فجمعت حشيشاً وألقته عليها وجعلت تنفخ طمها بإيقاد النار وكان بقربها طائر على شجرة  
ينظر إليها فجعل يناديها ويقول لاتعبي فان الذي تريه ليس بنار ثم انه عزم على الاقتراب  
منها لينهاها عما هي فيه فر به رجل وقال له لا تنمس تقويم ملا يستقيم فان العود  
الذي لا ينحني لا يعمل منه القوس فابى الطائر أن يطيعه وتقدم الى القردة ليعرفها أن  
البراعة ليست بنار فتناولته بعضتها ومات من ساعته

ومن حمقى العرب وجهلهم كلاب بن سعد خرج اخوته يشترون خيلاً فخرج معهم  
فجاء بعجل يقوده فقيل له ما هذا فقال فرس اشترته قالوا يا مائث هذه بقرة اما ترى  
قرنها ؟ فرجع الى منزله فقطع قرنها ثم قال لهم قد أعدتها فرساً فما تريدون بعد  
فضحكوا من حماقه ودعي بعد ذلك اولاده باسم بني فارس البقرة

### الروضة الثالثة

#### ( الاستدلال بالمقل السلام )

للاستدلال بالمقل السلام ثلاثة أمور القياس والاستقراء والتبديل لان الاستدلال  
اما أن يكون بكلي على جزئي أو مجزئي على كلي وهو الاستقراء أو جزئي على جزئي  
وهو التبديل ويتبعها قسم رابع وهو الاولية القطعية والاستدلال في جميع هذه الاقسام  
بواسطة العلة وهو القدر المشترك بين الاصل المقيس عليه والفرق المقيس كما ستري

### القياس

ان الاستدلال بالقياس اما ان يكون بالمعلول على العلة أو بالعلة على المعلول والاول كما  
نقل انه خرج أمير ومعه رجل ذو ذكاه وبينهما هما يتغذيان قال لمرجل للامير اركب فقد  
أذركنا العدو قال كيف ولا أرى أحداً ؟ قال اركب عاجلاً فان الامر أسرع مما تحسب  
فركب واذا بالعير قد نار وطلعت عليهم الخيل سرعاً فمجب الامير وقال كيف علمت  
ذلك ؟ قال لما رأيت الوحش مقبلة علينا ومن شأن الوحوش الهرب منا فعلمت انها لم  
تدع عادتها الا لا أمر مزعج قد دهمها

وذكر الجاحظان اياس بن معاوية نظر الى اصدمع في الارض وقال تحت هذا دابة  
فنظروا فاذا حية فقيل له من اين علمت هذا ؟ قال رأيت العينين الاخريتين ندياً بدون جميع

تلك الرحبة فعلمت ان تحتها شيئاً يتنفس

وأما الاستدلال بالعلة على المعلول أو المؤثر على كمية الأثر وكيفيته فذلك كما يقال في الأمثال ان أسداً أراد أن يقتس ثوراً فلم يقدر عليه أشدته فضى إليه متملقاً قائلاً فديتك اني قد صدت خروفاً سميناً واشتهي أن تأكل عندي في هذه الليلة منه فأجابه الثور الى ذلك فلما وصل الى العرين ونظر الى ما بداخله وجد أن الاسد أعدّ حطباً كثيراً فولى هارباً فقال له الاسد مالك وليت بعد بحيثك الى هنا فقال له الثور لاني علمت أن هذا الحطب لشيء ما هو أكبر من الخروف

ومن ذلك في الاستدلال على الكمية ما ذكره ابن الجوزي في الاذكياء باسناده الى أمير المؤمنين عليه السلام قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وآله الى بدر وجدنا عندها رجلين أحدهما من قريش والآخر مولى لعقبة بن أبي معيط فاما القرشي فأقلت وأما مولى عقبة فأخذناه وجعلنا نقول له كم القوم؟ فيقول والله كثير عددهم شديد بأسهم فجهد النبي صلى الله عليه وآله أن يجبره كم هم فأبى ثم إن النبي سأله كم يتحرون من الخزر؟ فقال عشر الكل يوم فقال القوم ألف رجل لان كل جزور لثة

ومن ذلك ما نقل أن أحمد بن طولون رأى حملاً يحمل صندوقاً وهو يضطرب تحته فقال لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لفاصت عنق الحمال وأنا أرى أن عنقه بارزة وما هذا الا من خرف ما يحمل فأمر بحط الصندوق فوجد فيه جارية قد قتلت وفتت ارباً فقال أصدقني عن حالها فقال أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة فضرب الحمال مئتي عصى وأمر بقتل الأربعة (١) وذكر ابن الجوزي في الاذكياء عن احمد بن طولون صاحب مصر أنه جلس يوماً في منزله يأكل مع ندمائه فرأى سائلاً عليه ثوب خلق فوضع يده في رغيص ودجاجة وقطعة لحم وفلزوج وأمر بعض الغلمان بمناولته فأخذ الغلام ذلك وذهب به الى السائل ورجع فذكر انه ماهش ولا بش فقال ابن طولون للغلام انتني به فأحضره بين يديه واستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيئته فقال له أحضر لي الكتب التي معك

(١) ومثل هذا ما حدث منذ سنوات في الاهواز وذلك أن جناب المرदार ارفع الشيخ جاسب خان حاكم الاهواز السابق وكبير أنجال السردار أقدس المعز حفظه الله بلفه في صباح يوم وجود قتل على شط قارون فاسرع الى الجنة وأرسل نظرة صادقة اليها ثم أمر بدفنها وأرسل غلماناً يتعسسون القصابين الى أن عثروا على أحدهم مصاباً بجرح في يده

وأصدقني عن بعث بك فقد صحّ عندي أنك صاحب خبر وأحضر السياط لتهديده فاعترف له بذلك فقال بعض من حضر هذا والله السحر فقال أحمد ما هو بسحر ولكنه قياس صحيح وفراسة راجحة وذلك اني لما رأيت سوء حاله وجهت اليه بطعام يشربه الى أكله الشبعان فما هشّ ولا بشّ ولا مدّ يده اليه فأحضرته وخاطبته فتلقاني بقوة جأش وجواب حاضر فلما رأيت رثانة حاله وقوة جأشه وسرعة جوابه علمت أنه صاحب خبر ومرّ أياس ليلة فمأ فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له كيف عرفه قال بحجة وع صوته وشدة نباح الكلاب الاخرى

قال الجاحظ وحجّ أياس فسمع نباح كلب فقال هذا الكلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد أرسل فأتوها الى الماء فسألوهم فكان كما قال فقيل له من أين علمت؟ قال كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد ثم صار يقرب مرة ويبتعد أخرى فعلمت أنه انطلق ومن النوارد المنقولة عن ذكاء أياس انه رأى اعتلاف بعير فقال هذا بعير أعور فنظروا فكان كما قال فقيل له من أين عرفت؟ قال لأنني وجدت اعتلافه من جهة واحدة قالوا ومن نوارد ذكائه أنه رأى توماً يأكلون ثمراً ويلقون النوى متفرقاً فرأى الذباب يجتمعن في موضع من الثمر ولا يقربن موضعاً آخر فقال أياس ان في هذا الموضع حية فنظروا فوجدوا الامر كما قال فقيل له من أين علمت؟ قال رأيت الذباب لا يقربن هذا الموضع فقلت يجدهن ربح سم وامله حية . ونظر الى ديك ينقر ولا يقرقر فقال هذا الديك هرم لان الشاب اذا وجد حياً نقره وقرقر لتجتمع الدجاج عاينه . ورأى جارية في مسجد وعلى يدها طبق مغطى بمنديل فقال تحمل جراداً فكان كما قال فسئل فقال رأيت الطبق خفيفاً على يديها؟

فقبضوا عليه واستاقوه اليه فأخذ باستدراجه الى الاقرار فأقرّ بحيرته واعترف بشركائه ونالهم القصاص جميعاً وذاعت هذه الحادثة وشاعت ونقلتها الجرائد مئنة على ذكاء سمو الشيخ السردار ارفع وكان سرّ هذا الاكتشاف المدهش هو أن جنابه رأى الجثة مقطعة ارباً تقطيع من يحسن القصابة فرجع بل أكد بأنها جنابة للقصابين فيها يد . ومن هنا وضع خطة استدلاله فنجح باظهار الجريمة نجاحاً كبيراً أظهر فيه نجابته وكسب به رضاه مولانا ومولاه عظمة أبيه الشيخ المعزّ أعزه الله وتناء العالم المتمدين الشيخ السردار ارفع المحترم . وله من حوادث الذكاء كثير مثل هذا في اكتشاف الجرائم التي تحدث في المحررة اليوم وهو حاكها . ولذلك بهابه المجرمون مثلما يرهبون سطوته



واعلم أن الاستدلال بانواعه دليل على شدة النباهة ووفرة الذكاء وهو أصلح ما يكون للرجال المنوط بهم حفظ الامن العام كالبوليس في عرف التمدن الحاضر وذلك لان الحناة كاللصوص والقتلة والمزورين لا يأتون جرائمهم الا في عالم الخفاء ويجهدون ما أمكنهم حتى لا يبقوا أثراً لجرائمهم يستدل به عليهم وكلما كان البوليس أو الحاكم أبرع في الاستدلال كلما توفق الى كشف الجرائم توصلوا لاستتباب الامان في البلد الذي يحافظون على الامن فيه (١)

(١) ومن المعروف في العراق بمجملته نباهة عظمة شيخنا المعز اعزه الله في توفد خاطره بالاستدلال على الحناة وكشف جرائمهم وطالما أبدى من المدهشات في ذلك ما يحير العقول وأنت لا تجهل بأن الجرائم في بلاد بادية كامارة عربستان أعسر بكشف أسرارها منها في البلاد المتحضرة حيث العيون والارصاد كثيرة وحيث وفرة العمران تكثر من ترك الآثار

وإذا أردنا أن نورد القصص والنوادر عن استدالات عظمة مولانا السردار أرفع في كشف الجرائم لاحتجنا الى مجلد ضخيم ونكتفي هنا بالإشارة الى أن كثيراً ما تحدث جرائم في ولاية البصرة ويتعذر على البوليس اظهار الجرمين فتُرسل حكومة البصرة الى عظمته من محدثه بظروف الجريمة ويستجد بسديدرأيه في الاستدلال وتصح آراؤه في ذلك وعلى سبيل الفكاهة ورد حادثة حدثت في الحمرة وكنت في خذعة ولي التعم وقشذ فاني بينما كنت ذات يوم في التصر الخزعي العالي في القبيلة وإذا بأحد الخدام يقصدي بكتاب يقول صاحبه قد بعته اليك ففتحتة فإذا هو من رجل اسمه داود وهو يهودي ويقول انه من أهالي بغداد وبينما كان مسافراً من الحمرة الى البصرة ومعه ثمانون ليرة مجيدية وهو المباع الذي جمعه بحياته بطولها وإذا على بعد ساعة من القصر العامر خرج اليه بعض عبيد مولانا وسلبوه امعه وأنه يريد أن يعرض ظلامته على ولي النعم فنعته الحجاب من ذلك واذا سمع بوجودي في الخدمة رأى أن يوسطني لدى عظمته أما أنا لما استلم التحرير دهشت ولكن قلت ربما يكون الامر صحيحاً وسألت الخادم عن صاحب الكتاب فقال أنه بجوار الديوانية أي دار الضيافة الخزعية وهي بعد خمس عشرة دقيقة عن القصر الامر فأسرعت اليها وإذا بداد شاب في نحو الخامسة والعشرين من عمره وعندما رأيته مقبلاً عليه أسرع اليّ يريد أن يترامى على قدميّ وكان يبكي بكاءً مرّاً بنوع لا يشك الرائي الا أنه منفيج بماله ثم قص عليّ بالتفصيل ما حرره بمحلا بتعجيره وأشرنا اليه فقلت

ويستدل على وقوع الشيء على خلاف ما هو عليه ظاهراً بأمرين أما بمخالفته العادة أو مخالفته الضرورة العقلية فأما الأمر الأول فإن الشيء إذا وقع على خلاف عادته دل على أن له علته وباعثاً مسببين عن أمر آخر كما نقل أن نيسل الأخيلية دخلت يوماً على عبد الملك بن مروان وقد أسنت فقال لها ما رأي توبة منك حتى عشقك؟ قالت ما رأي الناس منك حتى جعلوك خليفة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها ثم التفت إلى نيسل فقال أنشدنا بالليلي بعض ما أنشد فيك توبة قالت نعم هو الذي يقول :

ولماذا لم تعرض ظلامتك على ولي النعم؟ وعظمته في كل يوم يشرف على رعاياه في هذه الدار  
وأشرت إلى الديوانية قال إن الحرس بمنعوني ولأشك أنهم مشتركين في السرقة فقلت  
ربما ولو كنت في ذلك على نهاية الاستعراب لعلمي علم اليقين بأن حرس ولي النعم من  
أشرف الناس خلقاً وأطهرهم ذممة وانتظرت ريثما أشرقت الأنوار الخزعلية في صاعة الديوانية  
فدخلت على الحضرة وقبت أنامل عظمته وعرضت على مسامحة الشريعة ظلامة الرجل  
فتكبر عظمته وقال في الحال أنتوني به وبعد قليل دخل علينا ومثل في الحضرة الرواية  
التي مثلها معي وأخذ يمتص القصص على المسامحة العلية وعظمة مولانا مصغ إلى أن انتهى فقال  
له عظمته هل تعرف الذين خرجوا إلى سرفتك قال أعرفهم ووجهها الوجه وأخذ يشخصهم  
قال ومن أين عرفت أنهم من رجالي أو خدمني؟ قال هكذا قيل لي قال حسناً فقبل أن  
نبدأ بالتحقيق مع من تهم يجب أن نسألك هل في الحمرة من يعرف أنك عندهما خرجت  
منها قاصداً البصرة كان معك نقداً ثمانون ليرة عثمانية؟ قال نعم قال سمّ شهودك لترسل  
ونستدعيهم بالحال فسمي بعض أسماء من قومه قال عظمتهم سنستدعيهم بالحال ولكن إذا لم يشهدوا  
بصحة ما تقول فسيكون جزاؤك شديداً لأنك تهم الإبرياء قال هذا وحدهم نظره  
بالرجل فبقي الرجل مصر على قوله ولكن ظهر الاضطراب على وجهه فأشار عظمته الي  
بأن استتلي معه الحديث وخرج خرجت الرجل وقلت له ان مولانا خرج ليعت باستحضار  
شهودك فإذا حضروا وشهدوا بأن المبلغ الذي تذكره كان معك وفقدته فعلا في مساء  
البارحة فستقبضه في الحال من الخزينة الخزعلية العامرة ولكن إذا كنت كاذباً؟ فوقع على  
يدي يقبلها وهو يقول أرجوك أرجوك أرجوك قلت ماذا؟ قال أن تستخلص لي المبلغ بغير  
شهود قلت هذا لا يمكن قال لاني ظننت بأنني في حيلتي هذه حصل على الغرض الذي أسعى  
اليه قلت وما هو غرضك؟ قال نعمة من عظمة الشيخ على شهرته بالكرم أسافر بها إلى  
مصر قات ويل أمك وهل بمنزل هذا لا يكذب تطمع بقيل نعمة ولي النعم؟ قال ظننت

وكننت اذا ما جئت ليلى تبرعت فقد رايتني منها الغداة سفورها  
 فقل لها ما الذي رابه من سفورك؟ قالت يا امير المؤمنين كان كثيراً ما يلتم بنا فأرسل  
 لي يوماً اني آتيك و فطن الحي فأرصدوا له فلما اتاني سفرت له فعلم ان ذلك لشر فلم يزد  
 على التسليم والرجوع فقال عبد الملك لله درك يا ليلى  
 وحكي أن الهذلي حج مع المنصور وكان قد وعده بجائزة ونسي فرامعاً بيت عاتكة  
 وكان من عادة الهذلي انه لا يكلم الخليفة الا جواباً عما يسأله فلما مر ابي بيت عاتكة قال  
 يا امير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي قال فيه الاحوص :

يا بيت عاتكة الذي أنزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل  
 قال فانكر منه المنصور ذلك لانه خلاف عاداته وتكلم من غير أن يسأل فلما رجع  
 المنصور استدعى بديوان الاحوص ونظر في تلك القصيدة الى آخرها ليعلم ما أراد  
 الهذلي فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل  
 فعلم أنه أشار الى هذا البيت وتذكر ما وعده به من الجائزة فامر بأجهازها  
 وارسالها له في الحال واعتذر اليه من النسيان

وكان الكسائي يماّم الامين ولد الرشيد وكان من عاداته انه اذا غلظ لا يمارضه وانما  
 يضرب بعصاه على الارض فيتنبه الامين ويراجع فكره فيقرأ صواباً فقرأ ذات يوم  
 قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا  
 تفعلون » فضرب الكسائي بعصاه على الارض فسكت الامين وراجع فكره فلم يظهر له

ذلك قلت ولكن بعض الظن أم ثمّ اني خرجت لولا ناوقصت عليه ما سمعت فقال اني  
 عرفت كذبه منذ دخل عليّ بالرغم من اتقانه الحيلة وذلك لعلمي أولاً بنزاهة رجالي  
 وثانياً لانه يستحيل أن يحدث جنابة سرقة في أطراف المحمرة ومع ذلك بالامكان أن  
 يتسطن عليه غير رجالي من العرب قرب البصرة ولكن يهودياً مثله على ما هو معروف  
 عنهم من الحرص لا يسافر يهناين ليرة نقداً من غير أن يعلم حاكم المحمرة فيرسل معه  
 من يوصله الى البصرة آمناً وعلى كل حال فاذا اعترف بكذبه أضح عنه وهكذا اعترف  
 الرجل وبشفاعتي نال الصفح وفوقه هبة من هبات وليّ النعم

وما هذه الحادثة بشيء بجانب الحوادث الكبرى المعروفة عن نباهة وليّ النعم في  
 الاستدلال ولكني أثبتنا هنا لانها جرت بحضوري

غلط ولا نسيان فاستمر في القراءة فلما فرغ ذهب الى أبيه الرشيد وقال هل وعدت الكسائي بشيء ولم تف به؟ قال بعد ان فكر قليلا نعم ومن أخبرك بذلك؟ قال اتفق لي معه كيت وكيت فاستحسن الرشيد من ولده هذا الذكاء وأنجز للكسائي وعده (١) وأما الامر الثاني وهو مخالفة الضرورة العقلية فانه أيضاً دليل عدم مطابقة الظاهر للواقع ومن ذلك ما جاء في كتاب كليله ودمنه عن بعضهم انه قال نزلت مرة على رجل فتمشينا ثم فرس لي وذهب مع زوجته الى فراشهما فناما وكان بيدي وبينهما خص من قصب فسمعت الرجل يقول في آخر الليل لامراته أريد أن أدعوغدا رهطاً لياً كلوا عندنا فاصنعي لهم طعاماً فقالت المرأة كيف تدعو الناس الى طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيئاً ولا تدخره قال الرجل لا تندمي على شيء، أطعمناه وأنفقناه فان الجمع والادخار وخيم العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت وعندنا من الارز والسهم ما يكفي ستة أنفار او سبعة فانا غادية على اصطناع الطعام فادع من أحببت وأخذت المرأة حين أصبحت سمساً فقشرته وبسطته في الشمس ليحجف وقالت لغلام لها أطرد عنه الطير والكلاب وتفردت المرأة لصنعها وتغافل الغلام عن السهم فجاء كلب وعاث فيه فاستقدرته المرأة وكرحت أن تصنع منه طعاماً وذهبت به الى

(١) ومثل هذا ما جرى لنا مع حضرة المرदार أجلّ الشيخ عبد الحميد خان ثاني أبحال عظمة دولانا المعزّ حياؤه الله فان سموه دخل منذ عشرة أعوام الى غرفتي في القصر الخزعلي العامر زائراً وكان لا يتجاوز الثانية عشرة من ربيع عمره الزاهر وجلس الى ما حولي من كتب وأوراق وجعل يقاب فيها فددت يدي الى أحد الكتب وفتحت الوجه الذي فيه الشعر المأثور عن مطلقة معاوية

ولبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ اليّ من لبس الشفوف

فقرأ سموه الايات الى آخرها وتبسم وقال أنها آيات حسنة ثم فضل سموه بالعطف عليّ وانصرف وبعد صلاة العشاء دخل نظامة مولانا المعزّ قاعة السهرة حيث يرأس مجلسه الادبي واستدعى من في الباب من الادباء والشعراء وعند ما تكامل الجمع قال عظمته أقصّ عليكم قصة لا تخلو من فكاهة ونباهة فحدثنا بعضمته لنسمع فقال اليوم أرسل الاطباكي يطالبني بوعديه له بعباءة بعد أن تمزقت عباءته منذ يومين. فقلت عفواً مولاي ملها دسياسة فاني لم أذكر هذا لاحد. قال كلا ليس في الامر دسياسة فان عبد الحميد جاءني وذكرني بوعديه قلت مولاي هذا فضل من النجل النجيب فلعله اذ شرفني

السوق فأخذت مقايضة سمسم غير مقشور أمثلاً بمثل قال الراوي وأنا واقف في السوق فقال رجل لا خير لامرٍ ما باعت هذه المرأة سمسم مقشوراً بسمسم غير مقشور وحكي أيضاً أن بعض المحتسبين اجتاز يوماً برجل ينادي على الخبيص رطلين بحبة فقال ويحك الدبس يباع رطل بحبة والشيرج رطل بقيراط فكيف تبيع أنت الخبيص رطلين بحبة فقال ياسيدنا ما في الخبيص شيء مما ذكرت قال فيبع اذن كيف شئت ومن ذلك أيضاً ما حكى عن رجل أعمى زوجه امرأة فقالت لو رأيت حسني وبياضي لعجبت فقال اسكتي لو كنت كما تقولين ما تركك المبصرون

« الاستدلال بقرآن الاحوال »

ومما يستدل به قرآن الاحوال والافعال قال ابن الجوزي في الاذكياء استودع رجل رجلاً مالا ثم طلبه فوجدته فخاصه الى اياس بن معاوية فقال الطالب اني دفعت المال اليه قال ومن حضرك؟ قال دفعته في مكان لم يحضرنا أحد قال فأني شيء في ذلك

بزيارته وجد عباءتي على غير ما يصلح « لمن مثلي يفخر بأنه مملوك المزم » قال وليس الامر كذلك. قلت لمولاي جمعت فذاك اني بريء من المطالبة . فضحك عظمته وقال كدت تضعيك النكتة بلعاجك فاصبر للحديث وقال : ان عبد الحميد زار اليوم عبد المسيح وأخذ ينظر في كتبه ففتح له في كتاب موضع القصيد التي تقول مطلقة معاوية فيها « ولبس عباءة وقرئ عيني » فظن الولد لهذه النكتة المستملحة ولكنه لم يبد شيئاً مما تظن له الى ان انتهت زيارته فخرج وجاءني رأساً وقال لي هل وعدت شاعرك عبد المسيح بك بعباءة قلت نعم منذ ثلاثة أيام وسها عن باني ان أرسلها له مع الغلام فهل ذكرها لك؟ قال لا ولكن حدث ما هو كيت وكيت فضحكت وأمرت الغلام أن يذهب بالعباءة لعبد المسيح فهل وصلتك يا ولدي؟ قلت نعم وأطال الله بقاءك ثم قال عظمته وان نباهة عبد الحميد في هذه المسألة ذكرتني بنباهة الكسائي وقص على مسامعنا الرواية التي يراها القاريء الكريم في المتن

وجناب الشيخ عبد الحميد خان هو اليوم في نحو الثاني والعشرين تماماً من ربيع عمره وهو بحكم الاهواز باسم عظمة مولانا المرادار أقدس وقد أبدى من الذكاء وحسن السياسة في أحكامه ما جعله موضع أعجاب المعجبين وسموه لا يزال في المنزلة التي يعرفها له الناس ويذكرونها شاكرين حفظه الله مع اخوانه الانجال الانجاب بحمى عظمة مولانا المرادار أقدس وجعلهم جميعاً قرة عينيه وفخرنا لنا وذخراً

الموضع؟ قال شجرة قال فانطلق الى ذلك الموضع وانظر الشجرة ففعل الله تعالى يوضح هناك لك ما يتبين به حقك ولعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت فتذكر اذا رأيت الشجرة وبعد أن مضى الرجل قال أياس للمطلوب أجلس الى أن يرجع خصمك فجلس وأياس يقضي بين الناس وينظر اليه ساعة بعد ساعة ثم قال له يا هذا أرى صاحبك باع موضع الشجرة التي ذكرها؟ قال لا قال يا عدو الله انك الخائن قال أفاني أفالك الله فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال له أياس قد أقر غريمك بحقك فخذ منه

ومثل هذا ما رواه لنا شاعر ناعبد المسيح بك انطاكي عن صديق نصراني له يدعى بندي هلال قال كان صديقي يتعاطى التجارة في حلب في خان الكرك وكان بحسب تجارته كثير المعاملة مع الصيارف اليهود المنتشرين في مدخل الخان المذكور وحدث غير مرة أنهم غلطوا معه بعشر أو خمس ليرات فكان يرجع اليهم من نفسه ويرجمها لهم وفي ذات يوم قبض من أحدهم أربعمئة ليرة قيمة تحويل وعند ما وصل الى محله استعاد عدداً لها فاذا هي تنقص عشر ليرات فرجع الى صاحبه وقال له ان المبلغ الذي قبضته منك وجدته ناقصاً عشر ليرات فانكر الصراف ذلك فرجاه أن يعمل حساب صندوقه فوعده خيراً على أن يعود اليه في المساء فعاد اليه فقال له وجدت حساب صندوقي صحيحاً فأخذتوك له لانه قبض المبلغ ناقصاً فلم يقبل وكان لابن الهلال صديق من اليهود فقص عليه قصته وهذا لم يشك بصحتها لما سبق له اختيار صاحبه فقال له لا تتكدر وتعال الي غدأ لنذهب الى بيت الدين وبيت الدين عند اليهود هو مجلس الحاخامين وهو بمنزلة المحكمة الشرعية عند المسلمين وبالفعل بكر ابن هلال الى صاحبه اليهودي وذهبا الى الحاخام وتصاعليه القصة فسأل الحاخام اليهودي الوسيط بالعبرانية قائلاً وهل أنت متأكد من صدق هذا النصراني؟ قال نعم وشهرته عندنا حسنة جداً قال حسناً فاجلسا وأمر حاجبه باستدعاء ذلك الصراف وانصرف الى النظر في القضايا المعروضة عليه لان اليهود ينظرون أكثر قضاياهم عند الحاخامين وبعد نحو الساعة وصل الصراف فقال الحاخام بالعبرانية وهو يتظاهر بقراءة كتاب في يده «أنكر» فاجابه الصراف «وانا منكر» فقال الحاخام بوجهه الى النصراني وقال له ان الصراف اعترف بالعشر الليرات فاذهب معه في الحال واستلمها. وقال للصراف ان عدت الى مثل هذا فالقصاص عليك كبير

«الاستقراء»

والقسم الثاني من أقسام الاستدلال الاستقراء وهو تتبع جزئيات الشيء وهو نوعان



تام وناقص فالتام هو الاستقراء بالجزئي على الكلّي نحو كل جسم متعجز وهذا دليل يقيني يفيد اليقين والناقص هو الاستقراء بأكثر الجزئيات نحو كل حيوان يحرك فكاه الاسفل عند المضغ وهذا ظني فلا يفيد إلا الظن والاستقراء الناقص عند الفقهاء يسمى الحلق الفرد بالأعم الأغلب والاستقراء بالجزئي على الجزئي يسمونه قياساً مثال ذلك قال الرشيد للهلول أمحب أن تكون خليفة قال لا وذلك اني رأيت موت ثلاثة خلفاء

ولم ير خليفة موت بهلولين . وعنف محمد بن عمرو بن علي بن أبي طالب زيد بن علي ابن الحسين لما خرج وحذره القتل وقال له أهل العراق خذوا آباءك علياً وحسناً وحسيناً عليهم السلام وانك مقتول وانهم خاذلون فلم يثن ذلك - زمه حتى كان من أمره ما كان وحكي أن بعض الارقاء كان عند مالك يأكل الخصاص ويطعمه الخسكار فأنف الرقيق من ذلك وطلب البيع فباعه فاشتراه من يأكل الخسكار ويطعمه النخالة فطلب البيع فباعه واشتراه من لا يأكل الا النزر اليسير وما اكتفى ان أجاعه حتى حلق رأسه وجعله منارة فأقام عند هذا ولم يطلب البيع فقال له النخاس يوماً لماذا أنت راض بهذه الحياة التمسعة؟ فقال أخاف أن يشتريني في هذه المرة من يضع الفتيلة في عيني بدلا من السراج

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف فتزوجها بعده عمر بن الخطاب وقتل عنها فتزوجها الزبير بن العوام وكان رجلاً غيوراً وكانت تخرج الى المسجد كما دتها مع زوجها الاولين فشق عليه ذلك وكان يكره أن يراها فتمعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده عجبتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد فقال لها يوماً ألا تخرجين يا عاتكة؟ فقات كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الان فلا ثم قتل عنها الزبير فتزوجها محمد بن أبي بكر وقتل عنها بمصر فقالت لا أزوج بعده أبداً اني لاحسبني لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم

وحكى الاصمعي عن عيسى بن عمر قال وفد أبو الجهم حذيفة على معاوية فقال له والله ان لك لشرفاً وحقاً وقرابة يا أبا الجهم وانه لزمنا مؤونة عظيمة وهذه مئة ألف نخذاها واعذر قال أبو الجهم فقبضتها على مضض وقلت في نفسي ما عسى أن أقول له وهو رجل ناء عن بلاد قومه وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الحفاة الاغفال فقبلتها على أنه قد قصر في حق فلما توفي معاوية واستخلف يزيد سرت اليه وافدا وأقت آياً، فقال لي يا أبا الجهم اني بحقك وقرابتك وشرفك لعارف وان مع حقك لحقوا وموئناً لا نستطيع دفعها وأنت

أولى من عذر ابن أخيك وهذه خمسون ألفاً فضمها إليك واعذر فقلت في نفسي غلام حدث نشأ مع غير قومه وسكن غير بلده وهو مع هذا فابن كلبية فأبي خير يرجى منه على أنه قصر في حقي وانصرفت فلما استخلف عبد الله بن الزبير قلت في نفسي هذا بقية قریش البطاح فأتيته وافداً وأقت عنده أياماً ثم قال له يا أبا الجهم، هم ما جهلت فلن أجهل شرفك وقرابتك وحقك غير أن علينا مؤناً وعزماً وحملات وأموراً يطول شرحها ولكن مع ذلك فاني غير مخيب سفرك اليها هذه الف درهم خذها واستعن بها على أمورك فقبضتها فرحاً ثم وثبت بين يديه فقلت يا أمير المؤمنين مد الله لقریش في بقائك ولا امتحنها بفقدك فوالله ما زالت بخير ما بقيت لها فقال ابن الزبير جزاك الله عن الرحم خيراً فوالله ما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مئة ألف درهم فقلت نعم يا أمير المؤمنين من أجل ذلك فات هذا الآن لاني خفت أن أنت هلكت لا يلي أمر الناس الا الخنازير وحدثنا شاعرنا انطاكى بك قال روي أن نبيرون ملك رومة المشهور بالظلم كان يتحسس رعاياه ليلاً في ذات ليلة سمع عجوزاً تدعوه بطول العمر فاستغرب له عهداً أن الناس كلهم يتمنون هلاكه لمظالمه فدخل على العجوز وهو متنكر وقال لها يا خالة سمعتك تدعين لنبيرون والناس كلهم يدعون عليه قالت نعم فاني أعرف أباه وجدته وكان أبوه شراً من جده وهو شرٌّ منهما واني لاشفق أن يهلك فيخلفه من هو شرٌّ منه ومن هذا القميل قول الشاعر :

|                        |                            |
|------------------------|----------------------------|
| كنا اذا جئنا لمن قبلكم | أتصف بالترحيب بعد القيام   |
| والآن صرنا حين نأتيكم  | نقع منكم بلطف الكلام       |
| لا غير الله بكم خشية   | من أن نرى من لا يرد السلام |

ومن هذا القميل قول شاعرنا الانطاكى :

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| كنا وكان الناس من قبلنا | نقصد زبداً فنلاقي النعم  |
| فما اذا قام ابنه بعده   | يخيب الاضياف خوفاً العدم |
| انا ندعو أن يعيش المدى  | خوف حفيد منه نلقى النقم  |

« التمثيل »

والقسم الثالث من أقسام الدلالة العقلية التمثيل وهو الاستدلال بجزئي على حكم جزئي آخر يشاركه في علة الحكم وقيل أنه اثبات حكم في جزئي لوجوده في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما

ومن المعنى الاول ما نقل أن أول من أحدث المروحة هو هرون الرشيد وذلك أنه دخل يوماً على أخته عليه بنت المهدي في يوم قيظ فاذا هي قد صبغت ثيابها بزعفران وصنديل ونشرتها على الجبال لتجف فجلس الرشيد قريباً من الثياب المذشورة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها نشراً طيباً فوجد لذلك راحة من الحر واستطاب به فامر أن يصنع له مثل ذلك . واعلم ان اكثر الاختراعات العصرية في هذا العصر كانت في مثل هذه الصديقة ومن هذا القبيل أيضاً ما نقل عن أبي حنيفة قال ابن الجوزي عن ابن المبارك قال رأيت أبا حنيفة مع رهط في طريق مكة وقد شوي لهم فصل سمين فاشتهوا أن يأكلوه ينخل فلم يجدوا وعاءاً يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة فدحفر في ارضه حفرة وصب فيها الخل وأكلوا الشواء به وقالوا له تراك تحسن كل شيء فقال عابكم بشكر الله فإن هذه الهمة فضل من الله عليكم

ومن المعنى الثاني ما ذكره ابن الجوزي عن الزهري قال أخبرنا عمار بن خزيمة الانصاري أن عمه حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله ابتاع فرساً من اعرابي فاستبعه ليدفع له الثمن وجعل يسرع أما الاعرابي فأبطأ في مشيته وطفق رجال يساومون الاعرابي بفرسه وهم لا يشعرون أن النبي ابتاعه حتى زاد بعضهم بالنم فنادى الاعرابي بالنبي قائلاً ان كنت مبتاعاً هذا الفرس فهلم والا بتمه فقال النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام أليس قد ابتعته منك ؟ فقال لا فطفق الناس يلوذون بالنبي والاعرابي وهما يتراجعا وطفق الاعرابي يقول هلم شهيداً يشهداني قد بتمته لك فقال خزيمة أنا أشهد فاقبل النبي عليه وقال بم تشهدولم تكن معنا ؟ قال بتصديقتك يا رسول الله فجعل النبي شهادة خزيمة بشهادة رجلين

وقال أحد ملوك الهند لبعض العلماء لاي شيء تجيزون اللعنة على معاوية وهو خال المؤمنين ومن جملة كتاب الوحي فقال أعز الله السلطان اذا اتفق لك عسكريان يتحاران وكان مقدم أحدهما علي بن أبي طالب ومقدم الآخر معاوية فتكون مع أيهما ؟ فقال في عسكري أمير المؤمنين علي عليه السلام أقاتل من يقاuble فقال اذا أتى معاوية يضرب أمير المؤمنين بسيفه وقال لك أيها السلطان أقتل معاوية أقتله أم لا ؟ فقال نعم يجب علي حينئذ أن أضرب عنقه فقال العالم أعز الله السلطان اذا وجب قتله كيف لا يجوز لانه فضحك السلطان

ومن هذا القبيل ما رواه شاعرنا عبدالمسيح بك انطاكيا قال قرأت في بعض الاسفار

أنَّ عمر بن عبد العزيز أفضل خلفاء بني أمية بالاجماع أراد ابطال لعن أمير المؤمنين عليه السلام من مساجد الشام وهصر ولكنه تيبَّ أن يصدر أمره في ذلك من غير رضاه ذويه فتحدث فتنة في المسلمين تهلك الحرث والنسل فاستدعى يهودياً إليه وأسرَّ إليه بما ستقف عليه بعد وفي يوم الجمعة بعد أن صلى عمر بن عبد العزيز بالناس دخل داره وحوله عيون الدولة وأقطاب الامويين فدخل عليهم ذلك اليهودي مسلماً فقال له عمر ماذا تريد؟ قال جئت أخطب ابنتك يا أمير المؤمنين قال ويل أمك أيها اليهودي الملعون هل تلك يخطب ابنة أمير المؤمنين؟ قال جعلت فداك وهل أنت أفضل من نبيكم قال كلا واستغفر الله قال ألم يزوج ابنته فاطمة الزهراء من علي بن أبي طالب وهو ملعون عندكم فتظاهر عمر بالغضب وطرده اليهودي ثم قال لمن حوله ما رأيكم في هذا؟ أما كفانا عاراً إعلان هذه اللعنة حتى صار اليهود يعيروننا بها ويطمعون بكرأمتنا بسببها أنها والله علينا سبة الابد ولذلك أصدر أمرى من هذه الساعة بابطال لعنة علي عليه السلام ووضع الفصاع الشديد على من يتو لها وهكذا كان والحمد لله ولم يجسر احد من الامويين على مقاومته

وقال المنصور الدانقي يوماً لعمر بن عبيد وقد أتهمه في الخروج مع محمد بن عبد الله بن الحسن: أنت تعلم سوء رأيي في هذا الخروج فألج صدرى بيمين تزج بها ما في نفسي فقال له والله لئن استنجزت ان ا كذب تقية لاستجيزن أن أحلف تقية فاستحى منه المنصور وقال له: والله أنت أعلم مني وأفقه

وقال أحد الحكماء من نقل لك نقد نقل عنك ومن شهدك فقد شهد عليك ومن تجرأ لك فقد تجرأ عليك وقال مسكين الدارمي في ذم الافراط بالغيرة:

|                                 |                                |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ولست امرءاً لأبرح الدهر قاعداً  | الى جنب عرسي لا أفارقها شبراً  |
| ولا مقمها لا تبرح الدهر بيتها   | لاجمله قبل المات لها قبراً     |
| ولا حام الاظنسي ولا قول قائل    | على غيرة حتى أحيط به خـبراً    |
| وهبني امرءاً راعيت مادمت شاهداً | فكيف اذا ما سرت من بينها شـراً |
| اذا هي لم تحصن لما في فئانها    | فليس بمنجيتها بنائى لها قصرأ   |

وكان جحى يبيع زيتوناً فأنت اليه امرأة تشتري منه بالدين فقال لها ذوقيه لتعرفيه أطيباً أم رديئاً قالت أنا صائمة قضاءً عن رمضان الماضي قال جحى فاذهبي عني اذن يا ظالمة أنت تماطلين ربك هذا المظال كله وتريدن أن تشتري مني لتماطيني وقال ابن المعتز وقد سدَّ باب الامل في وجهه:

لا نأسفن من الدنيا على أملٍ  
فليس باقيه إلا مثل ماضيه  
وقال الشيخ البهائي :

باهو انقضى عمري

وقال آخر :

اذاما المرء قصر ثم مرّت  
ولم يلحق بصالحهم فدعه  
وقال شاعرنا الانطaki :

يقولون لي صبراً على مضض النوى  
فقات مضى عامٌ وثانٌ وثالثٌ  
« الاعتبار بالامثال »

ومما يلحق بالتمثيل الاعتبار بالامثال قال أمير المؤمنين عليه السلام « أن الامور اذا تشابهت اعتبر آخرها بأولها » وهو حق وذلك لان المقدمات تدل على النتائج والاسباب تكشف عن المسببات واذا كانت السيئات عبارة عن علة ومعلول أو كان بينهما على الأقل تناسب قليل يستدل بحال أحدهما على حال الآخر واذا كان كذلك واشتبهت أمور على العاقل البعيد النظر ولم يعلم طريقة تأويلها فانه يستدل على نتائجها من مقدماتها ويقف على خرائعها من فوائدها كالرعية ذات السلطان الرئك الضعيف السياسة اذا ابتدأت أمور مملكته تضرب واشتبه على العاقل المفكر الى ماذا سيفضي حال هذه السلطنة في المستقبل فانه يرجع بنتائجها الى مقدماتها ويعلم أنه سيفضي أمر ذلك الملك الى الانحلال والضياع لان بوادر الضعف ظاهرة من أوائل سوء ادارة سلطانه وقال صلى الله عليه وآله « استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور أشباه » وكان يقال « اذا شئت ان تنظر الى الدنيا من بعدك انظرها من بعد غيرك » وقالوا « التاريخ يميد نفسه » وقلنا في مثل هذا المعنى في معرض غزل :

تعالني بالوصل وهي نفورة  
وان رضيت لا آمن الصد والحفا  
فهل بعد ما قد طال عهد النوى بنا  
او مل منها الوصل يوماً على صفا  
وما مر في أهل الغرام يدلنا  
على أن وعد الغايات بلا وفا  
وقال أبو الطيب المتنبي :

ذكي تظنيه طليعة عينه  
يرى قلبه في يومه ما يرى غدا

وقال شاعرنا الانطاكي مادحاً  
رأيتك تمضي الرأي في المقبل الذي  
فان لم تكن بالوحي تعرف ما الذي  
وقال بعض الاذكياء

يا من رأى أبويه في  
هل فيها لك عبرة  
ومن الذي طلب النفل  
كل تصبجه المنية  
من قد رأى كأننا فنانا  
أم خلت أن تلقي انفلاتنا  
ت من منيته ففنانا  
ة أو تبيته بيانا

وقال بعضهم

أؤمل أن وأحيا في كل ساعة  
وما أنا الا منهم غير أن لي  
ومن كتاب له عليه السلام الى الحارث الهمداني « اعتبر ما مضى من الدنيا بما بقي  
منها فان بعضها يشبه البض وأخرها لاحق بأولها ولا تكون ممن لاتنفعه العظة الا اذا

(١) تفضل عظمة مولانا المعز حفظه الله فذكر لهذا العبد المملوك بيتين من سبعة  
أبيات نظمتهما في عظمته على أمر حادثه جرت في العراق وقد تفضل عظمته فقال ان  
حادثه كذا سنتتهي على وجه كذا وما مضى الشهران الا وانهت الحادثه على ما قال  
عظمته وبلغتني نهايتها قبل أن تباع مسامعه الشريفه ندخلت عليه وأنشدت

أبا جاسب يا صاحب الرأي والحجى  
رأيتك تمضي الرأي في المقبل الذي  
فان لم تكن بالوحي تعرف ما الذي  
تبسات عما كان منذ ابتدائه  
وكان الذي أنبات عنه كأنما ال  
ذكاء به قد سست ملكك راشداً  
فلا زلت بالرأي السديد مؤيداً  
وأفضل من في رأيه الناس تأمر  
هو لم يزل في عالم الغيب مستتر  
تجيبه به الايام انك تفكر  
ويشته لم تبق منه ولم تذر  
ذي غاب في مثل الذي بعده حضر  
فلا بدع في عليك يسمي وقد عمر  
عزيزاً ولا زلنا برأيك نعتبر

فتبسم سموه حفظه الله وقال ما الذي قد كان ؟ فذكرت سموه بالحادثه ونبوءة  
عظمته عنها متذ بلغتنا أخبارها فقال ليس في الامر غرابة فان المقدمات تدل على النتائج  
في نظر القوم المفكرين



بالغت في ابلامه « فان العاقل ليتعظن بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب » وقال عليه السلام « السعيد من وعظ بغيره » أي أن ذا الجلد من اعتبر بما لحق غيره من المكروه فيجتنب الوقوع في مثله

ومن الامثال على السنة الحيوانات ماروي أن أسداً شاخ وضعف فلم يقدر على شيء من الوحوش وأراد أن يحتمل لنفسه في المعبشة فمارض والقي نفسه في بوض النيران وكان كلما أتاه زائر من الوحوش انترسه داخل الغار وأكله فأنى الثعالب يومه أو وقف على باب الغار مسلماً عليه وقال كيف حالك يا سيد الوحوش ؟ فقال الاسد مالك لا تدخل بأبا الحصين ؟ فقال له انملمب يا سيد السباع قد كنت عولت على هذا غير اني أرى عندك آثار أقدام كثيرين قد دخلوا ولا أرى آثار أقدام أحد خرج منهم

ومن الامثال أيضاً أن البازي قال للديك ما أعرف أقلّ حياءً منك لان أهلك يربونك من البيضة واذا كبرت لا يدنو منك أحد الا طرت ههنا وههنا وأنا أوخذ من الجبال ويخيطون عيني ويحيونني ويحبسونني في بيت مظلم واذا أطلقوني على الصيد فأصيد وأعود به اليهم فقال الديك تمهل ولا تعذل فانك مارأيت قط بازيأ يشري على النار في سفود ولكني رأيت كثيراً ديكاً تشوى على سفافيد

« علة الحكم »

والقسم الرابع في أقسام الدلالة العقلية الاولية القطعية هو فيما اذا كان وجود علة الحكم في الفرع أقوى من وجودها في الاصل . من ذلك ماروي عن ابلدس أنه دخل على فرعون فقال أنت تدعي الربوبية قال نعم قال فبأي حجة ؟ قال بألف ساحر قال فاجمعهم لي فجمعهم وألقوا سحرهم فقال يا فرعون اجبني هل سحرهم أقوى أم سحري ؟ فقال بل سحرك فقال يا فرعون أنا مع هذا لا يرضاني الله أن أكون عبده فكيف يرضاك مع عجزك أن تكون شريكه ??

وقيل دخل ابلدس على فرعون لعنهما الله فقال له من أنت ؟ قال ابلدس قال ما جاء بك ؟ قال جئت متعجباً من حماك لانك عادت مخلوقاً مثلي ( ويريد به آدم عليه السلام ) وأبيت المسجد لي فطردت ولعنت وأنت تدعي أنك اله ان هذا والله الا الحق والجنون وقال الصفدي قيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد في بعض المساجد فاضطرب وقلق وجعل يقول يا الله ضربة يا الله فسوة حتى أفلق رفاقه فلما كان الصباح أشرف على الهلاك وعان المرث فقال يا الله الجنة فقال له بعض رفاقه ما رأيت أشد حماقة منك منذ الغروب

الى الان تسأله ضرطة ما فرحك بها والان تسأله الجنة??

وحكي أن قطب الدين بن الراوندي مضى الى محلة اليهود وقال هل تعرفوني أنا عالم المسلمين؟ قالوا نعم قال جئت اليكم فان أضفتموني أربعين يوماً صرت الى مذهبكم فقالوا جبذا هذا اعتباراً لديننا وأضافوه وهياؤا له الطعام ما أراد ولما مضت الايام الاربعون قال لهم « وأتمناها بعشر » فأتموها بعشر ثم قالوا له ادخل في مذهبنا فقال هازئاً بهم يانا قصي العقول أنا في مدة خمسين سنة أكل طعام المسلمين والى الان ما تحقق اسلامي وتريدون لاجل طعام خمسين يوماً ادخل في دين اليهود??

وقيل ان البهلول أتى يوماً الى قصر الرشيد فرأى المسند والمتكا حيث يجلس مجلس في مكانه لحظة فرآه الخدم وضربوه وسحبوه عن مكان الخايضة فلما خرج هرون من الحرم رأى البهلول جالساً يبكي فسأل عن السبب فقيل له جالس في مكانك فضربناه وسحبناه فزجرهم ونهاهم وهال الى البهلول متطافاً وقال له لا تبك فقال ياهرون ما بكيت على حالي ولكن أبكي على خالك أنا جلست في مكانك لحظة واحدة فحصل لي هذا الضرب الشديد فكيف وأنت جالس في هذا المكان كل هذا الزمان الطويل ??? وأنشد بعض العارفين في هذا المعنى :

غيرت موضع مرقدتي يوماً فقارفتي السكون  
قل لي فأول ليلتي في حفرتي انسى يكون

وقال بعض العقلاء

يا عامر الدنيا الممد لها ماذا عملت لدارك الاخرى  
ومهد الفرش الوطيئة لا تغفل فراش الرقدة الكبرى

وقال بعض العارفين لرجل من الاغنياء كيف طلبك للدنيا . فقالا بشديد قال فهل أدركت منها ما تريد قال لا قال هذه التي صرفت عمرك في طابها لم تحصل منها على ما تريد فكيف اني تطلبها ؟ وقال بعضهم في هذا المعنى

أراك تطلب دنيا لست تدركها فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

وقال بعض العارفين اذا كان أبونا آدم بعد ما قيل له اسكن الجنة أنت وزوجك طرد منها على ذنب واحد فقط فكيف نرجو نحن دخولها على كثرة ذنوبنا المتتابة القيحة ?? والله در القائل

يا غافلاً ترونو بعيني راقداً ومشاهد الامر غير مشاهد

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي      درك الجنان بها ونور العابد  
 ونسيت أن الله أخرج آدم      منها الى الدنيا بذنب واحد  
 وقال بعضهم لقد قطعت يدك وهي بعض جوارحك في الدنيا لأجل ربع دينار فلا  
 تأمن أن يكون عقابك في الآخرة على هذه الشدة  
 وتحلف ثلاثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة واحدة فجرى لهم  
 ماسمعنا من شديد القصاص فكيف بمن يقضي عمره في التخلف عنه  
 وقيل خالف موسى الحضرم عليهما السلام في طريق الصحبة ثلاث مرات فحل الحضرم  
 عقدة الوصال بينهما قائلاً هذا فراق بيني وبينك أن لا تخاف يا من لم يف لربه قط أن  
 يقول في بعض زلاتك هذا فراق بيني وبينك

﴿ الروضة الرابعة ﴾

﴿ في الامور الحاجية للعقل ﴾

« توطئة »

اعلم أن محل العقل من الانسان هو القلب وقد استدلوا على ذلك بوجوه ليس  
 هنا محل بيانها . فالقالب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر  
 في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر . والانسان وان أغمض  
 جفنيه أو جن عليه الليل حتى لا يعود يرى شيئاً مما حوله فالعالم الحاصل منه في القلب  
 جار مجرى قوة ادراك البصر في العين ورؤيته لاعيان الاشياء . وعلى ذلك فلموازنة  
 بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا أنه لا مناسبة بينهما في  
 الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن  
 كالفارس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس بل لا نسبة بين الضررين  
 وقد ناسب الله عز وجل بين البصيرة الباطنية والبصر الظاهر فقال « ا كذب الفؤاد  
 ما رأى » فسمى ادراك الفؤاد رؤية . وكذلك قوله تعالى « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت  
 السموات والارض » وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه  
 السلام حتى يعرض من الحلق سبحانه في معرض الامتنان . وكذلك سمي ضد ادراك  
 القلب عمى كما قال الله تعالى « فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في  
 الصدور » وقال تعالى « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً »

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الامور الحماجية للبصيرة كثيرة منها ما لا تدخل تحت الاختيار وذلك كالتقضاء والقدر وفي الحديث « اذا نزل التدر عمي البصر » وليس المراد بالبصر البصر الظاهر ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . وفي الحديث أيضاً « تذلل الامور للمقادير حتى يكون الخلف في التدبير » قال بعض المحققين من شراح الحديث ذلها مطاوعتها للقدر بحسب القضاء الالهي وربما كان الهلاك المقضي منها مقدراً فيما يعتقده الانسان تدبيراً صالحاً لوجهه بسر القدر . وقال بعض الباطناء

اذا أراد الله أمراً لا مري  
أصم أذنيه وأعمى قلبه  
حتى اذا أنقذ فيه حكمه  
فلا تقل فيما جرى كيف جرى  
وكان ذا عقل وسمع وبصر  
وسل منه عقله سل الشعر  
رد عليه عقله ليعتبر  
فكل شيء بقضاء وقدر

ومنها ما تدخل تحت الاختيار بمعنى يمكن علاجها وهي أمور كثيرة فمنها ما تكون حماجية للعقل عن ادراك المصالح والمفاسد ومنها ما تكون حماجية له عن النظر في عيوب النفس كما ستري

« البطنة »

فن حواجب العقل البطنة وهي كثرة الاكل فان كثرة الاغذية تضر الجسم الانساني لما تولده فيه من الفضلات الرديئة والاخلاط الفاسدة المنعفة التي تتصاعد أبجرها الى الدماغ فتعجز على الحواس وتحدث البلادة والغفلة . قال عمرو بن العاص يوم حكم الحكمان « أ كثروا لابي موسى من الطعام الطيب نواله باطن قوم الانقذوا عقولهم أو بعضها وما مضى عزم رجل بات بطينا » نقول وحجاب كثرة الاكل للعقل وتغطيته للحواس واظلامه للقلب أمر وجداني يعرفه البدوي والقروي والحضري ولذلك ترى السكتبة والشعراء والعلماء يجتارون الدرس والتأليف على الجوع وعندهم أفضل الاوقات الصباح حيث يكون الجسم مرتاحاً والطعام مهزوماً فيصفو الذهن وتتقد البصيرة وقلنا في ذلك :

باكر لنظم الشعر حيث الذهن في  
والذهن لا يصفوا اذا ما كنت مت  
ان الحصافة والذكاء كلاهما  
واجعل طعامك للحياة ولا الحيا  
صفو ولا أثر بحسبك للتعب  
بخا ونفسك في طعامك تكسب  
في بطنة الثمره لما كل تستلب  
ة الى الطعام كذاك يفعل من نجب

ومما يروي عن حكماء الهند وبراهمهم أنهم يستعينون على كشف الغيب بالصيام فهم لا يأكلون الا ما يسد الرمق ويقوم بأود الجسم لكيلا يتداركهم الفناء والهلاك جوعاً ولهم في ذلك قصص قالوا أنهم عودوا أجسامهم الصيام حتى صار أحدهم يقضي الايام بلياها ولا يذوق طعاماً وبذلك تنكشف عن بصائرهم غشاوة الكثافة الجسمية وتكون أحكامهم على الاشياء قرينة الصواب والسداد. ومن هذا القبيل ما قاله شاعرنا الانطاكي مذيلاً بيتاً قديماً

« محجياً لمن يعمى ويصبح لاهياً ومرامه الماء كالمشروب »  
 يظفي بيطنته أشعة عقله وذكاءه بطعامه محجوب

وبالاجمال نقول ان البطنة تجلب الاسقام وتفقد الاحلام وتخمّر الافهام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله « المعدة بيت الداء والحمية أصل كل دواء »  
 « الانهماك في المعاصي »

ومن حواجب العقل كثرة الذنوب والانهماك بالمعاصي فانها تمنع صفاء القلب وجلاء النفس اذ ان القلب مثل المرآة وكل حركة من قول أو فعل تقع على النفس تحدث في القلب حدثاً من قولها أو فعلها فان كانت عقلية كانت معينة لها على الكمال وان كانت عصبية أو شهوانية كانت عاتقة لها عن ذلك فكل اشتغال بالمرديوي يحدث في وجه النفس نكته سوداء كما تحدث النكته السوداء في وجه المرآة حتى اذا تكاثرت وراكت اذهبت بهاءها وأفسدت جوهرها وذلك هو الران المذكور في قوله تعالى « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وفي الحديث « من ترك حبة اسودت قلبه ومن ترك جمعيتين اسودت ثنا قلبه ومن ترك ثلاث جمع اسودت قلبه كله » ومن هنا قال بعض العلماء

شكوت الى وكيع سوء حفظي  
 فأرشدني الى ترك المعاصي  
 وأخبرني بان العلم نور  
 ونور الله لا يهدى لعاصي  
 وقلنا في هذا المعنى :

ولا تبق الذنوب لقلب رب ال  
 فطوبى للذي قسد فر منها  
 ذنوب تظننا وذاك وفيها  
 وعد ملاذها أثماً ووهما  
 وقال شاعرنا الانطاكي :

قالوا تركت مصالح الدنيا وما  
 قلت اعذروا صباً أضاع حجاب في  
 هو واجب للدين في هذا الهوى  
 حمل وقولوا عاشق صب غوى

واعلم أن القلب خلق سليماً في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإنما تقوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غيرة الذنوب وظلمتها فلمعاصي للإيمان كلما كولات المضرة للإبدان فلا تزال تجتمع في الباطن مغيرة لمزاج الإنسان وهو لا يشعر بها إلا أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي وهذا الحجاب مانع للعقل عن النظر في أمور الآخرة وفي أمور الدنيا أيضاً حيث أن المنهمك بها ينصرف بكليته إليها فلا يعود ليهم بعمل من أعماله الدنيوية فتفسد دنياه وتسوء حاله

« غلبة الطبع والعادة »

ومن حواجب العقل غلبة الطبع والمادة فيرى الإنسان الأشياء بعين طبعه أو عادته لا بعين بصيرته . ومن ذلك ماروي عن يوسف الصديق أنه كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له أنجح ويبيدك خزان الأرض فقال أخاف أن أشبع فلا أذكر الجائع أي أن تعوده الشبع يحجب بصيرته عن النظر إلى الجائع ليضعفه

ومن هذا القبيل ماروي قالوا إن بعضهم ذكروا لابنة أحد الملوك في سنة غلاء أن الناس يتضورون جوعاً فتبسمت وقالت لماذا لا يأكلون قشور البقل؟ وذلك لأنها كانت معتادة إذا قدمت لها البقل وهي صنف من الحلوي أن تأكل ما فيها من اللوز والفسق وتزج القشور فظنت أن كثيرين يفعلون فعلها وإن ما يرمونه من القشور يكفي لاشباع الفقراء الجائعين

وحكي أن رجلاً اغتصب له ضيعة ثم توسل إلى ردها فاعيدت له بعد مدة فكان قبل أن ردت عليه ضيعته إذا قيل له يا فلان كيف الناس؟ فيقول هم بشر بين مظلوم لا ينتهر له وظالم لا ينصف فلما استرد ضيعته صار يقول إن الناس بخير قد اعتمد معهم الانصاف ورنع عنهم الاحجاف ورد عليهم المنصوب وكشفت عنهم الكروب وفي الامثال « ما شكر السوق إلا من ربح »

ومر رجل مع عبد له على رجل يضرب بالسياط فسأل العبد بولاه عن جنابة الرجل فقال انه دين بمئة درهم فقال العبد وما قدر المئتي درهم حتى يتحمل هذا الضرب ولا يعطيها ففعل سيده ان عبده عنده مئة درهم فلم يزل به حتى استخرجه منه ثم بعد ذلك مر الرجل مع عبده على رجل محبوس على درهمين فقال السيد للعبد هذا محبوس على درهمين فقال العبد اذن ماذا يصنع المنفلس؟

وقيل دخل لص بيت رجل فأخذ مائة وخارج فصاح الرجل ما أتحس هذه الليلة

نقال اللص ليس على كل أحد

ومن هذا القبيل قصة قاضي الخمسمائة قالوا كان أحد القضاة يملك خمسمائة درهماً فكلما تقدمت له قضية على اختلاف التنازاي يحكم على أحد الغريمين بدفع خمسمائة درهماً الى الغريمه فمني الخبر للخليفة فبحث فوجد ان القاضي يحكم بمامعه غير ناظر الى حالة الناس فحكم بحمله وعزله وأراح الناس من شره

وقالوا ان ولدأ كان ماراً بالسوق فسمع المنادي ينادي الجمل بفلس فاسرع الى أبيه وقال ألا تشتري جملآ؟ قال انه غال وبعد مدة كان الولد مع أبيه في السوق واذا بالمنادي ينادي الجمل بمئة دينار فقال الاب انه لرخيص نشترى عشره فقال الولد يا أبتاه بالامس كان الجمل بفلس وقلت انه غال واليوم تسترخصه بمئة دينار قال لان امئة دينار

موجودة اليوم أما الفلس فلم يكن موجوداً في الامس ولا جود الا من موجود  
ومن امثال العرب قولهم كيف ظنك بجارك؟ قال كظني بنفسي وذلك ان كل أحد يظن بالناس مثل طريقته وفعله ان خيراً فخير وان شراً فشر. ومن هذا قول المجنون:

وتحسب ليلى اني اذ هجرتها      حذار الا اناذي ان ما بي هو انما  
ولكن ليلى لا تقني بامانة      فتحسب ليلى اني ساخر بها  
وبي من هراها ما لو اني أبه      جماعة أعدائي بكتني عيونها  
وقلنا في هذا المعنى :

لا تقس يا مجيد كل السرايا      في نعم مقاس نفسك وارحم  
ان منهم من في النعاسة يشتمى      وكثير من الخلائق يظلم (١)  
وقال شاعرنا الانطاكي :

وكم من خلي لا مني في الهوى وقد      قضيت الليالي ساهر الجفن باكيا

(١) ارتحل عظمة مولانا المعز هذين البيتين في ذات يوم زاره فيه سمو ولده الشيخ عبد المجيد خان وكنا في خدمة سموه فجاءه من يشكو اليه مظالمه وانه في حاجة الى طعام وكساء فامر له عظمته بكرمه الحاتمي بكسوة ومال وكان سمو الشيخ الصغير حاضر أقوال أبتاه كيف يشكو هذا الرجل الجوع والعري وهل في الدنيا من يشكوها فاجابه عظمته أعزه الله بهذين البيتين وكان هذا منذ عشر سنوات مضت حيث كان سمو الشيخ عبد المجيد في نحو العاشرة من ربيع عمره أما اليوم فسمو قد شب على ما به تقر الاعين وتفرح الانفس من ذكاه وفضل أدا به الله مع أخوانه الانجاب في حمى الشيخ المعز بالسود ودوالعز



ولو عرفوا ما الحبُّ ما شمت منهمُ  
 عدولا مليما في الصباية لاحيا  
 وكل امرئٍ من نفسه بثَّ حكمة  
 على الناس لا تحسبه للحقِّ وإعيا  
 وعاب رجل رجلاً عند بعض الاشراف فقال لقد استدللت على كثرة عيوبك بما  
 تنكث في مجالسك من ذكر عيوب الناس لانَّ طالب العيوب انما يطالبها بقدر ما فيه  
 منها . وقال بعضهم في هذا المعنى :

وأجراً من رأيت بظهر عيبٍ  
 على عيب الرجال ذوي العيوب  
 وقال بعض ملوك الهند « المسيء لا يظن بالناس الا سوءاً لانه يراهم بعين طبعه »  
 ومثل ذلك ، ما قاله المتنبي :

اذاساء فعل المرء ساءت ظنونه  
 وصدق ما يتأده من توهم  
 وعادى محبيه بقول عدائه  
 فأصبح في ليل من الشكِّ مظلم  
 وقال ارسططا ليس « على قدر بصيرة الايمان ترى الاشياء فالسالم العقل يرى الاشياء  
 على حقائقها والنفس الشيمية ترى الاشياء بطبعها » وقال المتنبي

ومن يك ذاقم مرٍّ مريضٍ يرى مرأً به الماء الزلالا  
 فانَّ الاشرار لا يظنون بالناس الا الشرَّ فجمما رأيت انساناً يسيء الظن بالناس طالباً  
 للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وانَّ خافي خبيته يترشح منه وانما رأى غيره من حيث  
 هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمناقب يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق  
 كافة الخلق

واسلم أنه كما يحصل من كثرة الاعتياد على أعمال الشرِّ سوء الظنِّ بالناس كذلك  
 يحصل من الاعتياد على أعمال الخير حسن الظنِّ بالناس فقد رووا عن بعض الصلحاء  
 من العلماء انه سمع بان العسس قبضوا على سارق في ذات ليلة فقال متى ذلك ؟ فقالوا له  
 في نصف الليل فقال ويلُّ له متى يصلي صلاة الليل حتى يتفرغ للمسركة ؟ ونظير ذلك  
 أن قطع طريق سلبوا يوماً رجلاً صالحاً متعبداً وكان في أثوابه سرورال نجس فقال الصالح  
 لمن أخذه انه نجس لانصلي فيه . وسبب حسن ظنِّ هذا الصالح وذاك الما بد هو اعتيادهما  
 عمل الخير فيظنان أن كلَّ الناس كذلك حتى اللصوص

وفي كلام لامير المؤمنين عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص « عجباً لابن النابغة  
 يزعم لأهل الشام ان في دعابة واني امرء تلماعة أمارس وأمارس لقد قال باطلا ونطق  
 أمماً أما وشرُّ القول الكذب أنه ليقول فيكذب ويمد فيخلف ويسأل فيمخل أما والله

اني ليمعني من اللعب ذكر الموت وانه لينه من قول الحق نسيان الآخرة وانه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتبه آتية ويرضخ له على ترك الدين رضية « قال الشارح اعلم أن الرجل ذا الخلق المخصوص لا يرى الفضيلة في الامساك والبخيل يعيب أهل السماح والجود وينسبهم الى التبذير واطاعة الحزم وكذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء وينسبهم الى ضيق النفس وسوء الظن وحب المال والحيان يعتقد أن الفضيلة في الجبن ويعيب الشجاعة ويعتقد كونها حزقاً وتغريراً بالنفس كما قال المتنبى يرى الحياء أن الجبن حزماً والشجاع يعيب الجبان وينسبه الى الضعف ويعتقد أن الجبن ذل ومهانة وهكذا القول في جميع الاخلاق والسجاياء المقسمة بين نوع الانسان. ولما كان عمرو بن العاص شديد الغلظة وعر الجانب خشن الملمس دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص ولو كان سهلاً طلقاً مطبوعاً على البشاشة وساحة الخلق لكان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل لعلي عليه السلام وخلق علي حاصل له لقال في علي لولا شراسته فيه فهو أخبر عن خلقه ظاناً أن الخلافة لا تصلح الا للشديد الشكيمة العظيم الوعورة وهذا كما أشار اليه الامام أبو عبد الله في قوله « ان البموضة توهم ان الله تعالى زبائنين أي قرنين كما لها لانه فيها كمال وعدمه نقص. وقال بعض الفضلاء لما رجعت من حج البيت الحرام سألتني بعض الجهال ما طول قبر ربنا وكيف عرضه؟ وهذا أقصى معرفته بأنه سبحانه مثل غيره يحيى ويموت الى غير ذلك من مراتب الجهل

### « الحرص والاماني »

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الانسان « ان سنج له الرجاء اذله الطمع وان حاج به الطمع قتله الحرص » ومن كلامه أيضاً « الاماني تعمي أعين البصائر » وأنشدنا بعض الادباء بيتاً قديماً مشهوراً وهو :

صاحب الحاجة أعمى لا يرى الا قضاها

وقلنا في تضمين صدر هذا البيت :

اعذروه ان زوه لج في كشف المعنى

طالباً فيه الاماني صاحب الحاجة أعمى

وحكي أن عظماً من أكاسرة الفرس جلس يرم نيروز لدخول الناس عليه وأخذ الناس يقدمون له طرف التحف فحضر المؤبدان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل

مشدود على شيء فوضعه بين يدي كسرى وحله فاذا فيه خيمة كبيرة فقال ما هذا؟ فقال اني كنت قد خرجت الى مكان الزهرة فرأيت بازياً قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجمة قد وقعت فيها النار فألقت نفسها في الاجمة فهلكت فدخل البازي من حرصه خلفها فاحترق وأنا أراه فوقفت مفكراً في حاله وما فعله به حرصه ثم أخذته وقد صار خيمة ورأيت أن هذا من أبلغ المواظن نعلم منه أن الحرص يقود الى الهلاك والبوار وانما ذكرنا هذه الحكاية من باب التمثيل اذ الحرص الموجود في الانسان هو أشد وأعظم من حرص الحيوان فكما يسوق الحيوان ويعمي احساسه كذلك يسوق الانسان ويعمي بصيرته عن المتانف والمهلك التي يتعرض لها

ويعجبني ما قاله شاعرنا الانطاكي في الحرص وقد عتب عليه بعضهم لاحتقاره المال وانفاقه ما تصل اليه يده بغير حساب فقال مرتجلاً : (١)

على مَ تطلب مني أن أكون على شحّ اللثام حريصاً غير بذالِ  
فهل أنا خالدٌ في ذي الحياة لأخِ شئ الفقر أو عاجزٌ عن اجتناء المالِ

(١) وهذان البيتان هما من أصل ستة أبيات قتلها مرتجلاً في حضرة عظمة . ولانا المزمز وأنا في خدمة عظمته الملوكية في البيخت خزعلي سنة ١٩٢١ وذلك أن أحد الدساسين خزايم الله أراد أن يحطّ من قدري في عين عظمة مليكي المحبوب فأخذ بحضوري يذمني في معرض المدح فيذكر ما أنفقته في البصرة على الذين كانوا يتصدونني بصفتي العبد المملوك لعظمة مولاي السرمدار أقدم وكان يظنّ ذلك الموافق أن قوله هذا قد يفضض عظمته عليّ وكان الحال بالعكس اذ أن عظمته حفظه الله سمع قول الرجل كما عادت به رحابة صدر ثم قال متبسماً وهل تظنّ أن عبد المسيح يجيب سائلوا فاه وهو من أصحابي المقربين؟ فوقعت هذه الكلمات العالمة على ذلك الحديث وقع الصاعقة وتشجعت أنا فقلت مرتجلاً :

على مَ تطلب مني أن أكون على شحّ اللثام حريصاً غير بذالِ  
فهل أنا خالدٌ في ذي الحياة لأخِ شئ الفقر أو عاجزٌ عن اجتناء المالِ  
ألم تلم اني عبد خزعل لا أخاف يوماً بأن أمني باقتلالِ  
فلمت أخشى به الاقدار ما عبست ولا تضيع به ما عشتُ آمالي  
منه تعلمت بذل المال أنفقته على عوافيه في حلّ وترحالِ  
فما هو باخلٌ يوماً عليّ ولا أنا أخطب يوماً سؤالي

« شدة الطمع »

ومن حواجب العقل شدة الطمع وأحسن أمثاله ماروي عن لسان الحيوان رويوا أن رجلاً صاد قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفي من أوام ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلني أما الواحدة فاعلمك إياها وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت لا تأسف على ما فاتك فحلى سبيلها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدق ما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لا خرجت من حوصلي درتين زنة كل واحدة عشرون مثقالاً قال فعرض على سنه بأسف وتلفه وقال هات الثالثة قالت انك لقد نسبت التذنين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تأسف على ما فاتك ولا تصدق ما لا يكون أنه يكون وأنا لو زنت دمي ولحمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلي درتان في كل واحدة عشرون مثقالاً؟ ثم طارت وذهبت وهذا أحسن مثال لطمع الانسان حتى الذي قد يعنيه طمعه عن ادراك الحقائق فيصدق ما لا يكون أنه يكون

ونظير هذا ما في كليله ودمنه وذلك أن سارقاً تساق سطح بيت رجل من الاغنياء وكان معه جماعة من أصحابه فاستيقظ صاحب المنزل على صوت وطء أتداه فنبه امرأته الى ذلك وقال لها رويداً اني لاحسب المصوص علوا البيت فايقظيني بصوت يسمعونه وقولي الأتخبرني أيها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة؟ فإذا نهيتك عن هذا السؤال فألحي علي بالاستفسار ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وأنصت الاصوص الى سماع قولها فكان الزوج يقول لزوجته : أيها المرأة قد ساقك التندر الى رزق واسع كبير فكلني واسكتي ولا تسألني عن أمر ان أخبرتك به لم آمن أن يسمعه أحد فيكون في ذلك ما أكره وتكرهين ثم قالت المرأة أخبرني أيها الرجل للعمرى ما بقربنا أحد يسمع ونحن في سواد الليل فقال لها فاني أخبرك أني لم أجمع أهوالي الا من السرقة قالت وكيف كان ذلك؟ وما كنت تصنع؟ قال ذلك لعلم أصبته في السرقة وكان الامر لي بسيراً وأنا آمن أن يهتمني أحد ويرتاب في قالته فاذا كر لي ذلك قال كنت أذهب في الليلة المقمرة أنا وأصحابي حتى أعلو دار أحد الاغنياء الذين مثلنا فأتتهي الى الكرة التي يدخل منها الضوء فارقي بهذه الرقبة وهي شولم شولم سبع مرات واعتنق الضرب فلا يحس بوقوعي أحد فلا أدع مالا ولا متاعاً الا أخذته ثم ارقي بتلك الرقبة سبع مرات واعتنق الصوء

فيجدني فأصعد الى أصحابي فتمضي سالمين آمنين فلما سمع اللصوص ذلك قالوا قد ظفروا الليلة بما نريد من المال ثم أنهم أطالوا المكث حتى ظنوا أن صاحب الدار وزوجته قد هجما فقام قائدهم الى مدخل الضوء وقال شرم شولم سبع مرات ثم اعتنق الضوء لينزل الى أرض المنزل فوقع على أم رأسه منكماً فوثب اليه الرجل هراوته وقال له من أنت؟ قال أنا الذي أعمي بصيرتي الطمع فصدقت ما لا يكون أبداً أنه يكون

ونظر طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك أنهم ذاهبون الى وليمة فتبعهم فاذا هم شعراء يقصدون السلطان بمدائحهم فدخل معهم عليه وبعد أن أنشد كل واحد منهم قصيدته وتناول جائزته قال حاجب السلطان للطفيلي أنشد شرك قال لست بشاعر قال من أنت اذن؟ قال من الغاوين الذين أشار اليهم القرآن « والشعراء يتبعهم الغاؤون » فضحك السلطان وأمر له بمجازة نقول وهذا من الطمع الذي حسنت نتيجته وهو نادر وما ذكرناه هنا الا لاستملاح حسن بداهة ذلك الطفيلي

ونظر رجل من المتطفلة الى قوم من الزنادقة يساق بهم الى القتل فرأى لهم هيئة حسنة وثياباً نفية فظنهم مدعويين الى وليمة فتطفل حتى دخل فيما بينهم فلما وصلوا الى دار الشرطة أخذ صاحب الشرطة باستجوابهم واحداً واحداً حتى وصل الى الطفيلي فقال له أصلحك الله لست والله منهم وإنما أنا طفيلي ظننتهم قادمين على طمام فاحتهم فقال ليس هنا مما ينجيك وأمر بضرب عنقه فقال أصلحك الله ان كنت ولا بد فاعلا فر السيف أن يضرب بطني لا اعتني بسينته فانه هو الذي ورطني هذه الورطة فضحك صاحب الشرطة وتحقق من أمره فاذا هو طفيلي نخلى سبيله

ومن أمثال العرب « أطمع من مقمور » والمقمور هو الخاسر في النمار وأما قيل هذا لان الخاسر في المقامرة يطعم أن يسترد خمارته ليزيدها

ومن الامثال أيضاً « أطمع من أشعب » وأشعب هذا رجل من أهل المدينة اجتمع يوماً عليه غلمان يابثونه وكان مزاحاً ظريفاً مغنياً فاذوه فقال لهم ان في دار بني فلان عرساً فانطلقوا الى هناك فانه أنفع لكم فانطلقوا وتركوه فلما رآهم منطلقين ركضاً قال لعل الذي قتلته حقاً فضى في أثرهم فلم يجد شيئاً وظفر به الغلمان هناك فاذوه . ومن طمعه انه مرّ برجل يمضغ عاكاً فتبعه أكثر من ميل حتى علم أنه عاك . ومرّ بمكتب و غلام يقرأ على الاستاذ « أبي يدعوك » فقال قم بين يدي حفظك الله وحفظ أباك فقال انما كتبت أقرأ وردي فقال أنكرت فلم تفلح ولا يفلح أبوك . وقلنا في الطمع :

وكم طامع قد ضاع ثاقب رأيه  
وقد يتمدى الامر حتى يسوقه  
ببطمه حتى أضرب به النفسا  
الى الهلك أو يلقى به الجور والنحسا (١)

« الجشع في الكسب »

ومن حواجب العقل الجشع في الكسب حالاً كان أو حراماً وهو من ثمرات التفريط  
بالطمع فتعمي بصيرة الجشع عن النظر الى المفاصد التي يرتكبها بجشعه قال أمير المؤمنين  
عليه السلام « أ كثر مصارع العقول تحت بروق المطامع »

ومن حوادث هؤلاء الجشعين أن رجلاً كانت عنده امرأة تفجور وتنفق عليه  
فطلقةها وزوج بمضيقة فطلب منها ما كانت تأتي به الاولى ففعلت فجاء يوماً الى بيته  
فقدت له طعاماً طيباً فقال من أين هذا ؟ قال جاءني زبون وحمل اليّ طعاماً وشراباً  
وحلوا فأكلنا هنيئاً وشربنا مريئاً

وكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وهذا نصيبك من فضلات طعامنا فقال اذا تعاطيت هذا فاياك واخباري بتفاصيل  
ما يجري فاني غيور

وكانت لمرض الاكبرجارية عفيفة الا أنها كانت تفحش في مجونها فقال لها  
مولها اقصري عن هذا الفحش بمحضر من الرجال فقالت أشد من فحشي أخذك  
دراهمهم بسببي وقال الشاعر في مثل هذا الجشع :

عجبت من شيجي ومن زهده وذكره النار وأهواها  
يكره أن يشرب في فضة ويسرق انفضة ان طالها  
وكبيراً مارأينا في المنتسكين بالعبادات واجتناب المكروهات والمحرمات من ينش  
في معاملاتهم فيرتكب أعظم ما يجنب من المحرمات لغشيان الطمع على بصيرته  
وقيل أن يحيى مرّ يوماً بأبي عبد الله التونسي وسلم عليه فقال ما تقول في صلاتي  
بهذه الثياب التي عليّ فأغرب الابد في الضحك وقال مثلك مثل الكلب يتمعك في

(١) نقول وبيننا كنا في المطبعة نراجع اغلاط هاته الصفحة خطرت لنا هذه  
الايات في الموضوع قانا :

وبطمع في رضوان خزعل صحبه  
ويطمع عن جهل بسطوته العدى  
فيبلغهم عقواً بعييد المطامع  
فيمنهم بالمهلكات الفواجم  
ذي جاءه للمكرمات الهوامع

الحيقة ويتلطف بدمها ويأكل النجس فاذا بال رفع رجله تنزهاً عن البول وأنت بطنك مملوء من الحرام وتسال عن ثيابك فبكي ونزل عن دابته وتجرد عن ثيابه واقفئ أثر العابد وأقام معه ثلاثة أيام ثم أمره بالاحتطاب فدكان يحطب ويبيع ويأكل من كسبه ويتصدق مما يفضل عنه وكان الناس اذا أتوا الى العابد لطلب الدعاء يقول سلوا يحيى فانه خرج من الدنيا على قدرته عليها

« غلبة الشهوات »

ومن حواجب العقل غلبة الشهوات النفسانية بحيث يستحسن المغلوب من شهواته ما يوصله اليها ويستتبع ما يصد عنه . ومن الامثال على هذا ما قاله الشاعر السكير ما قال ربك ويل للاولى سكروا بل قال ربك ويل للمصلينا

فانه لرغبته في السكر وعن الصلاة أخذ من الاية على طريق المغالطة النصف الاول وجعله على رغبة شهواته والاية « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » وقيل لطفي أي سورة تعجبك من القرآن قال المائدة قالوا فأى آية منها قال « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » قالوا ثم ماذا قال « آتنا غذائنا » قالوا ثم ماذا قال « ادخلوها بسلام آمنين » قالوا ثم ماذا قال « وما هم منها بمخرجين » وأنت ترى أنه ما اختار من القرآن الشريف كله الا ما يناسب شهواته

ولزم اعرابي سفيان بن عيينه يسمع منه الحديث فلما أراد السفر قاله يا اعرابي ما الذي أعجبك من حديثنا؟ قال ثلاثة أحاديث أولها عن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يحب الحلواء والعسل والثاني أنه قال اذا وضع الفطور وحضرت الصلاة فابدأوا بالفطور والثالث قوله ليس من بني سفيان من سفن . وقال بنان حفظت القرآن كله ثم نسيت الا حرفين وهما « آتنا غذائنا » وقيل لطفي من أشعر الناس؟ قال عبد الله بن المعتز لانه قال :

ولم أر ديباجاً ولم أر سندساً بأحسن في دار الكرام من الخبز  
وقيل كان أعشى همدان وهو محمد بن عبد الله أسره عالج في بلاد الديلم وكان  
للعلاج بنت فأحبه فسارت اليه ليلا ومكثته من نفسها فأصبح وقد واقعها ثماني مرات  
فقال يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال نعم قالت بهذا العمل نصرتم ثم  
قالت أفأريت ان خلصتك تصظفيني لئلا تنك؟ قال نعم فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت  
به طريقاً تعرفها وهربت معه



وقد تبين من هذه المقدمة أنّ القوة الشهوية اذا غلبت صار العقل مسخرأ لها في استحسان ما وافق الهوى واستقباح ما خالفه من قول أو فعل ومن ذلك قول المتنبي:

أما تسجح المقالة في القلم اذا وانقت هوى في الفؤاد

نقول وحيثئذ يستخدمها في استنباط الحيل لتوصل الى شهواته وقلنا في هذا المعنى:

وأبغ ما يؤثر من مقال مقال وفق شهوات النفوس

فلا تحفل بتسجيع القوافي وتزويق السطور على الطروس

وكم عظة تضيع ولو وعها النفوس لما اثنت الف النحوس

والانسان اذا صحّ منه الهوى اهدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى اذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جوف السماء مع بعده منه استنزله واذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه واذا أراد أن يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجها واذا أراد أن يقتنص الوحوش السارحة في البراري والقفار اقتنصها واذا أراد أن يسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات سخرها واذا أراد أن يأخذ الحيات والافاعي ويبحث بها أخذها واستخرج الترياق من أجوافها وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس للركوب والسكلب للصيد والبازي لاقتناس الطيور والشبكة لصيد الاسماك وما اكتفى بهذا حتى صار يأتينا بما يمد من قبيل الخوارق فسخر البخار والكهرباء والهواء وأظهر من القدرة على الطبيعة في هذا العصر الاخير، لو حدثت به محدث لا باننا لحسبوه هدياناً وما عمل الانسان كل هذا الا لغلبة القوة الشهوية والهوى ولذلك قالوا « همم الرجال تزيل الجبال » وقالوا « الارادة تفعل العجائب » وبمعكس ذلك اذا انصرف الهوى عن الشيء فترت الهمة عنه وأظهر الرجل اليأس واستعظم الامر واستوعز الطريق في أمر لو طلبه برغبة لكان سهل المنال مرجواً وجملة القول ان البائس أو المحرك هو الهوى النفساني سواء للشمر أو للخير

ولما غلب على النفوس البشرية حب الدنيا والعاجل من الشهوات توجهت همهم وعقولهم اليها وانصرفت عن الآخرة وذلك هو الخمران المبين مع أن الناقل يجب أن يتأدب بأدب رسول الله صلى الله عليه وآله القائل « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

ومن الامثال اللطيفة ما رووه قالوا ان حدادا كان عنده كلب دأبه التواني والرقاد

ما دام الحداد عاملاً وإذا رفع العمل وجلس مع أصحابه لياً كلوا استيقظ وجعل هز  
ذنبه فقال الحداد يوماً يا كلب السوء ما لي أرى صوت المطارق المزعجة التي تصم  
الاذان لا تنبهك وحس الموضع الخفي تسمعه فيوقظك؟ وكذلك الانسان الذي غلب  
عليه هواه يتقاعس عن الوعظ الا اذا سمع ما يوافق ميوله . وقال أبو العيناء رأيت  
جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسالها السبب فقالت يا سيدي انه  
يواقعني من قيام ويصلي من جلوس ويشتمني بأعراب ويلحن في القراءة فقلت لا  
أكثر الله مثله في المسلمين وخلاصة الامر ان الهوى اذا غلب حجج العقل عن المصالح  
واستسخره في حاجاته

« غلبة الحب النفساني »

ومن حوажب العقل غلبة الحب النفساني فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله  
« حبك الشيء يعمي ويصم » أي يعمي عن الرشد ويصم عن الوعظ . وقيل ان الحب  
عن العذل في صمم . وقال الشاعر :

وعين الرضى عن كل عيب كليله  
ولكن عين السخط تبدي المساويا  
وقال شاعرنا الانطاكي :

انا شر هذا الناس ان كنت ساخطاً  
كذلك ياتى الناس كل بعينه  
فمن قد رضوا عنه فذاك أخو حجي  
ومن غضبوا يوماً عليه فأنما  
وقال بعضهم حبك الشيء سر بينك وبين مساويه وبغضك اياه سر بينك وبين محاسنه  
ولبعضهم في هذا المعنى :

وحبك الشيء يهي عن قبائحها  
ويمنع الاذن ان تصفى الى العذل

وقال حكيم « اذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن الاختبار » ومن كلام لامير  
المؤمنين عليه السلام « ومن عشق شيئاً غشى بصره وأمراض قلبه فهو ينظر بعين غير  
صحيحة ويسمع باذن غير سمعية » ومن هذا الباب حب الوطن فان الانسان من فرط  
حبه لوطنه يراه أفضل من كل وطن سواه . ومن هذا القبيل ما حدثنا به شاعرنا عبد  
المسيح بك انطاكي قال « وجدت في باريس وهي عروس الدنيا قروياً من أهالي تلك كيف  
وهي قرية بجوار الموصل فتعزنت به فاذا هو راجع لوطنه بعد أن أقام مدة بأمير كالمفجع

مبلغاً غير يسير من المال فقلت له أني لاعجب من تركك هذه الديار الزاهرة بعد رانها  
ورجوعك الى قريتك الحقيمة فنظر اليّ شذراً وقال ان ساعة أقضيها في تملكيف على  
هضبة من هضباتها لأحب الى نفسي من كل ما أسمع وأرى. وروى الانطاكي أيضاً قال  
«كنت في المؤتمر الذي عقده السورويون في باريس فوقف خطيب من انصارى لبنان  
يبين عواطف الوطني الساذج فقال ان قريتي في لبنان من أصغر وأحقر القرى اذ لا تباع  
أكثر من خمسة عشر بيتاً وليس لها ذكر في الجغرافيا ولا هي مصورة في خرائطها  
وأي اذا حلت أحلم بها واذا جلست أتصورها فأذوب شوقاً وحنيناً اليها وكلما وقعت  
عيني على خريطة لبنان وضعت بقلمى اشارة الى موضعها مع أني هاجرتها منذ خمسة  
عشر عاماً قضيتها بين أوروبا وأمريكا وأصبت نعمة وخيراً ومع ذلك أحسب نفسي  
مهاجراً ولا بد لي من العودة اليها يوماً » فتأمل

ومن هذا القبيل ما يروي عن العشاق وهيامهم بنساء لو نظر اليهن ناظر لما وجدهن  
أهلاً لذلك التذلل الذي يهلك أصحابه. من ذلك ما روي أن أحد الامراء على عهد ليلى  
ومجنونها شاقه ما سمعه من الغزل فيها فاستدعى ليلى اليه ليراهها وكانت قصيرة سوداء  
بادية القبح فقال مزديراً أنت هي ليلى التي جن قيس في هواها وقال ما قال فيها قالت  
لو كان في وجهك عينا قيس لكنت أنا ليلى فاعجب الامير بجوابها الدال على الحكمة  
واعلم أن الحب كما يعمي ويصم عن مساوىء المحبوب فكذلك البغض يعمي ويصم عن محاسن  
المبغض على أن الحب والبغض لا يكونان حاجبين للعقل الا اذا تجاوزا حد الاعتدال  
« الانانية او من حب الانسان نفسه »

ومن حواجب العقل الانانية وهي محبة الانسان لذاته بحيث يحجب هذا الحب عقله  
عن عيوبها. قيل لحكيم ما بال الناس لا يرون عيوب أنفسهم كما يرون عيوب غيرهم  
فأجاب ان الانسان عاشق لنفسه والناشق لا يرى عيوب المعشوق وقال أحد الشعراء :

أرى كل انسان يرى عيب غيره      ويعمي عن العيب الذي هو فيه  
وما خير من تخفى عليه عيوبه      ويبدو له العيب الذي بأخيه  
وقال غيره في هذا المعنى :

فيصح من الانسان ينسى عيوبه      ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى  
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره      وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

وقلنا في هذا المعنى :

وكم عائب أخوانه بالذي به يرى الناس منه ما يراه بغيره  
ولو قصد المرأة ينظر نفسه كفى الناس من شر المقال وخبره  
وفي الاثر ان أبا العيناء لقي بعض أخوانه في السحر فجعل يتمعجج بن بكوره وقال  
يا عبد الله أركب في مثل هذا الوقت ؟ فقال الرجل أرى أبا العيناء يشاركني في عملي  
وينفرد عني بالتمعجج منه وأنشد أبو ثابت النحوي لبعض الشعراء :

ومطرقة عيناه عزب عيب نفسه ولو بان عيب من أخيه لا بصرا  
ولو كان ذا عقل وينصف نفسه لا مسك عن عيب الصديق وقصرا  
ولبعضهم في هذا الموضوع :

لسلك فتى خرج من العيب ممثلي على كنهه منه رمن أهل دهره  
فمبين عيوب الناس نصب عيونه وعين عيوب النفس من خلف ظهره  
وأنشد الرياشي :

ألا أيها اللامئى في خليقتي هل النفس فما كان منك تلوم  
فكيف ترى في عين صاحبك القذى وتنسى قذى عينيك وهو عظيم  
وقال شاعرنا الانطاكي :

أراني كأسمى العالمين خلائقاً وكل امرئ مثلي بفرط زوره  
ولولا الهوى ما كنت نخدعاً بما يراه الورى مني بيادي سفوره  
ومعرفة الانسان للنفس حكمة تعز عليه في بسيط شعوره

ومن أمثال كاية ودمنه زعموا أن مدينة أغار عليها العدو فقتل وسبي وغنم وانطلق  
الى بلاده فاتفق أنه كان يوماً مع جندي ممن وقع في قسمته رجل حارث ومعه امرأتان  
له وكان هذا الجندي يسيء اليهم في الطعام واللباس فذهب الحارث ذات يوم ومعه امرأتاه  
يحتطبون للجندي وهم عراة فأصاب احدى المرأتين في طريقها خرقة بالية فوضعتها على  
سواتها فقالت الاخرى لزوجها ألا تنظر الى هذه الفاعلة كيف لا تستحي وتستر  
عورتها فقال لها زوجها لو بدأت بالنظر الى نفسك وان جسمك عار كله لما عبرت  
صاحبك بما هو بعينه فيك . وقال بعضهم :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ولحبا الانسان لنفسه وعماءه عن عيوبها نتائج منها الشعور بثقل النصيحة فان النصيحة

من حيث هي تفيظ القلوب منها وتنفر النفوس مها كانت على حق لمخالفتها هوى النفس ولذلك قيل في الامثال « الناصح مكروه » ولا جرم أن تنفر النفوس من النصيحة ليلها الى الفساد وهي تدعو الى الرشاد ولان النفوس مطبوعة على الاذى والشر والنصيحة تدعو الى الخير والبر . قال ابن مسعود « ما نصحت لاحد قط الا وجدته يفتش في عيوبه وليس ذلك الا لثقل النصيحة على سمعه » وفي أمثال العرب « ان كثير النصيحة يهجم على كثير الظنسة » أي اذا بالغت في النصيحة آثمك ان تسمح له ومن كلام بعض الاذكياء « اذا رأيت انساناً قد أخطأ فلا تصلح خلاءه فانه يتعلم منك ويفضض عليك » وقد وصف الله الكاذبين ببعضهم للناصحين اذ قال تعالى « ولكن لا تحبون الناصحين » وقد آل الامر في عهدنا هذا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصح لنا ويعرفنا عيوبنا بل نشتمه بتأبلة الناصح على مقابلته فنقول له وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا الدابة معه عن الانتفاع بنصحه . ومن هذا تلطف العقلاء في ايصال النصائح والمواعظ الى النفوس البشرية بضرب الامثال كالذي في كليله ودمنه والصادح والباغم ونحوهما اذ النصح الصريح ثقيل على النفس كما عرفت والنفس تميل الى اللهم فوضوا لها المواعظ في حكايات ماهية لتنبية البصيرة بها (١)

ومن نتائج محبة النفس والعمي عن عيوبها الظلم وعدم الانصاف كما قال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجرد ذا عفة فـهـلـة لا يظلم

قيل وقفت امرأة قبيحة على عطار ماجن فلما نظر اليها قال « واذا الودوش حشرت » فقالت « وضرب لنا ملاما وامي خلقه » قال ابن الجوزي حدثنا أبو الطيب بن هرمة قال كنت مجتازاً ببغداد ومخنت عشي وكان حسن البدن فرأته امرأة وقالت ليت علي شحم هذا الخنث فقال لها الخنث مع بقاي فشمتمه فقال لها كيف ؟ أتأخذين الجيد وتركين الرديء؟

(١) وهذا هو دأب سمو مولانا الشيخ المعز حفظه الله فانه عند ما يريد تأديبنا ونصحننا بخاطبنا دائماً بالامثال والقصص . وكذلك فعل سموه حفظه الله في هذا الكتاب اذ اعتمد على بيان أغراضه الشريفة لتنفع العالم الانساني على الحكايات والملح والنوادر الشعرية والامثال المنتخبة على ما تربي وفي هذا من الدليل على ثاقب نظر سموه ما لا يحتاج الى بيان

ومن محاضرات الراغب قال صبي لمعلمه رأيت في المنام كأنني مطلي بالعدرة وأنت مطلي بالمسل قال هذا عملك السيء وذلك عملي الصالح. قال الصبي فاسمع تمام الرؤيا وكأنني أحسك وأنت تلعنني فقال له اسكت لعنك الله.

ومن كتاب بهجة السرور قال بمض اللوطية خلوت يوماً بغلام حسن في خرابة فاذا شيخ ذو هيئة قد دخل علينا فقال لي يا هذا أما تستحي من الحيار وكيف لاتغلو الاسعار وتقل الأثمار وتيبس الاشجار وتتضب الامطار وتجف الانهار ولم يزل يوبخني حتي قت رخرجت وركت الغلام ثم جعلت ألتفت خفاي فم أره يخرج فأنكرت ذلك ورجعت الى الخرابة فاذا الغلام تحت الشيخ فقلت الآن ترخص الاسعار وتكثر الأثمار ونهطل الامطار وتورق الاشجار فقال أنا وان كنت عاصياً أحب منك أن تكون صالحاً

ومن نتائج الظلم وعدم الانصاف المماثلة في حقوق الغير ومن أمثال العرب « الاكل سلجان والقضاء ليان » يضرب لمن يأخذ مال الناس فيسهل عليه فاذا طول بقتضاء دينه ماطل وصعب عليه الوفاء. ولبعضهم :

وأخوك لا تقرضه شيئاً  
فالأخذ مثل النكح حلوث  
ان رمت أن تقضي وداده  
والردُّ صببٌ كالولاده  
وقال آخر في عكس ذلك :

اذا استئملت أو أنكرت خلقاً  
فشرده بقرض دربهات  
وسرك بهده طلب البماد  
فان الفرض داعية الفساد  
« العجب النفساني »

ومن نتائج حب الانسان لنفسه العجب بها والمعجب اما بالنفس أو بالرأي وكلاهما يحجبان البصيرة فالما المعجب بنفسه فانه اسوأ حالا من الكاذب الذي هو في نهاية البعد عن الفضل ومن المارئي الذي هو اسوأ حالا من الكاذب لان هذين يريان نقص نفسيهما ويحاولان الاخفاء بالرياء والكذب وأما المعجب بنفسه فقد عمي عن عيوبها فتظهر أمام عينيه كالفضائل

قيل لاحسن عليه السلام من شرُّ الناس قال، من يرى أنه خيرهم وقال أمير المؤمنين عليه السلام « عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله » ومعنى هذه الحكمة هو ان الحاسد لا يزال مجتهداً في اظهار معائب المحسود واخفاء مجاسنه فلما كان اعجاب المرء بنفسه

كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه اظهار عيوب المحسود ونقصه .  
 وكان يقال من رضي عن نفسه كثر السخط عليه وهذا صحيح لان برضائه عنها  
 رضاء عن كل عمل يعمله يهديها فيدخله الغرور ويأخذ باغصاب الناس فيسخطون عليه  
 وحقيقة العجب ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها . ولهذا  
 قال بعضهم لرجل رآه كثير الاعجاب بنفسه يسرني ان أكون عند اناس مثلك عند نفسك  
 وأن أكون عند نفسي مثلك عند الناس اذن لكنت سعيداً حكيماً

والمعجب بنفسه هو المعجب برأيه وعمله وعقله ولذلك يمنع عن الاستفادة من  
 الاستشارة والقُدوة وقبول النصيحة والاسترشاد فيزداد باستبداده هذا حطة بين الناس  
 واحتقاراً . وربما يعجب بالرأى الخطأ ويصر عليه فيخسر به دينه اذا كان متعلقاً بالدين  
 أو دنياه اذا كان متعلقاً بالدنيا أو يخسرهما معاً وقد قلنا في هذا المعنى :

قل للذين استبدوا في مذاهبهم عجباً بانفسهم ما استرشدوا أحداً  
 ضلتمو السعي لا رأياً ولا أدباً ولا خفراً ولا كسباً ولا رشداً

« شدة الغضب »

ومن حواجب العقل شدة الغضب فحيث تظلى نيران الغضب ويقوى اضطرابها في  
 صدر انسان فقل قد عمي عن النظر الى عواقب ما يأتيه من الاعمال ويتفوه به من الاقوال  
 فاذا وعظ لا يسمع بل قد بزاد بالوعظ غضباً واذا سئل أن يستضيء بنور عقله ويرجع  
 رشده تعذر عليه ذلك لان معدن الفكر الدماغ وهذا نجيم عليه دخان مظلم يتصاعد  
 من ثوران صدر الغاضب بنيران الغضب فما السفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب  
 الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس الغاضبة المضاربة اذ في  
 السفينة من احتمال لتسكينها وتديرها والنظر اليها وأما القاب ففي الغضب يفقد حيلته  
 ويعجز عن سياسة نفسه

قال بعضهم لابنه يابني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التناير  
 المسجورة وأفل الناس غضباً أكثرهم عقلاً فان كان للدنيا كان دهاءاً ومكراً وان كان  
 للأخرة كان حلماً وعلماً . وقلنا في مثل هذا :

ان الغضوب اذا في صدره اتقدت نار النعيط قل جنّ الفتى غضباً  
 وكم أضع حقوقاً لا تضعيكم وقد أورت النفس ذلاً عندما اضطربا  
 وأعقل الناس من بالحلم يقبل الهمكروه حتى يرى في دفعه سببياً



لا يبلغ المجد إلا من يقابل أحداً ذلك الزمان بصدر بالورى رحبا  
وقيل « الغضب عدو العقل » وقيل أيضاً « الغضب غول العقل » وقال ابن المقفع  
« إذا حاجبت فلا تغضب » فان الغضب يقطع عنك الحججة ويظهر عليك الخضم واحذر  
الغضب ممن يحمالك عليه فانه يمتد للخواطر مانع من التثبت نقول واحذر حين تظهر  
العصبية لخصمك حين يعترض عليك ويدعم قوله بالحجة فان ذلك يهيج العصبية فتخاف  
كلامك وتضيع بهجة معانيه  
« الحجاج والخلاف »

ومما ينبغي الحاقه بحاجية الغضب حاجية اللجاج والخلاف . قال أمير المؤمنين عليه  
السلام « اللجاج تسلسل الرأي » وهذا مشتق من قوله « لا رأي لمن لا يطاع » وقال  
عليه السلام « الخلاف يهدم الرأي »

وكان يقال « اللجاج يشخذ الزجاج ويثير العجاج » وكان يقال أيضاً « اهدى  
رأي الرجل ما نفذ حكمه فاذا خولف فسد » ومن كلام افلاطون « اللجاج عمر  
انطباع المعقولات في النفس وذلك اما لفرط حدة تكون في الانسان وأما لغاظ طبع  
فلا يتقاد صاحبه للرأي » وقال أمير المؤمنين في وصيته للحسن عليهما السلام « اياك  
وان تجتمع بك مطية اللجاج »

نقول وكل ما مر بك من حجب العقل هو نتيجة الافراط في أحوال النفس فتأمل

### ﴿ الروضة الخامسة ﴾

#### ( في الامور الكاشفة )

« توطئة »

الامور الكاشفة للنفس عن المصالح والمفاسد هي كثيرة ومنها ما تكشف عن مساوىء  
النفس ومفاسدها ومنها ما تكشف عن حسن الافعال وقبحها وسنفصل منها في هذه  
الروضة ما يسعه المقام على أن تقيس على ما سنذكره ما لم نذكر على سبيل القياس  
الصحيح بالعقل الرجيح

« السنة الناس »

فن الامور الكاشفة السنة الناس اذ قد عرفت ان الانسان يعنى عن عيوبه  
ولكنه يتعرض لأن يكون بكل عمل يأتيه بين مادح وقادح فاذا كان ذا بصيرة استفاد

من المدح والقدح معاً كما قال الشاعر :

والعداوات كالمودات في النسا  
س يستفيد الحكيم من عقباها

قال أمير المؤمنين « المرأة التي ينظر الانسان فيها الى أخلاقه هي الناس لانه يرى محاسنه من أصدقائه منهم ومساوئه من أعدائه فيهم » وفي الحديث قال رجل يارسول الله كيف لي أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت واعلم أن لسان العدو أكثر كشفاً من لسان الصديق لان الصديق قد يكون مدهاناً فيخفي عنك عيوبك . صدق رسول الله صلى الله عليه وآله . وقلنا في مثل هذا :

ان رمت تعرف يا كريم بان فقه  
لك صالح حسن وغير ذميم

فأصخ الى ما قيل فيه فاعلم ال  
احسان ما يجني ثناء القوم (١)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام « أعداء الرجل قد يكونون خيراً من اخوانه » وذلك لانهم يهدونه الى عيوبه فيجتنبها ويحاف شماتهم به فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية جهده فالأول هو ما يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساوية ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره بعيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهان يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع الانساني

(١) كنت يوماً في خدمة ولي النعم عظمة الشيخ المعزّ المفخّم اذا بجناب الشيخ عبد الكريم خامس أنجال ولي النعم داخل علينا فوقف بين يدي أيه وقال أبتاه أرى الغلمان بخطئة زني يعض أعمالني وأنا أحسبني مصيباً وقصّ على مسامعه الشريفة بعض الاعمال التي أوجبت التخطة فطفق عظمته بفصاحته يبين لسمو نجاهه ما يسترشد به بأعماله ليكون مصيباً فقال « بني لا تستبدر أيك، وكن دائماً محاذراً اتيان ما لا يليق بأمثالك، واجعل ميزان أعمالك ما فسد منها وما حسن، رأي من حولك فيها، فاذا قالوا انك أخطأت فالقول قولهم، لانهم كثرة وأنت فرد، ولا يمكن أن يكون الرأي الفذأ أكثر اصابة من الآراء المجتمعة، وبهذا وحده تصبح حسن الاعمال، محمود الفعّال، محبوباً من الناس، ما عليك فيما تأتيه من باس » واختتم عظمته هذه الكلمات الدرية بالبيتين المثبتين في المتن

وسمو الشيخ عبد الكريم هو اليوم في نحو العشرين من ربيع عمره وهو كاخوانه الامراء الانحجاب ذكاه وأدباً وفضلاً أدامهم الله جميعاً قرّة لعين المجد والجلال ولا زالوا بالعيش الوارف في حمى عظمة مولانا ومولاهم المزمّ الوارف الظلال

محبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يتأخر عن  
الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على ألسنتهم . وقد قلنا في  
هذا المعنى :

وشاك شكاً أقوال أعدائه به      وما تركوا لوماً عليه ولا ذماً  
أقول أحمداً الأعداء أهمُّ لقد      أضفوا إلى ماساء من خلقك العلاما  
عظ النفس فيما قد روه وخلهم      بهذيانهم واكسب بو عظمهم الغما (١)

وقد أحسن الشاعر بقوله :

عدائي لهم فضلٌ عليّ ومنةٌ      فلا أذهب الرحمن عنى الأعايا  
همُّ بحثوا عن إزلاتي فاجتنبتها      وهم ناسوني فاكتسبت المعاليا

وبالاجمال نقول ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق في ما  
قال وقصد به النصيح والشفقة واما أن يكون صادقاً لكن قصده الايذاء والتعنّت واما  
أن يكون كاذباً فهذه ثلاث حالات فان كان صادقاً وقصده النصيح فلا ينبغي أن تدمه  
وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتقدّ منته فان من أهدي اليك عيوبك فقد  
أرشدك الى المهلك حتى تقيمه فينبغي أن تفرح بارشاده وتشتغل بازالة الصفة المذمومة  
عن نفسك ان قدرت عليها فأما اغنامك لسبب نصحه وكرهيتك له وذمك اياه فانه  
غاية الجهل . وان كان قصده التعنّت كما في الحالة الثانية فان انتفعت بقوله اذ أرشدك  
الى عيبك ان كنت جاهلاً به أو ذكرك عيبك ان كنت غافلاً عنه أو قبّحه في عينك  
لينبعث فيك الحرص على ازالته ان كنت مستحسناً له نكل ذلك من أسباب سعادتك  
وقد استفدته من العداوة . واعلم أن جميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة  
والانسان انما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تغتم الانتصاح مما يقولون واما التعنّت  
الذي هو القصد الاول من عدوك في ذمك فحماية منه على نفسه وهو نعمة منه عليك فلا  
تغضب لقول انتفعت به وعاد الضرر على قائله

(١) والسبب الذي من أجله نظم عظمة مولانا الشيخ المعزّ هذه الايات هو ان أحد  
غلمانه جاءه يشكو بعض الغلمان وقد نالوا منه في حضرة ولي النعم وكما سبق القول أن  
عظّمته يأتي أن يسمع في الخالصين قولاً فاما جاءه ذلك الغلام شاكياً أنشده تلك الايات  
تطبيحاً لخطره وكنت وقشدر في الخدمة فأصلحت بين الغلامين وانصرفنا للدعاء بطول  
عمر عظمة مليكننا المحبوب

وقال شاعرنا الانطاكي بهذا المعنى :

لم أدر لأدري وأنت تدمني  
ان كنت تقصدني بنصح أوهوان  
ان كان نصحاً اني لك شاكر  
أو كان لؤماً ما جرى قيه اللسان  
أنا أستفيد من الذي قد قلته  
ولأنت في حاله مذموم مهان  
أن النصيحة لا تصادف واعياً  
الا اذا جيت بأقوال حسان

وأما الحالة الثالثة وهو أن يفترى عليك عدوك بما أنت براء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بدمه بل تتفكر في أنك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو من أمثاله وأشباهه وماستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلع عدوك على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت منه بريء ليكذب الناس وقد قال في ذلك شاعرنا الانطاكي

أیظن أعدائي بأن الكذب في  
ذمي يحط القدر بي عند الكرام  
خيت ظنونهم فان راموا لي الا  
ذلال فليرووا الصحيح من المدام  
أنا مثل كل الناس لي شيم لقد  
سجدت واخرى حق لي عتما الملام  
سبعان من أعمى عيونهم عن الـ  
سوأى وقد كذبوا لأنهم لثام  
« تنزيل النفس منزلة الغير »

ومن الامور الكاشفة تنزيل النفس منزلة الغير أو أن ينسب الانسان ما فعله أو يريد أن يفعله الى غيره فينكشف له حينئذ الصالح من الفاسد اذ قد عرفت مما قدمناه أن الانسان تخفى عليه عيوبه وتتكشف له عيوب غيره فاذا نسب فعله الى غيره تبين له قبحه من حسنه . قال أمير المؤمنين « كتمانك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك » وقال عليه السلام « السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره » وقد أخذ هذا بعض الشعراء فقال :

ان السعيد له من غيره عظة  
وفي التجارب تحكيم ومعتبر  
وقلنا في هذا المعنى :

وأسمع الناس من تلقاه متعظاً  
بغيره في رزايا ومحتمة  
وأنحس الناس من تعمى نواظره  
فلا يرى عبرة في نفس زلته

وقال الحسن البصري لرجل حضر جنازة « أراه لو رجع الى الدنيا لعمل صالحاً قال نعم » قال فان لم يكن هو فكن أنت المتعظ « وقيل لبعض الحكماء ممن تعلمت العقل

قال من لا عقل له كنت أرى الجاهل يفعل الشيء فيضره فأجتنب مثل فعله نقول وهذا منتهى الحكمة . وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف ؟ فقال كانت الاسفار نحو جني الى أ أفد على الناس فما استحسنته من اخلاقهم اتبعمه وما استقبحتته اجتنبته . وقال طاهر بن الحسين :

إذا أعجبتك خصال امرءٍ فكأنه تكن مثل ما يعجبك  
فليس على الفضل والمكرمات إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

وقلنا في هذا المعنى :

تخلق بأخلاق الكريم تل ثنا ۱۱  
مخلاق واعرض عن خلائق ذي لؤم

وخذ عبرة من كان امرئ شبيهه  
إذا كنت ترجو أن تعيش على غم

والخلاصة يذبغي للعاقل أن يحايط الناس فكل ما رآه مذموماً منهم فليطالب به نفسه ويتفقدته فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن الاتصاف به أو بأعظم منه أو بشيء منه فليتفقد نفسه وبطهرها من كل ما يذمه الغير به وناهيك به - هذا تأديباً فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب . وما يروى عن عيسى عليه السلام انه سئل من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئاً فاجتنبته وأخذ هذا المعنى شاعرنا الانطاكي فقال :

تأدبت من جهل الجهول وخبئه  
وقول الورى فيه عوه أجا جهل  
ورأقت من باهوا بشهواتهم وما  
هم فيه من بؤس المعيشة والذل  
حافظت في نفسي على نعممة التقى  
مخافة أن يسطو الجنون على عقلي

« تنزيل الغير منزلة النفس »

ومن كواشف الامور تنزيل الغير منزلة النفس قال أمير المؤمنين عليه السلام « اجعل لنفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل للناس لا تحب أن يقال لك » وقال عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام « كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم بهم »

ومن لطيف الاخبار التي تنطبق على موضوعنا مارووه عن معلم أنوشروان ملك

فارس قالوا ما ترعرع أنوشروان وقرب موعد تركه معلمه ضربه ضرباً مؤلماً بغير ذنب وحمله ثلجاً الى أن كادت كفه تسقط فلما صار اليه الملك طلب معلمه فلما حضر أحضر له النطع والسياف فقال أتقتلني ظمأً؟ قال ضربتني وحملتني التاج ظمأً يوم كذا قال خذ العذر قال هات قال أما الضرب فاني أردت أنك تعرف طعمه فاذا ضربت فترحم فقال خلصت منها فالتلج؟ قال لانك في بلاده فربما خرجت بالضعفاء الى صيد أو حرب في ثلج فترفق قال وخلصت من الثانية ولكن لماذا انتهزت فرصة ذنب ارتكبه فتقتص مني عليه فتجمع بين العدل والتعليم؟ قال حتى تعرف مرارة الظلم فلا تظلم أحداً فاستحسن أنوشروان ذلك وأجازته وأدى مجلسه منه بعد ان كان ناقماً عليه (١)

ومن كتاب رشد اليب لمواصلة الحبيب ان أيمن بن فاتك الاسدي كان شيخاً كبيراً أعور وأبرص وكان له امرأة من بني كلب ذات حسن وبهاء وكانت أشد حباً لنفسها من بعلمها فسأها يوماً أتجيدني؟ قالت نعم قال بالله عليك أن تقولي الحق قالت لقد سألتني بعظيم وأكره أن أصدقك فتغضب فقال لا أغضب فأصدقيني قالت له لو كنت عجوزاً شمطاء برصاء وعوراء هل كنت تجبني قال لكنت أطلقك في الحال فقالت له أنت أحببت ذلك

وحدثت بعض الشيوخ قال خرجت الى بعض أحياء العرب فرأيت امرأة ذات حسن فائق رشيقة القد أسيلة الحد فوقعت في نفسي فقلت ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك وبورك لكل منكما بصاحبه فقالت أخاطب أنت؟ قلت لها نعم قالت لقد كثرت الشيب في رأسي أتقبل على ذلك؟ قال فلما سمعت قولها ثبتت عنان فرسبي راجعاً عنها فقالت على رسلك لاذكر لك شيئاً فوقفت وقلت ماذا تريدن؟ قالت اني لم أبلغ العشرين بعد ولكني أحببت أن أعلمك اني أكره منك ما تكرهه هي ثم ولت عني وهي تنشد :

أرى شيب الرجال من الغواني بموضع شيبهن من الرجال

(١) ما حكم عظمة مولانا الشيخ المعز على مذنب في يوم بضرب أو سجن الا وجاءنا حفظه الله في مسائه وقص علينا هذه القصة وأشفعها بقوله دقت كثيراً في التثبت من جريمته حتى لا يكون مظلوماً وأوصيت سجاناه به خيراً . وطالما سمعناه يبتهل الى الله سبحانه قائلاً اللهم ألهمني العدل في الناس وجنبي مواقف الظلم في الاقتصاص وهكذا فليكن الملوك العادلون الرحماء والا فلا

وقال رجل لجارية أراد شراءها لا يربنك هذا الشيب الذي ترينه فان عندي قرّة عين فقالت الجارية أيسرك أن عندك عجوزاً؟ وقال بعض العقلاء لأصحابه يعمد أحدكم الى ابنته فيزوجها القبيح الذميمة ولا ينتبه الى أنهنّ يجيبن ما تحبون . أي أنه اذا زوجها الذميمة كرهت صحبتته وعصت الله فينبغي للعاقل أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا بما يحب أن يؤتى به اليه فنفسه مرآة له يستكشف بها ما يحبونه منه وما يكرهون

« مقابلة الشيء بنظيره أو بضده »

ومن الامور الكاشفة مقابلة الشيء بنظيره أو بضده ومن ذلك قالت الحكماء « وبضدها تميز الاشياء » واعلم هداك الله أنك لا تستطيع أن تحكم على أي شيء جيداً كان أو فاسداً الا اذا قارنته بشيء من نظائره أو اضداده فاذا أردت أن تشتري فرساً مثلاً فقد ترى واحدة تعجبك ولكن هذه التي أعجبتك لو قارنتها بنظيرة لها تستطيع أن تحكم على حقيقتها ان كانت صالحة أم لا بالنسبة الى ما قارنتها بها . وكذلك تستطيع أن تعرف مزية الشيء من ضده فاذا أردت أن تعرف مزية الثوب الحريري على الثوب الغزلي عليك أن تقرن بين الثوبين وهكذا

وهذا المطلب يكشف عن العقل بكل سهولة وهو من الموازين التي لا تخطيء فعلى الانسان أن يقارن كل ما يريد ابتياعه أو عمله بنظيره أو بضده يسلم من نقد الناس ويكسب حمدهم

ومن قبيل المقارنة على الانسان أن يقارن نفسه بمن هو نظيره في الحسب والمنزلة والادب فاذا رأى هذا النظير بفضله في اكرام الناس وتبجيلهم يجب عليه أن يبحث عما سبب اكرام مناظره دونه ليطلع على ما يجب أن يجتنبه لئلا تسقط منزلته والعكس بالعكس وقد قلنا في هذا المعنى :

ما كنت أعلم قبل معرفتي بمن  
جهلوا الهوى أن الغرام عناء  
حتى رأيتهم وقد حرموا الهنا  
وبضدها تميز الاشياء

« الحياء بين الاظهار والكتمان »

ومن الامور الكاشفة الحياء بين الاظهار والكتمان فان كل ما يسبب للعرء حياءً من اظهاره للناس لا يخلو من قبيح قال أمير المؤمنين عليه السلام « احذروا كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المساهلين واحذروا كل عمل يعمل في السر ويستحي



منه في العلانية واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه « ومثل هذا قول الشاعر :

لاتنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله عازُّ عليك اذا فعلت عظيم  
وقال شاعرنا الانطاكي :

أنا مرننا بترك الخمر جهراً وتشربها ثلاثاً في ثلاث  
فذلك نك عين ريباً وسفه لعبر الحق ثلاثة الاثافي

وقال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تعمل في السر عملاً تستحي منه في العلانية  
وقلنا في مثل ذلك :

أعزيركن حراً شجاعاً طيباً الاخلاق محمود الفعال مهذباً  
وانعمل من الافعال ما تعز في ه اذا رواه الناس عزاً طيباً  
وتحجب العمل الذي من ذكره يحمرُّ وجهك بالحياء تحجبها  
هذي نصيحة والدٍ خبر الزمان وبات فيه وُدباً ومؤدباً (١)

وسئل محمد بن علي الباقر رضي الله عنه عن المروءة فقال أن لا تعمل في السر عملاً تستحي منه في العلانية . وكان مالك بن مسمع اذا سارته انسان قال له اظهره فلو كان فيه خير لما كان مكتوماً . وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له يا بني اذا أردت أن تعمل عملاً ففكر في حسنه وقبحه قبل أن تعمله فان كرهت أن يعلم به الناس فلا تعمله فانه لا يكره علم الناس بشيء الا ما كان قبيحاً . وفي حديث مرفوع « ما أحببت أن تسمعه أذنك فأنتيه وما كرهت أن تسمعه أذنك فاجتنبه » ومن هذا فعل الطائي الذي نزل به أمرى القيس ابن حجير فهم بان يغدر به فأتى الحليل فقال ألا ان فلاناً غدر بصاحبه وهو نزيهه فأجابه الصدى بمثل ذلك فقال ما أقبح ما تأثم فردد الصدى قوله فقال الا ان فلاناً وفي فأجابه الصدى بمثل ذلك فقال وما أحسن ما وفي فردد الصدى قوله فعاد الى بيته ووفي لامرء القيس ولم يغدر به

(١) ان سمو الشيخ عبد العزيز هو رابع أنجال عظمة مولانا الشيخ المعز وهو اليوم في نحو الحادية والعشرين من ربيع عمره وهو أخ شقيق لسمو المرذارانغ الشيخ جاسب خان ويكاد هذا العزيز النجيب يتقد ذكاه وفتانته ويمتاز بركوب الحيل حتى يقدر المقدرون انه حفظه الله سيكون أول فارس في بلاد العرب ادامه الله مع اخوانه الانجباب بحمي عظمة مولانا المرذارانق اقدس وأقر عيني عظمتهم ووقفنا لخدمته وخدمهم بالإخلاص

فاذا عرفت هذا فالعلم ان من خواص علم الكون ان كل ما كان بيان . قال النبي صلى الله عليه وآله « ما أسرّ المرء سريرة الا ألبسه الله رداءها ان خيراً نخيراً وان شراً فشر » وقال المسيح عليه السلام « كل خفي سوف يظهر » وقال بعض الاعراب:

وإذا أظهرت أمراً محسناً      فليكن أحسن منه ما تسرّ  
فمسرّ الخير موسوم به      ومسرّ الشرّ موسوم به بشر

وقال شاعرنا الانطاكى :

كن صريح القول لا تظهر بما      خالف السرّ الذي تضمّره  
واعمل الخير تبحر خيراً ولا      تطلب الشرّ الذي تحذره  
ان من يعمل هذا صادقاً      حق ما بين الورى مفخره

« الاجماع »

ومن الامور الكاشفة للاجماع والاجماع هو اتفاق آراء العقلاء على امر من أمور الدنيا واجماعهم هذا يكشف عن حسن الشيء اذا كان حسناً أو قبحه ان كان قبيحاً وأما الاجماع الشرعي فانه كاشف عن قول المعصوم عليه السلام واذا عرفت هذا فينبغي للعاقل ان يؤاخذ نفسه باجتنب ما هو قبيح عند جمهور العقلاء .

من هذا ما روي عن بعض الفضلاء أنه قال « دخلت على ابن منارة وبين يديه كتاب قد صنّفه فقلت ما هذا ؟ قال كتاب عملته مدخلاً الى التورية فقلت ان الناس ينكرون هذا فلو أضحت الوقت بغيره لكان عملك أفضل قال ان الناس جهال قلت وأنت تعارضهم ؟ قال نعم قلت فينبغي لمعارضهم ان يكون جاهلاً عندهم قال هو كذلك قلت « قد بقيت أنت جاهلاً باجماع الناس والناس جهال بقولك وحدك » وثل هذا قول الشاعر :

اذا كنت تفتني ان عقلك كاملٌ      وان بني حواء غيرك جاهل

وان مفيض العلم صدرك كله      فمن ذا الذي يدري بانك اقل

وفي أمثال التليان « اذا كنت بين قوم وأجمعوا على أنك سكران فاذهب ونم اذ يستحيل اقتناعهم بصحوك » وهذا لان الرأي الواحد لا يقاوم الآراء المتجمعة ويقال الخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة وان كانت الجماعة لا تخطيء والفرقة لا تصيب . وقال في ذلك أحد الشعراء :

اذا اجتمع الناس في واحد      وخالفهم في الرضا واحد

فقد دلّ اجماعهم دونه على عقله أنه فاسد  
وقلنا في هذا الصدد :

لا تخالف اجماع قومك في ما  
فاجتماع الانام هدي صريح  
وقال العامة في أمثالها « ان كنت بين العور فأعور نفسك » وهذا من الكياسة  
وحسن السياسة وقال بهم :

اذا انعكس الزمان على لبيب  
يماني كل أمر ليس يعني  
ومن أقوال شاعرنا الانطاكي :

من رام كسب ولا الانام وحبهم  
لم ينفرد عنهم برأي لم ينل  
« القدوة الحسنة »  
حتى يكونوا عدة لزمانه  
اجماعهم في فعله ولسانه

ومن الامور الكاشفة للاقتداء بأعمال العقلاء قال الله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » وروى أنه ذكر عند عمر بن الخطاب حلى الكعبة وكثرتها فقال له قوم لو أخذتها فجهزت بها جيوش المسلمين كان أعظم أجراً وما تصنع الكعبة بالحلي ؟ فسأل عمر علياً عليه السلام عن ذلك فقال « ان هذا القرآن أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام والاموال أربعة أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في العرائض وأموال النبي فقسمها على مستحقيها وأموال الخمس فوضهها الله حيث وضعها وأموال الصدقات فجعلها الله حيث جعلها وكانت حلى الكعبة يومئذ فيها فتركها الله على حالها وما كان تركه لها نسياناً ولم يخف عنه مكانها فأقرها حيث أقرها الله ورسوله » فقال عمر لولاك لاتفضحنا يا علي وترك الحلى بحالها

وصعد الوليد المنبر يوم جمعة فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا؟ قالوا البيعة يا أمير المؤمنين فأمر بهدمها فهدمت فباع ذلك ملك الروم فكتب اليه أن هذه البيعة أقرها من كان قبلك فان كانوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطأوا فأمر بأعادة بنائها وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على الاندلس من البربر فانفقوا وعملوا الطلمبات في أوقات اختاروا رصدها وأودعوا تلك الطلمبات تابوتاً من الرخام وتركوه في بيت في مدينة طليطلة ووضعوا على ذلك البيت باباً أحكموا ايصاده وتقدموا الى كل

ملك منهم بعد صاحبه أن ياتي على ذلك الباب قفلاً تأكيداً لحفظ ما في البيت فاستمر أمرهم على ذلك ولما جاء وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر الى الاندلس وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكاً من الملك الذي عمل هاتيك الطلسمات وكان ملكهم الاخير اسمه لزريق السابع والعشرين فلما جلس على عرش الملك قال لوزرائه وأهل الرأي من رجال دولته قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت المقفل بابه بستة وعشرين قفلاً شيء وأريد أن أفتحه لا نظر ما فيه فإنه لم يكن عبثاً فقالوا أيها الملك صدقت ولكن المصاحبة أن تلقي عليه قفلاً كما فعل من تقدمك من الملوك وبما أن أبائك وأجدادك لم يهملوا هذا فالواجب أن لا تهمله أنت فقال ان نفسي تنازعني على فتحه فلا بد من ذلك وكان ذلك الملك مهيناً عنيداً فلم يقدر على معارضته فأمر بفتح البيت فلم ير فيه غير مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليه السلام وكان فوقها ذلك التابوت ومفتاحه معلق عليه ففتحه فوجد فيه رقاً وكان في جوانب التابوت صور فرسان مصورة باصباغ تصويراً محكماً على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جمعد ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم مقلدون بالسيوف والحلابة ومعتلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فإذا فيه « متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل الذين تصوروا في التابوت الى الاندلس وذهب الملك من أيدي اليونان ودرست حكمتهم وهذا هو بيت الحكمة » فلما قرأ لزريق ما في الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولته ولم يلبث غير قليل حتى سمع أن جيشاً وصل من المشرق جهزه أحد ملوكه ليفتح بلاد الاندلس. ولزريق هذا قهره طارق بن زياد المسير على الاندلس من قبل الوليد بن عبد الملك وقتله وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع واحد بل كانوا يسلمون بلداً بلداً ومقلاً ومقلاً

والخلاصة نقول ان الافتداء باعمال العقلاء تؤمن الخطر وتدفع الضرر وتجلب النفع للبشر وفي ذلك قلنا :

|                      |                       |
|----------------------|-----------------------|
| خذ في فعال ذوي النهى | فمن اقتدى لقي المسار  |
| ان اليبب اذا اقتدى   | بذوي النهى أمن المضار |
| وحذار من أعمال أه    | بل الطيش والجهلا حذار |
| أبني تلك نصيحتي      | اسديكها ولاك الحيار   |

« الاستشارة وقبول النصيحة »

ومن الامور السكاشفة الاستشارة وقبول النصيحة قال بعضهم  
وان باب امر عليك التوى فشاور لبيباً ولا اتعصه  
وقلنا في الاستشارة

ارجع لغيرك واكسب من درايتيه  
وارجع لرأبك حكمه بما سمعت  
في كل مسألة معروضة النظر  
أذناك تأمن وقوع الشر والضرر

وقال بعض العلماء « اذا أنكرت من عقلك شيئاً فاقدحه بماقل » وقال بزرجمهر  
« الساقل الحازم اذا أشكل عليه أمر هو بمنزلة من أضع لؤلؤة فجمع ماحول مسقطها  
من التراب ثم التمسها حتى وجدها وكذلك العاقل يجمع وحوه الرأي في ما أشكل عليه  
ثم يضرب بعضها ببعض حتى يستخلص الرأي الاصوب »

وقالوا « اجلس سرّاً الى واحد ومشورتك الى أئب » ومن شرف المشورة  
وعموم نفعها وعلو درجتها وعظم وقعها ان الله سبحانه أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بها  
مع استئناثه عنها فقال عزّ من قائل « وشاورهم في الامر » وقال تعالى يمدح من وصفهم  
في كتابه العزيز بصفات حميدة لا يحوزها الا المؤمنون والذين استجابوا لربهم وأقاموا  
الصلاة « أمرهم شورى بينهم » وكفى في ذلك في فضيلة المشورة دليلاً والى نهج فضلها  
سميلاً . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن كثيرة لاصحابه « أشيروا  
عليّ » وقد شاور صلى الله عليه وآله أصحابه في قصص كثيرة وقضايا متعددة . منها  
لما أراد مصالحة عتبة بن حصين والحارث بن عوف حين قصده الاحزاب يوم الخندق  
أن يعطيهم ثلث أثمار المدينة ويرجما عنه بمن معها من غطفان فقال صلى الله عليه وآله  
حتى أشاور السعود يعني سعد بن معاذ وسعد بن عباد وسعد بن فزارة فشاورهم  
فأشاروا أن لا يعطيهم شيئاً فعمل بمشورتهم . ومنها لما نزل بيدر بأدنى ماء هناك قال له  
الحباب بن المنذر يارسول الله أرأيت هذا المنزل انه لمنزل أنزلك الله تعالى ليس لنا  
متقدم عنه ولا متأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل الرأي والحرب والمكيدة  
فقال الحباب ان هذا ليس بمنزل فأنهض يارسول الله بالناس حتى تأتي أدنى منزل من  
القوم فننزل على مائه ثم نغير ما وراءه . من القلب والابار وتعمل لك حوضاً فتملأه ماء  
ثم تقايل القوم فتشرب ولا يشربون فقال رسول الله لقد أشرت بالرأي ونهضت ومن  
معه وساروا حتى أتوا أدنى ماء من القوم فنزلوا عليه وعملوا كما أشار حباب بن المنذر

وفي قوله تعالى « وشاورهم في الامر » فوائد منها الاقتداء به صلى الله عليه وآله في المشورة . ومنها ان حلوم الناس متفاوتة فلا يبعد ان يحظر بيال انسان من المصالح ما لا يحظر بيال الآخر ولا سيما في امور الدنيا . وعنه صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بديناكم وأنا أعلم باخركم » ذكره الرازي في تفسيره الآية . ومنها انه عليه الصلاة والسلام لما شاورهم في الخروج الى أحد فأشاروا عليه بذلك فحصل ما حصل من فرارهم فلم يشاورهم بذلك لتوهموا ان يقابه من تلك المشورة شيئاً فرفع الله تعالى ذلك التوهم عنه ومنها وهو اهمها وضع أساس الشورى في أحكام المسلمين يوم كانت بلوك الارض بأجمعهم يحكمون الناس بالاستبداد وظلوا كذلك الى نحو مئتي عام من تاريخنا اليوم حيث دخلت الشورى التي وضعها الاسلام أساساً للحكم الذاتي في بلاد أوروبا وبفضلها عمرت ديارهم وأزهر عمرانهم على ما نسمع ونرى . وقتلنا في هذا

شورى القضا أخذت عن القرآن  
لوم يقل باريك شاورهم لما  
ومن العجائب أن تكون لنا ولم  
ويبيت أهل الغرب فيها مذمياً  
وقلنا عندنا اعلن ساكن الجنان السلطان مظفر الدين خان الشورى في دولتنا

العلية الابراية

أمر المظفر أن تذاق بملكه ال  
قتللت في أمره ألباب من  
وغدا بذلك عرش كمرى والرعي  
فاذا أطال الله في أيامه  
واذا قضي فانا أشك بان يطيه  
اذ لا تسود مبادي الشورى سوى  
أو ان تهذب النفوس على الرقي  
وجلت ظلام الجهل أنوار المعاني  
وتفقه المتفقهين بسر ما  
أمن العدالة أن يسود الناس الا  
ولهم شريعة أحمد وبها الهدى

شورى التي يقضي بها الاسلام  
تدلوا ولكن هابه الظلام  
ة حوله تلهو بها الاخضام  
قل ساد في هذي الربوع سلام  
ب بيده للمصلحين مقام  
ان قام فيها عادل قوام  
وترقت الالباب والافهام  
رف والعلوم ولائلاً الاظلام  
جاءت بها في آيها الاحكام  
المسلمين ادارة ونظام  
وعليه بنيان النظام يقام

وقدنا مخاطب الدولة الفارسية ونهتها بالشورى

يا آل كسرى نتم الشورى بفض ل مظفر خاقاننا الملك العظيم

فنهتم فيها فهبوا واستمع دوا مجدكم في شرعة الدين القويم (١)

وقال الحكماء « مادة العقل من العقول كمادة الأنهار من السيول » ومن كلامهم

ينبغي للعاقل أن يجمع الى عقله عقول العقلاء والى رأيه آراء الحكماء فان الرأي الفذ ربما

(١) مما حير عقول السياسيين في اوربا وأدهش المهتمين منهم بأمر الشرق على نوع

خاص ما وجدوه في عظمة مليسكنا المحبوب الشيخ المميز أعزّه الله من ظهوره بأجمل

مظاهر الشورى في ملكه وزادهم حيرة ودهشة ما بذله حفظه الله من المساعي الطيبة الادبية

والمادية لمعاونة الاحرار الايرانيين في اعلان الشورى ثانية بعد أن ارجع عنها الشاه

المخلوع محمد علي خان وأعاد الى البلاد أحكام الاستبداد

فان ساكن الجنان المرحوم السلطان مظفر الدين خان في أخريات أيامه وبعد أن زار

أوروبا غير مرّة صحّ رأيه على اعلان الشورى في بلاده على شكلها الاوربي فتخوّف

العقلاء المفكرون من سوء عقبى اعلانها على هذا الشكل لعدم استعداد الامّة لها لعلمهم

ان الطفرة محال وكان في مقدمة المتخوفين عظمة مولانا السردار أقدس على ما رأيت في

الايات المثبتة في المتن وقد حققت الايام صحة نظريته وكان من رأي عظمته الراجح

أن تتخذ الدولة الايرانية شكلاً للشورى ينطبق على حالة الاهلين فيؤلف السلطان مجلساً

من اكبر عقلاء الامّة يستعين بقراراته على حكم البلاد وفي الوقت نفسه تعمل الدولة على

تعميم التعاليم والامان في وقت واحد حتى تدرج الامّة الفارسية على الحكم الشورى

واذ كان عظمته أعلم الناس بحالة طهران توقع حدوث حركة رجعية هناك بعد وفاة

السلطان مظفر الدين شاه على ما قاله في قصيدته أيضاً وهكذا كان اذ لم يكذب محمد علي

شاه يتربع على دست ملك الاكاسرة حتى بادر فألقى الشورى ورجع الى الاستبداد

القديم وانتشرت انثورة في عرض البلاد طوها وأسرع الاحرار بالقوة لاسترجاع الدستور

وكان في مقدمة هؤلاء الاحرار الايرانيين قبيلة البختيارية وهؤلاء أهل حرب

وجلاد ونشاط الى العمل وهم بجوار أمانة عربستان التي يحكمها عظمة مولانا السردار

أقدس نجاه زعماء البختيارين طالبين مساعدته الفعالية فشجعهم عظمته وحباهم المال الوفير

الذي أعانهم على الوصول الى طهران وما اكتفى عظمته بهذا بل انتظر ريثما وصلوا الى

أسوار طهران فأرسل عظمته تلغرافاً الى الشاه محمد علي يطلب فيه اعلان الدستور ثانية



ذل وأن العقل الفرد ربما ضل

وقال شيب بن شيبه أني لا أعرف أترأ يتلاقى به انسانان الا وحب النجح بينهما قيل له وما ذاك ؟ قال العقل فان العاقل لا يطلب ما لا يمكن ولا يرد عما يمكن ومن أمثال العرب « علمان خير من علم » وأصله أن رجلا وابنه سلكا طريقاً فقال الرجل يا بني استبحت لنا عن الطريق فقال أني عالم به فقال يا بني علمان خير من علم وقيل لرجل من بني عبس ما اكثر صوابكم في مباشرة ما تأتونه ومجانبة ما تعرضون عنه قال نحن ألف رجل وفينا رجل واحد حازم ذو رأي ومعرفة فنحن نشاوره في الجليل والخير ونعمل برأيه فكأننا اذا صدرنا عن رأيه ومشورته في الف حازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا . وقال الشاعر

تمسك بهداب المشورة واستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم  
ولا تجعل الشورى عليك غضاة فريش الخوافي قوة للقوادم

ومن أمثال العرب أول الحزم المشورة وقال بعضهم « المستشير بين خيرين صواب يصيبه أو خطأ يشارك فيه » وهذا من أجود ما قيل في المشورة وقد نظمها شاعرنا الانطاكي فقال :

ما بين خيرين ذو حزم ومشورة قد استشار سواء في الذي عرضا  
فان أصاب فخييراً نال بعفته واخبر مع غيره قد أخطأ الفرضا

وقيل للاحنف بن قيس بأي شيء يكثر صوابك ويقل خطأك فيما تأتبه من الامور وتباشره من الوقائع قال بالمشورة لذي التجارب ومحض زبدة الآراء . وقال لقمان لابنه يا بني اجعل عقل غيرك لك في ما تدعوك الحاجة الى فعله فقال ابنه كيف اجعل عقل غيري لي ؟ قال تشاوره في أمرك . وقال اعرابي ما عثرت قط حتى عثر قومي قالوا وكيف ذلك ؟ قال لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم . وقال بعض النبلاء الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل وأما الرجل فذو الرأي والمشورة وأما النصف الرجل فالذي له رأي ولا يشاور وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا

أو مجرد العرب لنصرة اخوانهم البختياريين فأسقط الشاه بيده عند تسلمه هذا التلغراف وخارت عزيمته عن المقاومة وهكذا دخل البختياريون طهران وأعادوا اعلان الدستور وقد ذكرت هذا الفضل لعظمة مولانا السردار أقدس الجرائد الابرائية والجرائد الانكليزية وأجمعت جميعها على اعلان حمده والثناء عليه وهذا معروف ومشهور

تشاور . وقال بعضهم الرجال ثلاثة رجل ينظر في الامور قبل أن تقع فيصدرها مصادرها ورجل متوكل لا يتأمل فاذا نزلت به نازلة شاور أصحاب الرأي وقبل قولهم . ورجل طائر لا ييم راشداً ولا يطيع مرشداً

واعلم انه قد يكون المستشار أشد رأياً من المستشار ومع ذلك لا يجوز له أن يحمل شوره اعتماداً بأفضليته عليه ألا ترى النار ولا نسبة بينها وبين زيت تزداد به نوراً فلا يقذفن في روعك انك اذا استشرت سواك ظهر للناس ضعف رأيك أو تفوق سواك عليك كلا وتم يجب أن تعلم ان الاستشارة لا تكون للافتخار بل لزيادة الاطلاع والتوسع بالاختيار فقد يكون الاقل منك ادراكاً أفطن في مصلحتك منك نفسك لما هو معلوم من أن محبة الذات تعمي البصيرة كما مر بك ولذلك لا تفتن لما في أمرك من خير أو شر بدافع الحب الذاتي كما يتفطن اليه من تشاوره ولا ناقة له في أمرك ولا حمل (١)

وبعد ألا ترى ابراهيم الخليل عليه السلام أمر بذبح ولده عزيمة لا شررى فيها فخله حسن الادب وعلمه بموقفه في النفوس على الاستشارة فيه فقال يا بني "أني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟

وفي الحكم المرفوعة « المستشار على طرف النجاح والمستبد تلعب به الرياح » وبالجملة فكما يجلو البيان المتشابه كذلك تجلو المشورة العمى والحيرة وقال بعض الحكماء انما خص "علم المشورة لان رأي المشير لا هوى فيه ورأي المستشار مشوب بالهوى أي ان رأي غير ذي الحاجة أسلم وأقرب الى الصواب لخلوص فكر المشير من كل غرض أو شهوة

وسئل بعض العلماء ما بال العاقل ذو اللب لا تصيب مشورته على نفسه وتقصّر عن

(١) ومن مميزات عظمة مولانا الشيخ المعز أنه حفظه الله بكثير من مشاورة سواه مع ما عرف فيه من الذكاء والحزم وسداد الرأي بحيث أن الكثيرين من الملوك والامراء والحكام يرجعون الى رأيه اتقاب ويشاورونه في أمورهم حتى صارت المشورة عادة لسواه في جميع ماتيه مع أن أمره هو الاعلى ورأيه هو الاسدوكل من تقرب من سموه يعرف ذلك منه وما زال عظمته يشاور في أمورهم حتى رأيناه وهو خارج من قصره العامر ينادي بفلمانه ما رأيكم أنا ذاهب لحل كذا وأنت تعلم أن الرأي لعظمته وكننا عبيد ممتثلون واسكن تنازله حفظه الله عجب ورغبته في الاستفادة وهي مصدر الفوائد مدهش فلا عجب اذا جاءت أعمالها كلها قرينة الصواب مقابلة بالاعجاب

أصابة الصواب وادراك المطلوب ومشورة غيره له سالمة مصيبة فقال ان مشورة الانسان  
لنفسه مزوجة بالهوى ومشورة غيره له سالمة من ذلك ولا اصابة مع الهوى . وفي  
هذا المعنى قال بعضهم :

اذا عزّ أمرٌ فاستشر فيه صاحباً      وان كنت ذارأي رجيح على الصحب  
فاني رأيت العين تجهل نفسها      وتدرک ما قد حلّ في موضع الشهب  
وقال الارجاني :

شاور سواك اذا نابتك نائبةً      يوماً وان كنت من أهل المشورات  
فالعين تنظر دوماً ما نأى ودنا      ولا ترى نفسها الا بمرآة  
وقلما رغب أحد في المشورة وعمل بها الاغتم      وقلما زهد فيها أحد واعرض عنها  
الاغرم وندم

حكى المؤرخون أن محمد الامين لما قصده عبد الله بن طاهر بعساكر المأمون  
وحصر في بغداد واشتد عليه الامروضات في وجهه مذاهب النجاة قال من استشار ذا  
رأي ومعرفة وخالفه وقع في مايكره وندم على التفريط فاني لما شعرت بتغير أخي علي  
أحضرت الشيخ أبا الحسن القطيفي وكان ذا رأي ومعرفة بموارد الحوادث ومصادرها  
فخادته في أخي المأمون وما الذي يجب أن اعتمده حتى يتبع في يدي وأطلعته على  
حقيقة الحال واستشرته في كيفية العمل في ذلك فقال لي ان استعجلت لم ننتفع من  
رأي ولا قول وان نمت وقبلت مشورتي وعملت بما أقوله تمكنت من أخيك وبلغت  
ما تأمله وذلك أن تدعو حجاج خراسان اذا قاموا ببغداد وتجلس لهم مجلساً عاماً  
وتقول لهم ان أخي كتب اليّ بمدحكم ويظهر حسن طاعتكم وجميل انقيادكم وحميد  
مذاهبكم وتجزهم خيراً ثم تقول لهم قد أطلقت عنكم الخراج سنة وانت تعلم يا أمير  
المؤمنين أن أخاك في خراسان وهي بلاد رجال بلا مال وليس له في ردّ قولك حيلة  
وسيناله في ذلك خلل عظيم ثم ينتقض عليه أكثر أمره . ثم انك تفعل في السنة المقبلة  
مثل ذلك وتسقط عنهم خراج سنتين فان لم يؤت في السنة الثالثة بأخيك بوثاق فاضرب  
عنقي ان كنت حياً قال الامين بخالفته وما قبلت مشورته وعجلت الى خلع المأمون  
وعقدت الأمر لابني حتى وقع ما وقع ومن خالف المشير ندم على التقصير

وقال أمير المؤمنين عليه السلام « من استهدر برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركهم

في عقولهم »

واعلم أن من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بمحاجته صار هدفاً لسهام الاعمين ومضنة في افواه العاذلين والمثل لمالك بن عمرو بن عوف وذلك ان اخاه ليث بن عمرو تزوج امرأة تدعى جمامة بنت فلان نتجمل المنجعة بها فنهاه مالك وقال اني أخاف عليك من بعض أجلاف العرب فأبى الاصفاء وسار بأهله وماله فلم يلبث الا يسيراً حتى رجع وقد سلب أهله وماله

وقد قيل ما أعرض أحد عن قبول قول المشير الا واستغشى اليأس والندم على التقصير ومن بعض كتب الهند من أعمل وأعرض عن الاخوان عند المشاورة وعن الاطباء عند المرض وعن الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأي وازداد في ما وقع فيه ثوراً وحمل الزور على منكبيه

واعلم أن من استشار ذوي الرأي والمعرفة في فعل ما عناه فقبل المشورة منهم واقتدى بآرائهم فيها ولم يعدل عنها وعن قويم ههجا قل أن يخفق مسعاه ويفوت مطلبه فان أعجزه القدر فهو معذور غير ملوم

وحكي عن الخليفة المنصور أنه كان قد صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان والياً على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته الى أمر دبّره وكتبه عن جميع حاشيته وسرّه واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى اليه وأجراه على عادة اكرامه ثم أخرج من كان في حضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم اني مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعداً لي على حمل ثقله فهل أنت في موضع ظني بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطاتته واعتمد على ما بعضه يبيع دمه وفي قتله صلاح ملكنا نخذه اليك واقتله سرّاً قال ذلك ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمراً أن ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله أزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله ليقبلوه به قصاصاً فيستريح من الاتنين قال عيسى فلما أخذت عمي وأكرهت على قتله رأيت من الرأي أن أشاور في قضيته من له رأي عسى أن اصيب الصواب في ذلك فاحضرت يونس ابن قرة الكاتب وكان لي حسن ظن في

رأيه وعقيدة صالحة في معرفته. فقلت له ان أمير المؤمنين دفع لي عمه عبد الله وأمرني بقتله واخفاء أمره فما رأيك فيه وما تشير به؟ فقال لي يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين. فاني أرى لك أن تدخله في مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل واحد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالقة وأبوياً. ثم أظهر لأمير المؤمنين أنك قتله وأنفذت أمره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنني به اذا تحقق منك انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤوس الاشهاد فان اعترفت أنك قتله بأمره أنككر أمره لك وأخذك بقتله وقتلك. قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لأمير المؤمنين اني أنفذت أمره. ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد اشتقر في نفسه اني قتلت عمه عبد الله دس الى عمومه اخوة عبد الله وحثهم على أن يسألوه في عبد الله ففعلوا كما أشار في مجلس حافل. فقال ان حقوقكم تقتضي اسعافكم في حاجتكم. فكيف وفيها صلة الرحم والاحسان الى من هو في مقام الوالد؟ ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي. فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين. فقال المنصور قد سألتني فيه عمومتك وقد رأيت الصفع عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤلهم فيه فأتنا به الساعة. قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة الى ذلك؟ قال كذبت لم أمرك بذلك ولو أردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد ذلك. ثم أظهر الفيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيك مدعياً اني أمرته بقتله وقد كذب علي. قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به. قال عيسى فأخذوني الى الرحبة واجتمع الناس علي فقام واحد من عمومي اليّ وسلّ سيقه ليضربني به. فقلت يا عم أفاعل أنت؟ قال أي والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخي. فقلت لهم لا تعجلوا أوردوني لأمير المؤمنين فردوني اليه. فقلت له يا أمير المؤمنين انما أردت قتلي بقتل عمك عبد الله والله قد عصمني من دمه وهذا عمك باق حياً سوياً فان أمرتني بدفعه اليهم دفعته الساعة. فاطرق المنصور وعلم أن ريح فكره صادفت اعصاراً وان انفراده بتدييره أورثه خساراً ثم رفع رأسه وقال اتنا به. فضى عيسى وأحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأياً. قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها.

ثم ان المنصور أسكن عبد الله في بيت قد بني أساسه على الملح. ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فأت عبد الله ودفن بمقابر باب الشام ومن مستحسنات ما يطرب عن بعض ساكني يثرب ما رووه عن الاسمي انه قال ركني دين أنقل كاهلي وطالبي به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه فضاقت علي الارض بما رجبت ولم أهدى الى ما اصنع. فشاورت من أثق به من ذوي المودة والرأي فأشار علي بقصر المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له يمنعني بعد الشقة وتيه المهلب. ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادني على ما ذكره لي الصديق الاول. فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق. فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصليح الله الامير اني قطعت اليك الدهماء وضربت بأكباد الابل من يثرب فقد أشار علي ذوو الحجى والرأي بقصدك لفضاء حاجتي. فقال هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة أو عشيرة؟ فقلت لا ولكن رأيتك لحاجتي اهلا فان قمت بها فأنت اهل لذلك وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم اياس من عندك. فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما في خزانة ما لنا الساعة. فأخذني معه فوجدني خزانته ثمانين الف درهم فدفعها الي. فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحاً وسروراً وأعادني اليه مسرعاً فقال هل وصلك ما يقوم بدفع حاجتك؟ فقلت نعم ايها الامير وزيادة. فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقيق ظن من أشار عليك بقصدنا. قال الاسمي فلما سمعت كلامه وأحرزت صلته أنشدته

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| يا من على الجود صاغ الله راحته | فليس يحسن غير البذل والجود   |
| عمت عطايك أهل الارض قاطبة      | فأنت والجود مخلوقان من عود   |
| من استشار فباب النجح منفتح     | لديه في مبتغاه غير مسدود (١) |

(١) كذلك يفعل عظمة شيخنا المعز في العراق فان كل من تعذر عليه الرزق أو احتاج الى المعونة أشاروا عليه بالسعي الى رحبات سمو الشيخ خزعل خان حيث الجود موفور والصدر رحب والتغر باسم باش والحوائج مقضية. ولم يقتصر جود عظمتة أعزاه الله على أهل العراق بل تعداهم الى أهل الشام ومصر بل وأهل أوروبا أيضاً. وطالما قصده اصحاب الحاجة من الفرنجة الذين يقصدون العراق لتاجر فتكسداً أو صناعة فلا يتوفون فيهم فيقدمهم الافلاس عن الرجوع الى أوطانهم فيشير عليهم المشيرون بقصد رحاب الشيخ المعز فينزلهم عظمتة

## ( شروط المستشار )

ويشترط في المستشار شروط أربعة وهي النصح والشفقة والعقل والتجربة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه « أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحمرة وتعقب الندامة . نقول وهذه القيود الأربعة يجب أن تكون من صفات المشير حتى تكون اشارته معتبرة في حسن الرأي وواجب قبولها . وقد نظم بعض الادباء في بعضها هذين البيتين :

خصائص من تشاوره ثلاثٌ      فخذ منها جميعاً بالوثيقة  
ودادٌ خالصٌ ووفور عقلٍ      ومعرفةٌ بحالك في الحقيقة

ولعل الناظم جمع النصح والاشفاق في الوداد فتأمل . ولقد خطر لنا ان ننظم في هذه الشروط فقلنا هذين البيتين :

إذا شاورت شاور رب نصح      واشفاقٍ وتجربةٍ وعلم  
لتظفر منه بالفرض الذي قد      سمعت له بلا ضررٍ وغرم

ولنعد الآن الى بيان هذه الشروط الأربعة بالتفصيل فتقول :

أما النصح فواجب على المستشار لان الناصح يصدق الفكر ويمحض الرأي . ومن كان غير ناصح فقد يكون رأيه فظيراً فيوقع بالمضرة من حيث يتوخى المنفعة أما الاشفاق فواجب على المستشار لأن الشفقة تدعو الى النصح فتحمل الناصح على حسن التروي في الامر وابداء الرأي بعد التثبت والاجتهاد . والباعث على هذين اما الدين وطهارة الوجدان أو محبة المستشار . وفي امثال العرب اسمع ممن لا يمجد منك يداً يعني اطاب نصيحة من يطلب نفعك كالابوين ومن لا يستجلب بنصحك نفعاً الى نفسه بل الى نفسه . وقال أحد الشعراء في مثل ذلك

إذا ما عرا خطبٌ ورمت ردهً      فشاور فمكبح هدته مشاوره  
وانفع من شاورت من كان ناصحاً      شفيقاً فأبصر بعده من تشاوره

أما العلم فواجب على المستشار حتى يكون ملماً بوجه المصلحة في الامر الذي تستشير فيه . ولذلك يجب الرجوع في كل أمر على الملم بخوافيه لأخذ رأيه فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله « استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصروه فتندموا » وقال على الرحب والسعة ويعيدهم لاوطانهم مكرمين . لا جرم ان الله جعل الناس عيالاً على عظمته ووفيقه الى اعالة جميع اللانذنين بجهالة فالحمد لله على ذلك وأنت حمد لله



عبد الله بن الحسين لابنه محمد « احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحاً كما تحذر  
عداوة العدو العاقل فانه كما يوشك أن يقع بك مكر العاقل كذلك يوشك أن يورطك  
شور الجاهل » وقتنا في هذا :

وكم ناصح يرجو لك الخير ناصحاً  
ولكن مجهل قد أضرك نصحه  
على نية وضاحة وصفا قلب  
وما كان يرضى أن يسيء بما ينبغي  
فلا تستثمر إلا أبا العلم بالذي  
تشاوره فيه فتتجومن الكرب

أما التجربة فواجبة على المستشار لان العلم النظري لا يكفي ليكون رأي صاحبه  
سديداً وشوره صحيحاً اذ أن كل علم لا تنضم اليه التجربة فهو ناقص . وشتان بين  
العلم النظري والعلم العملي . وقيل في منثور الحكم « كل شيء محتاج الى العقل والعقل  
محتاج الى التجارب » وقال أحد الحكماء « أياك وشارورة رجلين شاب معجب بنفسه  
قليل التجارب وكبير قد أخذ منه الدهر كما أخذ من جسمه » . نقول ان الكبير اذا  
كان سليم العقل كان كثير التجارب ومشورته أنفع من مشورة سواه ولذلك اشترط الحكيم  
الاعراض عن مشاورة الكبير شرطاً ضرورياً وهو اذا كان الدهر قد أخذ من عقله  
كما أخذ من جسمه أي داخله الخرف . وقال لقمان لابنه « يا بني شاور من جرب  
الامور فانه يعطيك من رأيه ما كلفه كثيراً فتأخذ منه عفواً »

والخلاصة انك اذا عرفت أن طاعة المشير الموصوف بالصفات الاربعة المذكورة مستلزمة  
في الاغلب للسرور يحسن ثمره رأيه والفوز بها فكذلك دعصيته في ما يشير عليك أو  
الاعراض عن استشارة مثله في أمورك مستلزمة الحسرة مستمقبة الندامة  
« الاستخارة »

ومن الامور الكاشفة الاستخارة . وتدل عليها رواية جميل عن الصادق عن آبائه  
عليهم السلام . قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله « الامور ثلاثة أمر يبين لك رشده  
فاتبعه وأمر بين لك غيبه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فردّه الى الله ورسوله » وينبغي  
للعاقل أن يقدم الاستخارة في جميع أموره فان ذلك أهدى لوقوع المحذور . قال بعض  
العلماء استخبروا ولا تتخبروا فكم من رجل تخير لنفسه أمراً كان فيه هلاكه . وفي  
ذلك قال الشاعر :

وكم من طالب يسعى لشيء  
وفيه هلاك لو كان يدري

وقال غيره :

كرهت وكان الخريف ما كرهتهُ وأحبت شيئاً كان فيه شباقتي  
ومن كلام بعض الحكماء رُبَّ مسرَّةٍ هي الداءُ ومرضٌ هو الشفا. والى هذا نظر  
المتنبي في قوله :

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبهُ وربما صحَّبت الاجسام بالعلل  
وهذا مأخوذ من قول ارسططاليس « قد يفسد العضو اصلاح أعضاء». ومثله  
قول البيهقي :

وربما كان مكروه الامور الى محبوبها سبباً ما مثله سببُ  
وقال غيره :

كم منة لا يستقلُّ بشكرها لله في طيِّ المنكاره كامنه  
وقال آخر :

كم مرة حذبت بك المنكاره خار لك اللهُ وأنت كاره  
وقال بعضهم :

كم نعمةٍ مطلوبةٍ لك بين أنياب النوايب  
ومسرةٍ قد أقيمت من حيث ترتب المصائب  
فاصبر على حدثان ده رك فالامور لها عواقب  
ولكل كربٍ فرجة ولاكل خالصةٍ شوائب  
وقلنا في هذا المعنى :

لا تباسنَّ لنسكةٍ معنى بها فلعلمها سبباً لموصول النعم  
كلاً ولا تفرح بمفجأ نعمة قد تستجر وراءها شر النقم  
وارض الذي خار الاله فانه أدري بتدبير العوالم والامم  
واليه وجهه بالبرارة والتقوى قلباً نقياً واستخره يا ابن عم

وهذا كله مأخوذ من قوله تعالى «عسى ان تسكروا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون»

حكى أن عابداً في بتي اسرائيل ضاقت عليه معيشته فخرج الى الصحراء بعبد الله  
يسأله أن يعطيه شيئاً . فنودي ذات يومٍ أيها العايد امدد يدك وخذ فمداً يده فوضع  
فيها درهماً كأنها كوكبان ضياءاً . فجاء بهما الى منزله وقال لا رآته قد أمَّ الفقر . ثم أنه  
رأى ذات ليلة في منامه أنه في الجنة وقد رأى فيها قصرًا فقيل له هذا قصرك فرأى فيه

أريكتين متقابلتين أحدهما من الذهب الاحمر والأخرى من الفضة وسقفها من اللؤلؤ وقيل له أحدهما مقعدك والأخرى مقعد امرأتك. فنظر الى سقفها فاذا فيه موضع خالٍ مقدار درتين. فقال ما بال هذا الموضع خالياً؟ فقيل له لم يكن خالياً وإنما تعجلت أنت في الدنيا الدرّتين وهنّاموضوهما. فاتبته من منامه باكياً وأخبر امرأته بذلك فقالت له ادع الله واسأله أن يردهما الى مكانهما. فخرج الى الصحراء وهما في كفه فصار يدعو الله ويتضرع اليه أن يردهما ولم يزل كذلك حتى أخذنا من كفه ونودي أن قد رددناهما الى مكانهما فحمد الله تعالى على ذلك وأثنى عليه.

وروي أن هلك ابل اعرابي في ذات يوم ففرح وقال ان موتاً تخطاني الى ابي

لعظيم الزمة

وحكي أن رجلاً في البادية كان له ديك يوقظه الى الصلاة وكلب يحرسه من اللصوص وحمار يحمل عليه الماء وخبأه بأوي اليه. فبينما كان متغيباً عن موضعه جاءه خبر بأن ثعلباً اقترب من الديك. فقال عسى أن يكون خيراً ان شاء الله تعالى. فجاءه خبر أن الكلب قد مات. فقال عسى أن يكون خيراً ان شاء الله تعالى. فجاءه خبر أن الذئب بقر بطن حماره فقال عسى أن يكون خيراً ان شاء الله تعالى. فلما دخل الليل مضى الى رحله فلما أصبح وجد أحياء قومه قد سبها العدو لسبب صباح الديكة ونياح الكلاب ونهيق الحمير والارحله فسلم بفضل هلاك ديكه وكلبه وحماره فكانت الحيرة فيما اختاره الله له وروي عن بعض الثقات أن رجلاً كان في بيته أيام القرعة العسكرية في النجف الاشرف وكان مدعواً للاقتراع فضايق صدره واستخار ربه أن يفر من النجف فخرجت الاستخارة نهياً. فاستخار الله على أن يخفي في مكان آخر فخرجت نهياً. ثم استخار الله على أن يلقي نفسه في بئر فخرجت الاستخارة حسنة فألقى بنفسه الى البئر فانكدرت رحله. فلما جيء بطلبه ذهب ليختبروا صحة بدنه فوجدوه معطوباً فعوفي من العسكرية وظهر له عند ذلك مصالحة الاستخارة

ومثل هذا ما روي عن رجل ضل الطريق وعطش فاستخار الله أن يمشي الى جهة من الجهات فخرجت الاستخارة نهياً ثم استخار على جهة أخرى فجاءت نهياً وهكذا استخار على الجهات الاربع فجاءت نهياً ثم استخار أن يقعد أو ينام فجاءت نهياً. فاستخار على الطيران فجاءت أمراً. فوقف وجعل يهتف بعبأته كهيئة الطيران فلم يلبث ان جاءه فارسان فأرشداه الى مكان الماء. وسرّ مجيئهما اليه انها كانا مارين عن بُعد فلما

رأياه مهفهفاً بعباءته نظماً أنه يؤمى اليها مستنجداً فأسرعا اليه فكان سرّ كشف  
كربته الاستخارة

تقول وأشباه هذه الحوادث كثيرة وشرطها أن تكون النية حسنة والقلب منصرفاً  
الى الخير . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل  
امرئ ما نوى »

« هوى النفس »

ومن الامور الكاشفة هوى النفس الامّارة . قال بعض الحكماء « اذا عرض  
لك أدران ولم يحضرك من تثق بمشورته فاجتنب أقربها الى هواك » وذلك لان الهوى  
عند الحكماء عدو العقل ولله درّ القائل :

اذا ما تحيرت في حاجةٍ ولم تدر فيها الخطأ والصواب  
تخالف هواك فانّ الهوى يقودك قهراً الى ما يعاب

لاجرم ان الهوى وهو رغبة النفس في ما يريد يغشي على العقل حتى يتصور القبيح  
حسناً وهذا ما يدعو اليه أحد شئين اما أن يكون للنفس ميل الى ذلك الشيء فيخفي  
عنها ما فيه من قبيح فلا تنظر فيه الا الحسن لشدة ميلها . وفي ذلك قال النبي صلى الله  
عليه وآله « حبك الشيء يعمي ويصم » أي يعمي عن الرشد ويصم عن الموعظة وقال  
علي عليه السلام « الهوى أعمى ومن عشق شيئاً أغشى بصره وأمراض قلبه فهو ينظر  
اليه بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سمیعة » وقد قيل أيضاً :

وعين البغض تبرز كل عيبٍ وعين الحب لا تجسد العيوب

واما أن يشتغل الفكر في تمييز ما اشتهه فيطلب الراحة في اتباع ما استسهل حتى  
يظن أن ذلك أوثق أمریه وأحمد حالیه اغتراراً بأن الاسهل محمود والاعسر مذموم  
فلن يعدم أن يتورط بخداع الهوى وربب المكر في كل مخوف ويحذر ومكروه يعسرفان  
الهوى أسهل محملاً وأصعب مركباً . ولقد جاء في الحديث « اذا اشتبه عليك امران فخذ  
أثقلها عليك ودع أحبها اليك » وأخذ هذا المعنى بعض العقلاء فقال :

اذا التبس الامران فالخير في الذي تراه اذا كلفته النفس يتقل

فجانب هواها واطرح ما تريده من اللهو واللذات ان كنت تعقل

وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان  
كان ساكناً فأعجبه السكوت فليتكلم . وقال الاصمغني أوصى رجل رجلاً ودفع الى

الوصي عشرة آلاف درهم وقال اذا بلغ ابني سن الرشد فأعطه ما أحببت منها. فلما  
كبر الغلام طالب الوصي بحقه فأبى أن يعطيه غير ألف درهم فقط. فشكا أمره لأمير  
المؤمنين عليه السلام فطلب الوصي وقال له كم تحب أن تعطي الغلام؟ قال ألف درهم  
فقط قال بل أعطه التسعة الآلاف درهم وهي التي أحببت وأبق لنفسك الألف

وحكي عن بعضهم أنه قال اشترينا خروفاً مشويماً من جار لنا لنا كلة فقدم علينا  
بعض الفقراء فدعونا للاكل معنا فأخذ لقمة ووضعها في فيه ثم لفظها واعتزل عنا  
وقال قد عرض لي عارض منعني من الاكل. فلقلنا له لا تأكل الا اذا أكلت معنا فقال  
أما أنا الفقير فلا أكل وأما أنتم فافعلوا ما تحبون وانصرف. قال الراوي فكرهنا الاكل  
لاجله وقلنا اذا دعونا من شواه وسألناه عن أصله فلعله يذكر لنا سبباً مكروهاً فدعونا  
الشاوي وسألناه ولم نزل به حتى قال انه ميتة وان نفسه حرصت على بيعه لاجل ثمنه  
فأطعمناه للكلاب. ثم رأينا الفقير بعد ذلك فسألناه عن سبب امتناعه عن الاكل وقد  
يكون جائعاً. فقال والله منذ سنتين ما شرهت نفسي على طعام فلما قدمتم لي هذا  
المشواء شرهت بشره عظيم اليه فعملت أن له علة فتركت أكله. قلنا صدقت وأجزناه  
وقال بعض الاذكياء :

من حيث لم يدرك أن السم في الدسم  
وانها محض الك نصيح فاعتصم  
فانت تعرف كيد الخضم والحكم

كم حسنت لذة للمرء قاتلة  
خفاف النفس والشيطان واعصهما  
ولا تطع منهما خصما ولا حكما

وقلنا في مثل هذا :

فالنفس أمره بسوء المقصد  
ة ومن هلاك في الجحيم وتسعد

عارض هو الك وكن لنفسك قاهراً  
تأمن من الاخطار في هذه الحيا  
وقال شاعرنا الاطباكي :

تهواه نفسك ذاك شأن العاقل  
ه خاذرن به اقتضاء العاجل  
ولرب مكروه لخير آجل  
ما اخترته بهوى المشوق الامل  
ح بئس ما يشقى بالقي بطل

بادر الى استرشاد عقلك في الذي  
واذا رغبت قضاء أمر تشتهي  
فرب محبوب لشر عاجل  
والخير فيما اختاره الرحمن لا  
قد يهتدي الانسان للحق الصري

« حال الهوى مع العقل »

ومن قبيل الشيء بالشيء يذكر نستحسن أن نذكر شيئاً عن حال الهوى مع العقل . فاعلم أن الهوى عن الخير صادمٌ وللعقل مضادٌ وطالما أنتج من الاخلاق قبايحها وأظهر من الافعال فضايحها وجعل ستر المروءة مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكاً . قال عكرمة في قوله تعالى « ولكنكم فتنم أنفسكم » يعني بالشهوات « وربصم » يعني بالتوبة « وارتبم » يعني في أمر الله تعالى « وغرتكم الاماني » يعني بالتسويق « حتى جاء أمر الله » يعني الموت « وغرتكم بالله الغرور » أي الشيطان وقال علي بن أبي طالب عليه السلام « أن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل . فان اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة » ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك ثم أهلك ثم عيالك »

وقال العلماء « العقل كالبعل والنفس كالزوجة والبدن كالبيت فاذا سلط العقل على النفس اشتغلت بمصالح البدن كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت فصلحت الجملة وان غلبت النفس كان سعيها فاسداً كالمرأة التي قهرت زوجها ففسدت في الجملة » وزعموا ان هذه النفوس في هذا العالم الجسماني وما قد ابتلي به من آفات هذا البدن كرجل حكيم في بلد أو قرية وقد ابتلي بعشق امرأة رعناء فاجر سيئة الخلق وهي في أكثر الاوقات تطالبه بالماكول الطيب والمشروب اللذيذ والياب الفاخرة والمسكن المزخرف والشهوات الزوجية وان ذلك الحكيم من شدة محنته بعظم محبتها وعظم بلائه بصحبها قد صرف كل همه الى ارضاء مطالبها وأكثر عنايته الى اصلاح شأنها وقد نسي أمر نفسه واصلاح شأنه وبولده وأقاربه الذين نشأ فيهم والنعمة التي كان فيها ولراحة لهذا الحكيم الا بمفارقة هذه المرأة والتسلي عن حباها ولكنه لا يقوى على ذلك واصلح ان الهوى الذي هو عدر العقل عبارة عن ارادة النفس الناشئة عن قواها الثلاث الشهوة والغضب وحب الاستعلاء . والشهوة شهوتان شهوة البطن وشهوة الفرج . أما شهوة البطن ففيها اخرج الله آدم وحواء من الجنة اذ نهاها عن أكل الشجرة فغلبت شهوتها على أكلها . وآفة هذه الشهوة التخم وما يتبعه من الامراض الجسمية والعقلية . قال علي عليه السلام « مسكين ابن آدم انه أسير بطنه يقول له املاني والافضحتك فاذا ملأه يقول أفرغني والافضحتك » وقال الشاعر :

شره النفوس على الجسوم بليّةً      فتعوذوا من كل نفسٍ تشره  
 ما من فتىٍ شرهت له نفسٌ وان      نال الغنى إلا رأى ما يكره

وقال الحكيم اجتنب الشهوة فإنها رأس كل مهلكة . ألم تر السباع الضارية والبزاة  
 العادية كيف تصاد بالشهوة فتصبح بين أيدي الناس أسرى  
 وأما شهوة الفرج فأعظم الشهوتين وأعصاهما أمراً فظالما قادت من تغلبت عليه  
 الى المهالك وورطته في اضيق المسالك

وهنا لطيفة لابأس من أيرادها . قيل ان نصرانياً زنى بمسلة فلما أرادوا أن يقيموا  
 عليه الحد أسلم فروجوه بها ثم ختنوه واتفق ان اسلامه كان آخر يوم من صيام النصارى  
 وأول يوم من شهر رمضان فصام . فلقيه بعض أصدقائه فسأله عن حاله فقال لهم ما حال  
 من قص رأس ذكره وزوج بفاحشة وصام خمسين وابتلي بثلاثين ثم رفع جيبه وقال  
 مخاطباً ذكره يا مشؤوم منك صارت وعلى رأسك وقعت

وذكر صاحب كتاب بهجة السرور في غرائب المنظوم والمثثور قال قال المبرد  
 حدثني صديق لي قال قصدت كور الاهواز فلما انتهيت اليها ودخلت بين مقارها اذا  
 أنا بسواد في وسط المقابر فتوهمته امرأة حادة . فلما قربت منه اذا هو رجل عليه ثياب  
 القضاة وهو بغير سراويل ورأيته ينظر الى ذكره من جيبه ويضحك فوقفت بمحذائه  
 متعجباً من صنعه . فقال لي مالك أتدري من أنا ؟ قلت لا قال أنا قاضي هذا البلد قلت  
 فما قصتك ؟ قال قصتي عجيبة وهي ان لي زوجة هي ابنة عمي تزوجتها في حدائتي ولها من  
 الغيرة عليّ مالا يمكنني ان أتقس معها بشيء ولها عليّ رقباء وعيون وأنا أجلسها ثم رأيت  
 يوماً جارياً عند بعض النحاسين فوقعت في قلبي فاشتريتها وأظهرت اني أهديتها اليها  
 فأقامت عندها سنين لم أتمكن من النظر اليها فضلاً عن الخلوة بها الا اخلاصاً من بعيد  
 حتى كان هذا اليوم لبعض أهل زوجتي عرس في جوار دارى فأذنت لها في حضوره  
 طمعاً بالوصول الى الجارية والخلوة بها . فخرجت الى مجلس القضاء فجاءني الغلام وأخبرني  
 ان زوجتي قد ذهبت الى العرس وخلفت الجارية في الدار . فقمتم فرحاً ودخات منزلي  
 وأغلقت الباب وطلبت الجارية فما وجدتها . فصعدت الى السطح في طلبها وكان بين  
 منزلي وبين الدار التي فيها العرس خض سائر بيننا وبينهم فاذا بزوجتي قد أمرت الجارية  
 أن تقف حذاء الخص منكبة عليه لتلاحظها خوفاً عليها مني . فلم أتمالك ان رفعت ثياب  
 الجارية والتصقت بها فاندفع الخص ووقع فاذا أنا والجارية والخص في وسط الدار



فصاحت النساء ووثبن عليّ يصفعني . فوالله لقد صُفعت حتى نسيت اسمي ثم خرجت هارباً وهنّ مع ابنة عمي من وراني يصفعني الى أن تمكنت من الفرار الى هذا المكان ولا أستطيع أن أرجع الى منزلي حياً وأنا الساعة أنظر الى ذكرى قبّحه الله فقد فضحت فتارة أطمه وأدقّ عنقه وألويه وطوراً أضحك من نفسي مما نزل بي . واني حار في أمرى ولا أعلم ما الذي سأعمله فهذه قصتي . قال الراوي فضحكت من حديثه وانصرفت عنه

وألطف من هذا مارواه لنا شاعرنا عبدالمسيح بك انطاكي قال: حدث في حلب على عهد واليها جميل باشا وكان والياً قاسياً حازماً مرتشياً أنه كانت قضية لاحد الاعيان على أراضى تبغ قيمتها نحواً من عشرين الف ليرة رفعت في محكمة الحقوق . واذ كان الحق وقتيذ لا يرجع لصاحبه الا بالرشوة رشا الرجل أعضاء محكمة الحقوق وعجز عن ارشاء القاضي لانه كان نزيهاً . فعند ما بلغ القاضي رشوة الاعضاء داخله الشك في حق الرجل فأبى أن يمضي قرار المحكمة بتسليم الاراضى له . فسار الرجل الى الوالي جميل باشا ورشاه بألف ليرة على أن يجبر القاضي على امضاء الحكم . فاعتزم الوالي فرصة زيارة القاضي له فسأله في عرض الكلام عن قضية الرجل فقال لا تزال . موقوفة قال أما حكمكم بها ؟ قال الصحيح ان الاعضاء أقروا على ما فيه مصلحته ولكن بلغني أنهم قد ارتشوا منه ولذلك ترجح في نظري بأنه على غير الحق فأوقفت القضية وقررت أن أبقها موقوفة الى أن تنهي مدني ويأتي القاضي الجديد ويرى رأيه فيها . فأخذ الوالي يحاججه في المسئلة توصلأ لاقتناعه بان حكماً كمنا كان بأكثرية الآراء غير مسئول عنه القاضي لا أمام الله ولا أمام الناس . فلم يقبل بل ازداد عناداً لعلمه بأن جميل باشا لا يلتزم أمراً ان لم تكن له من ورائه فائدة . وهكذا انصرف القاضي والوالي . فغضب فأرسل الى ذلك الوجه وأرجع له الالف ليرة وهو حزين على ارجاعها بعد أن وصلت اليه . وكان ذلك الوجه أشدّ حزناً على خيبة آماله واعتقد أن قضيته خاسرة وحقوقه ضائعة ولا أمل فيها لانه قال: بعد أن عجز جميل باشا عن اقناع القاضي على ماله من الهية والسطوة ما من أحد يستطيع اقناعه ولا شخص السلطان وهكذا رجع الى بيته يئساً مغموماً

وفي اليوم التالي زاره مصادفة رجل من اليهود يدعى عزرا نحجات . وهذا الرجل كان كثير الاختلاط بالوالي والاعيان معروفاً بسبك الحيلة في حل المشكلات فحدثه ذلك الوجه عن قضيته ويأسه من النجاح . فضحك وقال جعلت فداك لماذا لم تخبرني بها

من قبل؟ قال عجباً؟ الامر الذي عجز عنه جميل باشا هل يستطيع، تلك عمله؟ قال وبكل سهولة: فأين الالاب الليرة؟ قال أنها في كيسها. وأسرع في الحان فاحضرها وسدها اليه. قال وأين الحـكم؟ قال هاك هو وقد أمضاه أعضاء المحكمة ولكنه موقوف على ختم القاضي قال سأعود اليك بعد يومين على الاكثر والقاضي قد ختم الحـكم رغم أنفه

خرج عزرا نحات من عند ذلك الوجيه والالاب ليرة في جيبه.. فأسرع الى سوق الصاغة واشترى زوج أقراط من اللما للفاخر بمائة ليرة وأسرع الى بيته فسلم القرط لزوجته وقال اسرعى لدار القاضي وأنت تعرفين زوجته الحسنة واحتالي عليها لتقبل منك هذا القرط لقاء ختم هذه الورقة. فأسرعت المرأة لما أمرها به زوجها فدخلت بيت القاضي وهو غائب في المحكمة. وبعد ان تبادلت السلام مع زوجته أطلقت لسانها بالثناء على حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها حتى ازدادت اعجاباً بنفسها. وفي الاخير أخرجت من جيبها ذلك القرط النفيس وقالت ما أحسنه في أذنك؟ قالت انه حسن وفوق الحسن. ولكن من أين لي أن أشتري مثله وزوجي على ما تلهين عفيف زيه وبالكد يكفي مرتبه لمصروفنا؟ قالت ولكن تفرطى به لتكلم محاسنك فيه فزعت زوجة القاضي قرطها ووضعت مكانه قرط اليهودية وسارت أمام المرأة فنظرت به يضيء على وجهها المضيء. فتفتست الصعداء وقالت ليتني لي فقالت اليهودية هولك يا هانم فلا تزعيه. قالت ولكن من أين أدفع منه؟ قالت منه أن يتحم مولانا القاضي هذه الورقة قالت ان الامر سهل. قالت كلا ليس سهل وحدثها عن كل ما كان من تعنت القاضي في ختم الورقة بالرغم من وساطة جميل باشا. قالت ومع ذلك فهو سهل غير أنك متى ما ذهبت الساعة أرسلني واحداً من عندك يقف على باب بيتنا ما وقف الى أن أخرج وأسلمه الورقة. قالت جباً وكرامة وانصرفت راجعة الى البيت حيث بشرت زوجها بالنجاح فأرسل هذا أحد أعوانه الامناء من اليهود ليلتظر عند باب القاضي وأمره أن يظل واقفاً ولو الى مطلع الفجر

أما زوجة القاضي فبعد ان خرجت اليهودية من بيتها أسرعت فاستحمت وأصلحت نفسها على أحسن ما يمكن ولبست أجمل ثياب النوم فازدادت بذلك جمالاً وبهاءً وانتظرت موعد رجوع القاضي الى البيت حتى اذا ما دخل استقبلته بتعجب ودلال والطيب يفوح من أردانها وأخذت تلاطفه وتؤانسّه حتى نسي نفسه وما زالت كذلك الى أن تعشياً ومضيا الى سريرها والقاضي في أشدّ حالات الشوق والهيام. وهناك على

السرير أخرجت الهانم تلك الورقة وقالت اختتمها فاغتاط القاضي وغضب وقال ويل  
 أمهم من أشقياء خبثاء. فمن أوصل اليك هذه الورقة؟ قالت أنها وصات وانك تختتمها  
 لا محالة. قال كلا قالت بل تختتمها ورجعت عليه تداعبه وتطالب منه بدلال أن يختتمها  
 فقال حسناً دعيتها للغد. قالت بل هذه الميلة وفي هذه الساعة. وما زالت حتى تغلبت  
 عليه وقهرته شهوته فقال في نفسه أي اختتمها الساعة وبعد ان أقضي وطري أعود  
 فأمرها شراً ممزق. وهكذا نهض من فراشه وأحضر الحتم بيد مرتجفة وختم تلك  
 الورقة ووضعها تحت الوسادة. فتظاهرت المرأة برغبة الخروج خارجاً لتضاء حاجة  
 لها وبرشافة اختلست الورقة من غير أن يشعر زوجها وخرجت ففتحت الباب  
 وسلمتها الي الرجل الواقف في انتظارها ورجعت مسرورة على أحسن حال الى زوجها.  
 وكان ما كان ممّا لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر  
 أما القاضي فقي الصباح طلب الورقة فما وجدها فسأل عنها فقالت الهانم ضاحكة  
 لقد سلمتها لصاحبها. قال ويحك وأين كان؟ قالت على الباب. قال تعساً لي ان التمس  
 أمارة بالسوء

أما اليهودي نحات فقد أسرع الى ذلك الوجيه تحت جنح الظلام ونبهه من فراشه  
 وسامه الحكم مخموراً من القاضي فطار به فرحاً بعد ان قص عليه بكل اسهاب طريقة  
 نجاحه وما أمهل ان أسرع الى الوالي في الصباح وأراه الحكم. قال وكيف ختمه القاضي  
 قال بطريقة كذا فضرب الوالي. وبعد قليل دخل عليه القاضي أسرع جميل باشا ووضع  
 يده على كتف القاضي وقال هل عندك من هو أكثر نفراً ذاً مني فأدرك القاضي أن  
 جميل باشا علم بأمر الحتم فتبسم وقال نعم. فقال جميل من هو؟ قال التي تضع رجلاه في  
 مكان يدك وانشد:

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتراً  
 مثل الشفيح الذي يأتيك عرباً  
 وقال بعضهم:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما شتهت  
 ولم ينهها تاقت الى كل باطل  
 وساق الى الائم والغار بالذي  
 دتمت اليه من حلاوة عاجل

وقال السيد نعمة الله الجزأري كان رجل من القضاة قدم شيراز وكان يقرأ علي  
 في العلوم العربية فبقي مدة طويلة فسألته لم لا تسافر الى بلدك؟ فضحك وقال لا أستطيع  
 معاشره أهل بلدي لقضية وقوت علي بها فقلت ما هي؟ قال ان المنة في بلادني حرام

وقد غلبت عليّ العزوبة وشبق الجماع وما كنت قادراً على الزواج. ففضيت الى خارج القرية فرأيت رجلاً يرعى حيواناتها فشكوت له حالي . قال في هذه الحيوانات أتان صبور وعينها لي فخذهما الى المكان المنخفض واقض حاجتك منها . فاعطيته ما تيسر وأتيت بالحجارة الى ذلك الموضع فأوقفتهما لقضاء الحاجة بعد ان نزعت عميتي وشدت المززر في عنقها وربطت طرفيه في وسطي خرف انفلاتها . وما كدت أبدأ في عملي حتى رفستني الحماره وركضت وأخذت تسعجني وراءها على الشوك . فلما شعرت الا وأنا في وسط السوق والحماره تجرني وأنا محلول السراويل والعمه وقد صاح أهل السوق هذا هو القاضي . ثم خلصوني منها وأنا على آخر رمق . وفي ذلك اليوم خرجت الى شيراز خجلاً فهل أطيق الرجوع اليها ؟ ؟

والطغف من هذه القصة مارواه شاعرنا عبد المسيح بك انطاكي قال كان مكاري في نحو العشرين من عمره يشتغل بنقل الاحمال والرجال على البغال بين اورفا وحلب واسكندرونه . ففي ذات يوم عزل عبد اللطيف باشا من متصرفية اورفا فنقله الى اسكندرونه ليجر منها الى الاستانة . والظاهر أنه اعنى كثيراً بخدمة المتصرف الذي سر من نشاطه وشبابه فطلب منه أن يصحبه الى الاستانة فما رفض بل امثل مسروراً وخدم التوفيق هذا المكاري فتقدم في الاستانة حيث دخل في سلك الوظائف الى أن بلغ الوزارة في عهد عبد الحميد . وفي ذات يوم وكان قد بلغ من العمر نحو السبعين وصار عنده مال وجواري وخدم وحشم طاب فراشه للنوم عند الظهر والوقت صيف والحر على أشده وحار أن ينام بعد تناول طعام الغذاء فما طرق جفنه الكرى . فنهض من فراشه مثاقلاً وأخذ يتنقل في غرف بيته العرفه بعد العرفه وجعل يسرح طرفه في هاتيك الاثامات الفاخرة ويرجع بفكره الى عهد نشأته الاولى حيث كان مكارياً فقرباً يتضي أيامه وراء البغال . وكان ينظر الى هاتيك الجواري التركيات الحسان وهذه مكشوفة الساقين وتلك باديه النهدين وأخرى منسدلة الشعر وكل واحدة أجمل من صاحبتها وهن نائمات في تلك القيلولة على أبسطه الغرف ومساكنها . وكان صاحبنا الوزير يقف أمام كل واحدة منهن متحسراً ويقول آه على زمن البغال . ثم بلغ الغيظ مبلغه منه فاخرج ذكره وبال عليهن فجملن يترأ كضن صائحات وهن يحسبن أن سيدهن أصابه مس من الجنون . فاستيقظت الهانم حرم الوزير على صياحهن وسألت عن السبب فقيل لها أن الباشا فعل كبت وكبت فاسرعت اليه فوجدته يضحك وهو

يقول آه على زمن البغال. فسألته عن سرِّ تأوّهه وحكاية البغال. فقال لها كنت وأنا في مقتبل العمر مكارياً أسافر بالبغال بين أورفا وحلب واسكندرونه وكنت عند ما أشعر بالحاجة إلى الجماع أجمع احداها مسروراً ثم أسعدني الحظ حتى صرت إلى هذه الثروة وعندى مثلك ومثل جواريك الحسان ولكني أصبحت غنياً لا أصلح لشيء ولذلك ترينني أسفاً على زمن البغال وبائلاً على هذا الجمال. فضحكت الهانم من قصته كما ضحك الباشا من نفسه وسبحان مبدّل الاحوال

والقصارى يقولون أن شهوتي الطعام والجماع اذا لم تستعمل بالحيكمة انضت إلى الامراض والاسقام بل وساقنا صاحبها إلى الموت الزؤام. ولله در الطيب الشيخ ابن سينا حيث يقول :

اجعل غذاءك كل يوم مرة  
واحفظ منيكم ما استطعت فانه  
واحذر طعاماً قبل هضم طعام  
ماء الحياة يراق في الارحام  
وقلنا في مثل هذا :

اياك والنهم الكثير من الطما  
أقلل مجامعة النساء فانها  
م فانه يفضي إلى الاسقام  
مفنية الاجسام في الارحام  
وفال شاعرنا الانطاكي :

ولرب تحمة متخم من أكلة  
ولرب لذة ساعة مع غادة  
فأقصد ولا تصرف بشهوتك التي  
حسنه له قد حرّمته ما كلاً  
قد أوصلته للنسيئة عاجلاً  
توليك من بعد الملاذ شواغلاً  
« ثمرات مخالفة النفس »

واعلم أن الدنيا والشيطان عدوان خارجيان للانسان وأما النفس فعُدوّ له بين جنبيه. ومن سنة الجهاد « قاتلوا الذين يلونكم » وما مقابلة المبارز بالحاربة كمقاتلة الكين الذي يخرج على الانسان من حيث لا يشعر. وأقل ما تفعل النفس مع صاحبها انها تمزق العمر بكفّ التبذير والبطالة. وعلى ذلك فاخلُ يا صاح مع نفسك سوية ثم انظر هل هي معك أو عليك وبعد ذلك عاملها بما تعامل به عدوك أو صديقك. قال بعض الزهاد « ستون من مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة وستون قريناً من قرناء السوء لا يفسدون ما تفسده النفس إلا مسارة بالسوء في لحظة » فبصّر في هذا جيداً بقسز بما يتبعه من سعادة هذه الحياة

ولخالفه النفس ثمرات نذكر البعض منها. قال الله سبحانه « ونهي النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » وقال تمارك « اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » وقال صلى الله عليه وسلم « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله أعظم أجراً ممن قدره فغف يكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة » وفي حكمة سليمان بن داود عليها وعلى نبيها وآله الصلاة والسلام « ان الغالب لهواه أعظم من الذي يفتح وحده مدينة » وقال بعضهم :

الحرّ يمنع نفسه شهواتها والنذل عبد البطن ثم الفرج  
فتراه طول زمانه متعبداً مستخدماً في الدخل ثم الخرج  
وقننا في مثل ذلك :

عجبي لحرّ بات عبد الملاذه ولها يضحى عمره فيضيها  
لو كان يعقل لم يبت في ليلته دهاء للنفس الظلوم سميها

ويروي ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ان ملك خزائن الارض وقعدت على رابية في الطريق يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفاً من عطاء مملكته « سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية والعبيد ملوكاً بطاعتهم له » فقال يوسف كما أخبر الله عنه « ان من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » ولقد أحسن من قال :

اذا ما دعيتك النفس يوماً لحاجة وكان عليها للخلاف طريق  
نخالف هراها ما استطعت فأما هواها عدو والخلاف صديق  
وقال شاعرنا الانطاكي :

عارض مدى شهوات نفسك ان أردت الحمد والاقبال والاسعادا  
واقم عليها من نباهة عقلك وفي الذكا الحراس والارصادا

وروي ان بعض الملوك مر بسقراط الحكيم وهو نائم فرسه برجله وقال قم . فاتبعه غير مرتاع منه ولا عابيه به فقال الملك أما تعرفني يا سقراط ؟ قال لا ولكني أرى فيك طبع الدواب فهي ترفس بارجلها . فغضب الملك وقال وبلك أقول لي هذا وانت عبيدي ؟ فقال سقراط بل أنت عبد عبيدي . قال وكيف ذلك قال فان شهوتك قد ملكتك فأصبحت عبداً لها وأنا ملكك شهوتي فأصبحت عبداً لي فأنت إذن عبد عبيدي فقال الملك يالك من أحمق أنا الملك وابن الملوك وتحت سلطانتي كذا وكذا من الرجال

والاموال . قال أراك تفخر علي بما ليس في نفسك وإنما سبيلك أن تفخر علي  
بنفسك . والافضل أن نزرع كلانا ملابسنا وننزل في هذا الماء ، وأشار الى نهر جار  
قربهما ، حينئذ تتكلم ويظهر من هنا الفاضل ومن المفضول . فضحك الملك وانصرف  
عنه خجلاً

وقال بعض العلماء « ركب الله تعالى الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم  
من شهوة بلا عقل وركب الانسان من كايهما . فمن غلب منهم عقله على شهوته شابه  
الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله شابه البهائم » وعلى هذا فالعاقل المدرك من ميز  
نفسه وعرف قدره ونظر بعين الحقيقة وأنعم الفكر الصحيح وعلم أن جوارحه  
قد ركبت فيها جميع الشهوات وان طباعه قد جبلت فيها صنوف اللذات فلا يقدر على  
شرها ولا يتمكن من صرفها وقهرها الا بالمجاهدة لامتلاك الشهوة بنظام التقوى . وما أشد  
ذلك وما أصعبه ، الا تنظر الى قول النبي صلى الله عليه وآله « حفت الجنة بالمكاره  
وحفت النار بالشهوات » والتاركون المجاهدة ضد الشهوات هم كالانعام بل أضل  
سبيلاً ، فان البهيمة لم تخلق فيها المعرفه والقدرة لتستطيع أن تجاهد بهما شهواتها والانسان  
قد خلق فيه كلاهما . فاذا لم يترك لها السلطة الكافية لردع شهواته فهو الناقص حقاً  
والمدبر يقينا ، وقد قال المتنبي :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنعقص القادرين على التمام

وسئل بعض العباد عن مسافة الطريق الى الله تعالى فقال قدمان : قدم تضعها على  
النفس وأخرى تضعها على الدنيا . فسمعه بعض أهل العلم فقال لقد أطلت المسافة وأما  
هي قدم واحد تضعها على النفس ثم تصل الى الله

ومن خواص مخالفة النفس تسخير النفوس . وذلك ان من حكم على نفسه ومنعها  
من شهواتها الضارة للشرع والعقل وسخرها في الانقياد للطاعات تسخرت له النفوس  
البشرية وغيرها . ومن احتاج الى تسخير النفوس ولم يسخر نفسه لا يطعم في أن تسخر  
له بهيمة فضلاً عن نفس انسان كريم . قال الشاعر :

أطعم أن يطعمك قلب سعدي      وزعم أن قلبك قد عصاكا  
ونحن نذيل قول هذا الشاعر :

اذن لصلت سبل الرشد حتما      الى ما ليس يدركه نهاكا  
الاعص هواك مع سعدي وخالف      رغائب ليس تبلغها قواكا



تفر بسعادة الدارين حيث ال هنا والبن قصي مشتهاكا  
ومن هذا القليل ما قاله بعض الحكماء « لا تطلب طاعة غيرك ونفسك ممتعة  
عليك » وروي في الاسرائيليات أن رجلا خطب امرأة من غير بلده فأرسل عبده  
ليحملها اليه فراودته نفسه عليها وطالبتة بها فجاهدها واستعصم ولم يمد يداً لسيدته  
فنيأه الله ببركة تقواه ومخالفة هواه فكان من أنبياء بني اسرائيل  
وروي أن امرأة حسناء كانت في سفينة فأنكسرت السفينة وخرجت المرأة على  
لوح الى جزيرة في عرض البحر فمشت ساعة وكان هناك رجل يقطع الطريق ويعتدي  
على السابلة. فلما رأى المرأة قال لها أنت من الانس أم من الجن؟ وما كاديتهم كلامه حتى  
جلس منها مجلس الرجل مع زوجته فارتعدت خوفاً فقال لها هم نخافين؟ قالت من الله  
تعالى الذي ينظر الينا. قال لها وهل فعلت هذا الفعل قبل الان؟ قالت لا فقام عنها وقال  
أنا أحق منك بالتوبة لاني فعلت هذا مراماً بالاختيار وأنت لا تعصين الله وقد اضطررتك  
الى العصيان وها أنا ذا تائب من هذه الساعة. ثم أخذ المرأة وسار معها الى البلد فلقيا في  
طريقهما رجلاً عابداً فرافقاه. فلما اشتدت حرارة الشمس قال العابد للرجل تعال ندعو  
الله أن يظللنا بغمامة نمشي تحتها. فقال له يا أخي ليس لي وجه أبيض عند الله ولا لي  
سابقة عمل أرجو بها قبول الدعاء ولكن ادع أنت بفقال أدعوا أنا وتؤمن أنت على  
دعائي. فدعا الراهب وأمن ذلك الرجل فأظلمت سحابة فساروا تحتها فلما بانوا مفرق  
الطريقين تبعت السحابة الرجل وبقي العابد ماشياً تحت الشمس. فرجع العابد اليه  
وقال له يا أخي ألم تقل انه ليس لك سابقة صالحة وهذه السحابة قد سارت معك  
فأخبرني بما صنعت. فسكى له ما كان من أمره مع المرأة. فقال انه والله لبرّ خليق به ان  
تعال من الله الكرامة لأجله

واعلم ان حفظ الفرج مع التمكن يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق. فقد روى  
بعض العلماء عن أبي بكر بن عبد الله المزني ان قصاباً أولع بمجارية لبعض جيرانه فأرسلها  
أهلها في حاجة لهم الى قرية أخرى فبعها القصاب وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل  
فاني أشد حباً لك منك لي ولكنني أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه قها أنا ذا  
تائب من هذه الساعة. وتركها ورجع فأصابه حرٌّ شديد حتى كاد يهلك فاذا هو برسول  
لبعض أنبياء بني اسرائيل. فسأله قائلاً ما بك؟ قال الحرُّ كاد يقتلني قال تعال حتى ندعو  
الله أن تظللنا سحابة الى ان تدخل القرية. قال ليس لي من عمل صالح فادع أنت. قال

حسناً انا ادعو وانت آمن على دعائي. فدعا الرسول وأمن القصاب فأظلتها سحابة حتى انتهيا الى القرية فأخذ القصاب الى مكانه فماتت السحابة معه. فقال له الرسول زعمت ان ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وانت الذي آمننت فأظلتنا السحابة ثم تبعتك أفلا تخبرني بأمرك؟ فأخبره فقال الرسول ان التائب عند الله بمكان ليس احد الناس بمكانه وفي الحديث انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المييت الى غار فدخلوا فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا انه لا يتجينا من هذه الصخرة الا ان ندعو الله بصالح اعمالنا. فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعقب قباهما ولا ادخر مالا فنأى بي طيب الشجر يوماً فلم أذهب اليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان أعقب قباهما اهلاً وعيالا فلبثت والقدرح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طاع الفجر والصبية يتضورون جوعاً حول قدمي فاستيقظا وشربا غبوقهما. اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه. وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كانت لي ابنة عم من أحب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت عني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مئة وعشرين ديناراً على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنقض الحاتم الا بوجهه فتخرجت من الوقوع عابها وانصرفت عنها وهي من أحب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيته لها. اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج لنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير انهم لم يستطيعوا الخروج منها. وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استأجرت اجراء وأعطيتهم اجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذي له وذهبت قائميت له أجره حتى كثرت له الاموال فجاءني بعد حين وقال يا عبد الله اعطني اجري فقلت كل ما ترى من الابل والتمم والبقر والريق هو من أجرك. فقال يا عبد الله أهزأ بي؟ فقلت لا أستهزى بك نخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئاً اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون. فهذا فضل من تمكن من قضاء شهواته ففعل

وقال بعض الصالحين رأيت حداداً وهو يخرج الحديد من النار بيده ويقبله باصابعه. فقلت في نفسي هذا عبد صالح فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له ياسيدي بالذي من عليك بهذه المنزلة الا ما دعوت الله لي. فبكي وقال يا أخي ما أنا

من القوم الذين تزعم ولكن أحدثك بأمرى. فاني كنت كثير المعاصي والذنوب فوفقت على امرأة من أحسن الناس وجهاً فقالت لي هل عندك شيء لله فأخذت قلبي وقلت لها امضي معي الى البيت فأدفع لك ما يكفيك. فتركتني وذهبت ثم عادت وهي تبكي وقالت والله لقد أحوجني الوقت الى ان رجعت اليك فأخذتها ومضت بها الى بيتي ثم أجلستها وتمدمت اليها فاذا هي تضطرب كالسفينه في الريح العاصف. فقلت لها مم تضطربين؟ فقالت خوفاً من الله تعالى ان يرانا على هذه الحالة فان تركتني فلا أحرقك الله بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة. فقامت عنها ودمعت لها ما كان عندي حسية لله تعالى. فخرجت من عندي وأغمي عليّ فرأيت في النوم امرأة احسن منها فقلت من أنت؟ قالت انا أم الصبية التي جاءت اليك ولكن يا أخي جزاك الله خيراً ولا أحرقك الله بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة. فانتبهت وأنا فرح مسرور وها أنا ذا من ذلك اليوم تركت ما كنت عليه من المعاصي ورجعت الى الله تعالى وصارت النار عليّ برداً وسلاماً واعلم أن مخالفة النفس خواص عظيمة. وقد حدثني أحد الرواة ان اخوين بلغا في العبادة مبلغاً عالياً وكان احدهما خبازاً والآخر صائغاً فاهدى الحجاز الى اخيه الصائغ ماءً في منخل وأهدى الصائغ لاخيه الحجاز ناراً في قطنه. فاما الصائغ فانه وضع المنخل عنده في دكانه حتى اذا كان يوم مرّت جارية جميلة على الحجاز فراودها عن نفسها وفي تلك الساعة نزل الماء من المنخل الذي عند اخيه الصائغ فعلم ان اخاه تغير عما هو عليه فأتاه فسأله عما صنع فاخبره الخبر ثم قال له لماذا سؤااك؟ قال لان الماء نزل من المنخل فندم الحجاز على فعله وحلف ان لا ينظر الى امرأة اجنبية قط. فهذا تأثير مخالفة النفس في الدنيا فكيف تأثير ذلك في اليوم الاخير??

وورد في الخبر ان رجلاً من اهل الكفر كان يجتمع عليه الناس في ميدان بغداد وكان يجبرهم عما أضمره في قلوبهم وعما ادّخروه في بيوتهم. فمني خبره الى الامام موسى بن جعفر عليه السلام فأتى اليه متكرراً وأمر من كان معه ان يضم امرأ غريباً فظاهره ذلك الكافر. فدهش الامام واستدطاه الى خلوة من الناس وسأله قائلاً ما أتيت من الطاعات حتى أعطيت هذه المرتبة العظيمة وهي من مراتب النبوة؟ فقال لا عمل لي سوى مخالفة النفس. فقال الامام عليه السلام أعرض الاسلام على نفسك فتعشى الكافر بثوبه. وتفكر طويلاً ثم قال ان نفسي لا تميل الى الاسلام. فقال الامام ما أعطيت الا بفضل مخالفتها مخالفتها. فقال نعم وأسلم فحسن اسلامه وكان يحضر مجلس

أبي الحسن عليه السلام تأمر رجلاً أن يضر شيئاً في نفسه وقال لذلك الرجل أتعرف ما أضمر؟ ففكر طويلاً ثم قال كلا ثم عطف فقال يا ابن رسول الله كنت كافراً وما كان يعجزني ما في الضمائر أما الآن وقد صرت مسلماً فمعجزت فما سر ذلك يأتري؟ فقال عليه السلام أنك أعطيت ثواب ذلك العمل في الدنيا لكفرك حيث لاحظ للكفار في الآخرة ولكن بعد أن أسلمت ذخر الله لك جزاء عملك الآخرة وقطعه عنك في دنياك لأن الدنيا أقل من أن تكون ثواب عمل المؤمن

ومن خواص مخالفة النفس ما روي عن ابن أبي الدنيا أنه كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما العبادة أن مشيا على الماء . فبينما هما يمشيان عليه إذاهما رجل يطير في الهواء فقالا له يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة فقال ييسير من الدنيا فقد قطعت نفسي عن الشهوات . وبالجملة فخالفة النفس لها شأن عظيم وجميع مصالح الدنيا والآخرة تتوقف عليها وأما مصالح الآخرة فتوقفة على تأدية التكليف وكلها شاقة على النفس ومن ذلك سميت تكاليف وهذه لا يتوقف اليها الإنسان إلا إذا كفر بنفسه وخالفها في مشيئتها وأما مصالح الدنيا فكذلك أيضاً إذ منها ما يحتاج للتواضع وحسن المداراة . وذلك صعب على النفس . ومنها ما يرجع إلى السكد والتعب وكل ذلك شاق على النفس إذ النفس من مشيئتها الكبر والافتة وطلب الراحة والذعة والفراغ ومن لوازمها الجزع والغضب عند عروض الأسباب المفضية لذلك والله أعلم

### ﴿ الخاتمة ﴾

هذا آخر ما رأينا ضرورة تحريره من الكلام على ادراك العقل ومعلوماته وعروض الأسباب الحاجية له والامارات الكاشفة عنه . وقد جئنا على أقوالنا بكثير من الامثال والقصص زيادة في التفككة والتسامية وتوصلاً الى التأثير على النفوس وترغيبها في مطالعة ما كتبناه بروية اغتناماً لما فيه من الفوائد

وخلاصة ما نرعى اليه هو ان الانسان العاقل من الواجب عليه ان يعمل جهده في تعويد نفسه على الابتعاد عن الامور الحاجية للعقل والتمسك بالامور الكاشفة لتتمو بذلك مداركه وتتسع معارفه ويستطيع ان يستخدم عقله الى ما لا حصر له من فوائد الدنيا والآخرة بحيث يعيش ما عاش سعيداً ويموت صالحاً شهيداً . ولهذا خلق الله الانسان وبه ميزه عن الحيوان والسلام في مسلك الختام والحمد لله اولا وآخراً

﴿ المورد الثالث ﴾

﴿ في أحكام العقل ودواعيه وموانعه ومحظوراته ﴾  
 ( وهذا المورد يشتمل على مقدمة وست رياض وخاتمة )

المقدمة في ان من شأن العقل النظر الى العواقب  
 الروضة الاولى في وجود الدواعي وعدمها  
 الروضة الثانية في جهة الشرائط  
 الروضة الثالثة في الموانع والمحظورات  
 الروضة اربعة في تقدير النفع والضرر  
 الروضة الخامسة في ما هو ساقط عن درجة اعتبار العقل  
 الروضة السادسة في بيان المراجع من المرجوح  
 الخاتمة كلمة فيها تقدم

﴿ مقدمة ﴾

﴿ في ان من شأن العقل النظر الى العواقب ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الذين  
 شادوا الدين . وبعد فاعلم ان من غلب عاياه العقل فهو لا يفك عن التفكير في عواقب  
 الامور . قال بعض العلماء « ما زال العاقل يشقى بعقله لحسن نظره وصحة تفكيره وما  
 زال الجاهل ينعم بجبهله لضعف نظره وقلة تفكيره » وقال ارستطاليس « العاقل  
 لا يلازم شهوة الطمع لعلمه بزوالها والجاهل يظن انها خالدة فهو يتلذذ بها ويبقى  
 عليها فهذا ينعم بجبهله وذلك يشقى بعقله » وأخذ هذا أبو الطيب المتنبى فقال :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله      وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم  
 وأخذه عبد الله بن المعتز فقال

وحلاوة الدنيا لجاهلها      ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقلنا في هذا المعنى :

لا تحسد العاقل في عقله      فانه      والله      مشقيه  
 بل فاحسد الجاهل في جهله      فانه      والله      مهنيه  
 ذو العقل يشقى لو يكون له      ملك سليمان وما فيه  
 اما الجاهل فهانيء أبداً      لو كان في فقره وفي تيه

وقال البيهقي :

أرى العلم بؤساً في المعيشة للفتى      ولا عبس الا ما حباك به الجهلُ  
فالعقل لا يزال مهموماً من جهة ما حبل عليه من التفكير في العواقب. ولبعضهم :  
ولما تعرض لي زاراً      ولم يكُ عندي له موعدُ  
سهرت انكباباً على وصله      لعلمي به أنه ينفدُ  
وما هذا السهر الا للتفكر الذي هو من عوامل العقل . وقد قال شاعرنا  
الانطاكي :

طوبى لمن ترك الهموم بأسرها      وصبا الى رغد المعاش وصفوه  
متناسياً في جهله اسفل الذي      يقصيه في أحكامه عن طوه  
ان المفكر لا يزال بكرهه      وأخو الجهالة لا يزال يزوهه  
وفي كتاب الحيوان انه قيل للبلبل لا نجب بصفرك قبل مشاهدة الورد ولكننا  
نعجب لعدم سكوتك بعد مشاهدته والوصول اليه . فقال أما صفيرى قبل مشاهدة الورد  
فمن شوق اليه وأما بعد وصاله فالتمتع به خوفاً فراقه . ومعزى القصة أن العاقل يجب  
أن يفكر قبل الوصول الى أغراضه للحصول عليها وبعد الوصول اليها للمحافظة عليها  
وهذا أيضاً شأن العاشق الذي عناه بقوله :

ويكي ان نأى شوقاً لليلي      ويكي ان دنا خوفاً للفراق  
وما بكاء العاشق في الحالين الا من نتيجة العقل الذي يدعوه الى التفكير دائماً  
بما سيكون . وقال بعضهم :

يمثل ذو العقل في ناسه      مصائبه قبل أن تنزلا  
فان نزلت بغتة لم يرع      لما كان في نفسه ممثلاً  
رأى الامر يقضي الى آخر      فصير آخره أولاً  
وذو الجهل يأمن أيامه      وينسى مصارع من قد خلا  
فان فأجأته صروف القضا      يبعث مصائبه أعولاً  
ولو قدّم الحزم في نفسه      لعلمه الصبر عند البلا

وقال أحد الحكماء « ان الناس طائفتان طائفة جاهلة تنظر الى شاهد حال الدنيا  
وتستمسك بأمل طول العمر ولا تفكر في العواقب . وطائفة عاقلة تجمل العواقب أمام أعينها  
فتنظر الى ما سيكون وكتب تخرج من الدنيا وتناقرها . وهؤلاء هم الماقلون الذين علي

سلامة ايمانهم ينظرون الى ما سيدخل معهم الى قبورهم من دنياهم وما الذي سيرتكونه الى اعدائهم من بعدهم ويتبعهم وباله ونكاله

« الفرق بين حكم العقل وحكم النفس »

واعلم أن الانسان اختص بالارادة العقلية دون سائر الحيوان وان شاركته في القوى الغضبية والشهوية . ثم أن الارادة العقلية هي غير الارادة المنبعثة عن الشهوة والغضب فانه اذا أدرك الانسان بعقله عاقبة الامر وطريق الصلاح انبعث فيه من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي أسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة التي هي ارادة الحيوان الاعجم . بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تميل الى لذائذ الأطعمة في حين المرض والعقل يجد في نفسه زاجراً عنها رغبة في الشفاء

وخلاصة الكلام ان كل مقصود في الذهن اذا كانت الغاية منه مجرد اللذة من دون ملاحظة مصلحة أو مفسدة فهو نفساني . وان كان الغرض منه المصلحة فهو عقلي وحينئذ فالمقصود النفسي هو ما كان لقضاء الشهوة النفسية . والعقلي هو ما كان لجلب نفع أو دفع ضرر يصرف النظر عن ملاحظة تلذذ النفس أو عدم تلذذها . وعلى ذلك يكون بين المقصود النفسي والعقلي اشتراك من وجه بحيث يجتمعان على ارادة الغذاء واللباس والنوم ونحو ذلك من حاجيات الانسان الضرورية التي يحكم العقل بلزومها والنفس تلذذها . وتفرق بما فيه اللذة دون المصلحة كالسكر والتدخين والميسر ونحو ذلك من المحرمات التي تطلبها النفس ويمنعها العقل أو كالكد وراء العلم أو العمل ونحو ذلك مما فيه المصلحة ولكن تأباه النفس لعدم تلذذها فيه أو لما تلاقى في سبيله من الكد والجهد . وحينئذ فكل قصد نفسي محض يأباه العقل فهو محرّم عقلاً لان الحكم العقلي موضوعه ما كان متصفاً بترتيب المصلحة عليه . وكل عقلي محض تأباه النفس فهو محرّم نفساً لحرماتها من لذتها في معاناته . بقي الاعمال المشتركة بين العقل والنفس فان غلب في الانسان هوى النفس كان نفسياً وخرج عن قصد العقل وحكمه . وان غلب فيه قصد العقل كان عقلياً وخرج عن قصد النفس وحكمها وذلك كعلم الطب وتحصيله فانه مشترك بين العقل والنفس لما فيه من لذة الكمال التي تطلبها النفس ولما فيه من رتب المنافع التي يحكم العقل بوجود تحصيلها وقس على هذا كل ما جمع بين اللذة والفائدة فاذا عرفت هذا فاعلم أن كل أمر فيه مصلحة يحكم العقل بحسنه ووجوب تحصيله من أي سبب كان وفي أي مكان كان وفي أي زمان كان وعلى أي حالة كانت فيظهر



حينئذ . من ذلك ان تحصيل العلم الذي يحكم العقل به ما كان تحصيله لمنفعته فلا يلاحظ فيه هوى النفس أو نقرتها حباً باغتمام المنفعة التي هي غرض العقل الأسمى والتي عليها تترتب المصالح الدنيوية والاخروية

ومما تقدم تبدو جلياً صعوبة الطاعات على النفس لخلوها من اللذة واستقلال العقل بحسنها لما فيها من المصالح ومنه يظهر قوله تعالى « ان النفس لا مارة بالسوء » لانها لا تطاب غير ملاذها ولو خالفت بذلك العقل . والقدر الجامع بينهما هو ما اجتمعت فيه اللذة والمصلحة ويحكم بنسبته الى احدهما بحسب القصد من تحصيله .

وسن فصل هنا الفوارق بين أحكام النفس التابعة لدواعي قواها الغضبية والشهوية والروحانية وبين حكم العقل التابع للمصالح والمفاسد على ما سترى

« في ان النفس تميل لذتها والعقل لمنفعته »

اعلم ان النفس من طبعها النفرة مما تكره والميل الى ما نشتهي خلافاً للعقل الذي مناط حكمه على المنفعة والمضرة . فان الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه ثم قربه وأدناه أو تقرب منه وتزلف طمعاً بالانتفاع منه أو الأمن من ضرر عطاوته ومن ذلك قول الشاعر :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

فيا نكد الدنيا متى أنت مقصر

وقال في مثل هذا شاعرنا الانطاكي :

وأصعب ما عانيته صعبة امرء

أصاحبه قصد انتفاعي بقربه

ومثل ذلك رغبة الرجل في الدواء يتعاطاه على بشاعته متكرهاً قصد الانتفاع به ولو

خيروه لما اختارت نفسه الا لذيد الأظعمة

وربما أحب الرجل الرجل حتى عز عليه أن يفارقه لحظة ولكن تقضي عثمه مصالحه

بإبعاده وأقصائه لمصاحبة من المصالح كمفارقة الوالد الولد قصد التعلم أو الاتجار أو كاقضاء

الملوك بعض حواشيهم سياسة . وربما قضت الظروف باهلاك بعض من يحبون تلافياً

لاضرار تحقيق بوجودهم كالذي تلدغه الحية في أصبعه فيقطعها ويتبرأ منها أو تدوى يمينه

فيترها ليسلم سايره على حد قول الشاعر :

لم تر أن المرء تدوى يمينه

فيقطعها عمداً ليسلم سايره

فمن هذا تعلم انَّ حكم العقل تابع للمصالح والمفاسد وكثيراً ما ينافي شهوات النفس  
الراغبة في ملاذها

« في أن النفس تتعجل ملاذها والعقل يخالفها »

قد علمت أن من لوازم النفس الشهوية ميلها الى التعجل بملاذها ولكن العقل  
بخلاف ذلك يلاحظ الاصلاح . قال أمير المؤمنين عايه السلام « خير الاعمال عند العاقل  
أحمدها عاقبة وخيرها عند الجاهل أعجابها نفعاً »

وقال أحد العلماء « يستدل على عقل العاقل بسكونه وسكوته وحفظ بصره  
وحركاته في أما كتبها اللائقة بها ومراقبته العواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها  
ضرر وراه ينظر في القضاء فيتخير الأفضل والاحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس  
ومنكح وقول وفعل وكذلك يترك ما يخاف ضرره مهما كانت في ذلك لذته ويستعد لما  
يمكن وقوعه » وقنا في هذا :

|                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| ان رمت تدري قدر عقل الفتي | وحزمه فانظر الى فـهـله |
| لا يطلب الامر الذي يشتهي  | ان لم يوافق مقتضى عقله |
| وعنده أفضل أعماله         | مادل في الناس على فضله |

وروي أن اعرابياً خلا بامرأة فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قام عنها  
مسرعاً فقالت له ولم فقال ان امرءاً باع جنة عرضها السماء والارض بمقدار أصبع من  
بين إصبعك لتقابل معرفة بعلم المساحة

وذكر ابن الجوزي في كتاب الاذكياء قال : هرب رجل من أسد فوقع في بئر  
فوقع الاسد خلفه فاذا في البئر دب فقال له الاسد منذ كم يوم لك ههنا ؟ قال منذ  
ايام وقد قتلني الجوع فقال له الاسد أنا وأنت تأكل هذا الانسان وقد شبعنا فقال له  
الدب واذا عاودنا الجوع ماذا نصنع ؟ وإنما الرأي أن نحلف له أن لا نؤذيه ليحتمل  
في خلاص نفسه وخلاصنا فانه على الحيلة أقدر منا فتقدمنا منه وحلفا له فتثبت حتى وجد  
أثقاباً استعان بها على الخروج من البئر فتخلص وخلصهما وهذا أجمل مثال على وجوب  
تفضيل حكم العقل على شهوة النفس

قيل ومثال من استعجل الخير في الدنيا وأعرض عن ثواب الاخرة مثل رجلين  
لقطا من الارض حبتي غناب فأما أحدهما فجعل يمس الحبة تلذذاً بها وأما الآخر فانه  
زرعها فلما كان بعد زمن التقيا فاذا الذي زرع الحبة رآها قد صارت شجرة وكثر ثمرها

والتذُّبها طويلاً فأسف صاحبه على تعجله بلذة زهيدة أعقبها حسرة طويلة هي حسرة  
حسد صاحبه وتغييبه

« في أن العقل ينافي القوة الغضبية »

قد علمت أن القوة الغضبية تقتضي التشفي والانتقام وأما العقل فبخلاف ذلك  
إذا أنه ينظر دائماً إلى الإصلاح وعلى ذلك فالعقل ينافي الغضب لأنه يذهب بصاحبه  
عن الحلم . جاء أن أمير المؤمنين عليه السلام عند ما ظفر بعمر بن عبدود لم يضربه  
مباشرة بل تمهل مدة والناس ينظرون اليهما ثم ضربه فوشى الوشاة بعلي إلى النبي  
عليها الصلاة والسلام بالسان حذيفة فقال له يا حذيفة إن علياً سيدك سبب وقفته فلما  
جاء علي سأل النبي عن ذلك؟ فقال كان هذا الرجل قد شتم أمي وتقل في وجهي فخشيت  
لو أسرعت بضربه أن أضربه لحظ نفسي فتركته حتى سكن ما بي ثم ضربته في الله  
وأنا ذا كر قوله تعالى « ولكم في القصاص حياة »

ومن هنا قالوا ولما كان الغضب يهيج في صدر كل إنسان وجب على السلطان  
وعلى كل من يتولى أمور الناس أن لا يعاقبوا أحداً في حال الغضب لكي لا يتعدوا  
الواجب من جهة وحتى لا يكون هناك تشفي نفساني من الجهة الأخرى . فإن العاقل  
ما تصرف بغضبه على حسب ما تقتضيه المصلحة سواء كان عمله دنيوياً أو أخروياً  
فيكتمه إذا وجب ويظهره إذا وجب وملاحظة المصلحة تتحصر إما في دفع ضرر  
أو في جلب نفع أو حفظ مصلحة عامة أو قضاء حاجة للمسلمين

فأما عن اطراح الغضب لدفع الضرر فقد قيل «العاقل يصلح عدوه إذا اضطر إليه  
ويصانعه ويظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بداً ثم  
يعجل بالانصراف عنه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً » وقيل في ذلك :

أني أحيي عدوي عند رؤيته      لادفع الشر عني بالتحيمات  
فأحزم الناس من يلتقى أعاديته      في جسم حقد وثوب من مودات

وفي بعض كتب الهند: العاقل إذا رجا نفعاً من عدوه أظهر له الصداقة . وقال  
بعضهم كان محمد بن الفضل يجالس أعداءه ويلاطفهم بلين الكلام ويواكلهم فقيل له  
في ذلك فقال لتخمد نار عداوتهم . وقال عقال بن شيبه التميمي « كنت ردف أبي  
فلقية جرير بن الحظفاء على بغلة فحياه أبي ولاطفه فلما مضى قلت لأبي أبعده أن قال  
فينا ما قال تلاطفه ؟ فقال يا بني أتوسم جرحي ؟ . وكان محمد بن الحنفية يقول قد

يدفع بالمكروه ما هو أعظم منه

وأما اطراح الغضب لحفظ مصلحة فقد قيل ان رجلاً أتى بعض الحكماء فشكا إليه صديقه وعزم على مقاطعته والانتقام منه فقال له الحكيم اتقهم ما أقول لك فأكلمك أم يكفيك ما عندك من فورة الغضب التي تشعلك عني؟ فقال أني لما تقول لواع فقال أرجو نفعه بمحفظ مودته واحتمال خطيئته أم لا؟ فقال بل أرجو فقال أظن مضرته بإبعاده وعداوته أم لا؟ فقال بل أظن فقال فاحتمل مؤونته لرجاء منفته واطرح عنك الغضب والانتقام لظن حاجتك في قلب الليالي والايام والله در القائل :

وان أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

ومن كتاب الجواهر السنوية للشيخ محمد الحرّ العاملي يرنح الاسناد الى أبي عبدالله الصادق أنه قال لما رأى ابراهيم الماكوت التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله عز وجل اليه يا ابراهيم ان دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي فاني لو شئت لم أخلقتهم، اني خلقت خلقي على ثلاثة أصناف عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً وعبداً يعبد غيري ولن يفرتني وعبداً يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني

ولامت فاطمة أمير المؤمنين عليها السلام على قعوده عن الخلافة وأطالت تعنيفه وهو ساكت حتى أذن المؤذن فلما بلغ الى قوله « أشهد أن محمداً رسول الله » قال لها أمحبين أن تزول هذه الشهادة من الدنيا؟ قالت لا قال فلهذا قومودي

ولما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان وأبناؤها فقال معاوية يا ابنة أخي ان الناس أعطونا طاعة واعطيناهم أماناً وأظهروا لنا سكوناً تحت حقد فإظهِرنا حلاًماً تحت غضب ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكانه فان نكثنا بهم نكثوا بنا وما ندري علينا تكون الدائرة أم لنا؟ وإن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من ان تكوني امرأة من محرّض المسلمين

وأما حكم العقل باطراح الغضب لجلب المصلحة فيسمى « سعة صدر » وان كان للدنيا سمي دهاة ومكراً

ومما نقل عن دهاة معاوية ما حكى أن أهل الكوفة وفدوا عليه حين خطب لابنه يزيد من بعده بالعهد وكان في الكوفيين هاني بن تروة الرادي وكان سيداً في قومه فقال يوماً في مسجد دمشق والناس حوله المعجب بمعاوية يريد أن يقسرنا على

بيعة يزيد وحاله حاله وما ذلك والله بكان وكان في القوم غلام من قريش جالساً حمل  
الكلمة الى معاوية فقال له أنت سمعت هانياً يقول؟ قال نعم قال فاخرج فانت حاقته  
فاذا خف الناس عنه فقل له أيها الشيخ قد وصلت كلمتك الى معاوية ولا أحب أن  
تكلم بهذا الكلام فانهم بنو أمية وقد عرفت جرأتهم ولم يدعني الى هذا القول لك  
الا النصيحة اشفاقاً عليك وانظر ما يقول فانفتني به فأقبل الى مجلس هاني فلما خف  
من عنده دنا منه فقص عليه الكلام وأخرجه مخرج النصيحة له فقال هاني والله  
يا ابن أخي ما بلغت نصيحتك كلما أسمع وان هذا الكلام لكلام معاوية أعرفه قال  
الفتى وما أنا ومعاوية والله ما يعرفني قال فما عليك اذا لقيته فقل له يقول لك هاني  
مالي الى ذلك من سبيل أنهم يا ابن أخي راشدأ فقام الفتى فدخيل على معاوية  
فأعلمه فسكت ثم قال معاوية بعد أيام لو فد أهل الكوفة ارفعوا حوائجكم وهاني فيهم  
فعرض عليه كتابة فيها ذكر حوائجهم فقال يا هاني ما أراك صنعت شيئاً زد فقام هاني  
فلم يدع حاجة عرضت له الا ذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال قصرت فيما طابت  
زد فقام هاني فلم يدع حاجة لقومه ولا لاهل نصره الا عرضها ثم عرض عليه الكتاب  
فقال ما صنعت شيئاً زد فقال يا أمير المؤمنين حاجة بقيت قال ما هي؟ قال أن أتولى  
أخذ البيعة ليزيد بن أمير المؤمنين بالمراق فان افضل مما زلت لئله ذلك أهلاً

ومن الكرماء أوس بن حارثة وكان يضرب به المثل في الجود وكان بشر بن  
حازم الاسدي أولاً بهجو أوساً وكان أوس نذر لئن ظفر به ليجرقه فلما تمكن منه  
أطلقه وأحسن اليه فمدحه بمدة قصائد وسبب هجاء بشر لاوس هو حكاة المبرد في  
الكامل ان أوس بن حارث بن لام الطائي كان سيداً فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو  
ابن هند وأبوه المنذر بن ماء السماء فدعا أوس فقال له أنت أفضل أم حاتم؟ فقال أبيت اللعن لو  
ملكني حاتم ووالدتي وحمي لجادنا في غداة واحدة ثم دعا حاتماً فقال له أنت أفضل أم أوس؟  
فقال أبيت اللعن انما ذكرت أوساً ولا أحد ولده أفضل مني وكان النمان بن المنذر دعا بحلة  
وعنده وفود العرب من كل حي فقال احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر  
القوم جميعاً الا أوساً فقيل له لم تتخلف؟ فقال ان كان المراد غيري فأجل الاشياء أن لا أكون  
حاجزاً وان كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف الناس مكاني فلما جلس النمان لم ير أوساً فقال  
اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنأ بما خفت فحضر فألبسه الحلة فحسده قوم ن أهله فقالوا  
للحطيفة أهجه ولك ثلاثمائة ناقة فقال الحطيفة كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي شيئاً

ولا مالا الا من عنده فقال لهم بشر بن ابي حازم اشد بن خزيمه انا اهجوه  
لكم فاخذ الابل وفعل فاغار اوس عليها فاكتسحها فجعل بشر لا يستجير حياً الا  
ويقول قد اجرتك الامن اوس فلما ظفر به اوس دخل على امه وكان بشر هجاها  
ايضاً مع اوس فقال قد اتينا ببشر الهاجي لي ولك قالت او تطيعني ؟ قال نعم قالت ارى  
ان ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه فانه لا يفسل هجاءه الا مدحه فخرج فقال ان ابي  
سعدى التي كنت تهجوها امرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحت أحداً  
غيرك حتى اموت فرد عليه ماله واكرمه واطلقه وجعل بشر يمدح بعد ذلك اوساً  
بمكان كل قصيدة هجاء فيها فهجاء بنخمس ومدحه بنخمس وكان من قوله فيه :

الى اوس بن حارثة بن لامٍ ليقضي حاجتي فيمن قضاها  
فما وطىء الثرى مثل بن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

اقول هذه ثمرة الصنح وبجانبه الغضب والانتقام فلو قتله لحسرت مدحه وبقي عايبه  
هجاؤه الى يوم القيامة اذ لا ثمرة في الانتقام الا التشفي ولا ثمرة للتشفي الا بقاء  
المدارات في الصدور الى يوم النشور . وقال في مثل ذلك شاعرنا الانطاكي :

لانتقم واصفح تقز بولاه من عاداك واترك العدو صديقا  
والانتقام يؤرث الاحقاد فاه جرها تبت بالمحمدات خليقا

كان لعبد الله بن الزبير ارض مجاورة لارض معاوية فدخل عبيد معاوية ارض  
عبد الله بن الزبير وغضبوا منها ما غضبوا فكتب هذا الى معاوية : اما بعد يا معاوية فان  
عبيدك غضبوا ارضي فامرهم ان يكفروا عنها والا كان لي ولكم شأن فلما وقف معاوية  
على كتابه دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال ما ترى يا يزيد ؟ قال ارى ان تبعث له  
جيشاً اوله عنده وآخره عندك يا تيك برأسه فيريحك منه فقال معاوية عندي خير  
من ذلك يا بني قال ما هو يا ابي ؟ قال علي بدواة وقرطاس فكتب فيه : قد وقفت  
على كتاب ابن حواري رسول الله فساءني والله ما ساءك والدنيا وما فيها هينة في حبك  
ورضاك وقد كتبت على نفسي سطوراً اشهدت الله فيها وجماعة من المسلمين على ان  
الارض والعبيد الذين فيها ملكك ففضها الى ارضك وضم العبيد الى عبيدك والسلام . قال  
فلما قرأه عبد الله بن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب امير المؤمنين لأعدمني  
الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على  
الكتاب ناوله الى ابنه يزيد فلما قرأه هزل وجهه فرحاً فقال له معاوية يا بني اذا

بليت بشيء من هذا الداء فداوه بمنثل هذا الدواء . هذا قليل من دها م معاوية (١)

(١) أما سعة الصدر والدعاء المقرون بالحكمة فحلتان ميمزتان لجناب مولانا معز السلطنة سردار اقدس عظمة الشيخ خزعل خان حفظه الله تعالى ولعظته من النوادر والحوادث من هذا القبيل الشيء الكثير

فمن سعة صدر عظمته أنه لا يفضب على أحد من خدمه وأعوانه بل يعامل الجميع بمنتهى الحلم والشفقة ويقابل اساءتهم بالاحسان وقد قيل يوماً لعظته في ذلك فقال ان غلماني مني بمنزلة الاولاد البررة من الوالد الرؤوف فان عاملتهم بالشدة قهرتهم على طاعتي وخدمتي فيخدموني باجسامهم ويكرهونني بقلوبهم أما وأنا أعاملهم بالحلم واللين فانهم يخدمونني بقلوبهم وأجسامهم معاً وفوق هذا فما دمت منهم بمنزلة الاب من أبنائه فيجب أن أعاملهم بشفقة الاب فيعاملوني معاملة الابن البار لايه فهذا عظمة مولانا حفظه الله مع غلمانه اما غلمانه فهم شاعرون بحلم مولانا ومولاهم وعطفه عليهم ولذلك ما فيهم الا الذي يتعنى أن يفديه بنفسه وراهم يتسابقون على عمل ما فيه رضاؤه العالي من غير أن يطلب منهم عملاً فكل أمر يعاملون أنه يسره يبادرون الى عمله من عند أنفسهم وطامسا برهنوا على حبهم الا كيد لعظته بما فيه الدلالة الساطعة على أنهم مقدرون قدر حلمه وعطفه وشفقته حفظه الله تعالى

ولا يقتصر سعة صدر عظمته على غلمانه فقط بل على الابعدين ممن يتحرشون بعظته بدسياسة البعض من حاسديه وهم كثيرون من قبيل « كل ذي نعمة محسود » فهو يقطع السننهم بحلمه وسماحه حتى يستأصلها من جذورها فكأنهم مغرورون في الناس أطلق لسانه على عظمتهم ثم احتاج اليه فلقى منه عطفاً ورحمة وأحساناً فعاد شاكرًا حامداً يوبخ نفسه بنفسه على ما فرط منه مع أن كل هؤلاء المغرورين لا يساؤون قفلة ظفر من اظفاره فضلاً عن أن يستحقوا من لدنه عناية ولو شاء ففي أقل اشارة تصدر منه يصبحون هباءً منثوراً فلا يكونون شيئاً مذكوراً ولكن هو صدره الواسع يسع الجميع هذه اشارة الى سعة صدره وحلمه أما دهاؤه السياسي فقد أبدى فيه من المدهشات

ما يخداه التاريخ لعظته في بطون الاوراق الى يوم القيامة

تولى عظمة السر دار اقدس أمانة عربستان وهي ضيقة النطاق وأكثر القبائل العربية الخيمة فيها منتقضة على الامارة فاضطر الى اشهار الحرب عليها لتأديبها واعادتها الى الطاعة تجديداً لما كان الجنان الوالد الكثير المحامد نصرة الملك الحاج جابر خان رحمه الله تعالى



وبالجملة فإنّ ذا العقل يتصرف بغضبه على حسب مصالحه فيكتمه ويظهر ضده من  
البشاشة والاطب إذا اقتضت الحال. ومن هذا القليل قول الشاعر :

كم عايدٍ رجلاً وليس يعود      الا لينظر هل يراه يموت  
وقيل ايها :

ومستخبر عنا يريد بنا الردى      ومستخبرات والعيون سواكب  
وقننا في هذا المعنى :

وأغضي عن الاعداء حلماً وحكمة      وأقامم والثغر بالبشر باسم  
وقد عرفوا أنني أشتت شملهم      بيوم الوغى والسهل عندي لقائم  
وما الحلم الا بعد قدرة قادر      والافضعف لم يسوغه حازم  
ونفسي تأبى أن تكون غضوبة      وان غضبت هانت عليها العظام

واعلم أنّ الغضب أحوالاً لا يجوز فيها اخفاؤه والا كان ذلك ضعفاً وخواراً. فمن  
كلام بعض الحكماء « اذا رجا الحازم تقع العدو أظهر له الصداقة واذا خاف ضرر

واذ كان عظمته خلد الله ملكه وأطال عمره من الدهاء على الجانب الاعظم كان  
يشهر الحرب وبدعو جيوشه الجبرارة الى القتال ويسير في مقدمتها غازياً بحارباً. على انه  
كان يبادر الى الصفح والرحمة متى اشعر من اعدائه بخوار العزيمة والميل الى المسالمة فكان  
يبادر الى الصفح ويعامل رؤساء اعدائه بالاكرام والهدايا فيخضعوا لراياته ليس بدافع  
الخضوع للقوة فقط بل وبدافع الاعتراف بالجميل وهكذا ملك قلوب جميع القبائل المنتقضة  
عليه فأصبحوا له عبيداً وهم أحرار. وما زال عظمته أعز الله ملكه على هذا الدهاء والحكمة  
حتى سلمته جميع قبائل عربستان والتفت حول رايته باخلاص وحب أكيدين لا  
يكونان عادة في نفس المغلوب نحو الغالب

واذ كرر اني كنت في سنة ١٣٢٩ في خدمة عظمته في الاهواز وقد جرّ دجيوشه  
الظافرة لحرب البخيارية في شوستر فاجتمع هناك أكثر رجال العشائر وكان فهم  
العدد الاكبر من الروساء الذين حاربهم وقهرهم فوجدت من حبيهم واخلاصهم لعظمته  
مالا يكاد يصدق وقد كانوا يدعون بطول بقاء عظمة مولانا الشيخ المعز ويقولون جهرة  
لولا عظمته لاهلك بعضنا البعض فهو الذي جمع قلوبنا وجمعنا بنعمة الله اخواناً ومن هذا  
القول يتضح جلياً فضل عظمته وحسن دهائه في ادارة أمارته التي اتسعت بحمد الله  
هذا الاتساع العظيم حتى عمّت اليوم جميع عرب عربستان ولا تزال في نمو ان شاء الله

الصديق أظهر له العداوة ألا ترى صفار البهائم تتبع أهانتها رجاها ألبانها فاذا قطعت انصرفت عنها « وقد قال الشاعر :

ورب تقطب من غير بغض وبغض كامن تحت ابتسام

وقال شاعرنا الانطاكى :

تظن لمن يلقاك واحذر ظواهرأ  
فكم من عدو قد يلاقيك باسمها  
تفرّك لا تطوي عليها الجوارح  
وما هو الا ببغض القلب كاشح

وقال بعض البخلاء فيما لا يتجاوز ما نحن في صدده :

وانا لنجفو الضيف من غير عسرة مخافة أن يدري بنا فيعود

وكما ينبغي اظهار الغضب له مصلحة ولو بغير حقد كذلك ينبغي اظهار الحلم والدهاء للمصلحة ولو بغير رضاء. وهذا هو الدهاء الواجب أن يكون في الزعماء وذوي الرئاسة أكثر من سواهم

« في منافاة العقل للقوة الروحانية »

سبق لنا أن أوضحنا أن من لوازم الروحانية الانفة وعزة النفس، وقد تصل الى التكبر الذي هو نتيجة التغالي فيهما. على أن العقل الذي يلاحظ دائما المصلحة دون العواطف يحكم بضد ما تحكم به القوة الروحانية إذ أن التكبر يمنع من حصول المنافع المتوقفة على التواضع وكسر النفس في مواطن شتى على حد قول العامة « الارض الواطئة تشرب ماءها وما غيرها » وقولهم « الرجال عند أغراضها نساء » ومثل ذلك أيضاً حب الاستعلاء والانفة من الذل وهي من القوة الروحانية

قال احمد بن حنبل كنت في مجلس أبي يوسف حين أمر ببشر المرسي فخرّوه يرجله الى أن أخرجه ، ثم رأيت في المجلس فقيل له كيف رجعت الى المجلس فقال لست أضيع حظي من العلم بما فعل بي في الامس

وفي كتاب كلية ودمنه ان من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الانفة والحمية ووطنها على الصبر حمد غيب رأيه كما صبر الاسود على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش. وذلك على ما زعموا أن أسوداً من الحيات كبر وضعف بصره ودهبت قوته فلم يستطع صيداً ولم يقدر على طعام وانه انساب يلتمس شيئاً يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه فرمي نفسه قريباً منهن مظهراً الكآبة والحزن. فقال له ضفدع مالي أراك أيها الاسود

كثيباً حزيناً قال ومن أخرى بطول الحزن مني انما كان أكثر معيشتي مما كنت أصيب من الضفادع فابتليت بيلاء وحرمت عليّ الضفادع من أجله حتى اني اذا التقيت ببعضها لا أقدر على اسأكه. فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الاسود فأتى ملك الضفادع الى الاسود فقال له كيف كان أمرك؟ قال سمعت منذ أيام في طلب ضفدع وذلك عند المساء فاضطررت الى الاتجاه الى بيت ناسك ودخلت في أثره في الظلمة وكان في البيت ابن للناسك فاصبت أصبعه فظننت انها الضفدع لدغته فمات فخرجت هارباً فتبعني الناسك ودعا عليّ ولعني وقال كما قتلت ابني البري ظلماً وعدواناً كذلك أدعو عليك أن تذللّ وتصير مركباً لملك الضفادع فلا تستطيع أخذها ولا أكل شيء منها الا ما يتصدق عليك به ملكها فاتيت اليك لتركبني مقرأً بذلك راضياً به فرغب ملك الضفادع في ركوب الاسود وظن أن في ذلك فخرأً له وشرفاً ورفعة تدر فرجه واستطاب ذلك فقال له الاسود قد علمت انها الملك اني محروم فاجعل لي رزقاً أعيش به قال ملك الضفادع لعمرى لا بد لك من رزق يقوم بأودك ما دمت مركباً لي وأمر له بصفدين يؤخذان في كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خصوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقاً ومعيشة

ويجب أن تعلم أن الغرض من هذا المطلب هو أن لا يتسفل الانسان وينذل نفسه ويهينها في كل مطلب سعيماً وراء مصاحته فان هذا ليس من العقل في شيء وانما يجب على الانسان أن يخفف من غلوائه ويخلي بمض خيالاته في تلافي مصالحه بين دفع ضرر وجلب منفعة

﴿ الروضة الاولى ﴾

( في ان من شأن العقل النظر في العواقب )

« تمهيد »

اعلم أولاً ان الله تعالى لما خلق النفس وركب فيها قوى الغضب والشهوة وغيرها من الاخلاق الباعثة لها على التورط في المهالك واقتحام الاهوال كالطمع والحرص جعل العقل قائداً لها ورقبياً عليها يمنعها عما لا ينبغي ويرغبها في ما ينبغي . ولهذا سمي عقلاً اشتقاقاً من عقل الناقة فهو يعقل النفس ويمنعها من التورط من جهة وينبها في أعمالها الى الشرائط الواجب أن تتبعها من الجهة الثانية ويحذرهما من اقتحام الموانع والمحظورات

من الجهة الثالثة

واعلم ان لبعض الاعمال البشرية دواعي قاهرة أو غير قاهرة تسوق الناس اليها كالحاجة أو الانتفاع أو دفع الضرر أو الالتزام أو المناسبة أو مقتضى الحال ول بعضها لا يوجد دواعي وهذه يقبح التكليف بها بنظر العقل خلافاً لتلك فان معاناة مالا حاجة اليه عبث والاهتمام بدفع ما لا يضر سفاهة والبهاس ما لا ينفع جهل والاشتغال بما لا يعني فضول والتكاف لما ليس له شأن جنون فهذه أمور خمسة نرى من الواجب تفصيلها والله الموفق

« معاناة مالا حاجة اليه »

قيل لا امير المؤمنين عليه السلام انك مطلوب فلو اتخذت طرفاً سابقاً فقال عليه السلام اني لا أفرُّ بمن كرت ولا أكرُّ على من فرَّ بالغبلة تكفيني . وقال أبو العتاهية في عبد الله بن معن :

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالاً

وما تصنع بالسيف اذا لم يك قتالاً

قال عبد الله فما لبست سيفي قط ورأيت انساناً يلحطني الاظننت أنه يحفظ قول أبي العتاهية . وقلنا في هذا المعنى :

لا تتعب النفس في ما لا يفيد ولا

وأجهد النفس في ما أنت تكسبه

وفي الاثر أن جندياً من جنوده خرج مع أمير المؤمنين عليه السلام الى حرب الكفار فنظر الامير اليه فاذا قوسه بغير سهام فقال أين نشابك الذي ترمي به؟ قال ليس عندي نشاب ولكن أرمي بالنشاب الذي يرمى به نحوي فقال لعله لا يرمي أحد اليك نشاباً قال اذن لا حاجة الى الحرب

وحكى ابن قتيبة أن عمر بن الخطاب مرَّ بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهربوا منه الا عبد الله فقال له عمر ما لك لا تهرب مع أصحابك؟ فقال يا أمير المؤمنين لم أكن على ريبة فأخافك ولم يكن الطريق ضيقاً فأوسع لك فأعجب عمر بجوابه وروي أن المأمون قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب رجل جاءني زاعماً أنه نبي الله موسى فقلت له ان الله أخبرنا عن موسى عليه السلام أنه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء فقال متى فعل ذلك؟ أليس بعد أن لقي فرعون فأعمل

أنت كما عمل فرعون حتى أعمل أنا عمل موسى فأجازه واستتابه  
وقيل أيضاً تنبأ رجل وادعى أنه موسى بن عمران وبيع خبره الخليفة فأحضره وقال  
له من أنت؟ قال موسى بن عمران قال وأين عصاك التي صارت ثعباناً؟ قال قل أنا ربكم  
الاعلى كما قال فرعون حتى أصيرها ثعباناً كما فعل موسى فضحك الخليفة وأجازه  
والخلاصان أحسن الاعمال ما كان له سبب يدعو اليه وأسفه الاعمال ما كان بلا سبب  
وقال في ذلك شاعرنا الانطاكي :

عجبت لمن يسمى ويعنى بأمره      ولا حاجةٌ تدعو الى ذلك العنا  
فما ضره لو كان يعنى بحاجةٍ      ويبذل فيها السمي كي يبايع المنى  
« في الاهتمام بما لا يضر »

حكى أن رجلاً اسمه دمية كان قبيح الصورة فقيل له في ذلك فقال أنا لا أرى  
صورتى إنما التعب على غيري . وقيل

إذا الكلب لا يؤذيك عند نديحه      فدعه الى يوم القيامة ينبجُ  
وما زعمته العرب على لسان الحيوان: ان ابن آوى دخل بيتاً فأخذ دجاجة فصاحت  
المرأة صاحبة البيت «أخذ ابن آوى الدجاجة التي وزنها رطل» فوقف ابن آوى فقال له  
رفيقه من بنات آوى مالك وقلت؟ قال أما تسمع هذه الكاذبة تقول وزن الدجاجة التي  
في في رطل وهي أقل من أوقية فقال أعطينها وهي عليّ بعشرين رطلا  
وقلنا لواقعة حال :

دعوا صحف الرقاعة وهي زوي      روايات الحماقة والسفاهه  
فقد هزأ الحكيم بناشرها      وسفها الأديب على البدهه  
وسفه القول يقصر ماتاهي      عن التأخير في أهل النباهه (١)

(١) عند مازرت بغداد في سنة ١٣٢٨ على عهد المرحوم ناظم باشا لمعاوته على  
نشر الاصلاح بإيقانه على حقائق أميال العرب الصادقة للدولة العثمانية أساء في الظن  
وأمر بتفتيش أوراقى في حديث يطول واذ لم يجد على علة يتمسك بها أمر باخراحي  
من بغداد فعموم العراق بلا سؤال ولا محاكمة . فهبت بعض الصحف المنفقة للطعن في  
نزلاً الى الوالى شأن ذوي النفوس الصغيرة، فقالت في ما قال مالك في الحمر فانتهم بعضهم  
الفرصة وأرادوا النيل منى فعرضوا هذه الصحف على مسامع عظمة مولاي وليّ النعم

( في ما لا نفع فيه )

قيل في الاثار « اطلب أربعة من أربعة فاطلب من الموضوع الذي تنزل فيه السلامة  
ومن الصديق الصدوق الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من وضعك  
السلامة فالسجن خير منه . واذا لم تجد من صاحب الكرامة فالكلب خير منه . واذا  
لم تجد من مالك الفراغة فالمدري خير منه . واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه » .  
فهذه أربعة أمور وليبينها نقول : أما الموضوع الذي لا سلامة فيه فقد قال أمير المؤمنين

عليه السلام ليس بلد بأحق بك من بلد وخير البلاد ما حملك وقال الشاعر :

لا يصدفتك عن أمر تحاوله      فراق أهل وأحباب وجيران  
تلقى بكل ديار ما حلت بها      أهلاً بأهلٍ واخواناً بأخوان  
وأحسن منه قول الفرزدق :

وفي الارض عن دار القلى متحوّلٌ      وكل بلاد وطنك بلاد

وقال البيطار :

يقولون هذي أم عمرو قريةٌ      دنت بك أرضٌ نحوها وسماه  
ألا إنما قرب الحبيب وبعده      اذا هو لم يوصل اليها سواء  
ومثل ذلك لبعضهم :

بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا      على أن قرب الدار خيرٌ من البعد  
على أن قرب الدار ليس بنافع      اذا كان من هواه ليس بندي ودّ  
وقال المتنبي :

اذا رحلت عن قوم وقد قدروا      ألا تفارقهم فالراحلون هم  
وقال شاعرنا الانطاكي :

يلوموني انطال هجري ولم أعد      الى موطنٍ فيه معاشر اخواني  
وما علموا اني قد هجرته      ولو أنصفوا ما كنت أترك أوطاني

السردار أقدس المعظم ظناً منهم أن مثل هذه الكتابات تؤثر على مكانتي عند ولي نعمتي  
وأنا عبده المملوك فأكان من عظمته جعلني الله فداءه واطال بقاءه الا ورمى بها الارض  
احتقاراً وأنشد هذه الايات فكانت سبباً لرد كيد الكايدين الى نحورهم أطال الله بقاءه ولانا  
وأدام عطفه العالي على عبيده الامناء

أضاعوا حقوقني اذها قد مجاهلوا  
وما علموا في زادعوني لهجران  
تركتهم بالرغم مني لغيرهم  
كما تركوني بين حذر واطعان  
وان الفلا رحب وما ضاق رحبه  
على كل من يسمي بحزم وعرفان  
ومن كان مجهول المسكان بمربع  
وظل به قلبات يرضى بأهوان (١)

وأما صاحب الذي لا يرجى اكرامه فقد قيل فيه ونعم ما قيل « خير الناس من  
يرجى خيره ولا يخشى شره ، وشرُّ الناس من يخشى شره ولا يرجى خيره ، وأما من  
لا يرجى خيره ولا يتقى شره فهو خارج عن حكم الانسانية » تقول العامة في أمثالها  
« ان الصديق اذا لم ينفع صديقه في الدنيا فلا حاجة الى الاتفاح به في الآخرة »  
وقال الشاعر :

اذا كنت لاعلم لديك تفيدنا  
ولا أنت ممن يرتجى لكربة  
وقال الصفدي لو كان لي في البيتين حكم  
لهدمت القافيتين وقلت :  
اذا كنت لاعلم لديك يفيدنا  
ولا أنت ذو جود فزجوك للقري

(١) تركت موطني حلب في سنة ١٨٩٧ مسيحية وبعد ان نجوت في سوريا  
رحلت الى مصر فأقت فيها الى سنة ١٩٠٠ حيث رجعت لسوريا فخلب فأقت هناك أربعة  
أشهر ثم تركتها راجعاً الى مصر ولم أعد اليها وربما لا أعود أبداً. وحدث أن بعض  
محبّي في الوطن المحبوب انتهزوا فرصة وجودي في خدمة ولي نعمتي عظمة الشيخ المعز  
روحي فداه سنة ١٩٠٨ فكتبوا لعظمتي يلوموني لهجراني وطني ويلتمسون من  
عظمتي أن يصدر أمره الكريم اليّ بالرجوع من الخدمة بطريق البر الى حلب فانشدت  
عظمتي هذه الايات وكان في ذيلها قولي :

انا اليوم في نعمي أجر ذيوها  
بخدمته مولاي المعز وظله  
رأيت به عزاً وفخراً وسودداً  
بنفسي وأمي أنتديه ووالدي  
فلا أنا ناوٍ في مسئلة غزبة  
ومالي رجوي ارتجيبها سوى بأن  
لتحبي به آمال أمة أحمد  
ومجدٍ واقبالٍ وعيشة هنان  
وخدمته الزهرا التي رفعت شاني  
ومصدر عرفانٍ ومورد احسان  
وأهلي واصحابي عنهم أغناني  
ولا أنا شاكٍ من تراحم اقراي  
تعيش عميد العرب في رفعة الشان  
ويحبي لها ذخراً يواسع سلطان

ولا أنت ممن برنجي لكرهية عملنا مثالا مثل شخصك من خرا  
وقال حكيم « إذا كنت في الدنيا لا تنفع وفي الآخرة لا تشفع ثم رفعت فأخلاق بك  
أن تصفع » وقال بعضهم:

يقول أنا الكبير فعظموني      إلا تكلتكم أمك من كبير  
إذا كان الصغير أعمّ نفعاً      وأجلد عنه نائبة الامور  
ولم نجد الكبير بيوم نفع      فما فضل الكبير على الصغير

وقال بعض العقلاء « من لم ينل الخير في حياته ، فلا تبك عينك عليه يوم وفاته ،  
ومن لم يسأل عنك بالعدوات ، ويصلك بالعشيات ، فاعده من الاموات » وقال بعض  
العلماء « اظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب في مودة من لا ينفعه »  
وقال بعض البلغاء « ليكن غرضك في اتخاذ الاخذاب واصطناع النصحاء تكثير العدة ،  
لا تكثير العدد ، وتحصيل النفع ، لا تحصيل الجمع ، فواحد يحصل به المراد ، خير من  
ألف تكثر بهم الاعداد » وقال بعضهم « اذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره  
ثانية فلعله أن يكون قد نسى فان لم يقضها فكبر عليه خمس تكبيرات واقرا أو الموتى يبعثهم الله »  
وقلنا في هذا المعنى:

إذا لم اخدم الدين القويما      ولم انشر عملي كتي العلوما  
ولم اصنع بذى الدنيا عظيما      فلست العادل ابلجكم العظيما  
وان لم اورث الملك النعيما      ولم اسعف على الدنيا كريما  
ولم احمل عن الناس الهموما      فلست المالك الفطن العزوما  
وان ابقيت في ملكي ظلوما      ولم اردع باحكامي الاثيما  
واهملت اليتيمة واليتيما      فلست السيد السند الحكيم (١)

وقيل ان ابن شبرمة قضى يوماً لبعض اخوانه حاجة كبيرة فجاه بهدية فقال ما هذا ؟  
قال مكافأة ما أسديته اليّ فقال خدم مالك عافك الله واعلم أنك اذا سألت أخاك حاجة  
فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعدّه في الموتى

(١) نقول هذا قول عظيمة مولانا السردار أقدس برك الله فيه ومتعنا بشريف  
وجوده وقد طبقه على افعاله في امارته العامرة على ما يشهد الناس أجمع فهل بعد ذلك  
من زيادة لمستزيد ؟ أولاً بحق ان ننشد مع الشاعر :

لنا والد لو كان للناس مثله      أب آخره أنانهم بالناقب



وقد قيل الناس كالشجر فمنها ماله ظلّ وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع منه في الدنيا دون الآخرة . ومنها ماله ظلّ وثمر وهو مثل الذي ينتفع منه في الدنيا والآخرة ومنها ما ليس له ظلّ ولا ثمر وهو مثل الذي عناه الله تعالى في قوله « يدعو لمن ضره أقرب من نفعه المولى ولبئس العشير » وقال بعض الأذكياء :

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم<sup>١</sup> لا يستوون كما لا يستوي الشجر  
هذا له ثمرٌ حلوه مذاقته وذلك ليس له طعمٌ ولا عمرٌ

وقال شاعرنا الانطاكى في الصديق :

إذا لم ترَ عطفاً ووداً ورحمةً وجوداً واحساناً من الخلّ خلّه  
وإن صديق الخير من كان دائماً يجده إلى خير الصديق بفعله

ومن هذا القبيل المال فان المال وجد لينتفع به الانسان ويعتزّ به أما اذا لم يجد فيه نفعاً وعزة فهو والمدو سيّان وقد قلنا في هذا:

إذا كان مالي لا يخفف كربة عن الناس أو يولى الخبير ويبذل  
فلا كان في صدوقه متكرّداً ولا كان من فيه يشحّ ويبخل  
أرى المال عزاً أن يعزّه به الفقى على الناس بالاحسان اذ يتفضل  
والا فان المال هون لمن به اذا سئل الاحسان يابى ويمطل

وقال أحد الشعراء :

المال مال المرء ما قضيت به ال شهوات أو دُفعت به الاحداث  
ما كان فيه فاضلا عن قوته فليعلمن بأنه ميرات

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام « أعمالك من دنياك ما أصلحت به مشواك » وأما العلم الذي لا ينفع فقد قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام « ان خير القول ما نفع » وأعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع به وما كان كذلك لا ينبغي تعلمه لأنه ضياع وقت وتعبد فكري غير مقابل . ومن العلم ما ينفع في الدنيا والآخرة كعلم الدين ومتفرعاته ومنه ما ينفع للدنيا كالمعلوم الأدبية والفنون العصرية وكل هذه تعلمها واجب وبقدره الاستفادة منها الانسان يستفيد في دنياه وأخراه . أما العلوم التي لا تنفع ولا يندب صاحبها لتعلمها فهي كتعلم اللغات الماتئة أي التي لا تستعمل أو هي غير معروفة ومثل ذلك تعلم العلوم القديمة التي أبطلها العلم الحديث ونحو ذلك

ومن منافع العلوم الدينية ان الانسان يعرف كيف يتقرب بها الى الله عزّ وجلّ بصالح

عمله كقروي عن امير المؤمنين عليه السلام اذ قال يوم عيد انما هو عيد من قبل الله صيامه  
وشكر قيامه وكل يوم لا يصحى الله فيه فهو عيد . وقال شارح نهج البلاغة عند تفسيره  
هذا القول الرشيد ان المعنى ظاهر وقد نقله بمض الحديثين الى الغزل فقال :

قالوا آتى العيد فلت أهلا      ان جاء بالوصل فهو عيد  
من ظفرت بالمنى يدها      فكل أياها سـعود

وسمع أحد الصوفية هذين البيتين من فم مغني ينشدهما فطرب وصفق وأخذها  
بالمعنى الذي عنده . وقد قال شاعر الانطاكى في هذا المعنى :

وما العيد الا أن أراك بجاني      كلانا محبٌ مغرمٌ وودود  
اما وهلال الوجه منك قد اختفى      فليس هلال العبد عندي عيد  
وقال آخر في هذا المعنى .

قالوا آتى العيد والأيام مشرقة      وأنت بك وكل الناس مسرور  
فقلت ان واصل الاحباب كان لنا      عيداً والا فهذا العيد عاشور  
وقلنا في العيد أيضاً :

وما العيد ينيني اذا لم أر به      رعاياي في بشرى رومن وايناس  
وما أنا في الاضحى اضحى رعيتي      وما أنا فيه للرعية بالناسي (١)

وقال النبي صلى الله عليه وآله « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد »  
وقال عليه السلام « خير نسائكم الولود الودود » وقال « سواد ولود خير من  
حسنا لا تلد » ومثل هذا ما نقل عن المسيح عليه السلام اذ شبه المرأة العاقرة بالشجرة  
التي لا تثمر وقال خير لها أن تقطع وتلقى في النار . وقال موسى عليه السلام مثل  
ذلك . وهو اجماع من انبياء الله عليهم الصلاة والسلام في تفضيل الولود على العاقرة  
وأشرف المأمون يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً ومعه خدعة يكتب بها على  
حائط قصره فقال لاحد غلمانه انزل الى ذلك الرجل وامسك يده واقرا ما كتبه ففعل  
الغلام كما أمر سيده وقرأ :

(١) تفضل عظمة مولانا المعز أعزّه الله فأنشد هذين البيتين في عام جذب بينما  
كانت وفود المهتئين بحضرتة يدعون لعظمته بطول العمر وأمر أمين ماله يوهب منذ  
بتوزيع مبلغ كبير من المال على المعوزين . فانظر الى هذه الاخلاق العالية والعواطف  
الشريفة من هذا الملك الرؤوف حفظه الله وجعلنا فداه

يا قصر جمع فيك اللؤم والشؤم متى يعيش في أركانك اليوم  
 يوم يعيش فيك اليوم من فرحي أكون أول من دعاك مرغوم  
 فقال للرجل أحب أمير المؤمنين فجزع الرجل واشتد به الوجع وقال سألتك  
 بالله يا غلام لا تذهب بي إليه فقال انه يراك من القصر فأخذه وأوقفه بين يدي المأمون  
 وقال وجدته كتب كذا وكذا فقال المأمون وبك ما حملك على هذا ؟ فقال يا أمير المؤمنين  
 انه لم يخف عنك ما حواه قصرك من خزان الاموال والحلي والحلل والطعام والشراب  
 والامتعة والفراش والجواهر فررت عليه وأنا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفاكراً  
 في أمري وقت هذا القصر عال عامر وأنا جائع لا فائدة لي منه فلو كان خراباً  
 ومررت به لم أعدم منه حجراً أو خشبة أو مسباراً أبيعه وأتقوت بشعنه. أو لم يعلم أمير  
 المؤمنين بقول الشاعر :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرء نصيب ولا حظٌ بمنى زوالها

وما ذاك من بغضٍ لها غير أنه يرجي سواها فهو يوى اتقالها

فقال المأمون لحازنه أعطه ألف دينار ثم قال هي لك في كل سنة مادام قصرنا عامراً (١)  
 ودخل أبو دلامة على المنصور فأنشد قصيدة فقال يا أبا دلامة ان أمير المؤمنين  
 قد أمر لك بكذا وكذا من صلة وكسك وحملك وأقطعك أربعمئة جريب مثنان عامرة  
 ومثنان غامرة. فقال أما ما ذكر أمير المؤمنين من الصلة فقد عرفته وعرفت العامر فما  
 العامر قال الذي لانبات فيه ولاشجر فقال لقد أقطعت أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب  
 غامرة قال ويحك أين ؟ قال فيما بين الحيرة والكوفة فضحك منه وجعلها كلها عامرة  
 وجاء شيخ عربي يسمى خليفة الى اصفهان وكان رجلاً صالحاً وكان الامراء  
 يعظمونه والعطاء يكرمونه بالمدح لا غير ويطلبونه الى منازلهم على أنهم ما كانوا يصلونه

(١) روى لنا عظمة مولانا المعز هذه القصة في ذات ليلة وشفعها قائلاً اتنا من  
 فضل الله فتحنا ديوانيتنا في وجوه الناس لكي لا يدعوا علينا أحد . فقلت مولاي جعلت  
 فذاك بل ان هذه الديوانية قد سارت الركبان بنبأها الى بلاد الغرب فأصبح شكرك  
 متلوا بكل لسان فنذ يومين مررت بالديوانية وجعلت اتفقد غرفها المملأ بالضيوف  
 وبينما أنا كذلك واذا بثلاثة من بلاد الروس قد نزلوا فيها واذا كانوا لا يحسنون  
 العربية تعذر عليهم التفاهم مع عاملك عليها فاستدعاني للترجمة فاذا بهم يحسنون الفرنسية  
 فأخذت بمخاطبتهم فقالوا لقد نزلنا هذا المسكان منذ الصباح وجاؤنا بنار وشاي وسكر

بشيء يستعين به على حوائجهم فأنشد قصيدة فارسية قال في جملة أبياتها :

هواهم بارد والاب سرداست      تواضعهم خليفة مغرب مراسست

واعلم أن قرابة النسب اذا عريت عن مبادلة المنافع فسدت ولذلك قال العرب في أمثالهم « رب أخ لم تلده أمك » وقال أمير المؤمنين « لا خير في قرابة من دون مودة » وسئل أحد الأذكياء أيما أحب اليك أخوك أم صديقك؟ فقال أخي اذا كان صديقي فالقربي تحتاج الى مودة والمودة مستغنية عن القربي

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ان أولى الناس بالانبياء أعلمهم بما جاءوا به ثم تلا « ان أولى الناس براهيم الذين اتبعوه وهذا النبي » الآية ثم قال عليه السلام ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت لحنه وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته ومثل هذا الحديث المرفوع « لا تأتوني بأعمالكم وتأتوني بألسابكم ان أكرمكم عند الله اتقاكم » وقال أبو فراس الهمذاني .

كانت مودة سلمان له نسباً      ولم يكن بين نوح وابنه رحم

وقال شاعرنا الاطباكي :

ليس القرابة ان تنمى الى نسب      بِنافع لذوي القربي على الزمن

ان القرب الذي يعنى به مرتته      في جلب منفعة أو مدفع الاحن

وقال أمير المؤمنين عليه السلام « الكرم أعطف من الرحم » وقال مثل هذا

ونحن لا نملك الثمن وما نحن الا فقراء نقصد بغداد عسى أن نجد فيها عملاً بسد الهندية والمال الذي معنا بالكاد يكفيننا لنصل اليها فقلت قروا عينا أنتم هنا بضيانة أمير العرب الاكبر وسيدهم الا شهر قولوا كيف ونحن لا نعرفه؟ قلت انه يضيف الناس ولو كانوا لا يعرفونه واسمكم أن تقيموا هنا ما شاء الله أن تقيموا متى أزمعتم على الرحيل اشترى لكم تذاكر السفر ونفحكم بالعطايا قالوا وهل يفعل ذلك مع كل الناس ولو كانوا من غير جنسه ودينه؟ قلت نعم قالوا اتنا ما عهدنا ذلك في أوروبا بأسرها قلت ان الكرم العربي الذي عظمة مولانا الشيخ المعز أفضل مثاله هو من يميزات هذه الامة النجبية ففرحوا ودعوا فقال مولانا اذن وجب علينا زيارتهم لتطيب خواطرم وبالفعل شرف عظمته في اليوم التالي الديوانية وزار ضيوفه وفي جملتهم هؤلاء وكنت في الخدمة فجعلوا يشكرونه ويثنون عليه وهم يقولون مارأينا مثل هذا في زماننا ولا رآه قومنا قلت انه كرم العرب فانشروا نبأه في بلدكم ليعرف قوكم من نحن

أبو تمام لا بن جهيم :

ألا يكن نسب يؤلف بيننا      أدب أقتناه مقام الوالد  
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا      عذب تحدر من غمام واحد  
ومن أمثالك العرب « بعد الدار كبعد النسب » أي إذا غاب عنك قريبك فلم ينفعك  
فهو كمن لا نسب بينك وبينه . وقال بعض الأدباء :

فما الخدن إلا من صفا لك ودّه      ومن هو ذو نصحر وأنت مغيب  
وقال آخر :

ولقد وصلت الناس ثم خبرتهم      وعرفت ما بلغوا من الأسباب  
فاذا القرابة لا تقرّب نائياً      وإذا المودة أقرب الانساب  
وقال آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا      وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا  
صاف الكرام إذا أردت إخوانهم      وألم بأن أخا الحفاظ أخوكا  
كم أخوة لك لم يلدك أبوهم      فكأنما آباؤهم ولدوكا  
لو جئت تحملهم على مكر وهمة      يخشى الخيوف بها لما خذلوكا  
وقال آخر :

رأيت غريب الدار خيراً وإن نأى      من المبعد الودّ القريب المناسب  
وكم من أخ لم يدنه لك والد      راه كابن العم عند التوائب  
وربّ بعيد حاضر لك نفعه      وربّ قريب حاضر مثل غائب  
وقال آخر :

أخوك أخو الحب الذي إن دعوته      إلى حدّث ألفتيه منك دانيا  
وليس أخو القربى الذي إن دعوته      إلى حدّث ألتيته عنك نائياً  
وقال آخر .

تمسك بوصل المظهر الوصل واجتنب      لوصل سـواه من قريب وشاسع  
فدو الودّ أدنى الناس منك قرابة      فصله فما ودّ البيد بضائع  
ولا تغترر بالودّ من ذي قرابة      فما قرب ذي بغض النسيب بنافع  
فكم من بعيد صادق الودّ مخاض      وذي رحم داني القرابة قاطع  
وقال أمير المؤمنين عليه السلام « ربّ بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من

بعيد « وقال بعض البلغاء :

لعمرك ما يضرُّ البعد يوماً  
وقلنا في هذا للمعنى

إذا لم يكن عطفٌ وحبٌّ ورحمةٌ  
فلا خير في القربى ولا خير فيهمُ  
وكم من أخٍ أصفى فؤاداً على الولا  
يواليك بالنعى وبالبوؤس مخلصاً  
وحسن تصافي بين جمع الأقارب  
وما هو الا مثل جمع العقارب  
وما أنت منه بالقرب التناسب  
وتلقاه في الحالين أفضل صاحب

ومن أمثال العرب ربّ ابن عم ليس بان عم وهذا يحتمل معنيين أحدهما أن يكون شكاية من الأقارب أي ربّ ابن عم لا ينصرك ولا ينفعك فتكانه ليس بان عم والثاني انه يريد ربّ انسان من الاجانب عن نسبك بهم بشأنك ويستحي من خذلانك فهو ابن عم معنى وان لم يكن ابن عم نسباً . وقالوا ان اخاك من واساك، وقيل لرجل ممن أنت ؟ قال ممن برني وهو على حسب قول الاعشى

فان القريب من يقرب نفسه  
لعمر أيبك الخير لا من تنسباً  
وقال بعض البلغاء :

أعاذلة كم من أخ لي أودّه  
إذا ما التقينا لم برقي أكيدة  
وأخر أحلى في التناسب ناره  
يودّ لو اني كنت أول فاقد  
عليّ كريم لم يلديني والده  
ولكنني من عليه وزايدة  
يباعدني في شأنه وأباعده  
وأيضاً أودّ الودّ أني فاقد

ومن أمثال العرب « حميم الرجل وأصله » وذلك أن الحاس بن الابعق وكان سيداً في زمانه وأن رجلاً من قومه يقال له كلاب بن قارع وكان في غنم له بمحيطها وقع فيها لبيث ضار وجعل يحطبها فانبرى كلاب وجثم عليه الاسد فوافق ذلك من رجاله رجلان أحدهما يسمى الخنابر بن مرّة والأخر يقال له الحوشب وكان الخنابر حميم كلاب فاستغاث بهما كلاب فخاد عنه قريبه وخذله وأعانه حوشب فحمل على الاسد وعارضه الاسد فأمكن سيفه من جفنيه فرم بين الاضلاع والكتفين نحر صريماً وقام كلاب الى حوشب حتى أتى قومه وهو آخذ بيد حوشب يقول هذا حميمي دون الخنابر ثم هلك بمذلك فاختصم الخنابر وحوشب فقال حوشب أنا قريبه وحميمه فلقد خذلته فنصرتة وقطعته فوصلته وصممت على ندائه فأجيتته واحتسكا الى الخنابس وشهد القوم أن الرجل قال هذا حميمي

دون الخنابر فقال الخنابس عند ذلك « حميم الرجل وأصله » وقضى لحوشب بركته وصارت كلمته مثلاً

وعلى هذا فينبغي للعاقل أن يقتصر من أقواله وأفعاله على ما يفيد . قيل لآنوشروان ما الذي لا خير فيه؟ قال من ضررتي ولم ينفع غيري أو ضررتي ولم ينفعني فلم أعلم فيه خيراً وقال ابن حجر :

لا تفعلن شيئاً بغير فائده فانما من السجايا الفاسده

ولما بشروا هشام بن عبد الملك بالخلافة سجد وسجد من حوله شكراً لله الا البرش الكبي فقال له هشام ما منعك عن السجود؟ قال اني معك ليلاً ونهاراً وغداً يرتقي الى سماء المجد فلا أعود أراك قال أصد بك معي فقال الان أسجد عشرين سجدة وقال الشاعر :

اذما نل في دولة الخلل غبطةً ولم تفشني احسانه ورعايته

فسيان عندي موته وحياته وسيان عندي عزله وولايته

وقال الحسن عليه السلام « لا تأتي رجلاً الا أن ترجوناه أو تخالف يده أو ترجو بركته أو تصل رحماً بينك وبينه . وروى عن الاصمعي قال وجدني أبو عمرو بن العلاء ماراً في بعض أزقة البصرة فقال الى أين يا أصمعي؟ فقلت لزيارة بعض اخواني فقال يا أصمعي ان كان لفائدة أو عائدة فخذ باسميك والافلاوا نشدني في ذلك شعر أليوسف الحلبي :

بايها الاخوان أوصيكمُ وصيصة الوالد والوالده

لا تقلوا الاقدام الا الى من لكو عندهم فائده

اما لعلم تستفيدونه أو لكرم عنده مائده

ومن كلام الاصمعي قوله « خير العلم ما اطنأت به الحريق وأخرجت به الغريق » وروى عن بعض النبهاء انه قال « الجلساء ثلاثة جليس تستفيد منه فالزمه وجليس تفيد فأكرمه وجليس لا تفيد ولا تستفيد منه فاهرب عنه » ولبعضهم في هذا المعنى :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال

فأقلل من لقاء الناس الا لأخذ العلم أو اصلاح حال

ونقل ان أبا العيناء كان يختلف الى أبي الصقر وكان يمدد بالمال فقطع عنه العطاء فانقطع عنه مدة ثم دخل عليه فقال ما أبطأ بك عنا؟ فقال ابنتي قال وكيف ذلك؟ قالت لي كنت تأتينا قبل هذا بالجوائز السنوية والحلج الفاخرة والان تأتينا مغموماً صفر

اليدن بخفي حنين فالى من تخلف ؟ فقلت الى أبي صقر قالت أفرع مجسك ؟ قلت لا  
 قالت أفصفي الى حديثك ؟ قلت لا قالت أفتنتفع منه لاخرتك ؟ قلت لا قالت يا ابت لم  
 تعبد من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ؟ فأمر له بجائزة سنوية وكسوة ثمينة  
 وقال احمل هذا الى ابنتك لتلا تقرأنا بقوارع القرآن ولم يقطع عنه العطاء بهد ذلك  
 ودعا الرشيد بهلول ليضحك منه فلما دخل دعا له بمائدة فقدم عليها الخبز وحده  
 فولى بهلول هارباً فقيل له الى أين ؟ فقال أحييتكم يوم الاضحى لعل عندكم لحمأ

« النظر الى القول دون القائل »

واعلم أنه تشترط في تحصيل المنافع من النصائح النظر اليها مجردة بصرف النظر عن  
 شخصية قائمها فقد قال علي بن الحسين عليهما السلام « لا تحقروا اللؤلؤة النفيسة التي  
 تجلب من الامكنة الحسيسة فان أبي حدثني قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول « ان  
 الكلمة من الحكمة لتلجج في صدر المنافق نزاعاً الى مظالمها حتى يلفظ بها فيسمعها  
 المؤمن فيكون أحق بها وأهلها فيلقفها » ولله در من قال :

لا تحقرن الرأي وهو مطابق  
 حكم الصواب اذا أتى من ناقص  
 فالدر وهو أجل شيء يقتنى  
 ما حط قيمته هوان الغائص

وحدث بعض العلماء بحديث فقيل له يا شيخ وعمن هذا الحديث ؟ قال وما صنع بعمن  
 يا ابن أخي ؟ أما أنت فناتك موعظتنا وقامت عليك صحبتنا . وقال زياد أيها الناس  
 ما يمنكم سوء ما ترون منا أن تتفخروا بأحسن ما تسمعون عنا ؟ وقال بعضهم :

أعمل بعقلي وان قصرت في عملي  
 ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري  
 وقال آخر

خذ من علومي ولا تنظر الى عملي  
 أجن الثمار وخذ الجذع للئار  
 وقلنا في هذا الموضوع :

بحقك عبد الله كن ناهياً ولا  
 فرب كريم خانة الدهر فانبجلى  
 ورب لثيم قد تظاهر بالولا  
 ورب مقال قاله اسفه الورى  
 فاصغ لقول الحق لو جاء مبطل  
 يفرّك ما يدعو على الناس ظاهرا  
 بأهون ما يجلي العباد مظاهرا  
 فتحسبه اسمى الانام ما رأ  
 وكان سديداً بالغ النصيح فاخرا  
 به وانتم ما فيه تلقى المفاخرا



الى القول فانظردون قائله تفز باحسن مايجني العقول بالامرا (١)

وجاء في مقدمة اقوم المسالك ينبغي تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين من تماديهم في الاعراض عما يحمد من سيرة القوم غير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من ان جميع ما عليه غير المسلم من السير والتراتب ينبغي ان يهجروا ليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر حتى اهم يشددون التكبير على من يستحسن شيئاً منها وهذا على اطلاقه خطأ محض فان الامر اذا كان صادراً من غيرنا وكان صواباً موافقاً للدلالة فلا وجه لانكاره واهماله بل الواجب الحرص على قبوله واستعماله وكل متمسك بدياته وان كان يرى غيره ضالاً فذلك لا يمنعه من الاقتداء به في ما يستحسن في نفسه من أعماله المتسلفة بالمصالح الدنيوية كما تفعله الدول الاثرنجية فانهم ما زالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يرونه حسناً من أعمالهم حتى بالغوا في تقويم نظام دنياهم الى ما هو مشاهد وشأن الناقد البصير تمييز الحق بمسبار النظر في الشيء المعروض عليه قولاً كان أو فعلاً فان وجدته صواباً قبله واتبه سواء كان صاحبه من أهل الحق أو من غيرهم فليس بالرجال يعرف الحق بل بالحق يعرف الرجال والحكمة خالصة المؤمن يأخذها حيث وجدها »

وتصديقاً لهذا نقول أن سلمان الفارسي لما أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله بان عادة الفرس أن يطوفوا مدنهم بخنادق حين يحاصرهم العدو واتقاء هجومه عليهم أخذ رسول الله برأيه وحضر خندقاً للمدينة في غزوة الاحزاب وعمل فيه بنفسه رغياً للمسلمين وقال أمير المؤمنين عليه السلام « لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال » واذ اساغ للسلف

(١) أنشد عظمة المزم هذه الايات مخاطباً بها سموً ولده الهمام الشيخ عبد الله وقد جاءه يوماً يشكو له مؤدبه فيقول انه يقول لي كيت وكيت وهو يفعله بالعكس كيت وكيت فقال سموه يا بني أوصيك أن تنظر الى الاقوال دون الافعال ولا تحتقر بظاهاها الرجال فرب درة بمزلة تال وقل من طبق الافعال على الاقوال وأنشده الايات المثبتة في المتن الدالة على ما لعظمة شيخنا المحبوب من سديد الرأي وبعد مواقع النظر حفظه الله وسمو الشيخ عبد الله حفظه الله هو سادس أبحال عظمة مولانا للشيخ المعز الانجاب وهو اليوم في نحو التاسعة عشرة من ربيع عمره ولكن هذه الحادثة كانت منذ عشرة اعوام وكان وقتئذ في التاسعة من عمره وقد عهدناه من ذلك الوقت مثال الرزاة والادب والذكاء كابن الثلاثين أو يزيد ولا عجب في ذلك فهو ابن عظمة السردار أقدس وحسب الابن سرأبيه أداءه الله مع اخوانه النجباء في حمي أكرم الابهاء وأعظم الامراء

الصالح أخذ علم المنطق من غير أهل ملتهم وترجمته من اللغة اليونانية لما رأوه من الفنون النافمة لهم حتى قال الغزالي من لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه فأي مانع لنا اليوم من أخذ بعض المعارف التي نرى أنفسنا محتاجين إليها غاية الاحتياج ممن لا يدين بديننا توصلنا إلى دفع المسكائد وجلب الفوائد

وبعد فإنا نرى كثيرين من الجامدين يقاومون فكرة الاسترشاد بالفكر في أمور هذه الدنيا من علم وعمل وهذا في الواقع مخالف لاصول ديننا الخفيف والمصلح لنا أيضاً فإن الله سبحانه وتعالى يقول « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وهذه الآية الشريفة ترمي بالعلم إلى العلوم الدنيوية والآخرى بحيث لا يمكن أن تتساوى مع الفرنجة في عزهم الدنيوية إن لم تتلق عنهم العلوم العصرية التي أوجبت أراءهم وعزتهم معاً ولكن يقتضي أن تنقل عنهم من عاداتهم وأدابهم وعلومهم ما لا يخالف ديننا ولا ينافي عاداتنا وكذلك فعل الذين كانوا قبلنا من أممنا حيث نقلوا علوم الفرس واليونان والسرمان وبنوا عليها فندمهم العربي الذي كان أساساً لتمدن الفرنجة الزاهر اليوم وهكذا الدهر دولات. وقد قال الله تعالى « وتلك الأيام نداؤها بين الناس »

### ﴿ الاشتغال بما لا يعني ﴾

ان الاشتغال بما لا يعني قبيح عقلاً وشرعاً وهو يدل على النقص والفضول قيل كان للاحنف بن قيس جليس كثير الصمت فاستنطقه يوماً فقال أتقدر يا أبا بحر أن تمشي على شرف المسجد فقال الاحنف: سكت ألفاً ونطق خلفاً .  
ومرراً بالشعبي حمال على ظهره دنّ خلّ فوضع الدنّ وقال ما كان اسم امرأة إبليس؟ فقال الشعبي ذلك نكاح ما شهدناه

وقال بعض العلماء كنت يوماً في مجلسي وأنا مقبل على تدريس أصحابي إذ دخل عليّ رجل قد ناهز الثمانين أو جاوزها فقال قد قصدتك في مسألة مهمة اخترتك لها فقلت أسأل عافاك الله وظننته يسأل عن حادث نزل به فقال أخبرني عن نجم إبليس ونجم آدم ماهما؟ فإن هذين لعظام شأنهما لا يسأل عنهما إلا علماء الدين فعجبت وعجب من في مجلسي من سؤاله وبدر إليه قوم منهم بالاستخفاف فكففتهم وقات هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثل سؤاله فاقبلت عليه فقلت يا هذا إن المنجمين ليزعمون أن نجوم أهل الارض لا تعرف إلا بجم اليدم فان ظفرت بمن يعرف مولد آدم وإبليس فاسأله. فحينئذ أقبل عليّ وقال جزاك الله خيراً ثم انصرف مسروراً. فلما كان بعد أيام

عاد فقال ما وجدت الى وقتي هذا من يعرف مولد هذين . فانظر الى هؤلاء الناس كيف أبانوا عن نقصهم بالتكلف لما لا يعنيههم واهتموا به اهتماماً عظيماً وكان من الحمقى عيسى بن صالح ولاء الرشيد قنسرين . قال بعضهم أتاني رسوله بالليل فامرني بالحضور فتوهمت ان كتاباً جاءه من الخليفة فلما وصلت قال ادخل فوجدته على فراشه فقال اني بت الليلة متفكراً في أمري قلت وما هو أصلح الله الامير؟ قال اشتبهت ان يصيرني الله حورية ويجعل زوجي يوسف الصديق فطال لذلك فكري فقلت فهلا اشتبهت أن يكون زوجك محمداً فانه سيد الانبياء فقال لا تظن اني لم أفكر في هذا فاني قد فكرت ولكن كرهت أن اغيظ عائشة ووقف نحوي على قصاب فقال له هذا من الضأن الفتي أم الماعز الثني؟ فقال له القصاب هو من خيار الضأن فقال النحوي ذبحت لغرض أم لمرض؟ قال لا اعتاش منه أنا وعيالي قال أفكان ذكراً ذا خصيتين أم انثى ذات حلبتين؟ قال كان ذكراً ينطح الحائط فيرميه قال أفكان يمج الماء مجاً بشفتيه أم يمصه مصاً؟ قال كان يضع خرطومه في الماء ويشرب حتى يروي قال أفكان مرعاه الشيخ والعيرزان أم العصف والريحان؟ قال كان برعى من نبات الارض قال سننت مديتك وحددت شفرتك وذبحته؟ قال جعلتها لو نزلت على رقية لبرتها أسرع من لمح البصر قال أبدأت بالبسملة التي هي على وزن فيعلة وقيل على وزن فعلمة؟ فقال القصاب لغلامه يا غلام هات الجلد حتى ابقره من وسطه واضعه في عنق هذا القرنان الذي عطلنا عن البيع وقطع رزقنا هذا اليوم فبادر الغلام ليأتيه بالجلد فانهزم النحوي هارباً وهو يلتفت الى خلفه وحكي عن الفضل بن الربيع قال قال لي الرشيد يوماً اطلب حججاً ما اسكت من الحجر فقلت ان لي حججاً ما سكوتاً فقال ابته لي فبعته وأكدت عليه بالسكوت وعدم النطق وان يتيباً احسن حياة ثم دخلت بعد ذلك على الرشيد فوجدته عبوساً مغضباً فقال يا فضل ان لذلك شأناً وانك لن تبر حججك بعد فلم ارد عليه شيئاً ثم سألت فراساً مختصاً به عن خبره فقال ان حججك لما ابتداء بعمله قال يا امير المؤمنين اسألك عن شيء فقال ما هو؟ قال لم قدمت محمد الامين على المأمون والمأمون اسن منه؟ فقال ارد لك الجواب اذا فرغت فلم يلبث الا يسيراً حتى قال واسألك يا امير المؤمنين عن شيء آخر قال قل فقال لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب هواءً وافضل مناخاً؟ فقال له جوابك عن ذلك اذا فرغت فلما فرغ دعا مسروراً خادمه وقال له لا تشرب

الماء الباردهدون ان تقتله فانه يسألني عن امور لو سألتني المنصور عنها ما أجبته قال الفضل فبينما أنا قاعد اذ دخل أبو دلامه على الرشيد باكيًا وقد تواطأ مع ام دلامه على ان يدخل على الرشيد وينعيها اليه وانها تذهب الى زييده وتتعبه اليها فلما رآه الرشيد باكيًا قال له مالك تبكي فقال

وكنا كذا زوجي قطا في مفازة من الامن في عيش رخي وفي رغد

فشررنا ريب الزمان بصرفه ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد

ثم أعلن التحيب والمويل ثم قال يا أمير المؤمنين مات أم دلامه وأنا محتاج الى تجهيزها فأمر له بمال وعزاه . وكانت أم دلامه دخلت على زييده وهي باكية فقالت لها ان أبا دلامه مضى الى سبيله وأنا احتاج الى مال لتجهيزه فآطها ماطلبت وعزتها وذهبت وبعد قليل دخل الرشيد على زييده مضطرباً من أسئلة الحجام وأخبرها يموت أم دلامه فضحكت وقالت الان خرجت أم دلامه من عندي لتجهيز أبا دلامه قال الفضل فخرج الرشيد علي وهو يقهقه بالضحك فمضت منه دخل غاضباً وخرج مسروراً فاستخبرته فحكى لي ما جرى فشفت حينئذ بالحجام فاطقه بعد ان كانت مديته قاب قوسين أو أدنى

وحكي عن السندي بن شاهك قال بعث اليّ الأمون بريداً وأنا بخراسان فطويت المراحل حتى آتيت بابه وقد هاج بي الدم فوجدته نائماً فأعلمت الحاجب بقصتي وقدمت اليه عذري وما هاج بي من الدم وانصرفت الى منزلي فقلت احضروا لي الحجام قالوا له محوم قلت فها تواتوا حجماً غيره لا يكون فضولياً فأتوني به فما هو الا أن دارت يده على وجهي حتى قال جعلت فداك هذا وجه لا أعرفه فمن أنت؟ قلت السندي بن شاهك قال ومن أين قدمت؟ فاني أري أثر السفر عليك قلت من خراسان قال وأي شيء أقدمك قلت وجه أمير المؤمنين اليّ بريداً ولكن متى فرغت سأخبرك بالقصة على وجزها قال وتعرّفتني المنازل والسكك التي جئت عليها قلت نعم فما هو الا ان فرغ حتى دخل رسول الأمون ومعه كركي فقال ان امير المؤمنين يقرؤك السلام وهو يعذرك في ما هاج بك من الدم وقد أمرك بالتخلف في منزلك الى أن تغدو عليه ان شاء الله ويقول ما أهدى الينا اليوم غير هذا الكركي فشأنك به قال فالتفت السندي الى جلسائه فقال وما يصنع بهذا الكركي؟ فقال الحجام يطبخ سكباجاً قال السندي فليطبخ كما قال وحلف على الحجام ان لا يبرح فحضر الغذاء فتغذينا قال السندي ثم قلت يعلق الحجام

من العقيين فعلق فقلت له سألتني عن المنازل والسكك التي قدمت عليها وأنا مشغول في ذلك الوقت وهما ناديا أقص عليك الآن فاستمع: أخرجت من خراسان وقت كذا ونزلت كذا يا غلام اوجع فضربه عشرة أسواط ولم يزل يضربه اسكل سكة عشرة حتى انتهى الى السبعين سوياً فقال لي الحجام باسيدي سألتك بالله الى أين تريد أن تبلغ؟ قلت الى بغداد قال لست الثمانين أن تبتين قلت فأتركك على شرط أن لاتعود الى فضولك قال والله لا أعود أبداً قال فتركته وأمرت له بسبعين ألف درهم فلما دخلت على المأمون أخبرته الخبر قال وددت انك بلغت به أن تأتي على نفسه الاخير وتريح الناس من شرهته وحكي أن سلطان الهند قال لرجل من أتقن الناس عقلاً؟ قال قرأت في الكتب ان من اسمه يحيى ويكون طويل اللحية ومعلم صيyan فهو أنقص الناس عقلاً فقال له السلطان ففش في هذا البلد لعلك تقع على من يجمع فيه هذه الصفات فتمتحنه حتى نرى صحة ما في الكتاب فسار الرجل وأخذ يفش كما مر السلطان وبعد السعي الكثير وقع على رجل يطابق تلك الصفات فأتى به الى مجلس السلطان فأقعدته مع الناس حتى يخرج السلطان فاتفق جلوسه على كرسي مشبك بالخيزران فأدخل احدى خصيتيه في فرجة من فرجه والاخرى في فرجة ثانية وهكذا أصبح لا يستطيع القيام ثم خرج السلطان فنهض الحاضرون وفيهم الرجل الا انه قبض على الكرسي بيديه وحمله واسرع الى السلطان للسلام عليه فقال لماذا تحمل الكرسي؟ فقال كنت جالساً بانتظارك فلأجل تضيق الوقت أدخلت خصيتي في فرجتين من فرج الكرسي وعندما حضرت لم أستطع اخراجها بسرعة فحملت الكرسي وأتيتك فما الذي تريده مني فأرسلت تطالبي؟ فضحك السلطان حتى استلقى على ظهره وقال حسبك فقد تم الامتحان

وكان في بني أسد مجنون يسمى لفدان فرّ بقوم من تيم الله بن ثعلبة فعبثوا به فقال يا بني تيم والله ما أظلم خيراً منكم قالوا وكيف ذلك؟ قال لان بني أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني وسلسلوني وأما أنتم فكلكم مجانين وليس فيكم مريد وقال المبرد دخلت دار المجانين فوقفتم تجاه أحدهم وأخرجت له لساني فحول وجهه عني الى ناحية أخرى فحفت اليه وفعات مثل ذلك فلما أبرمته رفع رأسه الى السماء وقال انظر يارب من حلوا ومن ربطوا. وقال رجل ليهلول قد أمر الامير اسكل مجنون بدرهمين فقال امض وخذ نصيبك لئلا يفوتك. وقلنا في هذا المعنى:

ومن عجبى ان يرسل المرء قوله جزافاً بلا رجوى استعادة منفعه

واعجب منه أن يعاني مشقة بما لا يفيد الخير أو يجلب السعة  
واعجب من هذا وهذا فمائل بلا غاية تجني على ربها الضعه  
« تطوع الانسان لما لا يدعى اليه »

ومما يلحق بالفصل المتقدم تطوع الانسان لما لا يدعى اليه وهو نوع من الفضول  
القيح قالوا ثلاثة من الافعال هي من علامات الحق: كثرة الالتفات من غير مناد ولا  
متكلم وسرعة الجواب عن انسان والمسؤل غيره والضحك في غير محله . وقيل دخل  
فضولي النار فقال الحطب رطب فقيل له: احترق واسكت .

ومن أمثال كليله ودمنه : زعموا ان غدير آكان عنده عشب وكان فيه بطتان وكانت  
سلحفاة بجوارها بينها وبينهما مودة وصدقة فاتق ان غيض ذلك الماء فجاءت البطتان  
لوداع السلحفاة وقالت السلام عليك فاتنا ذاهبتان من هذا المكان لسبب نقصان  
الماء عنه فقالت انما يعظم نقصان الماء على من كانت مثلي كالسفينه لا أقدر على العيش الا  
بالماء فأنتما تقدران على العيش حيث كنتم فاذهبا بي معكما فاتما لها حبا وكرامة قالت  
فكيف السبيل الى حملي؟ قالت تأخذ بطر في عود وتعلقين بوسطه ونظير بك في الجو  
واياك اذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو فقال الناس  
عجبا سلحفاة بين بطتين قد حملتاها فلما سمعت السلحفاة ذلك قالت فمأ الله اعينكم  
أيها الناس فلما فتحتم فاها بالنطق وقعت على الارض فماتت

وحكي ان طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله المرزوي: مذكم سرت الى العراق  
يا أبا عبد الله؟ قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم قال يا أبا  
عبد الله سألتك عن مسألة فأجبت عن مسألتين

وقال بعض الحكماء ثمانية اذا أهينوا فلا يلوموا غير أنفسهم من يأتي مائدة لم يدع  
اليها . والمتأمر على صاحب البيت في بيته . والداخل بين الاثنين في حديث لم يدخله  
فيه . والمستخف بالسلطان . والجالس في مجلس ليس له . والمقبل بحديثه على من  
لا يسمعه . وطالب الخير من أعدائه . ومن يرجو الفضل من عند اللئام . وأخذ  
الشاعر هذا فنظمه بقوله .

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| لا لوم في واحد منهم اذا صفا  | يستوجب الصفع في الدنيا ثمانية |
| وداخل الدار تطفيلاً بغير دعا | المستخف بسلطان له خطر         |
| وجالس مجلساً عن قدره ارتفعا  | ومنفذ أمره في غير منزله       |

ومتحرفٌ بحديث غير سامعه      وداخلٌ بحديث اثنين مندفعاً  
وطالب الفضل بمن لا خلاق له      ومبتغي الود من أعدائه طمعا  
ومن كلام بعض الحكماء لا تقعد حتى تقعد فاذا أقعدت كنت أعزّ مقاماً .  
ولا تنطق حتى تستنطق فاذا استنطقت كنت الاعلى كلاماً . وعن أمير المؤمنين عليه  
السلام أربع من خصال الجهل من غضب على من لا يرضيه . وجلس الى من لا يدينه .  
وتفاقر الى من لا يفتيه . وتكلم في ما لا يعنيه . ولشاعرنا الانطاكى في هذا المعنى :

إذا كنت ذا رأي وحزم وفطنة      فلا تك ما بين الأجابة مبتذل  
ولا تدن ممن ليس يدنيك عن ولا      ولا تظهر الاعسار يوماً لمن بحسـل  
ولا تدخلن في شأن غيرك مرّة      ولو كنت تبغى الخير في التول والعمل  
واياك ان تسمي وتصبح غاضباً      على صاحب لا يرتضيك على عجل  
تصون بهذا النفس عن هونها فلا      تذلل وتسمي في مقام به تجل  
واعلم انه لا ينبغي على العاقل أن يشير قبل أن يستشار الا عند مسيس الحاجة ولا  
أن يتبرع بالرأي قبل ان يسأل الا عند الاضرار فمن يتبرع فضولا بشوره ورأيه  
يتهم بالغرض فيطرح قوله ويمتن . وانما يكون الرأي مقبولاً اذا كان عن رغبة وطلب  
أو كان لبعث وسبب

وقال الاخف ثلاث ما أقولهن الا ليعتبرهن معتبر : لا أنذف جليسي بغير ما أحضر  
به، ولا أدخل نفسي فيما لا مدخل لي فيه، ولا آتي السلطان أو يرسل اليّ . وقال ايضاً  
ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني في أمرهما، ولا اجلس الا مجلساً اعلم اني لا اطرد  
منه، ولا أقف على باب اخاف ان احجب عن صاحبه .

أقول فاذا عرفت هذا أيها القاريء اللبيب فإلم ان العاقل هو ما اقتصر على ما يعنيه  
واجتنب ما لا يعنيه . ومن الامثال قولهم « الحزم حفظ ما وليت وترك ما كفت »  
وقال أبر هلال « لا أعرف شيئاً أشد على الاحق من تركه ما يعنيه واشتغاله بما  
لا يعنيه على ان فيما يعنى شغلا عما لا يعنى » . قال الشاعر :

يكفي الفتى ما كان من شأنه      وتركه ما ليس يعنيه  
وقلنا في هذا المعنى :

ان اخا الحزم الذي قد أبى      ان يشغل النفس بأمر السوى  
ويعتني في أمره راشداً      بالعقل لا يسعى بسبل الهوى

وقيل كان في مجلس مالك بن أنس جماعة يأخذون عنه العلم فقال قائل قد حضر فيل نخرج أصحابه كلهم لرؤيته الا يحيى بن يحيى الليثي الاندلسي فانه لم يخرج فقال له مالك لم لا تخرج لترى هذا الخلق العجيب فانه لم يكن في بلادك؟ فقال انما جئت من بلدي لانظر اليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجيء لانظر الى الفيل فأعجب مالك به وسماه عاقل أهل الاندلس

وروا عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه خرج يوماً لأصحابه وهم يتجادلون ويتخاصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقيء بوجهه حب رمان حمرة من الغضب وقال أهذا بعنتم؟ أم بهذا أمرتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فأنهوا

ومن الامثلة على دخول الانسان في مالا يعنيه ما روي عن لقمان قال دخل على داود وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكيمته فأمسك نفسه فلما فرغ منها داود قام ولبسها ثم قال عليه السلام نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله

وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك؟ قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف مالا يعنيني وقال رجل للاحنف بما سدت قومك؟ فقال بتركي من أمرك مالا يعنيني كما عنك من أمري مالا يعينيك .

وقيل مر بجاسع بن مسعود السلمي بقرية من قرى كerman فسأل أهلها كيف أميركم؟ فأشاروا اليه اذ رأوه وضحكوا منه وكان ذمياً وازدروه فلعنهم وقال ان أهلي لم يريدوا محاسنتي وانما ارادوا المدافعة عني

وحكي أن السلطان محمود كان قبيح الصورة فنظر يوماً في المرأة الى وجهه فغضب ورمى بها فقال له وزيره ما سبب غضب جلالتكم فخسكي له ما أغضبه من رؤية قبيح صورته في المرأة فقال الوزير ان المقصود من حسن الصورة أن يكون صاحبها محبوباً من القلوب والسلطان اذا كان حسن السيرة عادلاً في الرعية يكون محبوباً من قلوب رعاياه مع انه لا يراه الناس الا نادراً

وقيل لسقراط ان الكلام الذي قلته لاهل مدينة كذا لم يقبلوه فقال لا يهمني أن يكون مقبولاً وانما يهمني أن يكون صواباً  
وأما السبب الباعث على اشتغال الناس بما لا يعينهم فهو الحرص على معرفتهم لاجل حاجة



الى معرفته من قبيل حب الاطلاع أو المباشطة بالكلام لقتل الوقت . قال بعض البلغاء

سهوت وغرني أملي      وقد قصرت في عملي  
ومنزلة خلقت لها      جعلت لغيرها شغلي  
يظل الدهر يطلبني      وينحوني على عجل  
وأيامي تقربني      وتدنيني الى أجلي

وحكي ان الاسكندر ذهب الى أفلاطون فوجده في مشرق الشمس وقد اسند ظهره الى حائط فقال له الاسكندر هل من حاجة قال حاجتي أن تزيد عني ظلك فقد منعت عني أشعة الشمس . ونجعل ختام هذا الفصل نصيحة أمير المؤمنين عليه السلام وهي « اقصر رأيك على ما يعينك »

« التكليف لما ليس من الشأن »

يقال في الامثال لكل مقام مقال ولكل زمان دولة ورجال وهذا لا يخرج عن موضع هذا المقال فان العاقل يجب أن يطبق أعماله على حالتي عمره وحالته ملاحظاً في ذلك قدر نفسه كي لا يهان

واعلم زادك الله علماً ان لكل وقت من الاوقات أدب لازم . ولكل زمن من أزمان العمر عمل راتب حازم . فيجب على الانسان أن يتجنب وهو في سن الكهولة ما اعتاده في سن الصبوة والشباب من المزاح والضحك والاسترسال في اللعب الى آخر ما يزين الصبي والشباب وينقص في الكهولة التي هي مفتاح سن الكمال . قال بعضهم

يا لابساً ما لا يليق      لقد عدلت عن الطريق  
ان المفارق زيه      بالمت في الدنيا خليق  
لا سيما ان كان في      أواج صبوته غزيق  
كيف التظاهر بالفا      فوانت معلوم الفسوق

وفي حديث الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام « للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له ويشترى ما ليس له ويلبس ما ليس له » ومعنى هذا القول أن المسرف « يأكل ويشترى ويلبس فوق طاقته فلكانه يأتي هذه الامور الثلاثة وهي ليست له . وفي الدروس المروءة تنزيه المرء نفسه عن الدنيا التي لا تليق بأمثاله كاهزاء بالناس وكشف العورة التي يتأكد استحباب سترها في الصلاة والاكل في الاسواق والتزيي بما لا يليق الى غير ذلك مما لا ينحفي على اللبيب

وأيعلم العاقل ان اكل حين من احيان عمره خلقاً ولكل وقت من اوقات دهره  
عملا فان تخلق في كبره بأخلاق الصغر وتعاطى أفعال الفكاهة والبطر استصغره من هو  
أصغر واحتقره من هو أحقر وقد قال الله سبحانه «ومن يهن الله فليس له من مكرم»  
وكان المعنى بقول الشاعر :

قل للذي يخرج عن شكله      ليرتقي أسباب أوعار  
كيف ترجي أن تنال العلى      ولم تبال الدهر من عار  
من فارق المهود من زيه      فذاك لا كاسي ولا عاري  
وقال آخر :

من تردى برداء      مارآه لأبيه  
سوف يأتيه زمانٌ      يتمنى الموت فيه

ومن أمثال العرب « شب عمرو عن الطوق » يضرب مثلاً ليزي الكبير بزي  
الصغير والمثل لجذيمة الابرش في عمرو بن عدي وكان عدي بنادم جذيمة فعشقتهم قاش  
أخت جذيمة فلما خشيت الفضيحة قالت اذا سكر الملك فأسأله أن يزوجك مني  
ففعل فسمح بذلك ودخل عليها من ليلته وأصبح هارباً من جذيمة فلما استبان حملها  
قال جذيمة :

حدثيني رقاش لا تكذبيني      الحرّ حملت أم لهجين  
أم لعبد فانت أهل لعبد      أم لدون فانت أهل لدون

فقال حملت ممن زوجتني منه فولدت عمرو ففقد مرة ثم ظفر به مالك وعقيل  
القبيسان فأتيا به الى جذيمة فحكها فسألاه منادته فأجابها اليها وأرسل عمرأ الى  
أمه فزيتته وألبسته طوقاً فقال جذيمة « شب عمرو عن الطوق »  
واعلم أن الازياء تختلف باختلاف أصحابها بالرتبة والعمر والثروة فان عدل الموسر  
الى زي المعسر كان شحاً وبخلاً وان عدل الرفيع الى زي الوضيع كان مهانة وذلاً  
وان عدل المعسر الى زي الموسر كان تمييزاً وسرفاً وان عدل الذي الى زي الرفيع  
كان جهلاً وتخلفاً ولزوم العرف المهود واعتبار الحد المقصود أدل على العقل وأمنع من  
الذم ولذلك قالت العامة في أمثالها « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » وقال الشاعر :

ان العيون رمتك اذ فاجأها      وعليك من خزّ اللباس لباس  
أما الطعام فمكل لنفسك ماتشا      والبس لنفسك ما اشتهاه الناس

واعلم أن التقليد الاعمى فى الملبس والمأكل وأسباب المتأيش الاخرى هو الذى يقصم ظهور الناس وهذا اذا كان تأثيره قليلا فى بلاد العراق لميل الناس الى البساطة فى معاشهم. فان تأثيره عظيم فى البلاد التى أخذت قسطها من التمدن الافرنجي فقد حدثنا كثيرون ممن جاسوا بلاد الفرنجة و مصر والشام والهند بان أوساط الناس هنالك هم من أتعس الناس اذ يكسبون اليسير ويضطرون الى انفاق الكثير تشبهاً بالاغنياء الموسرين وأصحاب الوجاهة والمكانة ولذلك لارى بينهم الا من يشكودهره . وقال فى ذلك شاعرنا الانطاكي :

حالي كما اشتته العواذل فاعذروا      حال الفقير وقد تظاهر بالفنى  
رزقي أقل من القليل وعيشتي      كالاغنياء ولست أدري من أنا  
هذا هو التقليد والموت الزؤا      م وانه والله عيش بالعبا  
قالوا الظهور وأحسنوا قاصم الظهو      را الأترون فديتمو ظهري أنحنى

ويظن الواهمون ان هذا التقليد الاعمى من المروءة أو التجلد أو عزة النفس بحيث يظهر الانسان بين اخوانه انه بنعمة ويسار ويخفي عنهم حقيقة ما هو عليه من الاعسار وفات مثل هؤلاء ان من تعدى طوره وتجاوز قدره كان عرضة لهزه الناس وأبعث على ذمهم له واحتقارهم اياه . وقد قال فى ذلك المتنبي :

لا يمجينك نظيماً حسن بزته      وهل يروق دفيناً جودة الكفن  
وقال آخر :

البس لكل حالة لبوسها      اما نعيمها واما بوسها

ومن الامثال على التقليد الاعمى ما زعموا أن قرداً رأى نجاراً يشق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها فأعجبه ذلك ثم ان النجار ذهب لبعض شأنه قيام القرد وتكلف ما ليس من شغله فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة فتدلت خصيتاه فى الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليهما فخرم فشيأ عليه ثم ان النجار واقاه فرآه على هذه الحال فأقبل عليه يضربه فسكان ماتى من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة

ومن أمثال العرب « ذهب الحمار يطلب قرنين فعاد مصلوم الاذنين » قال الثعالبي يزعم العرب فى أحاديثها ان حماراً وتوراً كانا على معلق وكان الثور ينطح الحمار فيمنعه طعامه فأصبح الحمار مهزولاً فشكى ذلك الى بعض اخوانه فقال انك لوأكلت كثيراً حتى سمت

نبئت لك قرنان فقدرت على مناطق النيران فترصد الحمار غفلة أصحاب احدى المزارع  
وأقبل يأكل من عشبها فأخذ وصلبت أذناه

وقال البيهقي كان لرجل من الاعراب ابنة وغلام فراود الغلام الصبية فوعده  
ليتها وأعدت له شفرة ووجدتها فلما جاء في المياد بادرت الصبية بشفرتها فزقت أحشاه  
وخرج يموي فسمعه مولاه فقال من فعل بك؟ قال ابنتك فدخل عليها وسألها الخبر  
فقالت ياأبت ان العبد من نوكة يشرب من سقاء لم يوكه ومن ورد غير مائه صدر بمنزل  
دائه فقال لها لاشلل

وقال المبرد كان يسار الكواعب عبداً لانس من بني الحرث بن سعد بن قضاة  
وكان راعياً في اباهم فبعث ببعض نسائهم وكان اسود فخرعته امرأة منهم وواعدته ليوم  
فعلم به بعض أصحابه من الرعاة فنهاه عنها وقال له يا يسار كل من لحم الحوار واشرب  
من لبن العشار ودع عنك بنات الاحرار. فقال له يسار اني اذا جئتها زحكت أراد  
ضحك ولاعبتها فلاعبتني وانبسطت فأتاها في موعدها فقال مكانك حتى أطيئك فعمدت  
اليه فجدعت أنفه وصلبت أذنه فرجع الى صاحبه الذي كان قد نهاه فأنكره وقال من أنت ويحك  
قال يسار قال فيسار كان له أنف واذنان قال فما ترى ويحك ويبيض العينين فذهب  
قوله مثلاً وسمي يسار الكواعب

ومن أمثالهم على لسان الحيوان ما زعموا من أن خنفسة قالت مرة للنحلة لو أخذتني  
معك لسلت مثلك وأكثر فأجابتها النحلة الى ذلك ولما لم تقدر على وفاء وعدها ضربتها  
بمحمتها وفيها هي تموت قالت في نفسها لقد استوجبت ما نالني من السوء فاني لأحسن  
عمل الزفت فكيف بالعسل

واعلم أنه كما ينبغي للانسان أن لا يتكاف ما ليس من شأنه كذلك ينبغي أن  
لا يكلف غيره ما ليس من شأنه أيضاً والا فقد نادى على نفسه بالنقص

من ذلك أن رجلاً شهد حلقة الشعبي فلما قام قال له اني أجد في قفاي حكيكاً  
أفترى لي أن احتجم؟ فقال الشعبي الحمد لله الذي نقلنا من الفقه الى الحجامة  
وحكي أنه تنبأ رجل فجاءوا به الى المأمون فسأله عن معجزته فقال ماشئت وكان  
بين يديه قفل فقال خذ هذا القفل فافتحه فقال له أصلحك الله لم أقل لك اني حداد  
فضحك المأمون واستتابه وقال الشاعر :

حسد القطا فراد يمشي مشيها فاصابه ضرب من العقبال

## ﴿ الروضة الثانية ﴾

( في جهة الشرائط )

اعلم أن الشروط الواجبة لمعانة الامور كثيرة والمتبرة منها هي المعرفة والقدرة  
والامكان

« المعرفة »

أما المعرفة فان معاناة الامور بدونها اضرار بالنفس واذلال لها وأنت تعلم أن كل  
امر من الامور حقيرها وجليلها يحتاج الى معرفة لا بد منها وبدونها يكون العمل  
ناقصاً وهذا شرب الماء على سهولته اذا لم يكن المرء عارفاً بكيفية تناول الكأس وادائه  
من فيه ملاماً ثيابه ماءً أبدون أن يروى كما ترى في الصبي المترعج عند ما يتناول كأس  
الماء ويحاول أن يشربه فتتداركه أمه وتعيه على تعلم مسك الفدح حتى يتقن عمله هذا  
الذي تراه أنت بسيطاً

ومن أمثال العرب « لا تقع في البحر الا وأنت ساجح » يضرب لمن يبشر أمراً  
لا يحسنه . وفي الاثر انظر حكيم الى معلم رديء الكتابة فقال له لم لا تعلم تلايم ذلك  
المصارعة؟ قال لا أحسنها قال هوذا أنت تعلم الكتابة ولا تحسنها وقال بعض الادباء :  
ان تكن ناسكا فكن كأويس أو تكن شاعراً فكن كابن هاني  
كل من يدعي بما ليس فيه كذبه شواهد الامتحان

ومن الفكاهات ما قيل لسمع الحسين بن علي عليه السلام رجلا على كرسي يقول سلوني  
عما دون العرش فقال له الحسين يا هذا شمر لحينك زوج او فرد؟ فسكت متحيراً ثم قال  
أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنه زوج لقوله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين »  
وقال مقاتل بن سليمان وقد داخله زهر العلم سلوني عما تحت العرش الى اسفل من الثرى  
فقام اليه رجل من القوم فقال ما نسألك عما تحت العرش ولا اسفل الثرى ولكن نسألك  
عما كان في الارض وذكره الله في كتابه العزيز فأخبرنا عن كلب أهل الكف ما كان  
لونه؟ فأخذه . وروي أن مقاتل بن سليمان جلس يوماً فأعجبه نفسه فقال سلوني عما  
دون العرش فقال له رجل آدم لما حج من حلق رأسه؟ وقال آخر أمعاء النملة في  
مقدمها أم في موخرها؟ فلم يدر ما يقول ثم قال هذا ليس من عملكم ولكن أعجبتني  
نفسى فابتليت

ودخل اعرابي بلداً يوماً حجه فقيل له أدخل الحمام واغتسل وتطهر فدخل حمماً

فرلقت رجله ووقع فانشج رأسه وسال دمه وهو ينشد

وقالوا تطهر انه يوم جمعة فرحت من الحمام من غير مطهر

ترودت منه شجتين بمفرقي بفلسين يا خسران ما كان متجري

وما نحسن الاعراب في السوق مشيها فكيف بأرض من رخام ومرمر

ومن أمثال كليله ودمنه زعموا أنه كان في بعض المدن طيب له رفق وعلم وكان ذا فطنة فيما يجزي على يديه من المعالجات فكبر ذلك الطيب وضمف بصره وكان الملك تلك المدينة ابنة فزوجها لابن أخ له فعرض لها ما يعرض للعوامل من الاوجاع فجيء بهذا الطيب فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد فأخبرته فعرف داءها وقال لو كنت أبصر لجمت الادوية على معرفتي بأجناسها ولا أثق في ذلك بأحد غيري وكان في المدينة رجل سفية فبلغه الخبر فاتامم وادعى علم الطب وأعلمهم انه خير بمعرفة أخلاط الادوية والعقاقير عارف المفردة منها والمركبة فأمره الملك ان يدخل خزانة الادوية ليأخذ من أخلاط الدواء حاجته فلما دخل السفية الخزانة وعرضت عليه الادوية وهو لا يدري ما هي ولا له بها معرفة أخذ في جملة ما أخذه منها صرة فيها سم نافع وخلطه في الادوية وسقى الجارية منها فماتت لوقتها فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفية فسقاها من ذلك الدواء فماتت لساعته .

وحدثنا شاعرنا عبد المسيح الانطاكي قال استدعى الشاعر المعروف جبرائيل الدلال الحلبي حلاقاً ليحلق لحيته فألمه وجرحه فنظم فيه هذين البيتين

يا بئس حلاق بليت به اذا قني مر العذاب الأليم  
يعينه كالطور ثقلا وفي بنانه موسى وخذني الكليم

وفي البيت الثاني من الاستعارة ما يطرب الالباء . وقتلنا في هذا المعنى :

لا تباشر عملاً نجبه خوف خسران وذل وهوان  
وارجمن في كل أمر للألى يحسنون الصنع عند الامتحان  
كل أمر من أمور الناس في هذه الدنيا له سر يصاب

( القدرة )

واعلم أن القدرة على ما تريد من الاعمال شرط لازم لها وبدونها يظهر عجزك ويضيع تعبك وما تنفق سدى فانك لو أردت مثلاً أن تشتري حقلاً أو جريباً من النخيل يجب أن تنظر الى ما عندك من المال لترى هل في قدرتك مشتري ما تريد

أم لا وكذلك اذا أردت ان تحمل حملاً فانظر الى نفسك هل تطيق ذلك الحمل أم لا وهلمَّ جراً

قال رسول الله صلى الله عليه وآله « لا يحل لمؤمن ان يذل نفسه بأن يتعرض من البلاء الى ما لا يطيق » وقال أبو أمامة « من آذى الناس بلا سلطان فليصبر على الهوان » وقيل « من خاصم بغير حجة وقاتل بغير نجدة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر واكثر الضرر » ومن أمثال العرب قولهم « عند النطاح يغلب السكبش الاجم » يضرب مثلاً للرجل يمارس الامور بغير عدتها فيخيب والاجم الذي لا قرن له . ومن أمثال كليبه ودمنه يقال « أن من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها » :

ومن أمثال العرب على لسان الحيوان زعموا انه وقع بين السنور والارانب حرب قمضت الارانب الى الثعالب تسومها الحلف والمعاضدة على السنور فقالت لها لولا اتنا عرفناكم ونعلم من تحاربون لفعلنا . ويقال أن الفرزدق مرّ بالفضل وهو يستقي وينشد من يساجلني يساجل ما جداً يملأ الدلو الى عقد الركب

فزع الفرزدق ثيابه عنه وقال أنا أساجلك قال هذا ثقة بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن لهب فردّ الفرزدق ثيابه عليه وقال ما يساجلك الا كذوئك وقال بعض النبلاء :

هي العنقاء تكبر ان تصادا فعاند من تطيق له عن ادا

وسأل أحد الابناء أباه وكان حكيماً ما الرفق ؟ قال ان تكون ذائناً فتلاين الولاية قال فما الحق قال ؟ معاداة امامك وماناراه من يقدر على ضررك . وقالت الحكماء « مضب القادر كجرب السم في نفسه فان هلك فقتيل حق وان نجح فطليق حنق » . وقالوا الا استبد بتديرك ولا تستخف بأميرك فمن استبد بتديره ذل ومن استخف بأميره ذل وقيل . من تعلق بنحصم هو أقوى منه فقد سعى في هلاك نفسه برجله ووضع راب لدمار على رأسه بيده . وقال شاعرنا الانطاكي في واقعة حال :

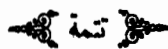
|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| تجاوزت في هذه الحماقة حداها | وأنت تسمى ياسفيه سليمان      |
| فهل كنت كفواً للذي دون فضله | سيوف ومن حويله صحب وأعوان    |
| وما فيهمو الا المنادي بنفسه | ليسلم من في فضله المجد ينصان |
| فيهنك خذلان وياهنك حطاة     | ويهنك اذلال وياهنك خميران    |
| وكنت كوعلى يضرب الصخر قرنه  | ويكسره والوعلى مثلك حيوان    |

وقال الحارث بن همام حين قتل أخوه أبو جهل يوم بدر وآثر الفرار وعييره على فراره:

الله يعلم ما تركت قتالهم  
وشممت ريح الموت من تلقائهم  
حتى علوا كرشي بأشقر مربد  
موتاً ولا يؤذي عدائي مشهدي  
ففررت منهم والاحبة فيهم  
طمعاً لهم بآباب يوم مفسد  
وذكروا ان أحد الالكاسرة كان يسمع حكيم العرب وأقوالهم ويروي أشعارهم  
وأمثالهم فلما سمع هذا الشعر قال قاتل الله العرب لقد حسنوا كل شيء بأشعارهم حتى  
حسنوا الفرار بهذا القول فلم يعد مكروها كما كان . ومن أمثال العرب « اذا رأيت  
الربح عاصفاً فظامن » أي اذا رأيت الزمان غالباً لك فاحضع له وقال أبو الطمعان  
بني اذا ما سامك الضميم قاهر  
عزير فبعض الذل أوقى وأحرز  
ولا تخش من بعض الامور تعزراً  
فقد يورث الفل الكثير التعزز  
ومن مثله قول صاحب كيلة ودنه « لا يرد العدو القوي بمثل الخضوع له ومثله  
مثل الريح العاصف يسلم منها المشب لينه لها وانتائمه معها وتقصف فيها الاشجار الضخمة  
لاتصاها » وقال بعض الاذكاء :

ومن يتشبت بالعداوة كفه  
با كبر منه فهو لا شك هالك  
وما مثل هذا الامثل النملة الخفيفة التي نبتت لها أجنحة خفيفة فتتحركها دواعي  
الطيران فتصوّر انها أصبحت كالنسور والعقبان وبمجرد ما ترتفع من الثرى الى الهواء  
تلتقمها عصفورة أو تحطفها أصغر الطيور وقد قال في ذلك الشاعر  
اذا ما أراد الله اهلاك نملة  
سمنت بجناحيها الى الطيران  
وقال أحد الادباء في هذا المعنى :

يقول لك المقل الذي استوضح الهدى  
وقبّل يد الجاني الذي لست واصلا  
اذا انت لم ترد العدو فداره  
الى قطعها وارقب سقوط جداره  
وهذا من قول العامة « اليد التي لا تستطيع عضها فقبّها » وقال آخر في هذا المعنى :  
اذا ما عدوك يوماً سبها  
الى حالة لم تطق وضعها  
فقبّل ولا تأنفن كفه  
اذا أنت لم تستطع قطعها



وقلنا في تكليف النفس فوق طاقتها ، ان نجعله خاتمة لهذا المقال ؟



بني خذوا الامر عدته ولا تهتموا بأمر لا تطيقون فعله  
 فاكف الانسان من فوق وسعه اذا باشر الفرض الوجيب: ونفله  
 وما الفضل في الاقوال ان لم يتمها بافعاله من رام يشهر فضله  
 وبمد فان الانسان اذا كلف نفسه ما تطيق عجز عن القيام بما تكلف على التحقيق  
 وقد قيل ما الحيلة فيما أعي الا الكف عنه ولا الرأي في مالا ينال الا اليأس منه وقد  
 قال الشاعر:

وانزل اذا لم تجد للمرتقى سبياً فباسق العود برجو نازل السيل  
 ومن أمثال العرب « اذا ادعيت الباطل ألح بك » يضرب لمن يدعي الباطل  
 فيدال منه وأصله ان امرأة من العرب كانت تحت شيخ فوأت شاباً ينتعلون وهم قيام  
 فتمنت أن تكون لاحدهم فقالت حبذا المنتعلون من قيام فقال زوجها أنا أتمل قائماً  
 فلما باشر ذلك شرط فقالت المرأة « اذا ادعيت الباطل ألح بك » أي خصمك  
 فضرب قولها مثلاً

ومن أمثالهم « أرق على ظلمك وأقدر بدرعك » يقال للرجل الذي يجاوز طوره  
 في الامر ومعناه ارفق بنفسك فانك ظالم لآنحملها مالا تطيق وذلك لان الظالم لا يكلف  
 بما يكلف به الصحيح وقولهم اقدر بدرعك أي تسكف ما تطيق ونحوه قال الشاعر:

فاعمد لما تقوى فمالك بالذي لا تستطيع من الامور يدان

وقال عمرو بن معدي كرب

اذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وقال الخليل كان يتردد الي شخص بليد يتعلم العروض ولم يعلق بخاطره منه شيء  
 فقلت له يوماً قطع هذا البيت « اذا لم تستطع الخ » نشرع في تقطيعه ثم نهض ولم يعد  
 فتهجبت من فظنته مع بلادته

ومن أمثال العرب « اشقي من راعي الضأن وهي ثمانين » لان الضأن تنفر من كل  
 شيء فيحتاج راعيها الى جمعها في كل وقت خلافاً للابل التي تتعشى فتربض  
 واعلم انه كما يقبح التكليف للنفس مالا يستطيع من المشاق كذلك يقبح تكليفها  
 لاما يستطيع من الاتفاق قال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شيء استقرضه الا واستقرضته  
 من نفسي. أراد انه يصبر على نفسه في عمره الى يوم يسره. ومثل هذا قول الشاعر:

واذا غلا شيء علي تركته فيكون ارضى ما يكون اذا غلا

ولبعضهم في مثل هذا المني :

إذا شئت أن تستعرض المال . . . نفقاً  
فسل نفسك الاقراض من كثر صبرها  
فان فعلت كنت الغني وان أبت  
ومثله أيضاً

لا كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدُ إلا بما تجود

وقال شاعرنا الانطاكى يمتنر عن كثرة انفاقه فاجاد :

ما احتيالي ومصر تطلب مني  
وقعود بالبيت تطلب مني  
وصغار لم يعرفوا غير هاتوا  
وظهور في الناس هذا فلان  
فاعذروني لا أتفق القرش الا  
أن اكون بالبذل في مثل حاتم  
كل شيء تقول ذلك « لازم »  
للملاهي مع الكسا والمطاعم  
فاقصده لئيل جم . المغانم  
لدواعٍ قهارة ورواغم

واعلم أن العجز وعدم القدرة من الاعذار العقلية والشرعية والعرفية فمن أمثال العرب « يتي بيخل لا انا » يريد أن ليس من اخلاقه البخل ولكن ليس في يده ما يجود به . وقال بعض الاذكياء

يرى المرء أحيانا اذا قلّ ماله  
ولم يك ذا بخل ولكن ماله  
من الخير ابواباً فلا يستطيعها  
يقصّر عنها والبخيل يضيّعها

ومن أمثال العرب قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني . ومن أمثالهم على ما زعموه على لسان الحيوان: وقف جدي على سطح فرّ به ذئب فشمته فقال له الذئب ليس أنت الذي تشمني ولكن يشمني مكانك

ومن الاعذار المقبولة الاضطرار في ما لا مفر منه قال الخطيب في أربعينه ان امرأة شهد عليها الشهود أنهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يظاها ليس يعمل لها فامر عمر برجمها فقالت اللهم أنت تعلم اني بريئة فغضب عمر وقال وتجر حين الشهود أيضاً فامر أمير المؤمنين عليه السلام ان يسألوها فقالت كان لاهلي ابل فخرجت في ابل أهلي وحملت معي ماء ولم يكن في ابلي لبن وخرج معي خليط وكان في ابله لبن فنقد ماني فاستسقيته فاني أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي فايدت الى ان كدبت أهلك ظمأ فأمكنته من نفسي خوفاً لهلكة . فقال عمر الله أكبر من اضطر في مخمصة غير متجانف

لائم فلا أم عليه

وفي قصص العرب يحكى أن بائعة لبن كانت جميلة فمرت يوماً على شاب طائش فأراد أن يواقعها فطلب منها فأبت فاحتال عليها بأن تظاهر بأنه يريد أن يبتاع منها لبناً ولكن بعد أن يفحصه . ففتح نحياً وذاق اللبن ثم قال لها امسكي فم النحى حتى أخص آخر ، وحاذري ان ينسكب اللبن على الارض ثم فتح نحياً ثانياً وفعل كما فعل بالاول . فلما رآها قد أمسكت بكلتا يديها فم النحيين تمكن من مواطأتها قهراً لان خوفها على اللبن وهي فقيرة جعلها تمتثل صاغرة حتى قام عنها وساعدها على سد فم النحيين ( القربتين ) فضربت العرب مثلاً « أحر من ذات النحيين » . وفي هذا يقال الضرورات تبيح المحظورات

### الامكان

ومن شروط إتيان الامور أن تكون في حيز الامكان فان كان الامر ممتنعاً أو مستحيلًا فلا معنى للتعني في سبيله والتكلف لاجله ولا عجب اذا كان السعي مثله خائباً

قال أمير المؤمنين عليه السلام « من لا يعرف لا حتى يقال له لا فهو أحمق » وقال بعض العقلاء ما رددت عن حاجة قط فقيل له وكيف ذلك ؟ فقال لاني لا أطلب الحال ومن أمثال العرب « طلب الابلق العقوق » يقال أعقت الفرس فهي عقوق ولا يقال حصان معق وذلك اذا حملت والابلق لا يحمل . وقال رجل لمعاوية افرض لي قال نعم قال ولولدي قال لا قال ولمشيرتي فتمثل معاوية بقول الشاعر

طلب الابلق العقوق فلما لم يجده أراد يبيض العقوق

وقال رجل لمعاوية زوجني هنداً يعني أمه فقال انها قدمت عن الولد فلا حاجة لها الى الزواج قال فولني ناحية كذا فادار وجهه وتمثل بالبيت المذكور وقيل مات مجوسي وعليه دين وترك ولداً له دار فقال لبعض الغرماء وكانوا مسلمين لولده لم لا تتبع دارك وتسدد دين أبيك وتخفف عنه ؟ فقال لهم اذا بعثت داري وقضيت دين الي هل يدخل الجنة فقالوا لا فقال دعوه اذا في النار وأنا في الدار

وقال الفضل بن عبدالرحمن لرقية بنت عتبة بن أبي لهب « أنظري لي امرأة معروفة بالنسب ، كريمة الحسب ، فائقة الجمال ، مليحة الدلال ، ان قدمت أشرفت ، وان قامت أضمت ، وان مشت زقررت ، وتروع من بهيد ، وتقر من قريب ، وتسر من عاشرت ،

وتكرم من جاورت ، ودود ولود ، لانعرف الاهلها ، ولا نمر الاهلها ، فقالت له يا ابن  
 العم اخطب هذه من ربك في الآخرة فانك لانجدها في الدنيا  
 وقال أبو موسى المكفوف انخاس الحمر اطلب لنا حماراً ليس بالصغير المحقر ، ولا  
 بالكبير المشتهر ، ان خلا الطريق تدفق ، وان كثرت الزحام ترفق ، لا يدم في السواري  
 ولا يدخل بي تحت البواري ، اذا كثر علفه شكر ، واذا قل عنه صبر ، وان ركبه هام ،  
 وان ركه غيري نام ، فقال له النخاس اصر أعزك الله فعسى الله أن يسخ القاضي حماراً  
 فذشرته وتبلغ حاجتك . وكما ان معاناة الحال محال كذلك تكليف الغير بعمل المحال هو  
 محال أيضاً . قيل وقف البهلول على رجل وقال أخبرني عن قول الشاعر « واذا نبابك  
 منزل فتحول » كيف هو عندك؟ قال جيد قال فاذا كان في الحبس فكيف يتحول؟ فوجم  
 الرجل اما بهلول فقال ان الصواب قول غيره

اذا كنت في دار يسوك أهلها  
 ولم تك مكبولاً بها فتحول  
 ومن هذا التمثيل قول الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقاله  
 أياك اياك أن تبتل بالماء  
 وقلنا في هذا المعنى

لا تكلف سواك أمراً محالاً  
 لا تطبق اذا تكلفت فعلاً  
 وتفتن في كل أمر تنيط الـ  
 ناس فيه هل يمكن ذلك أم لا

وهذا كثير ما يحدث من ذوي المراتب العالية لتوا بهم فيصدرون لهم الاوامر من  
 غير أن يتفطنوا ان كان في الامكان تنفيذها أم لا فيقع أركك الاتباع في الاضطراب  
 وقد يمدى الامر الى طرد بعضهم من الخدمة الى أن يفهم الأمر ان ليس الذنب على  
 من تهاون في تنفيذ أمره بل الذنب الاكبر على نفس الأمر الذي أمر بما هو غير  
 قابل التنفيذ (١)

ومما ينبغي الحاقه بهذا الباب قبح التصديق بالمستحيل أو الممتنع وهذا يوصل صاحبه

(١) انظر أيها القارئ الكريم الى هذا الامير الجليل وماله من النظر البعيد في  
 شؤون الاجتماع حتى لم يقرب الامور وبميدها ووقف على حقائق ما يجري حتى على  
 الغلمان والعييد واغبط معي من أتبع لهم ان يلتفوا بحضرتهم ويتشرفوا بخدمته ويكونوا  
 في حاشيته حيث لهم سيد يهزمهم اذا قصر واو لا يكلفهم فوق وسعهم ليعتذروا اذام الله  
 عظمتهم بدرأ في افق الكمالات ووقفه الى الابد من العزة والخيرات .

الى الاعتقاد بالاوهام فيحسبها حقائق ويصبح على أرضها كثير الوساوس .

قال بعض العقلاء اذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فخذنه في خلال حديثك بما لا يكون فان أنكره فهو عاقل وان صدق فهو أحمق . ومن وصية لقمان لابنه يابني ان المعرور من وثق بثلاثة أشياء الذي يصدق ما لا يراه ، والذي يركن الى من لا يثق به ، والذي يطعم في ما لا يناله . وقال علان الوراق رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق فقلت أمانستحي تأكل أمام كل هذه الخلائق؟ قال رأيت لو كنت في دار فيها بقر وأنت جائع أكنت تأكل أمها أم لا فقلت نعم فقال هؤلاء بقر وان شئت أتيتك بالبرهان فانظر . قال هذا وعلا دكان بزاز وجعل يوعظ فاجتمع الناس من حوله فقال روي من غير وجه ان من بلغ لسانه ارنبة أنفه أدخله الله الجنة فلم يبق أجد الأخرج لسانه وهو يحاول إيصاله لارنبة أنفه كما تفعل البقر ثم نزل فقال لصاحبه كيف رأيت؟ ومن هذا الباب مارواه لنا شاعرنا عبدالمسيح بك أنطاكي . قال عندنا في مصر بعض أصحاب الجرائد يتلاعب بنشرياتها على ما تشاء وهي لا تحسب حساباً لقراءها في كذب تخلفه أو أفك تلفقه فتصور البياض سواداً والباطل حقاً . قال الانطاكي فدخلت مصر وأنا حديث في حرفة الصحافة فوجدت الصحف على هذه الحالة فاجتمعت . على بعض رصفائي وسألتهم أما تخافون تكذيباً وتشهيراً بما تنشرون؟ قالوا ومن؟ قلت من الرأي العام قالوا انك حديث في هذه الصنعة أتظن بوجدشي اسمه رأي عام ان الرأي العام نحن نكونه بنشر يأتنا على الشكل الذي زيده قال الانطاكي وبعد أن قدمت في صنعة الصحافة انضح لي أن ماقاله الرصفاء هو الحق وظهرت لي عظمة الصحافة وسرر تخوف الحكومات من الصحفيين الذين هم في الحقيقة قادة الرأي العام اه

ومن هذا الباب أيضاً ما حكى من أن رجلاً من جنود السلطان كان كلما دخل حماماً يدعي على أهله بالباطل من سرقة ثوب أو مال حتى يفرمهم فاتفق أهل الحمامين على منعه من الدخول فأتى حماماً وأظهر التوبة والتدم على أن لا يعود الى ما كان عليه فسمحوا له فدخل وخام ثيابه فأمر صاحب الحمام خادمه أن يمرق بعض ثيابه سوى سيفه وخنجره ومنطقته . فلما خرج ليلبس ثيابه لم يرها . على أنه لم يتجاسر على الكلام غير انه تمنطق بمنطقة وشك سيفه وجعل يتجول في الحمام ويقول يا صاحب الحمام أنا لا أتكلم ولكن ابن الانصاف هل جئت الى حمامك على هذه الهيئة فضحك صاحب الحمام وأعاد له ثيابه

## الروضة الثالثة

« في الموانع والمحظورات »

تحدث موانع ومحظورات تستلزم ارتكاب أمور لولاها لما ارتكبت . منها اطراد الامر حتى لا يمكن معه الاستثناء أو التبعيض كما قيل أن هام بن مرة الشيباني أغار على بني أسد وكانت أمه أسدية فجعل يسبي النساء فقالت امرأة مهن أبجالاتك تفعل هذا يا هام فقال كل ذات صدر خالة وعني بذلك أن النساء سواء في نظره فلو اجتنب نسوة بني أسد لاضطر أن يجتنب غيرهن وبذلك يتمتع عن الغزو

ومن هذه المحظورات استلزام تغيير عادة كما روى الميداني في المجمع ان امرأة من بنات بعض الملوك كانت تسمى أرقش فسافر الملك وكان لهم موضع اذا فرعوا دخنوا فيه فاذا أبصره الجند اجتمعوا وان جوارها عبت ليلة فدخن وجاء الجند فلما اجتمعوا قالت لها نصائحها انك ان رددتهم ولم تستعملهم في شيء ودخنت مرة أخرى لم يأتك منهم أحد فأمرتهم فبنوا بناءاً دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فأخبروه فقال على أهلها جنت براقش

ومن الموانع لزوم النقص من انكار المنكر مع ارتكابه بعد انكاره ومن الاول ما جاء في الحديث « أحق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه » وقول بعض الحكماء « لا تبكتن أحداً في الظاهر بما تأتيه في الباطن » وقال ابن عباس « اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك » وقال بعض العلماء يا ابن آدم انك لن يكمل عقلك حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلح من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شعلك في خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا » ومن بعض كتب القدماء ليس للحكيم أن يعيب امرأة بشيء فيه مثله ويكون كالأعمى الذي يعير الأعمى بماءه ومن الثاني قالوا من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم ارتضاها لنفسه فذلك هو الأحمق بعينه . وقال الشاعر :

لا تلم المرء على فعله      فأنت منسوبٌ الى مثله  
من ذمّ شيئاً وآتى مثله      فأنما دلّ على جهله

ومن أمثال العرب قولهم « لا تنه عن خلق وتأتي مثله » أخذه الشاعر فقال :

لا تنه عن شيء فتأتي مثله      عارٌ عليك اذا فعلت ذميم

وقال آخر :

إذا أنت عبت المرأة ثم أتيتها  
فأنت ومن تروي عليه سواء  
وقلنا في هذا المعنى :

من عاب بالسوات أخوانه  
فليكُ ممن لا يجيء العتاب  
ومن أطال عتب أخوانه  
فليتوقع مؤلمات العتاب  
ومن يداري الصاحب بات ومن  
حوليه رهط من وفي أصحاب

وقال أبو الدرداء « علامة الجاهل ثلاث العجب وكثرة المنطق وأتيان ما ينهى عن  
أتيانه » وأخذنا هذا فقلنا :

وأجهل الناس امرئ معجب  
بنفسه ومكثر للكلام  
ومن إذا تنهأ لا ينتهي  
عن غيئه ولو أطلت الملام  
ومثله أخلق بان يزدرى  
بأمره وشأنه كالطعام

وقال بعض العلماء إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن أول من يعمل به ولا هلك  
وأن لا ترضى لنفسك ما نهيت سواك عنه. وقال شاعرنا الانطاكي

ويضحكني من يكثر النصح لأئمة  
ويأتي بأسوا ما يلوم وينصح  
ولو كان ممن ينصف الناس عادلاً  
لبات وفيما ينصح الناس يمدح

ومن الموانع التنبيه والالتزام. من ذلك ما أوصى لقمان ابنه فقال له يا بني إذا سألك  
الناس فقل لهم لا أدري فانك إذا قلت لهم أدري سألوك حتى لا تدري وان قلت لهم  
لا أدري لا يسألونك حتى تدري

وقال بعض العلماء لا ينبغي للعاقل أن يصف لاهنه طعاماً لا يريد أن يطعموه أو  
لباساً لا يريد أن يلبسوه

ويكفي الليب عظة ما قيل أن امرء القيس الذي بنى قصر الخورنق للنعمان كان  
واقفاً يوماً بين يدي الملك وذكر القصر وحسن بنيائه فاعتز وقال والله أقدر أن أبني  
قصرأ. بديعاً كلما مضت ساعة من النهار تلون بلون الشمس فغضب امرء القيس وقال  
قصرت في حقِّي فأمر به فألقي من أعلى القصر فراح ضحية غروره وهو القاتل  
لنفسه بعدم ترويه وتدبير لوازمها يصدر عن فيه

ومن الموانع عود الضرر فان من لا يتصور ما يعود عليه من الامر الذي يعمله  
يعود ضرره اليه. ومن ذلك ما في أمثال المائة قولهم « لا تبُل على أكمة » ومعناه لا تفعل  
شيئاً يعود ضرره عليك وأصله أن يبول الرجل على أكمة فيردّ الريح بوله فينضح عليه

أو ترده الأكمة لصلابتها والأكمة الحليل الصغير

قال الشرفي بن النظامي كان لقمان من بني صدق قد تزوج امرأة تسمى براقش وكانوا لا يأكلون لحوم الأبل فأصاب من براقش غلاماً فنزل مع لقمان في بيت أبيها فأولوا ونحروا الجزر فراح بن براقش إلى أبيه بعرق من الجزور فأكله لقمان فقال يا بني ما هذا فما تعرفت طيباً مثله فقال جزور نحرها اخوالي فقال وهل لحوم الأبل في الطيب كما أرى؟ فقالت براقش جئتني أي أطعمنا الجمل واجتمع أي أنت نفسك كل الجمل وكانت براقش أكثر قومه ابلا فأقبل لقمان على ابائها فأسرع فيها وفي ابل قومها وفعل ذلك وبأبيه لما أكلوا لحوم الجزور فقيل على أهلها نجح براقش وأصبح القول مثلاً ولا تنس لقد مرت بك قصة هذا المثل على وجه آخر ويراد من الشاهد المعنى

وفي كتاب العرائس لأبي الفرج الجوزي أن بعض طلبية العلم خرج من بلاده فرافقه شخص في الطريق فلما اقتربا من المدينة قال الرفيق للطلب تد صار لي عليك حق وذمة وأنا رجل من الحبان ولي عليك حاجة قال وما هي؟ قال إذا أتيت مكان كذا وكذا فأنت تجهد فيه دجاجات ينهن ديك أبيض فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي إليك قال فقلت يا أخي وأنا أيضاً أسألك حاجة قال وما هي؟ قلت فإذا كان للإنسان مارد لا تعمل فيه العزائم والحل بالآدمي منا مادواؤه؟ قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليعمور ويشد به إبهام المصاب من يده شداً وثيقاً ثم يؤخذ له من دهن السداب البري ويقطر في أنفه الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً فإن الماسك به يموت ولا يعود إلى أحد من بعده قال الطالب فلما دخلت المدينة أتيت إلى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألته بيعة فأبت فاشترته منها بأضعاف منه فلما اشتريته وتملكته تمثل لي صاحبي من بعيد وقال اذبحه اذبحه فذبحته فخرج عليّ عمدة ذلك رجال ونساء وجعلوا يضربونني ويتولون يا ساحر فقلت والله لست بساحر فقالوا إنك منذ ذبحت الديك أصيبت شابة عندنا بجحني وأنه منذ ذاك مسكها ولم يفارقها فطلبت منهم ورأى قدر شبر من جلد يعمور وشيئاً من دهن السداب البري فأتوا بها فشدت إبهام يدي الشابة شداً وثيقاً وفي الحال صاح صاحح من داخلها قائلاً قاتلك الله أنا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في أنفها الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً فخرّ الجني في الحال ميتاً

وشفى الله تلك الشابة ولم يماودها بعهده شيطان ولا جان

وأعجب ما يمكن في هذا المعنى أن رجلين كانا متجاورين بيت بيت احدهما ثاجر



والآخر نجار ثم ان التاجر دخل الحمام فوجد جاره النجار فسلم عليه ورحب به وقام النجار بخدمة جاره التاجر فوقعت عين التاجر على حين غفلة على قبل النجار وهو بلا فوطه واذا قبله كبير ضخم يشبه آلة الحمار فتعجب التاجر ولما جاء الى بيته قال لزوجه يالله العجب كيف لانفرت زوجة النجار منه فقالت على أي شيء ياسيدي؟ فقال رأيت اليوم في الحمام فانكشفت عورته فرأيت قبله كبيراً وافراً يشبه آلة الحمار في الطول والغلظ فقالت اسكت « جته القرف » لو كان هذا زوجي ما قننت معه ساعة. قالت هذا ولكن صر في نفسها شوق الى النجار وما صدقت ان خرج زوجها الى دكانه حتى عمدت الى مفتاح الباب فكسرتة وأرسلت خلف جاراها النجار فجاء فقالت له أصلح لنا مفتاح هذا الباب فقال سمعاً وطاعة ياسيدي ثم جلس لتصايح المفتاح فاذا بها قد لبست أخف ما عندها وجاءت بلا لباس فمشت بين يديه ووقعت عمداً فانكشفت عورتها فرآها النجار ثم عمدت الى قفته ومسكت المبرد وقالت له ما هذا؟ فقال مبرد فقالت بردك المبرد ثم مسكت المثقاب وقالت ما اسم هذا؟ قال مثقاب قالت ثقبك المثقاب وهكذا جعلت تأخذ ما في القفة وتسأله عن اسم ما فيها وهو يرد عليها وتضحك منه الى أن ابرته فأخرج ذكره وقال وهل تدري ما اسم هذا؟ فأظهرت الاستحياء تصنعاً وأدارت وجهها فلم يخف ذلك على النجار ثم ان النجار اختط على الارض حلقة واسعة وقال دعيني أعمل المفتاح ولا تكلميني ومن دخل هذه الحلقة وطئته لأمحالة. فأسرعت الى الحلقة وقعدت في وسطها فأسرع النجار وطرحها على قفاها ونال أربه منها فوقعت محبته في قلبها. فلما قام عنها وأراد الانصراف أعطته أضعاف أجرته فانصرف داعياً لها وقال ياسيدي لقد أصبحت من جملة عبيدك ولا أحول عنك أبداً فتى وجدت غفلة من الرقيب ارسلني لي وانصرف تاركا حلقتة في مكانها. قال الراوي وكان لتلك المرأة ولد صغير فانتبه لما كان فلما جاء أبوه أسرع اليه وقال له اياك والحلقة فان يدخلها يطأه جارنا النجار فانتبه التاجر الى ما حدث في بيته وندم على ما كان منه بحكايته عن قبل النجار لزوجه وطلقة في الحال وذكر صاحب عيون التواريخ وغيره ان المأمون مر يوماً على زيده المأمون فرآها تحرك شفتيها بشيء لا يفهمه فقال لها يا أمه أتدعين علي لاني قتلت ابنك وسلبت ملكه فقالت لا والله يا أمير المؤمنين قال فما الذي قاتته قالت يعني أمير المؤمنين فأخ عليها وقال لا بد ان تقولي قالت قلت قبح الله الملاححة قال وما سبب ذلك قالت لقد لعبت يوماً الشطرنج مع أبيك الرشيد على الحكم والرضا فغلبني فأمرني أن أتجرد من ثيابي

وأطوف القصر طارية فاستمفيتها فلم يمضي فامتثلت ونجرت من ثيابي حانقة وطففت القصر ثم عاودنا اللعب فمأمرته أن يذهب الى المطبخ فيطأ أقباح جارية وأشوها خلقه فاستمفاني من ذلك فلم أعنه فبذل لي خراج مصر والعراق فأبديت وقلت والله لتفعلن ذلك فأبى فألحمت عليه وأخذت يده ووجئت به الى المطبخ فلم أر جارية أقباح وأقذروا شوه خلقه من أملك مراحل فأمرته أن يطأها فوطئها فعلمت منه بك فكنت سبياً لقتل ولدي وسلبه ملكه . فولى المؤمن هاربا وهو يقول لمن الله الملاحضة فلو لم ألح عليها لما أسمعتي ماسمعت

ومن هذه الحكايات يتنبه العاقل الى التجرد من فعل كل ما يمكن أن يعود عليه بضرر على قدر امكانه كما يتنبه الى وجوب حفظ لسانه فانه ليس كل ما يعلم يقال ومن المحظورات لزوم الاشتراك في الضرر قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل رآه يسعى على عدوه بما فيه الاضرار بنفسه « انما أنت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه » والردف هو الذي تردفه خلفك على فرس أو ناقة

ومن اطوائف المنقول كان في بعض البلدان رجلان عدلان من العدول وكان بينهما من الحسد والعدوان ما يود كل واحد منهما قتل الاخر . فرأى أحدهما مع فاجرة كان يحبها فأبصر بهما الشرطي واستاقهما الى الحبس ، فلما سمع العدل الثاني أسرع الى زوجة الخسيس وقال لها أيها المسكينة ان زوجك الخبيث في الحبس مع إحدى العواهر فخلي عنك الفيرة وأسرعى اليه فخلصه . فقالت له وبلي وماذا أصنع ؟ قال بادري الى باب السجن وأظهري الشهامة به وأعطي السجن شيئا ليدخلك عليه على أنك تصفية فاذن دخلت فخذت ثياب الفاجرة وأعطيتها ثيابك فتخرج كأنها أنت وتجلدين عند زوجك ثم تحالين بعد ذلك في خلاصه من ورطته . ففعلت المرأة ما أمرها حتى اذا ما بلغت السجن رشت الشرطي وطلبت منه أن تدخل على زوجها لتصفه فدخلت وخزجت البنية بثيابها ثم مضى ذلك العدل وجمع عدول البلد وهو ينادي ان قد زالت حرمة العدالة فليل له ولم ذلك ؟ قال فلان العدل أراد أن يحلوا بأهله في بستان فظلمه الشرطي وأهمه وخبسه هو وزوجته فأسرع العدول الى القاضي وشرحوا له الحال فغضب القاضي غضباً شديداً وسار بهم الى باب السلطان وشكوا حال العدل مع الشرطي وما ابتلي به من الهمة فأمر السلطان بالكشف عن المرأة فبينت عند كل الناس أنها زوجته فأطلق من السجن وعوقب الشرطي عقاباً شديداً . فقال العدل للعدل الذي خبسه وأهين : اعلم اني انصرفك

حباً بك ولا قرابة لله تعالى والعداوة بيننا على ما تعهد بل هي الآن أعظم وأشد وأما نصرت جنسي ودفعت الضرر عن نفسي للقدر المشترك بيني وبينك من اسم العدالة . نقول وهكذا يجب على كل قوم يشتركون في القدر أو الصنعة أن يكونوا متضامنين في دفع الضرر الذي يقع على أحدهم فينالهم جميعاً

ومثل هذه الحكاياه ما رواه أحد الثقات قال قبض على رجل من البابية وحيء به الى نجيب باشا والي بغداد فقال الوالي لا أقتله الا بفتوى المذاهب الحنسية . فحكمت المذاهب الاربعة بقتله فأمر الوالي باحضار الشيخ موسى بن الشيخ جعفر النجفي فلما حضر أفتى بجرمة قتله وأبطل ما أفتى به على المذاهب الاربعة بأدلة واضحة فلام الناس الشيخ بعد ذلك فأجابهم لقد لاحظت من شر العواقب فيما لو قتل الرجل ما لم تلاحظوه فان هذا البابي عليه اسم التشيع فلو حكمت بقتله وُقُتل يشيع الخبر بأن عالماً من علماء الشيعة قتل لظهور كفره ولا يقولون بأنه كان بابياً فنحاشياً من أن تلبسنا هذه السمعة السيئة أفتيت بجرمة قتله محافظاً على عرض الشيعة لا حفظاً لحياة البابي

نقول كما ينبغي للعاقل ان يدفع الضرر عما يلزم منه الاشتراك ولو كان عدواً لدوداً ينبغي أيضاً أن يجلب النفع لمن يلزم منه الاشتراك في النفع ومنه قولهم في الامثال « احلب حلباً لك شطره » وعلى هذه القاعدة وضع الفرنجة في هذا العصر قاعدة التضامن بين اصناف الناس المشتركين في المنافع والمضار بحيث ترى اصحاب كل حرفة متضامنين على جلب المنافع ودفع المضار فيعتصبون ويتوقفون عن العمل اما طلباً لزيادة أجورهم أو لانقاص ساعات عملهم أو لدفع ضيم عليهم من حكومتهم وقرأني الجرائد أبناء اعتصابهم حيث يفوزون غالباً باغراضهم

ومن الموانع أيضاً انتظار سوء العقبى . قال بعض الحكماء « لاتصغراً من حاربت فانك اذا ظفرت به لم تحمد وان عجزت عنه لم تعذر » وحكي عن الاسكندر انه قصد موضعاً حاربه النساء فكشف عنهن وقال هذا جيش ان غلبناه فانا لنا من نخر وان غلبنا كان ذلك علينا فضيحة الدهر .

ومن الموانع سوء الذكر قيل ان المهدي قدم قعوداً عاماً للناس فدخل عليه رجل وفي يده نعل ملفوف في منديل فقال يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله قد أهديتها اليك فقال هاتها فدفعها اليه فقبّل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم . فلما أخذها وانصرف قال المهدي لجلسائه أترون آني لم أعلم أن رسول الله صلى

الله عليه وآله لم يرها فضلا عن ان يكون قد لبسها. ولكن لو كذبناه لخرج وقال للناس اثبت أمير المؤمنين بنعل رسول الله فردها علي وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره لما تعلمون من جهل العامة وميلهم الى تصديق ما يسمعون والانتصار للضعيف على القوي وان كان ظالماً. ولهذا اشترينا لسان الرجل وقذا بتصديقنا قوله وقبولنا هديته وحكي ان المأمون بلغه ما كان عليه كمرى من العدل فقال في أحد مجالسه بلاني أن الارض لا تبلي أجساد الملوك العادلين وقد عزمت على أن أختبر هذا القول بكمرى. فتوجه الى بلاد الاكاسرة وفتح قبر ذلك الملك وزل اليه وكشف عن وجهه فاذا هو في غاية الرطوبة والثياب التي دفن بها باقية على جدتها لم تتغير وكان في أصبعه خاتم من الياقوت الاحمر ليس في خزان الملوك مثله وعليه كتابة فارسية فاندش المأمون مما رأى وقال هذا رجل مجوسي يبدل النار ولم يضيح الله ما كان يفعله من العدل. وكان مع المأمون غلام خصي ففأفله وأخذ الخاتم المذكور فلما علم المأمون أمر بضرب الغلام وتقيه الى السند واعادة الخاتم الى أصبع كمرى كما كان وقال ان هذا الغلام يريد أن يفضحنا بين ملوك العجم حتى يقال كان المأمون نباشاً للقبور ثم أمر أن يسبك على قبر كمرى بالرصاص حتى لا ينتج بهده.

وقال ابو الاسود الدؤلي لبنيه اني احسنت اليكم صغارا وكبارا وقبل ان تولدوا فقالوا يا اباانا قد علمنا احسانك لنا صغارا وكبارا فما احسانك لنا قبل ان نولد؟ قال طلبت لكم، ووضعا في النساء ثلاثا تسيروا واعلم كما ان ملاحظة سوء الذكر مانعة لملاحظة حسن الذكر باعثة. فقدحكي ان المفيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عميلة متعربة فاستاذن عليها فقالت من انت؟ قال المفيرة بن شعبة انثقي قالت ما حاجتك؟ قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن قد جئني لمال ولا جمال ولكن اردت ان تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر او يقال عنك ان ابنة النعمان تزوجها المفيرة والا فأي خير في اجتماع عمياء واعور؟

ومن هذا الباب ملاحظة أحياء الذكر في الافعال، كما يقال أن معاوية عرس نخلنا في مكة في آخر خلافته فقال ما غرستها طمعا في ادراكها ولكن ذكرت قول الاسدي:

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الارض آثار

ولما كان عبد الله بن جعفر عند معاوية في الشام أخبروه بولده فآخبر معاوية

فأعطاه خمسمائة ألف درهم على أن يسميه معاوية فسماه وقال معاوية اشتري بها اسمي حتى لا يضيع

واعلم أن الناس عموماً من أكبر الملوك إلى الأصغر الصعاليك يدأبون في تخليد آثارهم كل على قدر طاقته واجتهاده وما مخلفات الفارين العظيمة كاهرام مصر وتماثيل آشور وبابل الآمن هذا القبيل وقد قال الشاعر:

تلك آثارنا تدلُّ علينا  
فانظروا بعدنا إلى الآثار  
وقلنا في أحياء الذكر:

إذا استبحل على الناس الخلود بندي  
دنيا وكان الفنا يدنو لهم عجلاً  
مالوا لتخليد آثارنا تذكر من  
يجيء بعدهم ما لقد مضى وخلا  
أن السعيد الذي يبقى لامسته  
ذكر أحميداً فلا يمدو عليه بلى  
ومن يببب على كبر الليالي إلى الأ  
حسان والبر فيهم تضرب المثلاً

﴿ الروضة الرابعة ﴾

﴿ في مقدار النفع والضرر ﴾

اعلم أن ما يعالج من توطئة الأمور إما أن يكون نفعاً صرفاً أو ضرراً محضاً أو أن يكون فيه نفع وضرر. أما ما كان صرف نفع أو محض ضرر فهذا لا كلام عليه والمرء يأتيه أو يمتنع عنه وهو على بينة من أمره أما ما اشترك فيه النفع والضرر فهو موضع البحث في هذه الروضة. فمن الأمور ما يزيد ضرره على نفعه وبالعكس ما يزيد نفعه على ضرره أو ما يتساوى فيه النفع والضرر فهذه ثلاثة أقسام يجب أن نبهت فيها وانضرب عليها الامثال عبرة وذكرى لقوم يذكرون فيعتبرون

( ما يزيد ضرره على نفعه )

اعلم أن كل أمر يزيد ضرره على نفعه ومؤنته على ثمرته وتعبه على لذته لا يأتيه عاقل يقدر العواقب. قال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ؟ قال يهضم طماحي قال أما أنه يهضم من دينك وعقلك أكثر؟ وقيل لبعض الأذكيا ما تقول في فلان وفلان قال هما الحمر والميصر انهما أكبر من نفعهما. ومن أمثال العامة « من قلة تدبيره حنطته أكلت شعيرة » وأصل المثل أن رجلاً كان عنده حنطة وشعير فباع الحنطة واشترى بها فرساً ثم علف الشعير الفرس حتى نفد

ومن نوادر أبو الأسود الدؤلي أنه اشتري حصاناً بتسعة دنانير ومضى إلى داره

ونام فلما استيقظ سمعه يقضم فقال ما هذا قالوا الحصان يأكل شميته فقال لا أترك في مالي من أنام وهو يتلفه وأعرض عما يزيد وينميه. وفي اليوم التالي باع الحصان واشترى أرضاً للزراعة

وذكر الميداني في مجمع الامثال ان قوماً من اللصوص استحضروا احدى القواجر فقبضوا منها أوطارهم ثم أعطوها قرية زيت كانت عندهم اذ لم يحضرم غيرها فقالت المرأة لا أريدها لاني أحسبني علفت من أحدكم وأكره أن يكون. ولودي ابن زنا زيت. فذهب قولها مثلاً لكل ما يزيد ضرره على نفعه

وقال أيضاً فيه: ان فاقوة امرأة الاسدي كانت من أجل النساء في زمانها وان زوجها غاب عنها أعواماً فهويت عبداً عندها حياً كان يرعى ماشيتها فلما هممت به أقبلت على نفسها فقالت يا نفس لا خير في الشره ، فانه يفضح الحره ، ويحدث العره ، ثم أعرضت عنه حيناً ثم هممت به فقالت يا نفس موته مريحة ، خير من الفضيحة ، وركوب القبيحة ، واياك والمار ، ولبوس الشنار ، وسوء الشعار ، ولؤم الذنار ، ثم هممت به وقالت ان كانت مرة واحدة ، فقد تصلح الفاسدة ، وتكرم الائمة ، ثم جبرت على أمرها فقالت العبد احضر بيتي الليلة فأتاها فواقمها وكان زوجها فائقاً مارداً وكان قد غاب دهر آثم أقبل آتياً فيبينها هو يأكل اذ هب غراب فأخبره ان امرأته لم تفجر قط الا تلك الليلة فركب مرة فرسه وسار مسرعاً رجاء ان هو أحسها منعها فاتتهى اليها وقد قام العبد عنها وندت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسي فسمعهما مرة فدخل عليها وهو يرعد لمابه من التميط فقالت له ما يردك ؟ قال خير قليل وفضحت نفسي فعملت انه علم بفجورها فشبهت شهقة وماتت فقال مرة:

لحى الله رب الناس فاقد ميتة وأهون بها مفقودة حين تفقد  
لعمرك ما تعادني منك لوعة ولا أنا من وجد عليك سهد

ثم قام الى العبد فقتله وذهبت كاهنها مثلاً « وهي خير قليل وفضحت نفسي »  
ومن هذا الباب ما قاله بعضهم رأيت مجنونين يتنازعان رغيفاً يثر كل واحد منهما صاحبه به وهما يتقاسمان عليه. فقالت لها وأنا اظن ان اريح عليهما انا آكله ان لم تأكله فقال احدهما يا أحق ان معه اداما لا يسوغ الا به قلت وما هو قال ضيق الحناق ووجيئة العنق فوليت عنهما فقالا با مجنون لولا غضاضة الادام لا كنا منذ حين  
ومن هذا القليل ما قيل « من طمع من اللباس بنيره طعموا منه يدرة وان اخفنت

منهم ديناراً اقتطعوا من مالك قطاراً »

واحسن ما يرسم في هذا الباب قول امير المؤمنين عليه السلام من وصيته للحسن عليه السلام « واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب نالك ان تتعاض بما تبذل من نفسك عوضاً ولا تبك عن غيرك وقد جعلك الله حراً وما خير خير لا ينال الا بشر و يسر لا ينال الا بعسر » ومن أطف ما يرسم في هذا الباب قول أبي حيان :

خلفنا لامرر لوعلمنا خفيه لما حبنا المرء ليلي ولالينا  
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا وما تلك الاراحة تعقب الخزنا

واعلم ان أكثر مشتهيات النفوس يغلب ضررها على نفعها وشهرها الزنا الذي انتشر انتشاراً مخيفاً في البلاد التي دخلت التمدن الحديث على أسلوبه الافرنجي فجعل الشبان يتأخرون في الزواج ويتلهون بالهواجر ونجم عن ذلك انتشار الامراض النسائية كالزهري والسلان . قالوا ان في مصر والاسنانة لا يسلم شاب من بثة من أحد هذين المرضين وهكذا قل عن بلاد أوروبا حيث بلذة وقتية يكسب الانسان الآلاماً واسقاماً طويلة وقد يفضي به الامر الى الموت ولهذا بحث طويل ليس موضعه هنا . وقلنا في الموضوع هذين البيتين :

لأبأشر عملاً ان لم تكن عارفاً ما النفع منه والضرر  
واذا بأشرته جهلاً به فتوقع يا ابن ودّي منه شر  
« ما يزيد نفعه على ضرره »

واعلم ان كل أمر يزيد نفعه على ضرره فهو مرغوب فيه لالوم على السير فيه لان ما لا نفع منه ولا ضرر قل أن يوجد في أمور الناس قالوا ان جيشاً كان فيه الفرزدق فقال صاحب الجيش من جاءني برأس فله خمسمائة درهم ثم برز صاحب الجيش فقتل فبكي أهله عليه . فقال الفرزدق أما ترضون رأس برأس وزيادة خمسمائة فذهب قوله .  
وذكري في الكشاف في تفسير قوله تعالى « ومن يغلل يات بما غلّ يوم القيامة » ان بعض جفاة الاعراب سرق نأجفة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة الحمل

وقالوا في أمثالهم « بمنل جارية فلتن الزانية » وجارية هو ابن سليط وكان حسن الوجه فرآته امرأة فبيكتته من نفسها وحملت فلما علمت أمها بحملها لامتها ثم رأته الام

جمال ابن سليط فمذرت ابنتها وقالت بمنزل جارية فلنزن الزانية في السر أو العلانية  
وقال الشاعر :

ان هو بداراً فليكن  
ابن الخليفة ذي السرير  
وابناً لسultan الوري  
أودا الوزارة أو أمير  
وتجنب الاوغاد وال  
فوغا وذا القدر الحقيق  
ان الخطير هو الذي  
قد قام بالامر الخطير

وهذا الموضوع لاحتاج لبحث طويل لانه من البدييات التي لاحتاج الى تفسير  
« مايشترك بين النفع والضرر »

أما مايشترك فيه النفع والضرر فاليه يجب أن يتنبه الفكر بحيث ان المرء عنده يقدم  
على العمل ويجد فيه خيراً وشرأ ان يراجع فكره ويعمل رويته فاذا رجح خيره على  
شره أقدم عليه واذا رجح شره على خيره احجم

قالت العرب في الامثال « حبذا التراث لولا الذلة » يضرب لشيء فيه خصال محمودة  
واخرى مذمومة. وذلك ان الرجل اذا مات أقاربه ورث أموالهم واستغنى الا انه في  
الوقت نفسه ينزل هلاك أنصاره فهو والحالة هذه يحب التراث ولكن يكره الذلة التي  
تعقبه بفقد أنصاره وقال الغزالي من هذا القبيل

ذهب السكرام فسدت غيرمسود ومن الشقاء تفردى بالسود  
ومن أمثالهم « شقيت نفسي وجدعت أنفي » أي من جهة نلت مرادي ومن الجهة  
الاخري لقيت ما أكره وأنشد أبوتمام لقيس :

فان ألك قد بردت بهم غليلي  
فلم أقطع بهم الا بناني  
وقال الآخر :

ونبكي حين نقتلك عليكم  
وقلنا في هذا الموضوع :

تدعون لو انا نقاسمكم حيا  
نكم وأعوام الاله كثير  
ماضر لو انا نعيش وأنتم  
عيشاً يصاحبه هنا وسرور (١)

(١) كنا يوماً في خدمة ولي النعم الشيخ المعز المعظم فجاء عيد رمضان المبارك فاخرج  
عظمته لكل واحد منا ونحن في بابها معاشر العلماء والادباء والشعراء الكساوي والمنحوما



وروي أن اعرابياً باع شيئاً من اعرابي آخر الى نسيئة وزاد في الربح كثيراً فقال المشتري :

يلوي بنان الكف يحسب ربحه ولا يحسب المظل الذي انا ماطله  
ومن دون ما يرجو غناه مبرح أو اخره ما تنقضي وأوائله  
ومن أمثال العرب « نمرة الجين لاربح ولا خسر » وهذا كقول العامة « الجبان  
لا رايح ولا خسران »

وضلّ لاعرابي بعير خلف أب وجده ليبيمه بدرهم واحد فوجده فلم يحتمل قلبه أن يبيعه بذلك الثمن فعمد الى سنور وعلقه في عنقه وأخذ ينادي على الجمل بدرهم والسنور بخمسةائة درهم ولا يبيعهما الا معاً فرّ اعرابي به وقال ما أرخص الجمل لولا القلاذة

وكان يقال مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فاسداً مثل الماء العذب الصافي فيه التماسح لا يستعاضع الانسان وان كان ساجحاً والى الماء ظاهماً دخوله حذراً على نفسه وشكى رجل الى أبي العيناء سوء حاله فقال له ابشر فان الله رزقك الاسلام والمافية فقال أجل ولكن بينهما جوع يقاقل الكبد

اكتفى أعزه الله بذلك بل أنهم علينا بعطايًا محمولة الى المصارف في بلادنا لنرسلها الى عيالنا فلم يبق منا الا من شكر وحمد ودعا ثم وقفت بين يدي عظمتة حفظه الله وقلت اتنا يا مولاي نعيش مع أهالي نوا أو اولادنا بفضلك ونجز عن قضاء واجب شكرك وحمدك فالتنا الا أن نسأل الله عزّ وجلّ أن يضيف الى عمرك السعيد من أعمارنا وان يديمك مصدراً للجود والاحسان على مدى الازمان. فتبسم عظمتة حفظه الله على ما هو معلوم من بشاشته وقال أما أن تدعواننا بطول العمر فهو محبوب مرثوب فيه لانه يعذب على السمع ولو كان ينكره العقل وقد قال سبحانه وتعالى « فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون » وأما أن يضيف الله سبحانه من أعماركم الى عمري فهذا الارضاه فاضرّ أن نعيش سوياً وواهب الاعمار الهى والهكم سبحانه ييده الاعمار والارزاق وعنده منها الكثير وهل تظنون انه يلذني ان أعيش دونكم لا والله . وأنشد عظمتة بعد ذلك مرتجلاً بيتي المتن فمجتبنا من هذه المبادئ السامية والتنازل الكبير في جبر خواطرنا وازدنا الى الله دعاءً بطول بقائه ذخراً للإسلام ومجداً للعرب وسبحانه بحبيب الدعوات

وقال النبي عليه الصلاة والسلام « شرب الدواء » للجسد كالصابون للثوب ينقيه ولكن يخلقه وأنشد بعض الإدياء في أحد الفضلاء :

قالوا فلان<sup>م</sup> عالم فاضل فأكرموه مثل ما يرضي  
فقلت لما لم يكن ذا تقى . تعارض المانع والمقتضى

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفين ومنعوم من الماء « قد استطعموك القتال فأقروا على مذله وتأخير محله أورووا السيوف من الدماء ترويه من الماء فالمرت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين » فساوى عليه السلام بين الموت بالجز والحياة بالذل ومن هذا أخذ الشاعر معنى قوله فقال  
فموت الفتى في العز مثل حياته وعيشته في الذل مثل مماته  
وقال غيره :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الخنظل

طيب الحياة بذلة كرجلهم وجههم بالعز آخر منزل

ومن هذا الباب قول العرب في أمثالهم « اتق خبزها بشرها وشربها بخيرها » والضمير يرجع للقطة قاله رجل لصاحبه وهو يشكو مريض القطط وأوساخها ويحمد صيدها الفار فلا تعيث في البيت فساداً

ومن هذا الباب أيضاً تكنته لا بأس من إرادها رواها شاعرنا عبد المسيح بك أنطاكيا قال كان شيخ هرم من وجوه حلب قد تزوج صبوية حسناء ثم حدث بينهما فقرة في ساعة غضب خلف عليها بالطلاق ثلاثاً فخرمت عليه . واذ كان لتلك الصبوية وقع في نفسه شديد أرسل فاستدعى القاضي وطلب منه حيلة شرعية يستعيد بها زوجته فقال القاضي ان لا سييل الى ذلك الا ان تزوجها من اجنبي زواجاً شرعياً ثم يعود هذا فيطلقها فتنتظر قضاء عدتها ثم تزوجها ثانية فارضى الشيخ برأي القاضي مرغماً ولكن حار في الحصول على رجل يأتمنه على زوجته . وفيما هو غارق في بحار حيرته اذا بفلاح شاب من فلاحيه العاملين في أرضه داخل عليه فقال أزوجها من هذا الفلاح وهو طوع يدي يطلقها رغم أنه . وبغير تردد استدعاه اليه وعرض عليه الزواج بمطاقته مشروطاً بطلاقها في صباح اليوم التالي فقال سمعاً وطاعة . وفي الحال كان القاضي حاضراً فكتب الكتاب وشهد الشهود وفي المساء دخل الفلاح على الصبوية المطلقة المعجوز الهرم واذا اراد ان يدخل عليها أسرعته الى طشت فوضعت على

الفراس فقال لها الفلاح ولم هذا؟ قالت له أليس من عادة الرجال إذا ارادوا اتيان نساءهم يضعون الطشت من ورأهم للبراز؟ ففهم الفلاح بأن ذلك المعجوز كان لضعفه لا يستطيع عند الجماع ضبط نفسه. فضحك وقال لها ليس كل الرجال كما تهدين ودخل بها فشعرت بلذة لم تعهدها بجماع ذلك الهرم وبقي الى الصباح بين لف وعناق وجماع وعند ما اصبح الصباح أخذ الفلاح يعول ويبيكي فقالت الصبية ولم تبكي قال لفرأقك قالت كيف لم تزوجني وقد حمدت الله على الخلاص من ذلك المعجوز القدر؟ قال نعم ولكن تزوجت في المساء على أن أطلقك في الصباح والان ينتظرني زوجك والقاضي والشهود لاحلف بالطلاق؛ لأننا أمامهم. قالت ولكن أنت لا تطاقتي قال وهل استطيع ذلك والباشا سيدنا ونحن نشغل في أرضه وله نفوذ كبير فهو يستطيع أن يزجني في السجن أيضاً لدين له في ذمتنا. قالت اصغ فان أمر الطلاق بيدك وأنا لا صبر لي على فراقك ولا أريد الرجوع الى ذلك المعجوز القدر فاذا رفضت طلاقي فليس في استطاعة أحد اكرهك عليه. أما الدين الذي عليكم فان أبي وهو من أغنياء البلد يوفيه عنك قال سمعاً وطاعة وعادا فماتنا وبينها ما كذاك واذا بباب غرفتهما يقرع والخدام ينادي يا فلان ان الباشا يدعوك قال حياً وكرامة وخرج الفلاح من غرفة زوجته تاركا بها قلبه وتوجه الى حيث الباشا فوجد عنده القاضي وطائفة من الاعيان فقال له القاضي أما طلقت زوجتك فلانة؟ قال كلا وأنت مرة كلا قال الباشا وكيف وبلك قال ألم أزوجها بشرية الله ورسوله أو ليس الطلاق لمن أخذ بالساق؟ فأنا لا أطلق امرأتي ولو قتلته وني ففضب الباشا واضطرب وأخذ الحاضرون يرجون الفلاح تارة ويعرضون المال عليه طوراً ليطلق فأبى فتهددوه بالسجن هو وأبوه فلم يؤثر فيه التهديد وهكذا خرج غاضباً وأسرع الى المحكمة الشرعية طالباً بزوجته فلم يسع القاضي الا تسليدها له على رغم أنف الباشا وظلت ممة على هناء ومرور كل حياتها

وأنت ترى من هذه القصة ان الباشا اذ عرض عليه أمر تزويج مطاقتة موقتماً ليحل له الزواج بها ثانية كان يجب عليه عند ما اختار الفلاح زوجاً موقتماً أن ينظر الى النفع والضرر من هذا الزوج أما النفع فهو تحليل زواجه بها أما الضرر فهو معرفة زوجته وهي صبية صغيرة بان في الرجال من هم أقوى وأكفأ من على الجماع فلو عرض على نفسه النفع والضرر لوجد اطالته زوجاً في مثل عمره ولو فعل ذلك لما أضع امرأته التي كان شديد الشغف بها وفي هذا كفاية

## ﴿ الروضة الخامسة ﴾

﴿ في الأمور الساقطة عن اعتبار العقل ﴾

« توطئة »

ان الأمور الساقطة عن اعتبار العقل هي اما لقلّة أثرها وضعف تأثيرها أولا. متناع  
موضوعها وتكون عبارة عن أربعة أمور وهي استدراك الفائت . والعناية بالمدير  
والاهتمام بالمقبل. وتحصيل الحاصل. وسنفرّد لكل منها فصلا يوضحها أحسن توضيح  
« استدراك الفائت »

اعلم أن استدراك الفائت يقم الى قسمين . أحدهما الفائت بنفسه . والثاني  
الفائت بوقته والاهتمام بكليهما من متاعب النفس بما لا يفيد  
أما الفائت بنفسه فان استدراكه جهل وخرق بالرأي والاهتمام بذلك عبث وغرور  
وقلنا في ذلك :

غرور وحق ان تعاني متاعباً      لارجاع ما فات بالأمس ضائعاً  
اذا كنت ذا حزم وحسن دراية      فأحرص على ما زلت من بعد جامعاً  
وكان أبو الاسود حاضر الجواب جيد الكلام . مليح النادرة روي أنه دخل يوماً  
الى السوق يشتري ثوباً فقال له رجل همّ أقاربك في هذا الثوب ؟ فقال له ان لم تقاربني  
باعدتك ثم قال له بك هذا الثوب ؟ قال قدأطوني به كذا وكذا قال انما تخبرني عما فاتك  
ومن أمثال العرب قولهم « الفائت لا يستدرك » مثل محدث وبتله قوله الشاعر :

ندمت على سبي المشيرة بمد ما      مضى واستبقت للارواة مذاهبه  
فأصبحت لأستطيع رداً لمامضى      كما لا يرد الدرّ في الضرع حالبه  
ومثل هذا قول النابغة :

والياس عما فات يعقب راحة      ولربّ مطعمة تكون ذباحا  
وقال شاعرنا الانطاكي :

ولكم ندمت على الذي ضيعته      ولقد أضمت وما عقلت كثيراً  
هيئات ليس تقيـدني يا ليتني      كنت الجريص لما غدوت فقيراً (١)

(١) أنذمت هذين البيتين وأنا في القصر الخزعلي العالي بين أصحابي وكنت أحدثهم  
بما مرّ علي من الدير وما أضبحت فيه بأسرافي من العسر فنقله أحدهم لمسامع مولاي  
وليّ النعم بنيران أعلم فارتجبل عظمت هذين البيتين معاتباً فنقلها لي صاحبي وهما :

وقال أحد الحكماء لا ينبغي ان يعمل الانسان الفكرة في ما فاته ولكن ليعملها في حفظ ما بقي لديه فلا ينفع النصح بعد العمل ولا الاستجابة بعد الفوت  
حكى ان ضبة بن أركان كان له ابان احدها يسمى سعد واثاني سعيد فخرجا الى سفر فهلك سعد ورجع سعيد فخرج والدهما فقتلوا عن ابنه الهالك في الاشهر الحرم ومعه الحارث ابن كعب فيبينما هما ذات يوم سائران يتحدنان اذ مرأ بمكان فقال الحارث لقيت بهذا المكان شاباً صفته كذا وكذا فقتلته وهذا سيفه فقال له ضبة « الحديث ذو شجون » أي حديثك محزن فذهب قوله . مثلاً ان ضبة قتل الحارث فلامه الناس على استحلال الاشهر الحرام فقال « سبق السيف العذل » فأصبح قوله . مثلاً . ومن هذا الباب قول حاتم الطائي

ألا لا تلوماني على - ما تقدماً  
كفى بصروف الدهر المرء محكماً  
فانكها لا ما مضى تدركانه  
ولست على ما فاتني متسداً

وقيل للاخنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم رأيت في أحد الايام قاعدآ في فناء داره متقلداً بحمايل سيفه يحدث قومه فيبينما هو كذلك اذ أتى له

تشكو العسار وانت شاعر خزل  
وتقول ليت وليت لا تغني الفتى  
فرفعت جوابي لعظمته بالاعتذار في الحال وقلت  
عذراً أبا الاحسان لا أشكو ولن  
أغنيتني عن كل أهل الارض مذ  
« فلاشكرتك ماحييت وان أمت »  
ولئن أساء الدهر لي فأضامني  
فالدهر كفر عن اساءته فاس  
فأنا بفضلك يا أمير العرب في  
نانت في نمانك الشراء والا  
وأذعت ما بين الانام مسامحي  
والفخر لي اني بيباك لا نمد  
والله أسأل ان يدعك لي وللا  
فسرّ عظمته من جوابي وأمر لي بنفحة سنية حسب عادته الملوكية

برجلين أحدهما مة.تول والآخر مكتوف فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال  
الراوي والله ما قطع نفس كلامه ولا اغتاظ  
ثم التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخي أمت برّيك ورميت نفسك بسهمك  
وقتل ابن عمك ثم قال لابنه الآخر يا بني قم فادفن أخاك وحلّ قيود ابن عمك وسق  
لامك مئة نقة دية ولدها فانها غريبة عينا  
وقال أرسـ تطاليس الايام لا تديم الفرح ولا الترح والاسف على الماضي تضييع  
للعمر لا غير وقال المتنبي :

فما يدوم سرورٌ ما سررت به ولا يرد عليك الغائب الخزان  
وقاله شاعرنا الانطاكي :

فدى وألف فدى قارون ما أخذت من درّة قسدها أصبح الملك  
قد أصبحت بمياه النهر سابحة من بسد دورتها في قبة الفلك  
فلا عليها يقال اليوم وأسفا ولو غدت طمة الحيتان والسماك  
ما دام صاحبها في غبطة وعلى وسؤددٍ ونخارٍ آمن الهلاك (١)  
وقال أمير المؤمنين عليه السلام « ان كنت جازعاً على ما تفات من يدك فاجزع  
على كل ما لم يصل اليك » أي لا فرق بين ما فقدت وبين ما لم تحصل عليه وكلاهما  
في حكم المدم . وقال الشيخ عليش الكبير الذي قيم لك حاصل لديك والتي لمفريك  
لا يجعل اليك  
أما ما فات زمانه فاندم عليه كالندم على ما فات وكلاهما في حكم المدم لا ينفع فيها  
ندم وقد قال الشاعر :

(١) كان عظمة مولانا اعزنا الله بشريف وجوده على ظهر يخنه « هم مشير » في  
مباه قارون في قرب محلة المظفرية وكان بأصمبه خاتم من الماس كبير الحجم غالي الثمن  
وكان هذا الخاتم من الفضة مركبة عليه الحجر على دائرة من الذهب تصدق بالفضة  
يريم لينزعها عظمته عند الصلاة صلاحاً وتعبداً فينما كان عظمته مرة مستنداً على حاجز  
اليخت يستعرض جيشه وقعت الماسة في النهر وهو في أبان ازدياده فتقدم الغلمان  
للغوص رغبة في ايجادها فقال حفظه الله مبتسماً لا تعبوا فوجودها عمر الزمان وهي  
فدى على كل حال وكنت وقشذني في الحضرة فأنشدت هذه الايات فبسم عظمته وقال  
فدى وألف فدى وأجازني بكرمه الحانمي

ما مضى فات والمؤمل غيبٌ      ولك الساعة التي أنت فيها

وأكثر الندم على ما فرط من الزمن ندم الكحول على تضييع الشباب سدى  
وذلك لأن الشاب يقضي شبابه باللهو والطرب والتشبيب والنزل فلا يدخر مالا ولا يكسب  
علماً ولا يبني مجداً حتى إذا ما أدبته تجاربه وعرف خطأه وأراد محاولة تدارك ما فات  
وجد عزيمته قد خارت وقواه قد ضفت فيندم على شبابه الضائع ويقول مع الشاعر :  
الا ليت الشباب يعود يوماً      لاخبره بما فعل المشيب

ولهذا تقول العامة في أمثالها « لو كان الانسان عمران لقضى أحدهما بالتجربة  
والآخر بالامل » واذا عرفت ذلك فالسعيد من الشبان من اعتبر بندم الكحول  
والشيوخ على تضييع شبابه سدى وحرصوا على زهرة شبابهم فكسبوا بها مالا وعلماً  
وجاهاً مما يكون لهم ذخيرة عند ما يكملون فيصبحون بحالة لا تساءلهم عقولهم بها على  
تحصيل العلم ولا قواهم على تحصيل المال وكلاهما على تحصيل المجد. وفي ذلك قلنا :

ندم الشيوخ على الشباب وقد مضى      باللهو ما عدأ جنوا أو مالا  
ندأ لقد عضوا البنان عليه اذ      في لهولهم قد ضيعوا الامالا  
فايمتبر شباننا بشيوخنا      وليحسنوا زمن الصبا الاعملا

من هذا البيل أيضاً الندم على ضياع الفرصة فكم وكم تمنح لاحدم فرصة  
لانيان عمل ينم منه ربحاً كثيراً أو جاهاً وقيراً فيتفاقل عنها قفلات من يديه فيندم  
ولات ساعة مندوم وهذا النوع من الندم لا يخلو منه أحد من الناس لان ما من الناس  
من لم تصبه فرصة خير فيضيعها وهيمت أن تعود الفرص ان هي أفلتت والسميد  
من اغتتمها

« معاناة المدر »

والقسم الثاني من الامور الساقطة عن الاعتبار معاناة المدر والمدر هو ما أشرف  
على الفوات ومن أمثال العرب قولهم « خذ الامر بقوابله » أي خذهُ سندا استقباله  
قبل أن يدبر فإنه اذا أدبر أتى بطلابه . وقال الشاعر ما في هذا المني :

إذا رأيت بهيد أمر مقبلا      فقريب ما استدبرت منه بعيد

وقال آخر :

نخذلن وجه الارض مادام مقبلا      اليك ولا تكلف به حين يدبر

رقال النطامي .

وخير الامر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعاً  
وقال بعض الحكماء « ما كان عنك معرضاً فلا تكن له متعرضاً » ومن كلام بعض  
الوعاظ « أيها العاقل مالك تعرض عن الآخرة وهي قبلة عليك وتقبل على الدنيا وهي  
معرضة عنك » وقال بعض الشعراء :

ألا أما الدنيا غضارة أيكبر إذا خضرت منها جانب جف جانب  
فلا تكتحل عينك منها بغيره على ذاهب منها فانك ذاهب

وقال الشاعر :

نفسى التي تملك الاشياء ذاهبة فكيف أخشى على شيء إذا ذهب  
والزهد كله بين كلمتين في القرآن الشريف « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا  
بما آتاكم » ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفه  
وقال الشاعر :

إذا عاش الفنى ستين عاماً فنصف العمر تمحقه الليالي  
ونصف النصف يذهب ليس يدري لغفاته يمينا من شمال  
وباقى العمر يصرفه بكدٍ وهم بالمصائب والعيال  
فإذا ترنجبي من عيش عمره وقسمته على هذا المثال

وقال أحد الأكارب « ما أمتع بدنيا ان بقيت لها لم تبق لي وان بقيت لي لم أبق  
لها » وكان يقال يا ابن آدم لا تأسف على مفقود لا يرده عليك القوت ولا تفرح  
بموجود لا يتركه عليك الموت »

ومن هذا الباب معاناة الرجل تجديد مجد دارس أو تجارة بارة أو تعمير بيت  
تداعى للخراب ولو عقل لاشفق على نفسه وماله فاشتغل لكسب مجد جديد من  
وراء عمل جديد على أسلوب جديد أو خرب بيته المتداعي وعمر على انقاضه  
بيتاً جديداً

ومن هذا القبيل عناية الامم بتجديد شباب دولها الشائخة فانهم يعجبون أنفسهم  
في ما لا يفيد والدول على ما قرر ابن خلدون كالأفراد لها نشأة فشاب فكهولة  
فشيخوخة فموت والامة التي تكون في دولة شائخة عابها أن تفكر باحداث دولة جديدة  
تقوم على انقاضها خيراً لها من أن تفكر بتجديد شباب دولتها فتموت معها . إلا أن



رشيدات الامم كالأشدين من الرجال قليل ولذلك ترى كثيراً من الامم قد أضاعت مجدها وسؤددها ودخلت في حكم أمم أخرى غريبة عنها  
« الاهتمام بالمقبل »

واعلم أن الاهتمام بالمقبل هو عبارة عن الاهتمام بما قرب حصوله أو أشرفه وهذا وإن كان يحكم به العقل بالبداهة إلا أن اعتباره كالحاصل نوع من أنواع الوهم الواجب أن يتزهد عنه ذو العقل السليم وقد قال الشاعر :

كل ما ترجيه سهل ولكن عثرات الامال ليست بسهلة  
قيل ان شاباً زاحم شيخاً في الطريق فقال الشاب كم تمن القوس وأراد في ذلك تميره بأنحاء ظهره حتى بات يشبه القوس فقلل الشيخ يا ابن أخي ان طال بك الاجل فانك مشتريها بغيره من

ومن أمثال العرب « أنت على الحرب » أي أنك مشرف على ما تجر به . قيل ان أصل هذا المثل أن رجلاً حاول وصال امرأة فلما دنا منها قال أبكر أنت أم تيب ؟ فقالت أنت على الحرب ويضرب هذا المثل لمن يسرع في السؤال عن شيء هو قادم على معرفته

ومن أمثالهم « اليك يساق الحديث » يضرب مثلاً للرجل يهيا له الامر وهو مستعجل يتمسك للوصول اليه قبل أو انه وأصله أن رجلاً خطب امرأة فجعل يصف لها نفسه حتى انتصب ذكره من تحت ثوبه فضربه بيده وقال « اليك يساق الحديث » فذهب قوله مثلاً

ونظر اعرابي الى القمر حين طلوعه فأبصر به الطريق وكان خائفاً أن يضل فقال ما عسيت أن أقول فيك ان قلت حسنتك الله فقد فعل أو رفعتك الله فقد فعل وقال المتنبي :

والهجر أقتل لي عما أراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل  
ووعده بعض الرؤساء بعض الادباء وعداً فاقضاه عليه مرة بعد أخرى وكان في كل مرة يجيّد له الوعد فكتب اليه لست ألتبس باقتضاه وعدك تجديده لان هذا قد أحرزته وأما ألتبس منك انجازة

وسأل بعض الخلفاء رجلاً عن شيء فقال الله أعلم فقال قد شقينا ان كنا لا نعلم أن الله أعلم فإذا سئل أحدكم عما لا يعلم فليقل لا أعلم بكل صراحة

وقيل استأجر رجل حملاً ليجمل له قفصاً فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال  
ينتفع بها فلما بلغ ثلث الطريق قال هات الخصلة الأولى فقال من قال لك الماشي مثل  
الراكب فلا تصدقه قال نعم . فلما بلغ الثلث الثاني قال هات الثانية قال ومن قال لك  
الجوعان مثل الشبعان فلا تصدقه قال نعم . فلما انتهى الى باب الدار . قال هات الثالثة  
قال من قال لك انه يوجد حملاً أجهل منك فلا تصدقه . فرمى الحمل القفص على الارض  
مغتاظاً وقال من قال لك انه بقي في القفص فارررة صحيحة فلا تصدقه

وسمع ابن الجصاص آية من القرآن في بعض المجالس فقال حسن والله هاتوا دواة  
وقرطاساً أكتب هذا قالوا هذا من القرآن وفي داركم خمسون مصحفاً فلم يثن القول  
عزيمته فكتبها وقال لسلك جديد طلاوة

ونظر ابن الجصاص وجهه في المرأة فقال لمن حوله هل طالت لحيتي ؟ فقيل له ان  
المرأة في يدك قال نعم الا أن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب  
وقال أحق لابنه أي يوم صلبنا فيه الجمعة في مسجد الرصافة ؟ فقال لقد نسيت  
ولسكني أظنه يوم الثلاثاء فقال صدقت كذا كان

« في بيان الامور العديدة الفائدة »

ومما ينبغي الحاقه بهذا الباب هو بيان الامور المعدومة الفائدة المتساوية العائدة  
منها وصف الشيء بنفسه كقول بعضهم :

كأنتا والماء من حواننا قوم جـلوس جوظهم ماء  
وقال في ذلك ابن الوردي :

وشاعرته واقدته طبع الدكاء له فدكاد يحرقه من فرط اذكاء  
أقام يجهد أياماً قريحتاً وشبهه الماء بعد الجهد بالماء

ومنها تخصيص الشيء بما لا يختص به أو يشاركه فيه ما هو أقل منه كما يحكى انه  
تعرضت مدينة لكثير فقالت له هل أنت القائل :

وما روضة بالحزن طيبة الئى يمج التدى جنبائها وعرارها  
بأطيب من أردان عزة موهناً وقد أوقدت بالندل الرطب نارها

قال نعم قالت لله درك فلو أن زنجية أوقدت النار بالندل وتمطرت لطاب من أردانها  
الشذا. ولكن هلاً قلت كما قال سيدك امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جثت طارقاً وجدت بها طيباً وان لم تطيب

فجبل منها وقال صدقت يا خالة . وسمع بعضهم قائلًا يقول شعراً :  
 ومن لا يود المدح أن مدائحني نوافق عند الاكرمين نواحي  
 نوافق عند المشتري الحمد بالندي نفاق بنات الحارث بن هشام  
 قال يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحارث بن هشام؟ قال كن حسان الوجوه  
 وكان أبوهن إذا زوجهن يسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن فقال يا ابن أخي لو فعل  
 ابليس بيناته ما فعل الحارث لتنافس فيهن الملائكة المقربون . ومن ذلك قول شاعرنا  
 الانطاكي لواقعة حال :

أقول وقد لاحت وأضت خيائها جميلة هذي أم شبيه جميلتي  
 فاني إليها شيق دائم الهوى وليت فؤادي كان يشق بالتي  
 فقلنا له وما معنى شبيهة جميلة أريد أنها كانت أقل مما تعدها جمالاً أم أن الهوى  
 أثر عليها كما أثر عليك؟ فقال :  
 فاني رأيت البعد أثر في بها محاسنها  
 ثم توقف فقلنا أعم قولك :

تأثيره في قريحتي

فلأنا فيها واصلت زهو حسنها ولا هي في ذا الحب ذات صباة  
 ومن هذا الباب ترجيح الشيء على تقيضه أو ضده بالرجحان ضرورة وبداهة  
 فإن في ذلك نقصاً للراجح فضلاً عن عدم فائدة الترجيح كتفضيل الماس على الفحم  
 والنور على الظلمة وهلم جرا قال الشاعر :

إذا أنت فضلت امرأةً أذا نباهة على جاهلٍ قد كنت فيه منقصاً  
 ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف أمضى من العضا  
 وقلنا في مثل هذا لواقعة حال :

وما ماحد فينا الحسين بفضلٍ محامده الغرأ على ابن معاوية  
 سوى كالذي قد قارن الشمس بالدحي وذا مظلم من حيث هاتيك زاهيه (١)

(١) وما عرف به عظمة الشيخ المغز أطال الله بقاءه برّه وتقواه وتمسكه في حب  
 آل البيت على زعيمهم وعليهم سلام الله ولذلك كثيرون من الشعراء يقصدون عظمته  
 بتمداح المصطفى وآل بيته الاخيار. ففي ذات يوم سباهه أحد الشعراء مادحاً سيد الشهداء  
 وكان في جملة ما قال :

ومن ذلك ترتب الآثار على غير الآثار على موضوعها. من ذلك انه قيل لاعرابي اشترى غلاماً انه يبول في الفراش فقال ان وجد فراشاً فديل عليه . وقيل لاعرابي ما تسمون المرق؟ قال السخين قال فاذا برد؟ قال نحن لا نتركه حتى يبرد . ومثله قمدصي مع قوم على طعام فاخذ بيكي فقيل له وما بيكيك؟ فقال ان الطعام حاراً قالوا فاصبر حتى يبرد قال ولكنكم لا تصبرون . وقال الشاعر :

عجبت لمن يقول ذكرت حي  
وقال المتنبى مخاطباً المؤذن :

ألا أذن فما أذكرت ناسي  
ولا ليئت قلباً وهو قاسي

ومنها أيضاً التعريف بالمحمل والمبهم وذلك كما يحكى أن رجلاً قصد بشار ففرع الباب فقيل من الباب؟ قال أنا فقال يا أنا ادخل . وفرع الباب رجل على عمر بن عبيد فقال من هذا؟ فقال أنا، فقال لست أعرف أحداً من اخواننا المسلمين اسمه أنا وقيل فرع رجل على الجاحظ الباب فقال من؟ فقال أنا فقال الجاحظ أنت وقرعك سواء لا فرق بينكما

وروى شاعرنا عبد المسيح بك أنطاكي حادثة من هذا القبيل نذكرها على سبيل الفكاهة . قال ان السادة الاشراف في اليمن كثيرو التبغدد حتى على الامراء فينما كنت مرة بضيافة سمو سلطان لحج المرحوم أحمد بن فضل محسن وكنت بخدمته في مجلس وباب العرفة مغلقاً واذا به يقرع فنادى السلطان رحمه الله من الباب؟ فقال الطارق افتح أنا سيدك قال ان أسيادنا كثيرون فأبهم أنت؟ قال سيدك محمد قال ان أسيادنا بهذا الاسم كثيرون فأبهم أنت؟ فقال سيدك محمد البار قال أهلاً ومرحباً بفضل فدخل السيد وتصدر المجلس ثم طلب مالا فنذجه السلطان ما طلب فانصرف . قال الانطاكي وبعد انصرافه قال السلطان المرحوم انظر هذه الحالة أنا سيدك فلان وهات احسان مع اني لو كنت قادماً لبيتي وقرعت الباب وسألني عبدي الذي هو ملك يدي

وان حسيناً ما يزيد بكفته  
وقد فاقه في المكرمات الزواهي

فتبسم عظمته حتى اذا انتهى من نشيده قال له ألا ترى حسناً أن تلحق بقصيدتك هذين البيتين وارجل عظمته بيتي المتن في الحال فحجل الشاعر واضرب فسكن عظمته اضطرابه باحسانه البه وأجازه على شعره وقال متطافاً ما أردت نخبيلك ولكن سيد الشهداء لا يجوز أن يفضل على غير الاكفاء ولا فيكون ذلك. نقصبة له عليه السلام

من الطارق؟ فقلت له أنا فلان من غير أن أقول له سيدك . . . . . نقول ان أشراف العراق على غير هذا

ومن هذا الباب التعريف بالنوع وذلك كما يحكي أنه أرسل السراج الوراق غلامه الى السوق ليشتري له زيتاً فلما أحضره صب عليه عسلاً وأكل لقمة فوجده زيت سراج لا يصلح للاكل فذهب الى الزيات وعاتبه فقال يا سيدي لا ذنب لي فقد قال عبدك اعطني زيتاً للسراج . ومن ذلك ما يقال انه سئل جامع الصيدلاني عن عمر ابنته فقال لا أدري الآن الا أن أمها ذكرت لي انها ولدتها في أيام البراغيث والعامه في هذه البلاد أكثر توارى منها من هذا القبيل فمنهم من يقول لك ان ولده في سنة الوباء أو في سنة الجذب وانه تزوج في ولاية الامير فلان وهلم جرا

﴿ الروضة السادسة ﴾

﴿ في بيان الراجح من المرجوح ﴾

« توطئة »

غرسنا هذه الروضة لبيان الراجح والمرجوح أو هي موازين العقل في مقام التعارض أو التردد بين أمرين متنافيين لا يمكن اجتماعهما . وهذه الموازين على ثلاثة أقسام أولها ما كان بين أمرين متعارضين وكلاهما نافع . والثاني ما كان بين أمرين متعارضين واحدهما يراد به جلب منفعة والاخر يراد به دفع مضرة . والثالث ما كان في تعارض ضررين

وسندكر هذه الاقسام الثلاثة بالتفصيل ان شاء الله

« في الأمرين المتعارضين وكلاهما نافع »

اعلم أن موازين هذا القسم سبعة وسندكرها واحدة فواحدة

الميزان الاول رجحان الانفع من الامرين — وذلك كما يحكي انه أكل السلطان محمود يوماً مع بعض ندمائه باتيجاناً وهو جائع فقال انه طعام لذيذ . فأفرط النديم في مدحه ثم شبع السلطان فقال ولكن الاكثر منه يضرب فبالغ النديم في عدّ مضارّه فقال السلطان مدحته لي الآن فكيف تعود الى ذمه؟ فقال أنا نديمك لانديم الباتيجان فأتمكلم بما يطيب لك

وقيل سجع بعض المغفلين فلما رأى الكعبة قال اللهم اغفر لها اللهم عافها . فقال له رجل يسمعه : ومن هذه التي آرتها على نفسك؟ فقال امرأني فاني صحبت كثيراً من الخلق فما وجدت من يلذني وأقضي معه حاجتي سواها فكيف لأدعوها؟

وحكي أن رجلاً حمل بعض الصوفية طعاماً إلى طحان يداخه. فقال الطحان أنا مشغول فقال الصوفي اطحنه والا دعوت عايك وعلى سمارك ورحاك. قال فهل أنت مجاب الدعاء؟ قال نعم قال اذن ادع الله عز وجل أن يصير خنطتك دقيقاً فهو أنفع لك واسلم لديك

ولما أخذ محمد بن سليمان صالح بن عبد القدوس ليتوجه به إلى المهدي قال له أطلقتني حتى أفكر لك فيولد لك ولد ذكر ولم يكن لمحمد بن سليمان غير بنت واحدة فقال بل اصنع ما هو أنفع لك حتى تفلت من يدي. قال وما هو؟ قال ان تفكر في أن تصبح بنتي غلاماً وهكذا ضاعت حيلته

قيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه هل داويتها؟ فقال أني عنها لمشغول فقيل له لا سألت الله أن يما فيها؟ فقال أسأله في ما هو أهم من ذلك

الميزان الثاني في رجحان الأرجح من الأمرين النامين — فمن أشال العرب قولهم: بطني تطري. أصله ان امرأة كانت تطير رجلاً ولا تطعمه فكانه يقول لها اشبعي بطني ولا تطريني

وحكي أن رجلاً أتى امرأته وهو جائع فتهيات له فلم يلتفت إليها ولا إلى أولادها فلما شبع دعا أولاده فقربهم إليه إلى أن شعر بحاجته إلى امرأته فسمى إليها فقالت بيظنه يبدو الذكر. فذهب قولها مثلاً. وقال بعض الأذكياء:

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

اذ ما لا حاجة إليه لا يسدّ عما إليه الحاجة والافتقار. وقال محمد بن عبد الرحمن دعا مغيّر مرة أخاً له فأقدمه إلى العصر فلم يطعمه شيئاً فاشتدّ جوعه فأخذه مثل جنون ولم يعد يستطيع العمل. فأخذ صاحب البيت العمود وقال بجياني أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قال صوت المقلي والمشوي

وحكى أبو الرمقى قال كان لي اخوان أربعة كنت أنادهم في أيام الاستاذ كانوا قال فضاقت مافي يدي وقلّ ما عندي وجلست في بيتي مفكر في أمري. فبينما أنا كذلك اذ جاءني رسولهم وكان يوماً بارداً ولم يكن عندي كسوة أتقي بها البرد فقال لي الرسول ان اخوانك يقرؤنك السلام ويقولون لك اتنا قد ذبحنا شاة سميّة فاذا تشتهي أن نطبخها وعجل بالقدوم الينا فكتبت اليهم

اخواتنا قصدوا الصبح بسهرة وأتى رسولهم اليّ خصيصاً

قالوا اقترح شيئاً نرى لك طبيخه قلت اطبخوا لي جيسة وقيصا  
قال فدفعت الرقعة الى الرسول فذهب بها اليهم وبقيت أنتظروه وما شعرت الا واعد  
الي ومعه أربع خلع كاملة وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير وفرج الله عني فأخذت  
أحسن الخناع فلبستها وتوجهت اليهم فصحبتهم اليوم بطوله وكان من أهنأ أيامي  
الميزان الثالث في رجحان الأسهل من الامر على الاصعب والميسور على المعسور —  
فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خيّر بين أمرين الا اختار أيسرهما  
مالم يكن آثماً . وقال أحد الادباء لصاحبه على سبيل الدعاية من الأولى بان يعشق الجارية  
أم الغلام ؟ فقال أرى الاولى بأهل المدارس عشق الغلام ذي الطرف الناعس فان  
الميسور أولى من المعسور ثم أنشد

حبّ الغواني ذوات الدلّ والحفر  
فالمرء في كل وقتٍ لاحجاب لهم  
والبيض تحجب في بيض وفي شعر  
وقال أحد الحكماء من فطنة الكلب انه اذا عين الظباء قريية كانت أو بعيدة  
عرف العليل منها والصحيح والذكر من الانثى فلا يقصد في صيده الا الذكر وان  
علم انه أشدّ عدواً وأبعد وثبة ويدع الانثى على نقصان عدوها وذلك لعلمه ان الذكر  
اذا كان مطارداً فزناً وعدداً شوطاً أو شوطيين حقن ببوله وكذلك كل حيوان اذا  
اشتدّ فزده فانه يدركه الحقن واذا حقن الذكر لا يستطيع البول مع شدة العدو  
فتنقل حينئذ خطواته فيلحقه الكلب ويصيده والانثى ليست كذلك . وقال بعض الشعراء  
فاذا تعمّرت الامور فأرجها  
وعليك بالامر الذي لم يعسر  
وقلنا في هذا :

لا تعب النفس بالامر العسير اذا  
لم ترج ان تكافا في تيسره  
وكن نشيطاً بتدبير العسير اذا  
عراك يوماً وأحزم في تدبيره  
الميزان الرابع رجحان الاقرب من الامرين على الابد منهما ومعالجة الموجود خير  
من انتظار المفقود

حكى أن ملك الهند أرسل رسولا الى أنوشروان فلما انتهى اليه جميع أرباب  
دولته وأعيان مملكته أذن له بالدخول . فلما دخل عليه قال اسمع جواب رسالتك : ان  
سلطان الهند يدعوني لطاعته فقل له أن يصلح مملكته أولاً ثم ينظر الى مملكة سواء  
واذا أبي أن يرضخ لكلامي فالجسام بيننا وبينه والسلام وأنشد

فعاجز من ترك الموجود طاعة وطلب المفقودا

وربما تتبع الانسان لنفسه ما بعد عنها استهانته بما قرب منه وطلب ما صعب مناله احتقاراً لما سهل وانتقل الى من لم يجبره ملامن خبره وعلى الاكثر ان مثل هذا لا يحصل على فائدة ولا يظفر بعائدة. واعلم ان العاقل من لا يترك ما يقربه التماساً للبعيد ولا يستبين بالأسهل ظمماً بالأصعب ولا ينتقل مما له فيه الخيار الى ما لا خيار فيه. وبهذا يأمن الضرر ويسلم من الخطر. وقال أحد الحكماء لست منتفعاً بما تتعلم ما لم تعمل بما تعلم، فان زدت في علمك بغير عمل فأنت كالرجل الذي حزم حزمة من الحطب وأراد حملها فما استطاع فوضعها على الارض وأزاد عليها. وسئل بعض الحكماء ما الحزم؟ قال هو أن لا تطلب المفقود بفقد الموجود. وقال داود الطائي رأيت المحارب اذا أراد أن يذهب الى الحرب أليس يجمع عدّة الجلود فاذا قضى عمره بجمعها فتى بحارب؟

الميزان الخامس رجحان ما لم يكن عنه بدل ولا عوض على ماعنه بدل وعوض — من ذلك ان بعض الامراء قال لمعلم ابنه علمه السباحة قبل الكتابة فانه قد يجد من يكتب له ولكن لا يجد من يسبح عنه

وحكي أن نحوياً ركب في سفينة فقال للملاح هل تعرف النحو؟ قال لا قال ويلاه فقد ذهب نصف عمرك. وبعد قليل هاج البحر واضطربت السفينة حتى أشرفت على الفرق فقال للملاح للنحوي هل تعرف السباحة؟ قال لا قال ويلاه قد ذهب كل عمرك واعلم ان الانسان اذا وجد بين أمرين أحدهما له بدل وعوض وآخر ليس له بدل ولا عوض رجح الاول بالضرورة العقلية كما حكي ان الضحّاك بن قيس كان ملكاً من أحسن الملوك سيرة وأصفاهم سريرة فترى له ابليس بصورة انسان ودخل عليه وزعم انه يجيد طهي الدعام فضمه الملك الى حاشيته ووكله على طعامه وصار كل يوم يطهي له أطايب الاطعمة ولذائذ الاغذية مما يعجز عنه غيره. فلما أعجب الملك بطهيته قال له يوماً اقترح ما تريد عليّ، كفاة لك على حسن طعامك. فقال له ابليس اتنى عليك ان تسمح لي بتقيل كنتفك. فلم ير الملك ما يمنعه من تلبية طبّاخه فحمر عن بدنه فأقبل عليه ابليس وقبّل لوحي كنتفيه وفرّ من بين يديه؟ فخرج من موضعي قبليته سلعتان كأنهما حيتان، فعلم الملك انه ابليس، وقال قد قتلتنا يا لعين، فداوواؤهما؟ قال ادمغة الأدميين، فقد الملك يد الفتك، ولاجل ادمغة استعمل السفك، فضج الناس من ذلك، وأيقنوا بلهالك، ثم تمّ الاتفاق بالاجماع، على أن تؤخذ الناس بالاقتراع، فمن



وقمت القرعة عليه ذبحه وأخذ دأغه بالحين ، وغذوا به الحيتين ، ففني بعض الادوار  
 خرجت القرعة على ثلاثة انفار ، فاخذوا وحبسوا لوقت الاضطرار ، فوقفت للضحاك  
 امرأة وضية الوجه مستغيثة قائلة ثلاثة من دار ، لا صبر لي عنهم ولا قرار ، حاشي  
 السلطان أن يرضى بهذا العدوان ، ولدي كبدي ، وأخي عضدي ، وزوجي معتمدي  
 والكل مسجون ، ليستقي كأس المنون : فرق لها الضحاك ، وقال لا يعمهم الهلاك  
 فاختاري واحداً من الثلاثة فقالت اختار أخي الشقيق : فسألها الضحاك عن سبب  
 اختيارها لاختيها ، دون ابنها والوالد بنيتها . فقالت اني مرغوبة ، وللزواج مطلوبة ، فان  
 راح زوجي فعنه لي بدل ، واذا وجد الزوج وجد الولد وحصل ، فتهياً الغرض ، ووجد  
 عنه العوض ، وأما الاخ الشقيق ، فما عنه عوض في التحقيق ، لان أبونا ماتا وفاتا ،  
 وأصبحت تحت الارض رفاتا ، فهذا ما أدت اليه أفكاري ، ووقع عليه اختياري ،  
 فاستحسن الضحاك منها هذا الكلام ، وهبها الثلاثة مع زيادة انعام . وقال بعضهم :

يمضي أخوك فلا تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب المال مكتسب

وأما مثلنا لك بالاخ لتقيس عليه سائر الامور القوتية على حسب درجاتها . واذا  
 خاف الانسان على نفسه شيئاً طابت نفسه عن المال والاهل والوطن فانه يرجو الخلف  
 من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفاً . ولذلك قيل لجحى متى تقوم القيامة ؟ قال يوم  
 أموت أنا . وقيل له متى القيامة الصغرى ؟ قال يوم موت الناس أجمعين

الميزان السادس رجحان اليقين على الظن ورجحان الظن على الوهم - ومن هذا  
 قولهم كوخ في العيان خير من قصر في الوهم . وما كان أحسن من لو كان . وعصفور  
 في الكف خير من كركي في الجو . ولئن تعطف خير من أن تقف . وقالوا أجهل الناس  
 من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس . ومن أمثال العرب مس الثرى خير من  
 السراب أي اقتصارك على قليلك خير من اغترارك بما لغيرك . وقال أمير المؤمنين عليه  
 السلام « حفظ ما في يدك أحب من طلب ما في يد غيرك » قال بعض الشرّاح هذا مثل  
 قولهم في المثل المأثور: البخل خير من سؤال البخل . وليس مراده عليه السلام الوصاية  
 بالبخل والامساك بل يريد النهي عن التفريط والتبذير . قال الله تعالى « ولا تجعل يدك  
 مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » . قالوا وأحق الناس  
 من أضع ماله اتمكالا على مال الناس وظناً انه يقدر على الاستخلاف . وقال الشاعر

إذا حدثتكَ النفس أنك قادرٌ على ما حوت أيدي الرجال فكذب  
ومن الامثال في ذلك ما جاء لبعضهم في الصياد والسمكة

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| اتفق الحال مع الصياد      | في بلدة من اصغر البلاد    |
| ان حكم الطوى على السناره  | من بعد ما ان عمل استخاره  |
| فقطست في الماء بعض أذرع   | وشبكت سُميكة كالأصبع      |
| قالت له وهل لتلي منفعه    | يا ليما يد لتني بصفده     |
| اني حقيرة وليس بي طمع     | اذ ليس لي طعم ولا مني شبع |
| أرك سبيلي سنتين أكبر      | وبعد في هذا المكان أحضر   |
| وارم الى البحر لصيدي شبكة | حتى تقول الناس صاد سمكة   |
| فقال بل أ دون عين الجاهل  | اذا تركت عاجلا بأجل       |
| وعاجرٌ من ترك الموجودا    | طاعة وطلب المفقودا        |

ومن أمثال العرب قولهم لا أطلب أثراً بعد عين والعين الماينة ومعناه لا أترك الشيء وأنا أعاينه ثم اتبع أثره حين يفوتني . وقيل العين ههنا نفس الشيء يقول لا أترك الذي أطلبه ثم اتبعه اذا فات . والمثل لمالك بن عمر العاملي وذلك ان بعض ملوك غسان طاب رجلا من عماله فآذنه فآخذ رجلين وهما مالك بن عمر وأخوه سماك فقال اني قاتل أحديكما فقال كل واحد منهما اقتلني مكان أخي فعزم على قتل سماك فقال هذا وهو مقدم على القتل .:

فاقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم جنة راصدة

فقتل وخلي مالك فانصرف الى أهله فلبث زماناً ثم ركب مرة مع أمه في سفرة فسمعا بأحدهم يعني « فاقسم لو قتلوا مالكا » فسمعت أم سماك فقالت يا مالكا قبح الله الحياة بعد سماك أخرج في طلب دم أخيك فخرج فلقي قاتل أخيه يسير في فريسي من قومه فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه فقالوا له لك مائة من الابل وكف فقال « لا أطلب أثراً بعد عين » وحمل عليه فقتله

وقال ابن الجوزي في الاذكياء باسناده عن المبرد قال حدثني أحمد بن المعدل البصري قال كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون فجاءه بعض جلسائه فقال أعجوبة قال ماهي ؟ قال خرجت الى حائطي بالعبادة فلما ان أصحرت وبمدت عن بيوت المدينة تعرض لي رجل فقال اخلع ثيابك فقلت وما يسعدوني الى خاع ثيابي ؟

قال أنا أولى بها منك قلت ومن أين؟ قال لاني أخوك وأنا عريان وأنت مكسو. قلت فلو اساءة قال كلا قد لبستها برهة وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها قلت أفتعزيني وتبدي عورتني؟ قال لا بأس بذلك قد رويننا عن مالك انه قال لا بأس للرجل أن يفتسل عريانا قلت فيلقاني الناس فيرون عورتني قال لو كان الناس يرونك في هذا الطريق ماتعرضت لك فيها فقلت أراك ظريفاً فدعني حتى أمضي الى بيتي فازرع هذه الثياب وأوجه لك بها قال كلا أردت أن توجه الي أربعة من عبيدك فيحملوني الى السلطان فيحبسني ويعزق جدي ويضع القيد في رجلي قلت كلا أحلف لك ايماناً اني أوفي لك بما وعدتك ولا أسيتك قال كلا انا رويننا عن مالك انه قال لا تلزم الايمان التي يحلف بها اللصوص قلت فاحلف اني لا أحتال في ايمانك هذه قال هذه ايمان مركبة على ايمان اللصوص قلت فدع المناظرة بيننا فوالله لا وجهن اليك هذه الثياب طيبة بها نفسي فاطرق ثم رفع رأسه وقال هل تدري في من فكرت؟ قلت لا قال تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله الى وقتنا هذا فلم أجد لاصاً أخذ سرقة نسيئة وأكره ان ابدع في الاسلام بدعة يكون علي وزرها ووزر من عمل بها بعدي الى يوم القيامة فالخلع ثيابك قلت فخلعتها ودفعتها اليه فاخذها وانصرف

الميزان السابع رجحان الباقي على الفاني والدائم على المضمحل - قال الشاعر:

ولقد أقول لحاجبي نصحاً له خلّ العروض وبع لنا أرضاً

انني رأيت الارض يبقى نفعها والمال يأكل بعضه بعضاً

وقيل مر سليمان بن داود عليه السلام في مركبة على راعي غنم فقال قد أوتي سليمان ملكاً عظيماً فألقت الريح تلك الكلمة في أذن سليمان فنزل عن عرشه وجاء الى الراعي وقال له ان تسبيحة واحدة في صحيفة عيد أفضل ألف مرة عند الله من ملك سليمان لان ملكه لا يبقى والتسبيحة لصاحبها ينتفع بها في يوم القيامة وقال بعض الحكماء صلاح أسقام النفس أفضل من صلاح أسقام البدن لفضل النفس على البدن لانه آلة للنفس والنفس باقية والبدن فان مضمحل وصليحة الباقي والعناية به وتمديله أفضل من اصلاح الفاني ومع ذلك فان صلاح أنفسنا أسهل وأخف من مؤونة اصلاح أبداننا. وقال الفخر الرازي ان حسن السيرة أفضل من حسن الصورة لان حسن الصورة زائل وحسن السيرة دائم الاحدوث. ومن كلام بعض الاعلام: الويل لمن أفسد آخرته بصلاح دنياه ففارق ما عبر غير راجع اليه وقدم على

ما خرب غير منتقل عنه وقال الشعبي سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه اليه احد سمعته يقول أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا يفركم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الاجل . وقال ابن عباس لو كانت الدنيا ذهباً يفنى والآخرة خزفاً يدمى لا اخترنا ما يبقى على ما يفنى فكيف وقد اخترنا ما يفنى على ما يبقى . ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام « أما الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لممركم » وقال عليه السلام « الفنى والفقر بعد العرض على الله » أي لا يمد الفنى غنياً الا من حصل ثواب الآخرة الذي لا ينقطع أبداً ولا يمد الفقير فقيراً الا من كتب عليه حرمان الآخرة وذلك هو الفقير حقيقة . فأما غنى الدنيا وفقرها فأمران عرضيان زوالهما سريع وانقضاءهما وشيك والذي يستحق اسم السعادة على الحقيقة هو السميد في آخرته حيث البقاء بلا فناء والعلم بلا جهل والقدرة بلا عجز والفنى بلا فقر . وقال الشاعر في مثل ذلك :

ليس السميد الذي دنياه تسعده بل السميد الذي ينجو من النار  
حكى أن أحد الأغنياء سمع ذات ليلة هاتفاً يقول له في المنام: غدأ سينموت أسعد  
رجل في المدينة . فلما صبحا من نومه ساوره الغم الشديد لانه يعلم ان لارجل في المدينة  
أغنى منه . وكان في المدينة رجل حجار فقير فدنا أجله في ذلك اليوم . وجاء بعض  
العلمان لذلك الفنى وأخبروه ان فلاناً الحج ر مات في صبيحة ذلك اليوم . قال فاصبروا  
الى آخر النهار لنرى من يموت غيره . وظل الفنى قلقاً على نفسه بعد الدقائق بفروغ  
صبر حتى انقضى النهار فلم يسمع بموت احد غير الحجار . فقال حقاً ان الحجار أسعد  
منى لانه كان رحمه الله رجلاً صالحاً طيب السريرة لا يسعى الا في الخير قانعاً راضياً  
راضياً . ولا بد أنه انتقل اليوم الى السعادة الأبدية وانا هنا في هم وشقاء لسبب حشد  
الاموال وظلم العباد . فما يعني ان اتعظ بذلك وانغير سلوكي فاكون اسعد رجل بمعنى  
الكلمة ؟ اني قادر بأموالي ان اكون سعيد الدارين وكان الله يحب التائبين  
وقال عليه السلام « الحرفة مع العفة خير من الفنى مع الفجور » وقال عليه السلام  
« شتان ما بين عمليين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤوته ويبقى أجره »  
أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال :

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار  
ومن كلامه عليه السلام « ان تعبت في البر فان التعب يزول والبر يبقى » وعن

كلامه أيضا « عجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء »

« في تعارض النافع والضار »

واعلم ان القسم الثاني من أقسام الموازين يتعلق بتعارض ،صاححة ومفسدة والتردد

بين جلب نفع و دفع ضار وهما ميزانان سنذكرهما تفصيلا

الميزان الاول في رجحان دفع المفسدة على جلب المنفعة - قال بقراط الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع . وأوصى عبد الملك بن صالح أبا قده على سرية أرسلها الى قتال عدو له فقال كن كالتاجر الكيس أن وجد ربحاً أنجر والاحفظ رأس ماله ولا تطلب الغنيمة حتى محمد السلامة . وقال شبيب بن شيبه ان ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقل أحكام البلوغ في طلب السلامة من الحنظل قبل التقدم من أحكام البلوغ في سرف التجديد ثم اياك ان تعدل بالسلامة شيئاً فقليل كاف خير من كثير غير شاف وينبغي أن يؤخر القتال ما وجد بدأً فان النفقة عايه من الانفس وعلى غيره من المال

الميزان الثاني رجحان رفع المفسدة وازالتها على جلب المنفعة - والفرق بينه وبين الميزان الاول دفع والدفع قبل الوقوع وهذا وقع وهو بعد الوقوع وكلاهما راجح على طلب المنفعة من ذلك ما رواه ابن رجلا سأل أحد العلماء أسبح الله أم أستغفره فقال أن الثوب الوسخ أحوج الى الصابون من البخور أي أن الاستغفار يجب أن يقدم على التسبيح . وقال بعضهم :

لا يهينك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبدول

فربما افتقر الفتي فرأيتنه دنس الثياب وعرضه مغسول

وأما رجحان الرفع على النفع فطابق من غير تقييد اذا لامصاحبة مع وجود مفسدة فال بزرجهر لا ينبغي للملك أن يكون في حفظ مملكته أقل من البستاني في حفظ بستانه فانه اذا زرع الریحان ونبت بينه الحشيش استعجل في قطع الحشيش لئلا يضبط أما كن الریحان . وقال يحيى بن معاذ انكسار العاصين أفضل عندنا من صولة المصلين ومن كتاب الدر المنثور « شر لا يدوم خير من خير لا يدوم »

« في تعارض الضررين »

والقسم الثالث من الموازين تعارض الضررين والاضطرار الى ارتكاب أحد قبيحين

وهو ميزان فقط

الميزان الاول رجحان ارتكاب اقل القبيحين وأهون الضررين — فاعلم انه كما يجب عقلا في تمارض المنافع تحري الانفع والاكثر والابقي وكذلك يجب عند تمارض ضررين اختيار الأهون الاقل ضرراً . من ذلك أن بعض الاذكياء سُئل ما الماقل ؟ فقال هو العالم بخير الخيرين وشر الشررين فالماقل اذن من عرف خير الشرين وألف بيز الضدين وجمع بين المتباينين كما في قصة سليمان بن داود عليها السلام في أمر النعم والحراث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون هو :

دخل رجلان على داود عليه السلام أحدهما غنّام والآخر صاحب حراث فقال الحارث دخلت غنم هذا الرجل بالليل على حرثي فأهلكته وأكلته ولم تبق لي فيه شيئاً فقال داود النعم للحارث عوضاً عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سايمان وكان في الحادية عشرة من عمره فقال لها ما حكم بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غير هذا زرق بفريقكما فعادا الى داود وأخبراه بما قاله ولده سايمان فدعا اليه وقال له ما هو الاوفق ؟ فقال أن تسلّم الغنم الى الحارث فيأكل لبنها وينتفع بدها ونسائها ويسلم الكرم الى الغنم ليقوم فيه فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخل الغنم اليه سلم الكرام الغنم لصاحبها واستلم كرمه كما كان فقال داود العدل ، اقلت وحكم بذلك وقد نزلت الآية « وداود وسليمان اذ يحكما في الحراث اذ نقتت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين »

وقال صاحب الاذكياء عن عقبه الازدي انه أتى بجارية قد حُجنت في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها الى زوجها فجأؤا بزمام فعزم عليها فاذا هي قد سقطت فقال لاهلها خلوني بها ففعلوا فدنا من أذنها وقال ليس عندنا أحد فأصدقني عن نفسك وأنا أخلصك من ورطتك فقالت كان لي خليل وأنا في بيت أهلي فاقترض بكارتي وعند ما أراد أهلي ادخالي الى زوجي خفت الفضيحة وتظاهرت بالجنون فهل لك أن تصون شرفي وشرف أهلي حسبة لله تعالى قال نعم ثم خرج الى أهلها وفيهم زوجها وقال ان الجني قد أجابني الى الخروج منها فاختاروا من أي عضو تريدون اخراجه واعلموا ان العضو الذي سيخرج الجني منه لا بد أن يفسد فاذا خرج من عينها عميت أو أذنها أو فمها خرس أو يدها شتات أو رجلها عرجت أو فرجها ذهبت عذرتها فقال أهلها ما نجد أهون من ذهاب عذرتها فأخرج الشيطان من فرجها فتركهم ودخل على الصبية وعزم وحرق البخور وأوهمهم أن الجني خرج من فرجها وأدخلت المرأة الى

زوجها وصين شرفها وشرف أهلها وقال الشاعر في هذا الباب :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه      كذلك بعض الشرا هو من بعض

وأما ارتكاب أقل الضررين فقد قال بعض الثقة حدثني رجل له قدر قال ارسل الي السلطان ان طلق امراتك وارادها ببعض اصحابه فأيدت ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لي ناصح منهم خذ الامر مقبلاً فإنه لا حيلة لك اذ أن السلطان لا يخاف عاراً ولا في الآخرة ناراً تفارقتها

وذكر بن الاثير وغيره ان أبا جعفر المنصور لما حاصر ابن هبيرة قيل له انه يخندق على نفسه كالنساء فبلغ ذلك ابن هبيرة فأرسل اليه انت القائل كذا وكذا فأبرز الي لترى فأرسل اليه المنصور ما أجد لي ولك . بل في ذلك الاكاسد لقي خنزيراً فقال له الخنزير بارزني فقال الاسد ما أنت لي بكفو فان نالني منك سوء كان عاراً علي وان قبتك قتلت خنزيراً ولا نخر مثلي بقتل خنزير فقال له الخنزير ان لم تبارزني لا عرفن السباع انك جبت عنى فقال الاسد احتمال عار كلامك أيسر من تلطيخ راحتي بدمك

وقيل أنهزم دروين من بهرام حوييت وقال هربت وان كان الهرب عيباً لاخلص بهربي أرواح جماعة من أصحابي لانني ان هلكت هلك بسببي ألوف من الخلائق ومن أمثال العرب «لئن يقولوا فرّ خزاه الله خير من قتل رحمه الله» ومن أمثالهم «سوء الاستمساك خير من حسن الصرعة» وقال بعض الفرس لئن ادعى جباناً وأنجو خير من أن ادعى شجاعاً وأقتل» وقال بعض المومنين «ياني ان الحياة خير من الموت فلا تموتن وأنت تستطيع أن تحمل نفسك على الهلكات»

وحكي ان الخليفة المنصور ظهر عليه في بعض الغزوات عالج فقال من برز لهذا وكفاني مؤنته أعطيته عشرة آلاف درهماً فطمع في ذلك أبو دلامة فبرز اليه فلما رأى منه مالا طانه له به تركه وهرب فقتل هرب أبو دلامة من خصمه فلما بلغ الخليفة خبره وكان أبو دلامة عنده قال هربت قاتلك الله فقال أبو دلامة قاتله الله أحسن عندي من رحمه الله فضحك الخليفة من جوابه

وقيل لا سلم بن زراعة أن أنهزمت من أصحاب مرداس بن أذنبه يفضب عليك الامير عبد الله بن زياد قال يفضب هو وأنا حي احب الي من أن يرضى وأنا ميت وقيل انه أنهزم رجل في حرب فشتمه أميره وقبح عليه عمله فقال لان تشمتني أصلحك الله وأنا حي خير من أن ترحم علي وأنا ميت

ومن ارتكاب أقل القبيحين ما حكى انه ادعى رجل في أيام المأمون انه ابراهيم خليل الله فقال له المأمون ان معجزة الخليل الالقاء في النار فنحن نلقيك في النار لرى حالك قال اريد معجزة أخف من هذه قال فمعجزة موسى فانهلقى العصا فاذا هي حية تسمى فقال هذه أصعب من الاولى قال فمعجزة عيسى احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا اضرب رقبة القاضي يحيى بن اكرم واحييه لك في الحال فقال يحيى أما أنا فأول من آمن بك وصدق نبوتك فضحك المأمون واجاز المتنبى على ان لا يعود الى هزيانته

وادعى آخر النبوة في زمن المأمون أيضاً فأمر تمامه ان يسأله ما علامة نبوته ؟ فسأله عنها فقال نبوتي ان اضاج امرأتك بحضورك فتلد ولدأ يشهد لي وقت ولادته اني نبي فقال له اما انا فاشهد انك نبي من غير معجزة فقال له المأمون ما أسرع ما آمنت به ؟ فقال ما اهون عليك ان يفعل بأمراتي وانا أنظر اليه فضحك المأمون وأجاز المتنبى على أن يتوب

ودعا رجل لسليمان الشاذ كوني فقال أرانيك الله على قضاء اصبهان قال ويحك ان كان ولا بد فعلى خراجها فان اخذ اموال الاغنياء اسهل من اخذ اموال الايتام واستأذن الجاحظ والسكك وهما من المتكلمين على رئيس فقال الخادم لمولاه الجاحد والشكاك بالباب فقال المولى هذان من الزنادقة لامحالة فصاح الجاحظ ويحك قل الحدقي في الباب وكان يعرف بهذا الاسم فصاح الخادم الخلقى بالباب فصاح الجاحظ ويحك ارجع الى الجاحد ارجع الى الجاحد فانه أهون من الخلقى

واما رجحان ارتكاب اقل الضررين بمقابلة رجحان اقوى المنفعتين . فمن ذلك قيل ان هاروت وماروت لما اقترفا الذنب ههما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلمتا ما حل بهما وقصدا ادريس فخيرها الله تعالى بلسانه بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا لانه غير أبدي من قبيل انه اهون الشرين وقال امير المؤمنين عليه السلام « العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي وقتية ولا يخاف عقوبة الدين وهي دائمة » وورد في الحديث عنه عليه السلام قوله « عجب من يحتمي عن الطعام مخافة المرض كيف لا يحتمي عن الذنوب مخافة النار وقد اخذ ذلك بعض الشعراء فقال :

جسمك قد اقينتسه بالحلمى دهرأ من البرد والحار



وكان اولى بك ان تحتمي من المعاصي عذر النار  
وقال ابن جباوه انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب  
الله تعالى لان الاول غير دائم والآخر دائم  
وهكذا يجب على الانسان في جميع أمور دنياه واخراه اذا وقع بين ضررين  
زمانين أن يختار أهونها والاحكام الشرعية قد قررت ذلك وكذلك النظمات الموضوعة  
ألا ترى ان أحدهم يحكم عليه بحبس طويل ثم يرى الحكام ما يوجب على ذلك السجين  
لشفيع له استبدال مدة الحبس المحكوم بها باقصر منها فيستبدلونها بامر الملك اختياراً  
لاهون الضررين كما ان المحكوم عليه نفسه يسعى وراء ذلك اختياراً لاهون الضررين  
بكل ماله من وسائل الشفاعة

الميزان الثاني رجحان فوات البعض على فوات الكل — قال الله تعالى «فان لم  
يصبها وابل فطل» ومن أمثال العرب «لا يسقط الميسور بالميسور» وقولهم «من لم  
يجد الحميم رعى الهشيم» ومثله «من لم يجد ماءً تبعم» ومثله «اذا لم يكن ما تريد  
فأرد ما يكون» ومثله قول الشاعر:

ومولى رفدت النصح حتى يردّه      عليّ وحتى يعذر الرأي عاذره  
اذا كان لا يرضى برأيك صدره      ولا أنت ان لم يرض رأيك قاصره  
فصبراً جميلاً ان في اليأس راحة      اذا الفيت لم يعطر بلادك مطره

وقلنا في مثل ذلك:

عجبت لمن يأبى القليل طماعةً      بنيل كثير لا ينال فيخسر  
فأضره لو يقع النفس بالذي      تيسر ممّا بعد لا يتيسر

وقيل ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أريد أن تكون ضيافتي فقال له أنا وحدي؟  
قال أنت وعسكرك في جزيرة كذا في يوم كذا فضى سليمان وجنوده الى هناك وصعد  
الهدهد الى الجوّ وصاد جرادة وكسرها ورمى بها في البحر وقال ياني الله كل ومن  
ملك فان من فاته اللحم لم يفته المرق . فضحك سليمان وجنوده . وأخذ هذا بعض  
الشعراء فقال:

وكن فتوحاً فقد جرى مثله      ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

وقال شاعرنا الانطاكي في معرض غزل:

جفت وما رحمت صباً أخا وله      يبكي وبشكو الجوى في ظلمة النسق

يعالج الشوق حتى كاد يحرقه      زفيره وهو لم يأمن من الفرق  
 وهام في وجهه من لوعة وجوى      بين الشوارع والساحات والطرق  
 فاشفقت كرمياً اشفاق ذي كرم      على متيها في آخر الرمق  
 وأرسلت رسمها فيه تقول له      ان فاتك اللحم فاطلب سائل المرق  
 ما كان يقنعني جسم أعانقه      فصرت أقنع في رسم من الورق

ورأى أحدهم امرأة حسناء في طاقة فاحبها ولازم المقام بيبها والمرور تحت طاقتها  
 الى أن أعيا وقل صبره ففرع عليها الباب فخرجت جارية تسأله عن حاجته فدفع لها  
 صحيفة وقال دعني صاحبك تبول في هذه الصحيفة فلما باع الحسناء طلب الرجل ضحكت  
 وبالت وقالت للجارية اتبعيه وانظري ماذا يفعل فلم يزل الى أن دخل بعض الخرابات  
 فوضع ذكره في ذلك البول وجعل يقول يا مشموم اذا فاتك اللحم عليك بلمرق  
 ومن نوادر جحاً أنه رأى في نومه رجلاً أعطاه تسعة دراهم فقال سبحان الله في  
 طبعك اجعلها عشرة فما رضي صاحبه وتحانقا خناقاً شديداً وفي أثناء الخناق انبته جحاً  
 من نومه فما وجد في يده شيئاً فندم لانه لم يرض بالتسعة وظن أن صاحبه غدر به  
 اطعمه فأغض عينيه وجعل يصيح لا بأس هات التسعة الفرق بيني وبينك ميسور  
 وفي الامثال « زوج من عود خير من قعود » وأصل المثل كان رجل من عدوان  
 وله أربع بنات وقد عضهن غيره فسمعهن يوماً يتحدثن في خلوة فأصغى فاذا احدهن  
 تقول لاخواتها فلتقل كل منا ما في نفسها وتصدق المقال فتمنت الكبرى زوجاً مثيلاً  
 والثانية كريماً والثالثة ابن عم لها والرابعة سكنت ولم تقل شيئاً فألحت عليها شقيقاتها  
 فقالت « زوج من عود خير من قعود » فعرف حينئذ الاب شرَّ العضل وزوجهن  
 وقال كسرى لمغني له قد قتل الفلهذ تلميذي وكنت استريح منك اليه ومنه اليك  
 فاذهب مقته حسدك له ولكن ذهب بشرط لذتي قال هذا وأمر أن يطرح المغني تحت  
 أرجل الفيلة فتدوسه فقال المغني مولاي جمعت فداك أنا أذهبت شطر لذتك بمقتل  
 تلميذك وأنت الساعة تذهب الشطر الاخر فتكون جناتيك على نفسك أعظم من جناتي  
 عليك فضحك كسرى من حسن تلخصه وعفا عنه . وقال بعضهم :

روح النفس بالنسوة عليها      لا تكن جالب الهموم اليها  
 واذا مسك الزمان بضراً      لا تكن أنت والزمان عليها

وقلنا مثل هذا في واقعة حال :

لا تطل لوم من دهنه الليالي  
واثنى بعدها بعيش كريبه  
كان في عزّة فأمسى ذليلاً  
تاركا عهده لكبر وتيه  
من يجرد دهره عليه فخاذر  
لا تكن أنت والزمان عليه (١)

ورأى بعضهم رجلا يصلي ولا يركع فقال هذه ليست بصلاة فقال أي رجل عظيم البطن فاذا ركعت ضرطت فاختر صلاة بغير ركوع أو ركوع بضراط . قال بعضهم :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً  
وأعقبه يوم عليك شهيد  
فان تك بالامس اجترمت اساءة  
فبادر باحسان وأنت حميد

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله « اجتهدوا في العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي » وقال ارسططاليس « من لم يقدر على فعل الفضائل فلن تكن فضيلته ترك الرذائل » وقال رجل لمورق العجلى أشكو اليك نفسي انها لا تريد الصلاة ولا تستطيع الصبر على القيام قال بئس الثناء أثبتت على نفسك فاذا ضعفت عن الخير فاضعف عن الشر . وقال الشاعر :

احزن على أنك لا تحزن  
ولا تعميء ان كنت لا تحسن  
واضعف عن الشر كما تدعي  
ضعفاً عن الخير وقد يمكن  
وقلنا في مثل هذا :

اذا كنت لا ترجى لخير تنيله  
سواك فخاذر أن تكون أخشبر  
فان أشر الناس من كان عائناً  
فساداً وخير الناس من جد للبر  
وقال الله عز وجل « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »

واعلم أزدك الله علماً أن من يعجز عن الاثيان بكل الخير لا يجوز له أن يتهاون ببعضه كما أن من لا يستطيع دفع الشر كله لا يجوز له أن يفغل عن دفعه فان

(١) أنشد عظمة مولانا الشيخ المعز أعزّه الله هذه الايات في مجلس عرض فيه أحدم بأحد ولاية البصرة بعد عزله وكان أحق سيء السيرة وقد ترك في الولاية أقباح الآثار وهذه الايات فيها الدلالة الصريحة على أخلاق عظمة مولانا الشيخ خزعل الشريفة ومبادئه السامية من حيث الترفع عن سماع ملامة الناس واغتيالهم في مجلسه العالي ولو كانوا من المسيئين والتساع والاعضاء عن المذنبين

بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض  
ومن أمثال العرب قولهم « ادفع الشر عنك بعود أو عمود » أي ادفع الشر بما  
تستطيع من قوة أو ضعف . وقال بعضهم « اذا أتاك سائل فلا تردّه بغير عطية قلت  
أو كثرت فسلم من ملامه وتحظى باكرامه » وقال حكيم « ادفع الشر بما تقدر عليه »  
وفي الامثال « من حقر حرم » أي من احتقر اليسير وهو قادر عليه حرم من الكثير  
الذي يصير اليه . وفي الحديث « لا تردوا السائل ولو بظلف محرق فان من حقر  
يسيره ومنع منه أعجزه كثير وامتنع عنه »

واعلم أن فعل قليل الخير أفضل من تركه فمن ادراك أن هذا الخير القليل لا يحتاج  
اليه خلق كثير ؟ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله « لا تمنعكم من المعروف  
صغيره » وقال عبد الله بن جعفر « لا تستح من القليل فان المنع أقل منه ولا تجبن  
عن الكثير فانك أ كثر منه » وقال بعضهم :

اذا تكهرت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود

بثّ النوال ولا تمنعك قلته فكلّ ماسدً فقرأ فهو محمود

وقلنا في هذا المعنى :

ابتذل من المال ما تقوى عليه ولا تكن بخيلاً به ان قلّ أو كثرا

فربّ مال يسير قد أجدت به على فقير قضى من حاجه وطرا

وقال شاعرنا الانطاكي :

قل للذي يمنع المحتاج مكرمة قلت ولم يستطع بالجود اكنارا

لا تحتقر كسرة يقوى الفقير بها على الحياة ولا تمنعه مختاراً

وقال أمير المؤمنين عليه السلام « لا تستح من اعطاء القليل فان الحرمان أقلّ  
منه » وقال عليه السلام « افعلوا الخير ولا تحمروا منه شيئاً فان صغيره كبير وقليله كثير  
ولا يقولون أحدكم ان فلانا أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك القليل من الخير خير  
من عدم الخير » وقال الشاعر

اعمل الخير ما استطعت وان كان قليلاً فلن تحيط بكله

وحتى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركا لاقله

حكى ان رجلاً كان يسمر فقد فنذر ان شفاه الله يتصدق بجميع عمله في أيام الجمع  
عن والديه فعاش زماناً طويلاً وهو يفني بنذره ففي أحد الجمع طاف النهار كله ولم يحصل

على شيء يتصدق به فاستفتى بذلك عالماً فقال له أخرج في طلب فشر البطيخ المرمرى في الشوارع واغسله بالماء وأخرج به على طريق الرساتيق واطرحه بين حميرهم واجعل ثوبه لوالديك فتخرج من نذرك ففعل ذلك وفي المساء نام في فراشه فرأى في الحلم والديه يمانقانه ويقولان له يا ولدنا عملت معنا كل شيء من وجوه الخير حتى اطعمتنا البطيخ وكننا نشتهي فرضي الله عنك

قال أمير المؤمنين عليه السلام « اتق الله بعض التقى وان قل واجعل بينك وبين الله ستراً وان رق » ويقال في المثل « ما لا يدرك كله لا يترك أمله » فالواجب على من عمرت عليه التقوى باجمها أن يتقي الله في البعض وأن يجعل بينه وبين الله ستراً وان كان رقيقاً

وفي أمثال العامة اجعل بينك وبين الله « دوزنة » والدوزنة لئلا تصحبة معربة أي لا تجعل ما بينك وبين الله سداً مظلماً

## الخاتمة

هذا ما أثبتناه في هذا المورد وعمى أن يكون عذباً سلسالاً لوارديه وفيه النفع لقارئيه والحمد لله أولاً وآخراً  
وكان الفراغ من تسويد المجلد الاول من الرياض الخزعلية في غرة ربيع الثاني سنة ١٣١٨ للهجرة النبوية على مهاجرها أفضل صلاة وأزكى تحية  
ثم أعدنا النظر فيه وأزدنا في مبانيه وأتھينا منه في شعبان سنة ١٣٣٠ ولله الحمد في البدء والختام

( انتهى المجلد الاول. ويليه المجلد الثاني )

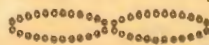
| صفحة  | صفحة  |
|---|---|
| ٣٠ رسم صاحب السعادة الحاج محمد علي خان الخزعية            | ٢ رسم صورة عظمة السردار أقدس مؤلف الكتاب اعزه الله          |
| ٣٢ رسم جلالة الملك سعادة ميرزا عبد الصمد خان              | ٣ توطئة المجلد الاول بقلم العبد المملوك                     |
| ٣٢ عبادان   | ٤ رسم آخر لعظمة السردار أقدس                                |
| ٣٣ رسم عبادان الجديدة                                     | ٦ القصر الخزعلي كما هو اليوم                                |
| ٣٤ رسم مشير التجار الحاج أبو الحسن ختام القول             | ٦ عربستان   |
| ٣٥ ختام القول   | ٨ القصر الخزعلي كما كان سنة ١٩١١                            |
| ٣٦ العائلة الفخمة الجاسبية                                | ١٠ رسم المحمرة  |
| ٣٧ رسم عظمة معز السلطنة في يوم ولايته السعيد              | ١٢ رسم الشارع الخزعلي في المحمرة                            |
| ٣٨ الحضرة السنوية الخزعية                                 | ١٤ رسم صاحب السمو الامير السردار أرفع الشيخ جاسب خان        |
| ٣٩ رسم مظفر الدين شاه ايران                               | ١٦ رسم صاحب السمو الامير السردار أجل الشيخ عبد الحميد خان   |
| ٤١ رسم الحاج مصطفى فهمي معتمد عظمة السردار أقدس في البصرة | ١٦ (الفيائية)   |
| ٤٣ رسم عبد المسيح انطاكي بك شاعر عظمة السردار أقدس ونديمه | ١٨ رسم آخر لعظمة السردار أقدس المحمرة                       |
| ٤٣ امارة عظمة السردار أقدس                                | ٢٠ رسم الاميرين الجليلين                                    |
| ٤٥ رسم الموسيقى الخزعية                                   | ٢٢ رسم أصحاب السمو السردار أشرف والسردار أرفع والسردار كشور |
| ٤٦ سياسة عظمة السردار أقدس                                | ٢٣ ناصرية الاهواز   |
| ٤٨ جلالة الشاه احمد خان في موكب                           | ٢٤ رسم صاحب السمو نصرت الملك الشيخ عبد العزيز خان           |
| ٥١ و٥٣ و٥٥ رسم ثلثة من الجيش الخزعلي                      | ٢٦ رسم سمو السردار لشكر الشيخ عبد الكريم خان                |
| ٥٧ رسم فصيلة من الجيش الخزعلي                             | ٢٨ رسم بقايا قلعة الاهواز                                   |
| ٥٩ رسم ثلثة من الحرس الخزعلي                              | ٢٩ القصور الخزعية في الاهواز                                |
| ٦٠ احكام عظمت   |   |
| ٦٠ العسكرية في عربستان                                    |   |

| صفحة                                | صفحة                              |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| الروضة الثالثة                      | ٦١ رسم فرقة الحرس الخزعلي         |
| توطئة ١١٥                           | ٦١ معيشة عظمته                    |
| الكحال لله ١٢٠ حب الجاه             | ٦٢ الامراء الانجال العظيم         |
| حب المدح والثناء ١٢٢                | ٦٢ رسم الحرس الخزعلي الابراني     |
| العجب والرهو ١٢٧                    | ٦٣ اخلاق عظمته و مناقبه           |
| اقسام العجب ١٢٩                     | ٦٤ الرياض الخزعية                 |
| العجب يدعو الى التقصير ١٣٢          | المورد الاول                      |
| الكبرياء ١٣٣                        | ٦٨ المقدمة                        |
| حقيقة الكبرياء وآفها ١٣٦            | ٦٩ وحدة النفس — ماهي النفس        |
| العفة ١٤٥ ١٤٦ الوفاق والصدق         | ٧٠ شوائب النفس الانسانية          |
| الخاصة ١٤٨                          | ٧٠ في الاحوال النفسية             |
| الطبع والتطبع ١٤٩                   | ٧٢ المللكات النفسانية             |
| الافعال الظاهرة تدل على الاخلاق ١٥٢ | الروضة الاولى                     |
| الباطنة                             | ٧٢ بين الداجل والّاجل             |
| في العادة ١٥٥                       | ٧٤ ما أضيّق العيش لولا فسحة الامل |
| الطبع سراق ١٦٠                      | ٧٨ الشحّ                          |
| الناسي بالامثال ١٦٣                 | ٧٩ التشوق الى المال               |
| ميل النفس لشكلها ١٦٧                | ٨٢ الحرص على الممتنع              |
| جهل الاشياء ١٧١                     | ٨٤ التهاون بالمتبدل               |
| رضى الناس لا يدرك ١٧٢               | ٨٩ المال من الوجود                |
| بين الاثوم والكرم ١٧٤               | ٩١ الدفع والجذب                   |
| الطمع ١٧٩                           | الروضة الثانية                    |
| العين أو النظرة ١٨٢                 | ٩٤ توطئة ٩٧ الحقد                 |
| الاعتقاد ١٨٤                        | ١٠١ حسد الاقربين والمتناظرين      |
| الوهم ١٨٥                           | ١٠٤ حب المائلة                    |
| تأثير الكلام ١٩١                    | ١٠٥ المغيرة ١٠٩ الحمية            |

| صفحة                            | صفحة                           |
|---------------------------------|--------------------------------|
| البطنة ٢٣٧                      | ٢٩٢ تأثير الشعر                |
| الانهماك بالمعاصي ٢٣٨           | ١٩٥ التطير                     |
| غلبة الطبع والعادة ٢٣٩          | ١٩٨ التفاؤل                    |
| الحرص والاماني ٢٤٢              | ٢٠٠ تمة                        |
| شدة الطمع ٢٤٤                   | ٢٠٠ في تأثير اللسان والمكان    |
| الجشع في الكسب ٢٤٦              | المورد الثاني                  |
| غلبة الشهوات ٢٤٧                | ٢٠٢ مقدمة                      |
| غلبة الحب النفساني ٢٤٩          | ٢٠٢ في العقل وأحكامه علماً     |
| الانانية وحب الانسان لنفسه ٢٥٠  | الروضة الاولى                  |
| العجب النفساني ٢٥٠              | ٢٠٣ في فضل العقل وثمراته       |
| شدة الغضب ٢٥٤                   | ٢٠٥ تعريف العقل                |
| الحجاج والخلاف ٢٥٥              | الروضة الثانية                 |
| الروضة الخامسة                  | ٢٠٨ في ذم الجهل والغباوة       |
| في الامور الكاشفة ٢٥٥           | ٢٠٩ الجهل البسيط               |
| توطئة — أسنة الناس ٢٥٥          | ٢١٤ الجهل المركب               |
| تنزيل النفس منزلة الغير ٢٥٨     | الروضة الثالثة                 |
| تنزيل الغير منزلة النفس ٢٥٩     | ٢١٩ في الاستدلال بالعقل السليم |
| مقابلة الشيء بنظيره أو بضده ٢٦١ | ٢١٩ القياس                     |
| الحياء بين الاظهار والكتمان ٢٦١ | ٢٢٦ الاستدلال بقرائن الاحوال   |
| الاجماع ٢٦٣                     | ٢٢٧ الاستقراء                  |
| القدوة الحسنة ٢٦٤               | ٢٢٩ التمثيل                    |
| الاستشارة وقبول النصيحة ٢٦٦     | ٢٣٢ الاعتبار بالامثال          |
| شروط المستشار ٢٧٥               | ٢٣٤ علة الحكم                  |
| الاستخارة ٢٧٩ هوى النفس ٢٧٩     | الروضة الرابعة                 |
| حال الهوى مع العقل ٢٨١          | ٢٣٦ في الامور الحاجية للعقل    |
| ثمرات مخالفة النفس ٢٨٧          | ٢٣٦ توطئة                      |



| صفحة                                   | صفحة                                   |
|--|--|
| ٣٣٨ الايمان                            | ٢٩٣ الحاشية                            |
| الروضة الثالثة                         | المورد الثالث                          |
| ٣٤١ في الموانع والمحظورات              | ٢٩٤ المغدمة                            |
| الروضة الرابعة                         | ٢٩٤ من شأن العقل النظر الى العواقب     |
| ٣٤٨ في مقدار النفع والضرر              | ٢٩٦ الفرق بين حكم العقل وحكم النفس     |
| ٣٤٨ ما يزيد ضرره على نفعه              | ٢٩٧ النفس تميل لذتها والعقل لمنفعة     |
| ٣٥٠ ما يزيد نفعه على ضرره              | ٢٩٨ النفس تتعجل ملاذها والعقل يخالفها  |
| ٣٥١ ما يشترك بين النفع والضرر          | ٢٩٩ العقل ينافي القوة الغضبية          |
| الروضة الخامسة                         | ٣٠٥ في منافاة العقل للقوة الروحانية    |
| ٣٥٥ في الامور الساقطة عن اعتبار العقل  | الروضة الاولى                          |
| ٣٥٥ توطئة                              | ٣٠٦ في أن من شأن العقل النظر في الواجب |
| ٣٥٥ استدراك الفاتت                     | ٣٠٦ تمهيد                              |
| ٣٥٨ معاناة المدبر                      | ٣٠٧ معاناة مالا حاجة اليه              |
| ٣٦٠ الاهتمام بالمقبل                   | ٣٠٨ في الاهتمام بما لا يضر             |
| ٣٦١ في بيان الامور المديعة الفائدة     | ٣٠٩ فيما لا نفع فيه                    |
| الروضة السادسة                         | ٣١٩ النظر الى القول دون القائل         |
| ٣٦٤ في بيان الراجح من المرجوح          | ٣٢١ الاشتغال بما لا يعني               |
| ٣٦٤ توطئة                              | ٣٢٥ تطوع الانسان لما لا يدعي اليه      |
| ٣٦٤ في الامرين المتعارضين وكلاهما نافع | ٣٢٨ التكليف لما ليس من الشأن           |
| ٣٧٢ في تعارض النافع والضار             | الروضة الثانية                         |
| ٣٧٢ في تناقض الضررين                   | ٣٣٢ في جهة الشرائط                     |
| ٣٨٠ الحاشية                            | ٣٣٢ المعرفة                            |
|  | ٣٣٣ القدرة                             |



تأليف  
 محمد باقر  
 تاسيس  
 ١٣٧٢